

حَدِيثُ الرَّسُولِ

عَنْ نَفْسِهِ

فِي الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ

دراسة وتحليل

عز الدين حسين حسني

دار ابن الجوزي

حَدِيثُ السَّبْعِ

عَنْ نَفْسِهِ

فِي الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ

دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ

عز الدين حسين حسن دياب

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير من المعهد العالي للدراسات الإسلامية
بالقاهرة بتقدير ممتاز

الإهداء

إلى سيدي رسول الله ﷺ، فما دامت
صلاتنا عليك تبلغك، فسوف
يبلغك هذا العمل إن شاء الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمما لا شك فيه أن حديث الرسول ﷺ كان وما يزال، وسيظل مهوى أفئدة المسلمين، ولا سيما العلماء، والأدباء، وطلاب العلم الراغبين في الاستزادة من العلوم الشرعية، يفترون جميعًا من معينه الصافي، ويرتوون من نبعه المتدفق عبر العصور.

ولقد حاولت الدراسات الأدبية والبلاغية للحديث النبوي - على قلتها^(١) - أن تحيط بما في كلام النبي من أسرار البلاغة وفنون البيان، ورغم توفيق كثير من الدارسين في كشف بعض ملامح الإعجاز فيه - إلا أن إعجازه ظل دائمًا ثراءً بالعطاء، تنقطع دونه أعناق البلغاء، وتعجز أمامه أقلام الفصحاء.

وعبر الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه «إعجاز القرآن

(١) لا تمثل الدراسات الأدبية للحديث النبوي أكثر من (١٪) من مجموع الرسائل العلمية المجازة في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين. انظر يليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين في الأدب العربي والبلاغة والتقد الأدبي. للدكتور محمد أبو المجد علي البيوني.

والبلاغة النبوية» عن هذا المعنى فقال:

(هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غابتها، لم تُصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلّف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة)^(١).

ومن خلال تتبع الدراسات الأدبية حول الحديث الشريف نجد أنها سارت في اتجاهين:

الأول - يتناول أسرار البلاغة النبوية في بيان الرسول ﷺ بصورة مجملة، ومن ثم يحدد السمات الكلية والخصائص التي تميزه. ومن أمثلة هذا النوع: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي، والبيان المحمدي، للأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة، والبيان النبوي، للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي.

والثاني - يتناول جانباً بلاغياً أو موضوعياً في الحديث النبوي، ثم يخضعه للدراسة الفنية، ومن أمثلة هذا النوع: المجازات النبوية للشريف الرضي، والصور البيانية في الأحاديث النبوية، للدكتور/ محمد علي فرغلي الشافعي، ومن بلاغة النبي ﷺ في بيانه عن المرأة، دراسة في الصحيحين، للدكتور/ سعيد أحمد السيد جمعة، وبلاغة الدعاء في الحديث النبوي، للدكتور/ سلامة جمعة علي داود، وغيرها.

وعلى النمط الأخير جاء هذا الكتاب الذي اتخذ من حديث الرسول الأعظم ﷺ عن نفسه بضمير المتكلم مادة للدرس والتحليل الأدبي.

وكنت قد سُغت من زمن بحديث النبي ﷺ عن نفسه، ولطالما تأملت قوله ﷺ:

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي (١/ ١٩٣).

«إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَخْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْبُجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ»، قَالَ: «فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا حَاثِمُ النَّبِيِّينَ»^(١).

وقوله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْحُمُونَ فِيهَا»^(٢).

وتمنيت أن لو جمعت مثل هذه الأحاديث، وجعلت محلاً للدرس، لبيان ما فيها من جليل المعنى، وبديع التصوير، وجميل الصياغة.

وشاء الله أن يتأخر تحقيق هذه الأمنية نحوًا من ثلاثين عامًا، حتى قدر لهذه الدراسة أن ترى النور.

لقد طوّفت - بفضل هذا الكتاب - سنوات في رحاب حديث رسول الله ﷺ في الكتب الستة، وكانت الرحلة شائقةً ممتعة، عشت مع كلمات الرسول ﷺ في بيته، ومع صحابته، في مكة والمدينة، في حربه وسلمه، في حله وترحاله، ثم وهو يتلفظ بآخر كلماته، وينتقل إلى الرفيق الأعلى، وتمثلت لي هذه الحياة - وأنا أتأمل أحاديثه ﷺ - كأنني أراها رأي العين، فازددت حبًا له ﷺ، وتقديرًا لجهاده، وإيمانًا برسالته، وتمنيت أن لو كنت من أهل زمانه، أتمتع بالنظر إلى وجهه الحبيب، وأتشف بحضور مجالسه الكريمة، وأشنف أذني بالإصغاء لحديثه الندي.

كانت كلمات النبي ﷺ - كما وصفها أصحابه - معدودةً محسوبةً مقدرةً، ينطقها بأناة وتؤدة؛ لتأتي كل كلمة في موضعها لا يصلح أن يحل غيرها محلها.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)، والترمذي (٢٨٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، والترمذي (٢٨٧٤).

تقول السيدة عائشة: إن كان رسول الله ﷺ ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه أحصاه^(١).

ومع ذلك كان كلامه ﷺ ينساب طبيعياً عفويّاً لا أثر فيه لصنعة ولا لتكلف، وتلك هي البلاغة النبوية التي عايتها في أسمى صورها.



انتظم هذا الكتاب بعد المقدمة في ثلاثة أبواب يحتوي كل باب منها على ثلاثة فصول، جمعت فيها الأحاديث الشريفة التي وردت في الكتب الستة على لسان النبي ﷺ بضمير المتكلم المنفصل أو المتصل، وقمتُ بتبويبها تبويماً موضوعياً، وعلّقت على كل حديث أو مجموعة من الأحاديث التي يضمها عنوان واحد موضعاً سياقها العام، ومفصلاً الكلام حول التراكيب والجمال والمفردات، ومركزاً على أساليب الصياغة وطرائق التصوير وإيحاء الكلمات.

وجاء الباب الأول بعنوان: مع الرسول ﷺ من المبعث إلى اللحاق بالرفيق الأعلى.

واحتوى على الفصول التالية:

الفصل الأول: الرسول ﷺ في مكة:

وتركزت أحاديث النبي ﷺ فيه حول القضايا الغيبية كالوحي وطبيعته، والنبوة وماهيتها، والدعوة إلى توحيد الله، ونبذ الأوثان، والتحذير من عذاب الآخرة. كما تناولت ما تعرض له النبي من أذى وعنت، وتضييق وإخراج.

الفصل الثاني: في رحاب طيبة:

ودارت أحاديثه حول المسجد النبوي، والمنبر والبيت، وحب المدينة

وأهلها، والغزوات التي دارت رحاها في تخومها، والعلاقات بين المسلمين ويهود المدينة ومنافقيها.

الفصل الثالث: إلى الرفيق الأعلى:

وتناولت الأحاديث فيه المؤشرات الأولى التي أُنذرت برحيل النبي ﷺ، وبدايات المرض، ثم اشتداد وطأته، ثم اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ. أما الباب الثاني فحمل عنوان: الرسول ﷺ مع المؤمنين.

وتضمن ما يلي:

الفصل الأول: الرسول ﷺ مع الرسل والأنبياء:

وعرضت فيه للأحاديث التي تناولت علاقة الرسول بإخوانه من الأنبياء والرسل، وبدأت بروح القدس جبريل الذي كان همزة الوصل بين الأرض والسماء، والذي تعددت صور اتصاله بالنبي ﷺ، ثم بأبي الأنبياء إبراهيم ﷺ الذي كان نبينا ﷺ أشبه الناس به، ثم يوسف الصديق ﷺ الكريم ابن الكريم ابن الكريم، فموسى كليم الله، فعيسى الذي عدّ النبي ﷺ نفسه أولى الناس به، إلى سليمان صاحب النبوة والملك الفريد، ثم الأحاديث التي تضمنت وصف النبي ﷺ لجبريل، ولموسى وعيسى وإبراهيم ويونس.

الفصل الثاني: الرسول ﷺ مع آل بيته:

وتناولت الأحاديث فيه حياة الرسول ﷺ مع آل بيته، وبدأت بأولاده إبراهيم وفاطمة وزينب ثم حفديده الحسن والحسين، فابن عمه وصهره علي ابن أبي طالب، وعمه العباس (عليه السلام).

ثم الأحاديث التي وصفت علاقته بزوجاته (عليهن السلام)، وكانت أولاهن خديجة ثم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش وجويرية وأم حبيبة وصفية بنت حيي، وكان اللقاء الأخير مع أم هانئ ابنة عم النبي ﷺ. ثم ختم الفصل بوقفه

حزينة باكية أمام قبر أم النبي ﷺ.

الفصل الثالث: الرسول ﷺ مع أصحابه:

وصُورَت الأحاديث فيه علاقة النبي ﷺ مع بعض أصحابه بدءًا بالصديق أبي بكر وعمر وعثمان، والزيير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ثم بجمع من الصحابة والصحابيات يزيد عن ثلاثين كانت لهم مع النبي ﷺ مواقف خلدتها الأحاديث.

وفي الباب الثالث وعنوانه: من شمائل النبوة جاءت الفصول على النحو التالي:

الفصل الأول: من أخلاق الرسول ﷺ:

عرَضَت الأحاديث فيه لأخلاق النبي ﷺ فوصَفَت الرجل المثال الذي جُعِلَ أسوةً للناس بمكارم أخلاقه، ورفيع صفاته، فهو الرحيم الشفيق بأمته، الطائع المخبت لربه، العف اللسان والجنان، النبيل المترفع عن الدنيا، العادل في حُكْمِهِ وقَسْمِهِ، الحكيم في قوله وعمله، الشديد في الحق، الحريص على العلم، العاشق للذكر، الشجاع المقدام، المتواضع الزاهد، الكريم السخي، الغيور على محارم الله، المؤلف لقلوب الناس.

الفصل الثاني: من خصوصيات الرسول ﷺ:

وتعرضت الأحاديث فيه لبعض خصوصيات الرسول التي انفرد بها دون الناس، وكان أبرزها، وجوب محبته ﷺ، ورؤيته نور ربه، وكونه لا يورث، وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وأنه لا يقبل هدايا المشركين.

ومن بينها اختصاص ربه له بخمس لم يعطهن نبي قبله، وهي أنه نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحِلَّت له الغنائم، وأُعطي الشفاعة، وبعث للناس كافة.

وكذلك أنه أُعطي مفاتيح الأرض، وأن عينيه تاملان ولا ينام قلبه، وأنه

يرى من لا نرى، وأن له خمسة أسماء مشهورة، وأنه يجوز التسمي باسمه، ولا يجوز التكني بكنته، وأن الشيطان لا يتمثل به، وأنه سيد ولد آدم، وأن الله اصطفاه من بني هاشم، وأنه لا نبي بعده.

وأن له نَهْرًا في الجنة هو الكوثر، وأن جسده بعد موته لا ييلى، وأن صلاتنا عليه تبلغه في قبره، وأن الصلاة عليه لها فضل وأجر عظيم، وأن صلاته في حياته على الميتين من أصحابه رحمة لهم.

ومن بين خصائصه أيضًا أنه ليست له خاتمة الأعين، وأنه لا ينطق إلا صدقًا وحقًا، وأنه أوتي الكتاب ومثله معه، وأن بعثته وموته من علامات الساعة.

الفصل الثالث: من نبوءات الرسول ﷺ:

وعرّض لنبوءات الرسول ﷺ التي وردت في أحاديثه عن نفسه، وقد تحقق قسم منها في حياته، وتحقق قسم آخر في زمن الصحابة والتابعين، وتحقق ثالث بعد قرون الخيرية، ورابع سوف يتحقق بين يدي الساعة بإذن الله جلّ وعلا.

ثم جاءت الخاتمة في النهاية لتلخص أبرز ما خلصت إليه الدراسة من نتائج.



والتزمت في اختيار الأحاديث التي تتصل بموضوع الكتاب بما يلي:

١ - لم أثبت من الأحاديث سوى الصحيح المقطوع بصحته في كتب التخریج القديمة والحديثة، ولا سيما كتب الشيخ الألباني رحمه الله.

٢ - إذا كان الحديث موجودًا في أكثر من كتاب من الكتب الستة، فإنني أذكرها في التخریج مرتبة بحسب درجة الصحة التي ارتضاها جمهور علماء

الحديث، حيث يأتي صحيح الإمام البخاري في المقدمة، كأصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ، يتلوه صحيح مسلم، فسنن أبي داود، ثم سنن الترمذي، فسنن النسائي الصغرى، فسنن ابن ماجة، رحمهم الله جميعاً، وجزاهم عن سنة رسول الله ﷺ خيراً.

٣ - لم أثبت المكرر منها، واكتفيت بتسجيل الحديث الواحد في أحد فصول الكتاب، وإن كان مضمونه يحتمل أن يُسجل في أكثر من فصل.

٤ - لم أستثنِ مما ورد متصلاً بضمير المتكلم سوى:

[أ] ما كان من باب الدعاء، وهو كثير، ويصلح أن يكون كتاباً مستقلاً، وقد تناولته بالفعل دراسة سابقة^(١)، ومن أمثله ما رواه أبو هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قال: أَحْسِبُهُ قال: هُنِيَةً -، فقلت: بِأَيِّ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قال: «أَقُولُ اللَّهُمَّ بَاعِذْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالطَّلْحِ وَالْبَرَدِ»^(٢).

[ب] ما اتصل بأمور الآخرة، كالبعث والنشور، والقبور، والجنة والنار، وهذا أيضاً باب واسع لو ضممته للكتاب، لتضخم أكثر مما ينبغي.

٥ - دلّ منطوق بعض الأحاديث على أن المراد به شخص النبي ﷺ، وإن لم يرد به ضمير المتكلم، كقوله ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِأَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخَيِّرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ:

(١) بلاغة الدعاء في الحديث النبوي، للدكتور/ سلامة جمعة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨)، وغيرهما.

فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ»^(١).

وقد أثبت مثل هذه الأحاديث لأنها تتسق مع موضوع الكتاب.

٦ - إذا كان الحديث مختصراً، وغيره أكثر تفصيلاً منه وأعم، فإني أكتفي بالآخر، ولا أثبت المختصر، ومثال ذلك قول الرسول ﷺ عند الترمذي: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»^(٢).

فأعمُّ منه ما رواه جابر عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَبَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّنِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصَلِّ، وَأَجِلْتُ لِي الْمَقَامُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُنْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(٣).

٧ - اكتفيت في السند باسم الراوي الناقل عن رسول الله ﷺ صحابياً كان أم تابعياً، وفي التخريج بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، واعتمدت في ترقيم أحاديث البخاري على ترقيم عبد الباقي رحمه الله.



اعتمد هذا الكتاب في المقام الأول على كتب الحديث الستة كمصادر أساسية، وهي:

* صحيح البخاري	* صحيح مسلم
* سنن أبي داود	* سنن الترمذي

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذي (٣٦٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، والنسائي في الصغير (٤٣٢).

* سنن النسائي * سنن ابن ماجة

وهي الكتب التي تعارف العلماء على اعتبارها أصح كتب الحديث قاطبة، وفيما يلي تعريف موجز بهذه الكتب، وبمؤلفيها:

١ - «صحيح البخاري»: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه.

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي^(١) البخاري.

ونسبه (الجعفي) سببه أن الجد الثاني له (إبراهيم) أسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه نسبة ولاء، و(البخاري) نسبة إلى بلده التي ولد فيها: بخارى.

كان مولده في الجمعة الثالثة من شوال سنة ١٩٤ هـ وكان أبوه محدثاً سمع من مالك بن أنس غير أنه لم يكن مكثراً من الرواية.

مات أبوه، وخلف له مالا كثيراً استعان به البخاري على طلب العلم.

وكان البخاري قوي الذاكرة، شديد الحفظ، متقناً ذكياً فطناً، يقول عن نفسه: (أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح)^(٢).

وجمع إلى ذلك ورعاً وتقوى وخشوعاً، إذ كان كثير الصلاة مقيماً لليل، ويروى أنه كان في رمضان يختم القرآن في السحر في ثلاث ليالٍ، ويختمه بالنهار في كل يوم ختمة.

اعترف له بالفضل والتفرد بشيوخه وتلاميذه.

فعن قتية بن سعيد أنه قال: (لقد رحل إلي من شرق الأرض ومن غربها،

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٤٧٧).

(٢) شرح البخاري للسفيري (١/٤٧).

فما رحل إليّ مثل محمد بن إسماعيل^(١).

وقال أحمد بن حنبل: (ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)^(٢).

وكشف البخاري لتلميذه مسلم عن علّة حديث لم يكن يعلمها، فقال له مسلم: (دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)^(٣).

من أبرز شيوخه الذين تلقى عنهم العلم: أبو عاصم النبيل، ومكي بن إبراهيم، ومحمد بن عيسى بن الطباع، وعبد الله بن موسى، وقيّة بن سعيد، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وآخرون.

أما تلاميذه فعلى رأسهم: مسلم بن الحجاج، والترمذي، وابن خزيمة، ومحمد بن يوسف وهو أحد رواة الصحيح، وعنه انتشر بين الناس.

وصحيح البخاري هو أصح كتاب في حديث رسول الله ﷺ كما أجمع أهل العلم، يقول البخاري: (لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا، وما تركت من الصحيح أكثر)^(٤).

ويتميز بالدقة في الأسانيد، واشتراط ثبوت اللقاء بين الراويين، والسماع ولو مرة، لذا سمي كتابه: الجامع المسند الصحيح.

افتّحه بحديث: «إنما الأعمال بالنيات»، ثم: بدء الوحي، ثم: الإيمان فالعلم ثم العبادات، جاريًا على سنن أبواب الفقه.

وأطلق على الأبواب العامة اسم كتاب، ثم ترجم لكل كتاب بالأبواب المفصلة له.

وكان - ﷺ - يذكر الحديث في كتابه في مواضع عدة، ويستدل به في

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٤٨٢).

(٢) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/١٥).

(٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/١٤٠).

(٤) مرقاة المفاتيح (١/٥٨).

كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وفقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه.

وقد بلغ عدد أحاديث البخاري سبعة آلاف وخمسمائة وثلاثة وستين بالأحاديث المكررة، وبإسقاط المكرر تبلغ حوالي ثلاثة آلاف حديث.

خرج البخاري من بخارى بعد خلاف مع واليها إلى قرية (خرتنك) وهي إحدى قرى سمرقند، وكان بها أقرباء له فنزل عندهم، فسمع ذات ليلة، وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه: (اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك)^(١)، فما تمّ الشهر حتى قبضه الله إليه، وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ، وعمره اثنان وستون عامًا.



٢ - «صحيح مسلم»: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ.

وصاحبه أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري.

ولد سنة ٢٠٤ هـ وفي رواية ٢٠٦ هـ، ونسبه القشيري نسبة إلى القبيلة التي ينتمي إليها، قيل: هو عربي الأصل، وقيل: بل نسبته إلى قشير نسبة ولاء، والنيسابوري نسبة إلى بلد إقامته.

سمع الحديث من شيخه يحيى بن يحيى التميمي، وهو ابن اثنتي عشرة أو أربع عشرة سنة، ثم خرج فطاف البلاد لسماع العلم، فنزل خراسان والري والعراق ومكة والمدينة والشام ومصر.

تلمذ على يد القعنبي وابن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين

(١) المنواري على أبواب البخاري (١/٤٥).

وابن المدني وغيرهم، ثم تفرغ للجلوس إلى أستاذه الأكبر البخاري فلازمه طيلة حياته، وتشرب منهجه، وأحبه ودافع عنه في محنته، وكان أوفى الناس له.

أما تلاميذه فأشهرهم: محمد بن عبد الوهاب الفراء، وأبو حاتم محمد ابن إدريس الرازي، وأبو عيسى الترمذي، وأبو بكر بن خزيمة، وأبو عوانة الإسفرايني، وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيحه.

انتخب صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، ومكث يصنفه خمسة عشر عامًا متحرّياً الدقة والصحة، يقول عن كتابه: (ما وضعت في هذا المسند شيئاً إلا بحجة، ولا أسقطت شيئاً منه إلا بحجة)^(١).

كان يشترط أن يخرج الحديث الذي اتصل سنده برواية الثقة عن مثله إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً ولا معللاً، وخالف أستاذه البخاري في سماع الثقة ممن فوقه، فلم يشترط سوى المعاصرة وإمكان اللقاء، وإن لم يأت خبرُ أنهما اجتمعا.

جمع كل ما يتعلق بالباب في موضع واحد بأسانيده، ولم يشتمل كتابه إلا على الصحيح المسند إلى النبي ﷺ على أبواب مفصلة الطرق والأسانيد، ولا يكاد يوجد فيه غير المرفوع.

لذلك عد العلماء كتابه في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري، وهما معاً يمثلان مع القرآن أصول الإسلام.

توفي مسلم في رجب سنة ٢٦١ هـ بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.



٣ - «سنن أبي داود»:

لأبي داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الأزدي

(١) صيانة صحيح مسلم (١/٦٨).

السجستاني، محدث البصرة توفي بها سنة ٢٧٥ هـ.

انصرف منذ صباه للعلم، وسمع في سجستان، ثم طاف العراق والكوفة والبصرة والشام والجزيرة والحجاز ومصر وخراسان والري.

سمع من القعني وسليمان بن حرب ومسلم بن إبراهيم وعبد الله بن رجاء وأبي الوليد الطيالسي والحسن بن الربيع وأحمد بن يونس، وتلمذ على يد أحمد بن حنبل وكان من أنبل تلاميذه.

وحدث عنه أبو عيسى في جامعه، والنسائي وإبراهيم بن حمدان وأبو الطيب أحمد بن إبراهيم البغدادي راوي السنن عنه.

كان رجلاً ورعاً ومقدماً حافظاً، قال بعضهم: (ألين الحديث لأبي داود، كما أليّن الحديد لداود)^(١).

قال أبو داود عن كتابه:

(كتب عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه)^(٢).

كان يخرج أصح ما ثبت عنده في الباب، وكان يشترط في الرجال ألا يكونوا متروكي الحديث، لذلك لم يخرج لغير الثقات، وكان يشترط الاتصال في الإسناد.

تضمن كتابه تفصيل الأحكام، وبيان حجج الحلال والحرام، واستقر عند بعض المتأخرين أن سنن أبي داود ثالث الكتب الستة.



(١) مرقاة المفاتيح (١/٧٢).

(٢) طرح الشريب (١/٥٠).

٤ - «سنن الترمذي»:

أبي عيسى محمد بن عيسى السلميّ الترمذيّ، ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفي سنة ٢٧٩ هـ والسلميّ نسبة إلى القبيلة التي ينتمي إليها وهي نسبة عربية، والترمذي نسبة إلى بلده (ترمذ) وهي مدينة تقع في جهة الشمال من نهر جيحون شمال إيران.

خرج إلى طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فطاف بخراسان والعراق والحرمين ونيسابور وبخارى، وفي بخارى لازم الأستاذ الأول البخاري فتلقّى منه، كما حدّث عن قتيبة ابن سعيد وإسحاق بن راهويه ومحمد بن عمرو وأبي مصعب الزهري وغيرهم.

وحدّث عنه أبو بكر أحمد بن إسماعيل السمرقنديّ، وأبو حامد أحمد بن عبد الله بن داود المروزيّ، وأحمد بن يوسف النسفيّ، وأبو العباس محمد ابن أحمد بن محبوب راوي سننه.

كان الترمذيّ عالمًا حافظًا قوي الذاكرة، مذكورًا بالصلاح والاستقامة والزهد والورع.

صنّف كتابه ابتداءً حديثًا مجردًا، ثم أتبعه بالفوائد في ذكر مذاهب الفقهاء، وعلل الحديث، ونحو ذلك، واشترط ذكر الأحاديث التي عليها مدار الأحكام، والتي عمل بها الفقهاء، ولم يشترط فيها الصحة، فعنده الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمرسل والمنقطع والمضطرب والمعلل والشاذ، غير أنه التزم ببيان ذلك وشرحه، ومع ذلك غلب على كتابه الصحيح.

قال أبو عيسى: (صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب - يعني الجامع - فكأنما

في بيته نبي يتكلم^(١).

وقد رتب جامعه على أبواب تتفرع عنها أبواب أخرى، ولم يقتصر على الأحكام، بل تعداها للفضائل والزهد وغيرهما.

ويُعدُّ كتابه أصلاً في معرفة الأحكام، وتميز مسائل الحلال والحرام، والترغيب والترهيب، والفضائل والمناقب، والسير والتاريخ، والجرح والتعديل.

عده البعض ثالث الكتب الستة، وعده الأكثرون رابعها بعد سنن أبي داود.



٥ - «سنن النسائي»: المجتبى من السنن:

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بحر، ينتسب إلى مدينة نسا بفتح النون من مدن خراسان، ولد سنة ٢١٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٢ هـ وفي رواية ٣٠٣ هـ.

كان جميلاً مشرق الوجه، كان وجهه قنديل مع الهيبة والوقار، وكان مهتماً بملبسه وهيئته وأكله، وكان حافظاً فاهماً، قال الدارقطني: (أبو عبد الرحمن مقدّم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره)^(٢).

رحل في الخامسة عشرة إلى قتيبة بن سعيد، فأقام عنده سنة وشهرين، ثم رحل إلى خراسان والعراق والجزيرة والشام والشغور والحجاز ومصر التي استوطنها، وسكن فيها بزقاق القناديل.

سمع من إسحاق بن راهويه وهشام بن عمار وسويد بن نصر وعيسى بن

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٤).

(٢) طبقات الشافعية (١/ ٨٨).

حماد والحسن بن الصباح البزار، وغيرهم.

وأبرز تلاميذه: أبو بشر الدولابي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النسابوري، وآخرون كثير.

إذا أطلق اسم سنن النسائي أريد به السنن الصغرى (المجتبى)، وهو الذي اعتمد عليه الكتاب، فللمصنف كتاب آخر يسمى السنن الكبرى لم يصل أكثره إلينا، واشتمل السنن الصغرى على الأحاديث المرفوعة المسندة إلى النبي ﷺ في أبواب الأحكام غير ممزوجة بشيء من الرأي، وليس فيها موقوف ولا مقطوع إلا ما ندر، وقد راعى الفقه في ترتيب الأبواب، وكأنه اقتفى أثر البخاري، وإذا كان في الباب آية صدره بها، ثم ساق ما بينها وشرحها من السنة.



٦ - «سنن ابن ماجه»:

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي القزويني، وماجه هو لقب والده يزيد، ولد سنة ٢٠٩ هـ وتوفي سنة ٢٧٣ هـ.

نشأ بقزوين، ولزم بها شيخه علي بن محمد الطنافسي، فأكثر السماع منه، ثم رحل بعد ذلك إلى خراسان والري والحجاز والشام ومصر والعراق. وكان صاحب علم واستقامة متبحراً في علومه، واسع الاطلاع، محارباً البدع.

سمع من علي بن محمد الطنافسي وجبارة بن المغلس ومصعب بن عبد الله الزبيرى وسويد بن سعيد وأبي بكر بن أبي شيبة، وخلق كثير.

وتلمذ على يديه محمد بن عيسى الأبهري وأبو الطيب أحمد بن روح البغدادى وأحمد بن محمد بن حكيم المديني وسليمان بن يزيد، وأخوه

الحسين بن يزيد بن ماجة القزويني الذي روى عنه كتابه.

قال عنه الحافظ الخليلي: (ثقة كبير، متفق عليه محتج به، له معرفة بالحديث وحفظه)^(١).

يتكون كتابه من اثنين وثلاثين كتابًا، وفيه ألف وخمسمائة باب، فيها ما يزيد على أربعة آلاف حديث، ابتدأه ببيان السنة والأمر باتباعها، وضم الابتداء في الدين والاحتياط في الحديث عن النبي وتغليظ الكذب عليه، ثم ذكر أمور الإيمان والتوحيد، ثم فضل العلم، ثم العبادات، فالأحوال الشخصية، فالمعاملات... إلخ.

امتاز بعلو الأسانيد لعلو طبقة، وحسن الترتيب، وغزارة الأبواب، وترك التكرار.

قال الإمام الذهبي: (مسند أبي عبد الله (ابن ماجة) كتاب حسن، لولا ما كدّره من أحاديث واهية ليست بالكثيرة)^(٢).

كان ذلك عرضًا سريعًا ومختصرًا للمصادر الأساسية التي اعتمد عليها الكتاب.



وبعد:

فلقد حظي هذا الكتاب وصاحبه سنوات بصحبة العلامة الراحل الأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة الذي كان مشرفًا عليه، وكان لهذه السنوات أثرها العلمي الإيجابي على الكتاب، وأعظم الأثر العلمية والإنسانية على الكاتب. أمّا الأثر العلمي، فمما لا شك فيه أن خبرتي العلمية كانت في حاجة إلى

(١) طرح الشريب (١/٦٤).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/٦٣٦).

دعم وصقل لم تعدمه عند العلامة الراحل، فلم ييخل - رغم ظروفه الصحية - بعلمه ووقته وتوجيهاته، وكان - ﷺ - مهتمًا بهذا البحث، لا شيء إلا لأنه في حديث رسول الله ﷺ.

وكنت قد اقترحت عليه بعد أن فوجئت بعدد الأحاديث الهائل أن يقتصر البحث على الصحيحين: البخاري ومسلم، غير أنه - ﷺ - أصرَّ على أن يشمل الكتب الستة، وقال لي: يكفيك شرفاً أنك ستقرأ الكتب الستة.

وأما الجانب الإنساني، فلا أجد ما يمكن أن أقوله عن هذا الرجل - وهو الآن بين يدي ربه - سوى أنني لم أفقد بغيا به أستاذًا عظيمًا فحسب، وإنما فقدت أبا رحيماً، وصديقاً كريماً، ومستشاراً مؤتمناً.

استمتعت سنوات بجلسات هذا الرجل الشهية، على مائدة دسمة من الأدب والسياسة والعلم والرحلات تأتي على خلفية عدد كبير من المصنفات الموسوعية التي كتبها في الأدب والإسلاميات، وخبرة سنين طويلة من عمره المبارك طوّف خلالها: في اليمن إبان ثورتها الأولى، وفي أمريكا مستشاراً ثقافياً في السفارة المصرية، وفي لبنان أستاذًا بجامعة العربية، وفي السودان أستاذًا بجامعة أم درمان، وفي الإمارات أستاذًا بجامعة. ثم استقرَّ أخيراً بمصر أستاذًا وعميداً لكلية الآداب بجامعة عين شمس، وعضوًا فاعلاً بمجمع البحوث الإسلامية.

لم أكد أشعر مرة وأنا أزوره في بيته أنني ضيف ثقيل، كان يستقبلني كما يستقبل بعض أهله، ويفسح لي صدره وعقله، ويمنحني أقصى ما تسمح به صحته العلية وصوته الواهن من علمه ووقته، وكنت إذا اعتذرت منه عن الإطالة عليه يتسم ويقول في أريحية وتُبل: لا، هذه الليلة لك.

وإذا عاتبته الفاضلة ابنته على استقبالي في غرفة المعيشة، ودعتنا إلى دخول غرفة استقبال الضيوف تجاهل نظرتها المعاتبة، وأشار إليّ في أدب

جَمْ، قائلاً في نبرة لم أخطئ صدقها يوماً: الشيخ ليس غريباً.

غمرني بعطفه وعنايته، وأسرني ببساطته وتواضعه، وأي تواضع أعظم من أن يصبر هذا الرجل الكبير مقاماً وسناً على أن يودعك دائماً حتى باب بيته، ويظل واقفاً حتى يغيب أثرك عن ناظره.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، وأن يسقي قبره بشآبيب الرحمة، وأن يجمعني به في الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

وشاءت إرادة الله، وستة في خلقه، أن يرحل الرجل، قبل أن يكتمل العمل، فتلقفني أخوه ورفيق دربه الأستاذ الدكتور/ محمد يونس عبد العال، فلم يدخر جهداً في المتابعة، وإبداء النصح، وبذل المعونة، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وثقل بجهدهما هذا موازينهما يوم الجزاء.

على أنني أدين بالفضل في اكتمال هذا العمل أيضاً لعائلتي: الزوجة والأبناء والأحفاد، لقد حمل الأبناء كثيراً من الأعباء عني، وتحملوا انشغالي عنهم بصبر جميل، وواكبت معي الزوجة الكريمة العثرات والكبوات والنجاحات، وكانت دائماً نعم الدافع والمعين حين تتعسر الأمور، ويخبو الأمل، لقد بذلت راضية صحتها ووقتها وجهدها من أجل أسرتنا الصغيرة، ولم نقدم لها نحن إلا اليسير، وحان الوقت الآن - إن قُدِّرَ نجاح وتوفيق - أن يَهْدَى إليها، وأن يُطَوَّقَ به عنقها.

ولأخي ورفيق عمري الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي، أستاذ النحو بكلية دار العلوم - الفيوم، الذي استفدت كثيراً من علمه، وتوجيهاته، وتصويباته النحوية السديدة.

ولأخوي الكريمين: الأستاذ/ مصطفى وهدي، والأستاذ/ محمد

الجوهري، والابن العزیز/ ناصر خلف، فلهم جميعاً في عنقي أياذ لا يكافئهم عليها إلا الله.

وأخيراً، فإن هذا هو جهد المُقِلِّ، أقدمه لحديث رسول الله ﷺ على استحياء، وما أظنُّ أنني وفيتُه حقهُ، أو بعض حقهُ، فما كان فيه من توفيق وسداد فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن تقصيري وعجزِي، وأصلي وأسلم وأبارك على صاحب هذه الأحاديث، وأسأل الله أن يجعل عملي هذا سبيلاً إلى نيل شفاعته، والشرب من حوضه.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل،،

عزالدين حسين حسن دياب

القاهرة في

الأربعاء ٢٨ من شوال ١٤٣٤ هـ

الموافق ٤ من سبتمبر ٢٠١٣ م



الباب الأول

مع الرسول ﷺ

من المبعث إلى اللحاق بالرفيق الأعلى

الفصل الأول

الرسول ﷺ في مكة

قصة الوحي وماهيته

١ - « ما أنا بقاري »:

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه - قال: والتحنث التعتد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد بمثلها، حتى فجئته الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقاري، قال: فأخذني فغطني^(١) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقاري، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقاري، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(٢) خلق الإنسان من علق^(٣) اقرأ وربك الأكرم^(٤) الذي علم بالقلم^(٥) ﴿الآيات إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾﴾^(٥) [العلق: ١-٥].

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره^(٦)، حتى دخل على خديجة فقال: رملوني رملوني^(٧)، فرملوه حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: أي خديجة ما لي لقد خشيئت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلاً أبشّر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل

(١) غطني: الغط حبس النفس، ومنه الغط في الماء: أي: ضمني وعصرني.

(٢) البوادر: جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين المنكب والعتق تضطرب عند فزع الإنسان. فتح الباري ١/ ٢٨.

(٣) التزميل: التلفيف، وجرت العادة بسكون الرعدة بالتلفيف. فتح الباري ٨/ ٧١٩.

الْكَلِّ^(١)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَرْ. فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةً حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ^(٢) الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا^(٣)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا - ذَكَرَ حَرْفًا - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ^(٤) وَرَقَةُ أَنْ تُوفِي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٥).



يرصد هذا الحديث حدثًا عظيمًا، ولحظة من أخطر اللحظات في حياة النبي ﷺ، بل من أخطر اللحظات في تاريخ البشر، إنها لحظة اتصال الأرض بالسماء عن طريق الوحي الملائكي لأول مرة بعد انقطاع دام عدة قرون، لحظة ما كان أصعبها على النبي ﷺ إذ يتأهل جسمه البشري للقاء سيد الملائكة وأمين الوحي جبريل، ولولا اللطف الإلهي والإعداد النفسي الذي

(١) الكل بفتح اللام: أصله الثقل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ [النحل: ٧٦]،

ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال، وغير ذلك. شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٠١.

(٢) المراد بالناموس: جبريل عليه السلام.

(٣) الجدع: الصغير من البهائم، والمراد: شاة.

(٤) لم يلبث.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٥٣) كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة اقرأ، ومسلم رقم

(٢٥٢) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي.

سبق هذا اللقاء، والذي يشير إليه كلام السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرؤية الصادقة، وحب الخلاء والتحنث - لولا ذلك لما تحمل الرسول ﷺ هذه المفاجأة التي تذهل عقل اللبيب.

ومع ذلك رأينا النبي ﷺ يؤخذ بالحدث والمَلَك يأمره: اقرأ، فلا يملك إلا أن يجيب: ما أنا بقارئ.

ويضمه المَلَك إلى صدره فيهمسه هصرًا، ثم يرسله ويقول له: اقرأ، فيقول: ما أنا بقارئ، فيضمه الثانية والثالثة فيقول: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ١-٥]، ثم يتركه وينصرف.

إن المشاعر التي اجتاحت قلب النبي ﷺ في تلك اللحظات الخالدة ما كان ليتحملها إلا قلب نبي يرى نفسه وجهًا لوجه في لقاء مع خلق آخر تفوق قدراته الوصف، ثم لا يقتصر لقاءهما على الكلام، بل يتماس الجسدان البشري والملائكي - وإن كان في صورة بشر - بل يلتحم الجسدان، وينضغط جسد النبي والمَلَك يعتصره كأنه يهبه قوة من قوته، ونفحة من ملائكته، في صورة نادرة من صور امتزاج السمائي بالأرضي.

لقد تفاعلت في قلب النبي المصطفى مشاعر الخوف والقلق والاضطراب والحيرة وهو يواجه هذا الموقف الفريد، ولكنه كان قلقًا ممتزجًا بسعادة، وخوفًا مختلطًا بأمن، واضطرابًا تشوبه السكينة، وحيرة لا تخلو من أمل.

رجع النبي ﷺ بهاته الكلمات التي وعاهها عن المَلَك - كما يقول الحديث - ترجف بوادره، عاد يرتعد ويطلب الدفء: «زملوني زملوني»، لقد غشيتة الظنون والهواجس، وخشي أن يكون ما أصابه من الشيطان فقال لخديجة بعد أن سكنت نفسه: «أي خديجة، مالي؟ لقد خشيت على نفسي».

وهنا تدفقت صاحبة القلب الكبير بكلماتها الحانية التي صورت حبها

العظيم لشخص محمد ﷺ وتقديرها لشمائله، فقالت مقسمة جازمة: كلا. أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. استطاعت السيدة العظيمة أن تخفي جزعها وقلقها لما أصاب زوجها الحبيب، ونَفَتْ بكلماتها القاطعة كل احتمال سيئ، وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل العالم النصراني الذي بلغ علمه بالإنجيل أنه كان يترجم من أسفاره إلى العربية.

ما الذي جعل خديجة تتوجه إلى ورقة دون غيره؟ لماذا لم تتوجه إلى الكهنة والعرافين كما كان سائداً في البيئة الجاهلية؟ تُراها كانت تطمع أن يكون محمد هو النبي المنتظر الذي تتناقل أخباره أحبارُ يهود؟ لقد قطع ورقة الشك باليقين، وقال للنبي بعد أن أخبره بما رأى: «هذا الناموس الذي أنزل على موسى».

ويبدو أن ورقة كان ينتظر هذا اليوم طيلة حياته لكنه لم يأت إلا بعد أن كبر وعَمِيَ، فأبدئ تحسره «ليتني فيها جذعاً»، وأخبر النبي ﷺ أن قومه سيخرجونه، فانزعج النبي ﷺ انزعاجاً شديداً وتساءل: «أو مخرجي هم» فأخبره ورقة أن هذا دأب أقوام الأنبياء «لم يأت رجل بما جئت به إلا أُوذي».



إنها صورة واقعية معبرة عامرة بالحركة والصوت، والفعل ورد الفعل، المَلِك يأمر النبي ﷺ فيقول له اقرأ، فيقول النبي ﷺ: ما أنا بقارئ، فيضمه الملك إليه ضمة هائلة «فغطني» ثم يرسله، ويتوالى السؤال والإجابة، والضم والإرسال حتى يبلغ من النبي الجهد، وهو لا يدري ما يقرأ، فيقول المَلِك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١-٥].

ويستهي المشهد فجأة كما بدأ فجأة، لكنه يضع بهاته الكلمات القليلة اللبنة الأولى في صرح الرسالة العظمى.

تأمل قول النبي ﷺ مجيباً جبريل عندما أمره بالقراءة «ما أنا بقارئ»، والجملة الاسمية المصدرة بالنفي وما تحمله من دلالات تأكيدية بأسلوب القصر المعتمد على «ما» النافية^(١) و«الباء»، ثم استخدام ضمير الفصل «أنا»، واستخدام اسم الفاعل الدال على لزوم الصفة؛ ليشعرنا كل ذلك بأن هول المفاجأة لم يذهل النبي عن النفي القاطع لكل شك.

فلما كرر النبي ﷺ قوله: «ما أنا بقارئ» ثلاث مرات، (قيل له: «اقرأ باسم ربك» لا تقرأه بقوتك، ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانتة، فهو يعلمك... فإن قيل: لم كرر ذلك ثلاثاً؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً «ما أنا بقارئ» على الامتناع، وثانياً على الإخبار، وثالثاً على الاستفهام^(٢).

وما إن قال: «ما أنا بقارئ» حتى أخذه المَلَك: «فأخذني فغطني»: فعلان متتابعان سريعان قويان مثيران، بل مرعبان، أخذه أخذاً سريعاً بدلالة الفاء، وأخذه بقوة المَلَك التي لا يملك البشر لها دفعاً ولا مقاومة.

«فغطني» وكلمة غطني بغائها العميقة المخرج، وطائها الشديدة القرع توحى بشدة الموقف، وقوة الضمة التي حُبس معها نفس الرسول ﷺ حتى بلغ منه الجهد.

ولم يكن الإرسال بسرعة الأخذ والغط، ولذلك استعمل النبي ﷺ «ثم» وكانت الثانية والثالثة بقوة الأولى، والسؤال يتكرر، والنبي لا يجد جواباً غير تلك الكلمات: «ما أنا بقارئ».

(١) وقيل: إن ما استفهامية وهو بعيد، ورُدَّ بدخول الباء في الخبر، انظر فتح الباري (١/ ٢٤)، والديباج على مسلم (١/ ١٨٨).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٤).

لقد اقتصر حوار الملك مع النبي على استخدام فعل الأمر «اقرأ» إنك تشعر بالسلطة النافذة القاهرة المحققة لمشيشة الله ﷻ في تلك الأوامر المتتالية «اقرأ» وفي تلك الضمات المتتابعة، التي تراعي في نفس الوقت ألا تؤذي النبي ﷺ الذي أعده المولى ﷻ لتحمل عبء الرسالة ومسؤولياتها الباهظة.

عاد النبي بعد أن سمع القرآن لأول مرة يحفظ الكلمات التي استقرت في أعماق نفسه، فلما دخل على خديجة قال: «زملوني، زملوني»: فعلان متاليان بصيغة الأمر الدالة على الرجاء والتلهف، لم يصف إليهما النبي ﷺ شيئاً، فقد كان حاله ينبي عن معاناته، فلم يسأله أحد، وإنما زملوه حتى سكن، فقال: «أي خديجة» نداء التودد والتحبب إلى أقرب امرأة إلى قلب النبي، «ما لي؟»، استفهام ملؤه الدهشة والحيرة، «لقد خشيت على نفسي» جملة فعلية مؤكدة باللام وقد، والفعل الماضي المثبت المتصل بتاء الفاعل، والجملة تعبر عن القلق الشديد والاضطراب الذي اعترى النبي ﷺ عقب نزول الوحي.

سأل النبي مندهشاً وورقة بن نوفل يخبره أن قومه سوف يخرجونه: «أو مخرجي هم؟!» و«مخرجي» خبر مقدم و«هم» مبتدأ مؤخر، والتقديم يفيد التخصيص، والاستفهام تعجبي إنكاري إذ لم يستغ النبي أن يكون جزاء من يدعو قومه للهدى أن يخرجوه، ولكن هذا ما حدث بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة والمعاناة، ليكون هذا الخروج أول خطوة على طريق النصر والتمكين كما اقتضت سنة الله في أنبيائه.



٢ - «كان الذي أوتيته وحياً» :

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطني ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وخياً أو حاه الله إلي فارجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(١).



يتحدث النبي ﷺ هنا عن المعجزة الفريدة التي أكرمها الله بها وهي القرآن، ذلك الوحي المنزل من عند المولى ﷻ.

إن كل نبي أرسله الله إلى الناس مؤيداً بمعجزة خارقة للعادة لا يستطيع بشر أن يبطّلها، أو أن يأتي بمثلها.

وشاءت سنة الله في المعجزات أن تكون من جنس ما يبرع فيه قوم النبي المرسل، حتى يكون الإعجاز أبلغ والتحدي أعظم.

فكانت معجزة موسى في العصا؛ لأن قومه بلغوا في السحر شأواً بعيداً، وكانت معجزة عيسى في إحياء الموتى، وإبراء المرضى؛ لأن قومه بلغوا الغاية في الطب.

وكانت تلك المعجزات المادية الحسية تنتهي وتزول بموت النبي الذي بعث بها.

أما معجزة محمد ﷺ فكانت وحياً قرآنياً محفوظاً يُتلّى منذ أن نزل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا جاء تفرد هذه المعجزة وبقاؤها وخلودها شاهداً واضحاً على صدق رسالة محمد ﷺ، وعلى أنها الرسالة الخاتمة الباقية التي جاءت للناس كافة؛ ولذلك قال الرسول ﷺ «فارجو أن

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١) كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، ومسلم (١٥٢) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ.

أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة.

وهنا يظهر حرص النبي ﷺ على أن يؤمن به أكبر عدد من البشر؛ ليكون قائدهم إلى الجنة، وليجنبهم عذاب النار. إن القلب النبوي الكبير كان يمتلئ غبطة وسرورًا حين تنكشف العماية عن عين كافر، وينشرح صدره للإسلام. زار النبي غلامًا يهوديًا مريضًا، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فقام النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»^(١).



يبدأ الحديث بأسلوب قصر استخدمت فيه (ما) و(إلا) والمراد منه تأكيد وقوع المعجزات لكل نبي أرسله الله، وهو الثابت في القرآن والسنة، وأكد النبي القصر بالتقديم: «من الأنبياء»، واستخدام الفعل المبني للمجهول: «أعطي» للدلالة على أن المعجزة مدد رباني صرف.

ويستخدم النبي ﷺ أسلوب القصر مرة أخرى بـ: «إنما»، «وإنما كان الذي أوتيته وحيا» ليوحي لنا بتفرد تلك المعجزة وتميزها.

ولم يصرح النبي بما أوتيته وإنما أشار إليه بـ «الذي» وبني الفعل للمجهول (أوتيته) ليدل على عظمة تلك المعجزة ومكانتها في النفوس.

ثم يقول النبي: «فارجو أن أكون أكثرهم تابعًا» وهو رجاء يميل الكلام فيه إلى تحقق الوقوع لا مجرد الإخبار، ويؤكد ذلك ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَبَعَلْتُ النَّبِيَّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا أَمْتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأَفْقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٨٨)، وأحمد (٢٧٧/٣)،

هَٰنَا وَهَٰهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ، قِيلَ: هَٰذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ...»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

٣ - «يأتيني مثل صلصلة الجرس»:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ»^(١) وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي^(٢) وَقَدْ وَعَيْتُ^(٣) عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَمَثُلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ^(٤)، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَقْصَدُ عَرَقًا^(٥).



نحن أمام سر من أعظم أسرار الغيب، ألا وهو الوحي، ذلك القبس الواصل بين السماء والأرض، يتزل بالمدد القرآني.

ذلك الوحي، ما كنهه؟ ما كفيته؟ ما أثره على النبي الكريم؟

أسئلة كثيرة يثيرها هذا الحدث الكوني الرائع في أنفسنا، كما أثار أفئدة الصحابة الكرام فيما مضى، فراحوا يسألون الرسول عن كيفية إتيان الوحي إليه، وهذا أحدهم الحارث بن هشام رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ: «يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟».

فيجيب النبي ﷺ - معدداً أشكال الوحي - : «أحياناً يأتيني مثل صلصلة

(١) الصلصلة: الطنين.

(٢) بقصم: يقلع.

(٣) عند مسلم: وقد وعيته..

(٤) عند مسلم: وأحياناً ملك في مثل صورة الرجل.

(٥) أخرجه البخاري (٢) كتاب بدء الوحي، و(٣٢١٥) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

ومسلم (٢٣٣٣) كتاب الفضائل، باب عرق النبي في البرد وحين يأتيه الوحي،

والترمذي (٣٦٣٤) كتاب المناسك، باب ما جاء كيف كان يتزل الوحي على النبي ﷺ.

الجرس». (وهذا بيان لصفة الوحي لا صفة حامله)^(١)، وقد أخبر النبي أن هذه الصفة هي أشدها عليه ومع شدتها وعناء النبي منها إلا أنه ما إن تنجلي عنه وتنقش حتى يكون قد فهم ما قال الملك ووعاه، وذلك بفضل عناية الله به، ووعده له بتمام التبليغ والبيان: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَنَبَّأَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلْقَعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ﴿[القيامة: ١٦-١٩].

ومن صور الوحي أيضًا أنه يأتي على صورة رجل فيكلم النبي فيعي ما يقول، وفي الحديث ما يشير إلى أن جبريل كان يأتي النبي في صورة رجل غريب، فيسأله بمشهد من أصحابه فيجيبه النبي ليعلم الناس أمور دينهم^(٢)، وكان يأتي أحيانًا في صورة صحابي جليل جميل الصورة هو دحية الكلبي^(٣)، ليبلغ النبي أوامر ربه العاجلة مثلما حدث عقيب الانصراف من الخندق، وقبيل غزوة بني قريظة.

وتصور السيدة عائشة رضي الله عنها شدة ما كان يلاقيه النبي ﷺ حين نزول الوحي بأنه كان يتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد.

إنها منحة سماوية لم توهب إلا للأنبياء، وعلى قدر ما كان هؤلاء يعانون وهم يلتحمون بأجسادهم البشرية بالأنوار الملائكية - على قدر ما كان ذلك يحمل لهم من صنوف السعادة وحلاوة اللقيا ما تعجز عن وصفه الأقلام.

كان النبي ﷺ يجد السعادة كلها والاطمئنان كله في لقاء رسول ربه جبريل، وعندما فتر الوحي عنه بعد اللقاء الأول كاد الحزن يفتك به، لولا أن جبريل كان يظهر له فيقول: «يا محمد، إنك رسول الله حقًا»^(٤) فتعود إليه سكينته نفسه.

(١) فتح الباري (١/١٩).

(٢) انظر صحيح البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وغيرهما.

(٣) انظر النسائي في المجتبى (٤٩٩١)، وابن حبان (٧٠٢٨).

(٤) فتح الباري (١٢/٣٦٠).

وقد تمثل هذا التعلق الشديد بالوحي، والرغبة الملحة في تواصله وعدم انقطاعه في تلك العبارة الحميمة التي قالها النبي ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورونا؟»^(١).



يبدأ الحديث بتقديم الظرف «أحياناً» ليؤكد على تعدد أشكال الوحي بتعدد أوقات مجيئه، ثم يشبه دوي صوت الوحي الذي يخترق سمع النبي بصلصلة الجرس؛ ليصور مدى معاناة النبي ﷺ في تلقي كلام ربه وهي معاناة الطبيعة البشرية في اتصالها بالطبيعة الملائكية، (فإن قيل: المحمود لا يشبه بالمذموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبّه الوحي وهو محمود، والمشبّه به صوت الجرس وهو مذموم، لصحة النهي عنه والتفجير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، كما أخرجهم مسلم وأبو داود وغيرهما^(٢))، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟ والجواب أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخص وصف وُصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما أُلّف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم^(٣).

وقد ذكر الرسول ﷺ أن هذه الصورة من الوحي هي أشده عليه، واستخدم جملة اسمية مبدوءة بضمير الفصل «هو» ثم اسم التفضيل مضافاً إلى الضمير «أشده»، وفيه حصر وقصر وتوكيد.

ثم يصور الرسول ﷺ انقضاء الوحي وانفصاله عنه بقوله: «يفصم عني»،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢).

(٢) مسلم (٢١١٣)، وأبو داود (٤٢٣١)، وغيرهما.

(٣) فتح الباري (٢٠/١).

والفصم أقوى من الفصل، إذ الفصل يعني: إبعاد الشيء عن غيره دون زيادة، بينما يزيد الفصم معنى آخر وهو: (الكسر من غير بينونة)^(١)، و(فصم الشيء: صدعه دون بينونة)^(٢)؛ ولذلك كان استخدام «يفصم» مع بنائه للمجهول متناسبًا مع قوى الملك الخفية.

وما إن ينصرف الملك حتى يكون الرسول قد وعى ما قاله «وقد وعيت عنه ما قال» والجملة مؤكدة بقد، وهي جملة حالية تدل على ارتباط الحدثين: الانقسام والوعي وتلازمهما.



(١) لسان العرب (١٢/٤٥٣).

(٢) المعجم الوسيط (٢/٧١٨).

٤- «فَرَأَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي» :

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» ^(١).

زاد البخاري في رواية أخرى: «فَرَأَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي» ^(٢).

وفي رواية مسلم: «فَرَأَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي» ^(٣).



يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ومصداقاً لذلك البيان الإلهي، فإن الرسول ﷺ الرحيم بأمة لم يودَّ يوماً أن تكلف أمة بما لا تطيق، وكان دائماً حريصاً على أن يخفف عنها.

وهو هنا يخبرنا أن جبريل عندما أقرأه القرآن بداية الأمر أقرأه على حرف واحد، أي على لغة واحدة، والنبي ﷺ يعلم ثقل ذلك على أمة التي تعدد لهجاتها وتشيع فيها الأمية، كما ورد في رواية الترمذي وأحمد: «يا جبريل، إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط» ^(٤).

ولذلك ألحَّ الرسول ﷺ في الاستزادة: «فلم أزل أستزیده» فكانت الإجابة الربانية، والمنحة الإلهية: «حتى انتهی إلى سبعة أحرف».

يقول ابن حجر: (وهذه الأحاديث تقوي أن المراد بالأحرف اللغات أو

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩١) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٣) صحيح مسلم (٨١٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٤٤)، وأحمد (١٣٢/٥).

القراءات، أي أنزل القرآن على سبع لغات أو قراءات^(١).

والحرف في اللغة قد يأتي لمعان: (للهجاء وللکلمة وللمعنى والجهة)^(٢).

وفي لسان العرب: (وكل كلمة تقرأ على الوجه من القرآن تسمى حرفاً، تقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءة ابن مسعود)^(٣).

إن استزادة الرسول لجبريل تكشف عن قلب مفعم بالحب والرفق والرغبة في التيسير، والشفقة من أن يؤدي التعسير إلى نفور الناس وإعراضهم؛ ولذلك: «ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً»^(٤).

وقد بدا ذلك جلياً حين تلقى الأمر بالصلاة في رحلة المعراج، فلم يذله لقاء ربه، ولا فيوض الحضرة الإلهية التي كانت تغشاه - عن أن يطلب التخفيف لأمته والرفق بها في التكاليف، فظل يراجع ربه حتى خُففت الصلوات من خمسين إلى خمس^(٥).

هذا هو القلب الذي اصطفاه ربه ليكون للعالمين نذيراً.



«أقرأني جبريل على حرف» لا يستحيي النبي العظيم من أن يقف موقف التلميذ من الأستاذ بين يدي روح القدس جبريل يتلقى منه وحي السماء على النحو الذي أراحه ربه، وكلمة (حرف) نكرة تفيد التقليل.

«فلم أزل أستزيده» استخدام المضارع في الفعلين يفيد الاستمرار في الإلحاح وطلب الزيادة، «أستزيده ويزيدني» فعل ورد فعل مطاوع ملب.

(١) فتح الباري (٢٤/٩).

(٢) شرح الزرقاني (١٦/٢).

(٣) لسان العرب (٤١/٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧)، وغيرهما.

(٥) انظر صحيح البخاري (٣٩٠)، ومسلم (١٦٣)، وغيرهما.

وفي رواية مسلم: «فراجعته فلم أزل أستزيده فيزيديني»، والفرق بين الروایتين هو استخدام الفاء التي تدل على سرعة التلبية في رواية مسلم، وهي الأقرب للتعبير عن إرادة المولى ﷺ في التخفيف عن عباده، والمسارة في هوى نبيه ﷺ.



٥ - «أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لِجَبْرِيلَ: «أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا» قال: فَتَرَلْتُ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية [مريم: ٦٤] ^(١).



أي حب شديد ذلك الذي ربط قلب النبي ﷺ بالوحي، حتى إنه صار يُتَوَقَّعُ إليه ويتمنى عودته سريعاً، بل ويتمنى على جبريل الإكثار من الزيارة فيجيب بأنه لا يتنزل من تلقاء نفسه، وإنما بأمر من المولى ﷺ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

إنها حظوة السماء استأثرت بقلب النبي ﷺ فصار يجد السعادة الكبرى حين يتنزل على قلبه رسول المولى بأقدس كلام. تلك أحاسيس لا يشعر بها إلا نبي ذاق حلاوة اللقاء بالسماء وارتبطت نفسه بالروح الأمين، وأفعم قلبه بحب القرآن.

إن المؤمن الحقيقي يشعر بالسعادة حين تتصل روحه اتصالاً غير مباشر بربه في لحظات الصلاة، أو حين يستمع أو يقرأ كلام الله في كتابه، فما ظنك بسعادة قلب يتنزل عليه كلام الله غصّاً طريّاً، حديث عهد بربه؟! وما ظنك بسعادة عينين تكتحلان برؤية روح القدس رأي العين؟! وما ظنك بسعادة أذنين تصافحان كلمات الله لحظة نزولها من السماء قبل أن تصافحها أذن أحد من البشر؟!

ذلك هو الذي كان يدفع النبي ﷺ إلى التشوق للوحي برغم ما قاله عن صعوبته وشدته عليه؟ وهل يشاق المرء إلى ما يعنيه ويؤلمه إلا إذا كان فيه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

من اللذة ما يطغى على كل ألم فيدده، وعلى كل عناء فيزيله.



استهل النبي كلامه بـ «ألا» التي تحمل معاني التحضيض والحث لتعبير عن رغبة النبي في مزيد من التواصل مع رسول ربه، ثم الفعل المضارع «تزور» للدلالة على الاستمرار، و«نا» المتكلمين؛ لأن الزيارة للمؤمنين جميعًا ممثلين في شخص رسولهم.

ولم يستخدم رسول الله ﷺ فعل الأمر: زرنا، تقديرًا لمكانة الملك رسول رب العالمين ﷺ.

«أكثر مما تزورنا» عبارة تشعر بالرضا والامتنان لزيارة الملك، والحرص على دوام هذه الزيارة، ثم الطلب الرفيق الحبي بأن تزداد مرات هذه الزيارة الميمونة، والجملة الطلبية غرضها الحث.

وهنا يأتي كلام الله ليحسم الأمر ويقرر في غير ما لبس أن التنزل ليس بأمر جبريل أو غيره من رسل ربه وإنما التنزل بأمر الله الذي يملك مقادير الملائكة والناس وسائر المخلوقات.

والتعبير بصيغة ﴿نَنْزَلُ﴾: نتفعل، لا بصيغة نزل: نفعل؛ للدلالة على أن النزول متكلف نادر، (وأصل التنزل: تكلف النزول، فأطلق ذلك على نزول الملائكة من السماء إلى الأرض؛ لأنه نزول نادر وخروج من عالمهم، فكأنه متكلف)^(١).



٦ - «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»:

عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الرُّوحِي، فقال في حديثه: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْسِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي^(١)، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ^(٢) عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ^(٣) مِنْهُ رُغْبًا^(٤)، فَرَجَعْتُ^(٥) فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ^(٦)﴾ إِلَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْبِجْ^(٧)﴾ [المذثر: ١-٥]^(٨) قبل أَنْ تُفَرِّضَ الصَّلَاةَ وَهِيَ الْأَوْثَانُ^(٩).

زاد في رواية أخرى: «فحمي الوحي وتابع»^(٨). وعند مسلم: قال: «ثم تابع الوحي»^(٩).



هذا حديث عن المدة التي فتر فيها الوحي عن رسول الله ﷺ بعد اللقاء الأول في حراء، وقد توزعت نفس الرسول عقب اللقاء الأول بين الشكوك والهواجس والآمال - كما أسلفْتُ - حتى استقر اليقين في نفسه بعد حديثه مع ورقة على أنه نبي مرسل، وبدأ يستشعر حلاوة اللقاء بالملك، ثم ما لبث الوحي أن فتر، فأصابَت الرسولَ حالةٌ من الحزن والكآبة، وعادت إليه

(١) في رواية أخرى للبخاري (٣٢٣٨) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: «بصري».

(٢) في رواية البخاري الأخرى: «قاعده»، وعند مسلم: «جالسًا».

(٣) جئت: ذعرت.

(٤) عند مسلم: «فرقًا»، وفي الرواية الأخرى للبخاري: «حتى هويت إلى الأرض».

(٥) في رواية البخاري الأخرى: «فجئت أهلي».

(٦) زاد البخاري في الرواية الأخرى: «قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان».

(٧) أخرجه البخاري (٤٩٢٥) كتاب التفسير، باب وثيالك فطهر.

(٨) البخاري (٤) باب: كيف كان بدء الوحي.

(٩) أخرجه مسلم (٢٥٥) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي.

الشكوك والهواجس، وظن بنفسه الظنون.

وتباين إحصاء المدة التي فتر فيها الوحي في كتب السيرة ما بين ثلاثة أيام إلى ثلاث سنين، وأيًا كان الزمن الذي استغرقه ذلك الأمر فقد كان خطبًا جلالًا وابتلاءً عظيمًا للرسول ﷺ إذ لم يكد يستشعر لذة الوصل حتى حرم منها، ولم يكد يحس باليقين حتى سلبه.

روى جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: احتبس جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه، فزلت ﴿وَالصَّحْنِ ١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ ^(١) [المحن: ١-٣]، ولذلك كان يحدث أصحابه عن هذه الفترة حديث المبتلى، ويصف لهم عناءه فيقول: «قد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني» ^(٢).

ولم يكن لأحد من البشر طاقة بدفع هذا القلق والحيرة والاضطراب عن رسول الله ﷺ وهو يسير في الفيافي، وفي أعالي الجبال وسفوحها يبحث عن اليقين، حتى زوجه خديجة التي بعثت الثقة في نفسه بعد لقاء الوحي الأول، والتي آمنت به وصدقته، وآزرته وثبتته - لم تستطع أن تذهب عنه عناء هذه الفترة القاسية.

ورغم هذا الشوق الذي كابده الرسول وهو يتطلع إلى عودة الوحي، فإن دُعْرًا هائلًا أصابه وهو يرى المَلَكَ على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، فرجع إلى أهله يرتعد كأنه أصيب بالحمى، ويطلب منهم أن يدرّوه، فلم يمهله جبريل وهو على تلك الحالة، ونزل إليه بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ١﴾ قُرْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ^(١) [المدثر: ١-٢].

وبدا أن زمن الراحة والعيش الرغيد قد ولى.



قال جابر: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فيينا...» وقوله: (سمعت النبي ﷺ وهو يحدث) باستخدام الجملة الحالية الاسمية، وخبرها فعل مضارع - يدل على أن النبي ﷺ تحدث عن هذه الفترة أكثر من مرة، ووصف لأصحابه ما اعتراه من قلق، وما أمضه من ألم، تؤكد ذلك ألفاظ الحديث بعد ذلك: «فيينا أنا أمشي...» (فيينا: هي (بين) الظرفية، وقد أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف وهو أمر جرت عليه العربية، يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب: (يؤكد ذلك عندك أيضًا أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف، فتشبع الفتحة فيتولد بعدها ألف، وتشبع الكسرة فتولد بعدها ياء، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو، وأنشد سيويه:

فيينا نحن نرقبُه أتاَنَا معلقٌ وفُضَّة وزنادَ راعي^(١)

وبين: (إذا لحقتها الألف، أو ما، لزمت إضافتها إلى الجمل)^(٢).

وهي تضاف إلى الجمل الاسمية أو الفعلية، وتدل على المفاجأة.

«يينا أنا أمشي» تصوير لحال الرسول ﷺ وهو يسير بين الفيافي بغير هدف محدد، وكأنه يبحث عن سكينة نفسه، ويكفكف من ثورانها «إذ سمعت صوتًا من السماء» هنا حدثت المفاجأة، وسمع النبي ﷺ صوتًا، واستخدام النكرة للدلالة على الجهالة بالصوت.

«فرفعت رأسي» استجاب النبي لوقع المفاجأة، فرفع رأسه سريعًا بدلالة استعمال الفاء.

«فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس»، وصلت المفاجأة إلى ذروتها برؤية الملك، وهو ذات الملك الذي رآه النبي في حراء، ولكنه الآن في صورته

(٢) معجم الهوامع (٢/٤٠٢).

(١) سر صناعة الإعراب (١/٢٣).

الحقيقية مهيباً ضخماً جالساً على كرسي بين السماء والأرض.

في هذه الرواية جاءت كلمة (جالس) مرفوعة (على تقدير حذف المبتدأ، أي: فإذا صاحب الصوت هو الملك الذي جاءني بحراء وهو جالس)^(١). وفي الرواية الأخرى عند مسلم وقعت (جالساً) بالنصب على الحالية، ورواية الرفع التي حذف فيها المبتدأ أدل على الفرع من حيث ميل المدحور إلى اختصار الكلام.

«فجئت منه رعباً»: أي ذعرت وفزعت، وفي رواية أخرى: فرعبت، ورواية «فجئت» أدل على الرعب الشديد، لشدة وقع حروف الكلمة ولتأكيد بنائب المفعول المطلق.

«فرجعت فقلت زملوني زملوني»، تأمل معي توالي الفاءات في الأفعال، فجئت، فرجعت، فقلت؛ للدلالة على سرعة تتابع الحدث العظيم. «زملوني زملوني» والتزمل: التلفيف، وكرر الأمر للتعبير عن شدة ما وقع له، والأمر فيه معنى الرجاء الملح.

«فدثروني» أي: غطوني بما أتدفاً به، (والدثار الثوب الذي يكون فوق الشعار)^(٢).

«فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ قبل أن تفرض الصلاة» والمراد من عبارة «قبل أن تفرض الصلاة» أن تطهير الثياب كان مأموراً به قبل أن تفرض الصلاة^(٣).

«وهي الأوثان» أي الرجز هو الأوثان، (ويفسر المفرد بالجمع لأنه اسم جنس، ويبيّن ما في سياق رواية الباب أن تفسيرها بالأوثان من قول أبي سلمة

(١) فتح الباري (٨/ ٧٣١).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢٧٦).

(٣) تحفة الأحوذى (٩/ ١٧٢).

وليس من قول النبي ﷺ^(١).

«فحمي الوحي وتتابع»، وعند مسلم «ثم تابع الوحي» إشارة إلى انكشاف هذه الغمة، واسترسال الوحي على رسول الله ﷺ كما شاء الله له، و(حمي الوحي) استعارة مكنية شبه فيها الوحي بتنور يحمى، وتوحي بتدفق الوحي على رسول الله ﷺ وعدم انقطاعه.



(١) فتح الباري (٨/٦٧٩).

٧ - «أنا نبي» :

عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقمعت على رجلي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُراءً عليه قومه، فتألفقت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصفة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، قلت: له فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد، قال: ومعه يؤمئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يؤمئذ هذا، ألا ترى خالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلِكَ، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأنتني، قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه يراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: نعم أنت الذي لقيتني بمكة، قال: فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر^(١) جهنم، فإذا أقبل الفجر فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلّي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، قال: فقلت با

نَبِيٍّ اللَّهِ فَالْوُضُوءَ، حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقْرَبُ وَضُوءُهُ فَيَتَضَمَّضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَسْتَرُّ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَبَائِصِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافٍ لِيَحِيَهُ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافٍ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ انْظُرْ مَا نَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يَعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ^(١).



يروى هذا الحديث أبو أمامة الباهلي (صديقي بن عجلان)، الصحابي المعروف، عن عمرو بن عبسة السلمي، وهو من أوائل من أسلموا كما يؤكد لنا هذا الحديث، (وقد ذكره أبو سعيد الأعرابي في أهل الصُّفَّة)^(٢).

وكان عمرو بن عبسة فيما يبدو أحد الأحناف الذين أنكروا على قومهم في الجاهلية ما هم فيه من ضلالة، وما يعبدونه من أوثان، وتاقت نفوسهم إلى الهدى والنور، فلما سمع بظهور النبي في مكة، سعى إليه ليعرف حقيقة أمره، وكُنه دعوته.

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة.

(٢) حلية الأولياء (١٥/٢).

ورغم أن الوصول إلى النبي ﷺ في مكة في هذا الوقت كان أمرًا عسيرًا محفوظًا بالمخاطر إلا أن هذا الرجل كان متوقد العزم عالي الهمة، فلم يلبث أن نال بغيته، وحقق ما كان يطمح إليه.

حوار قصير دار بين النبي والرجل تهتكت على إثره آثار الظلمة من حول عمرو بن عبسة، وانشرح صدره لنور الإسلام، كانت نفسه مهيأة لقبول الحق، وكان قلبه متوفرًا للهدى، فسرعان ما صار مسلمًا.

سأل عمرو النبي ﷺ: «ما أنت؟» قال ﷺ: «أنا نبي»، وقرعت هذه الكلمة أذني عمرو فسأل: «وما نبي؟» فشرح له النبي قوام رسالته، فأمن عمرو، وعرض على النبي ﷺ النصرة والمؤازرة، فأشفق عليه النبي أن يؤذئ ويضطهد، وليست له عشيرة في مكة تحميه، ولم يكن من خلق النبي العظيم، الرحمة المهداة، أن يُسلم أصحابه للأذى، أو يعرضهم للفتنة، فما تزال الدعوة في مهدها، وما يزال المسلمون قليلين. فطلب منه أن يعود إلى قومه حتى إذا سمع بانتصار النبي وظهوره أتاه.

عاد عمرو بن عبسة إلى قومه مسلمًا، وظلت شعلة الإيمان متوقدة في نفسه، وكان يتبع أخبار النبي ويتشوف للقاءه، ويتحين ظهوره، حتى علم بقدومه مهاجرًا إلى المدينة ظاهرًا على قومه، فاتاه فدخل عليه، وتحقق اللقاء الثاني في ديار الإسلام الأولى، فهل كان عمرو بن عبسة يظن أن النبي ما زال يذكره وهو يسأله «أتعرفني؟».

لا شك أن إجابة النبي ﷺ: «نعم، أنت الذي لقيتني بمكة» ملأت جوانح عمرو بن عبسة سعادة ويقينًا، فالنبي لا يغفل عن أحد من أصحابه، ولا ينسى واحدًا من محبيه، أيًا كان شأنه، وأيًّا كانت مكانته.

سأله عمرو عن الصلاة، فأخبره النبي ﷺ عنها وعن أوقاتها، ثم سأله عن الرضوء فحدثه عنه وعن فضله.

وبرغبة جارفة في التزود من العلم راح عمرو يسأل، وراح النبي يجيب، حتى اندهش أبو أمامة راوي الحديث مما سمع، واستكثر أن يحتوي مجلس واحد كل هذا العلم، فقال: «يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول، في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟».

وقد أكد عمرو لأبي أمامة أنه سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ أكثر من سبع مرات، وأنه ليس في حاجة - وقد كبرت سنه، ورق عظمه، واقترب أجله - أن يكذب على الله وعلى رسوله.

وفي الحديث ما يدل على أن العرب قد تسامعت بالنبي ﷺ وهو في مكة، وأن بعضهم قدم إلى مكة وأسلم على يد النبي، وعاد يبشر في قومه متربصاً لظهور النبي.

فلما استتب الأمر للنبي في المدينة وفد إليه هؤلاء، وانضموا إلى إخوانهم المسلمين واستمتعوا بصحبة النبي ﷺ، وتلقوا عنه العلم، ونشروه بين الناس.



سأل عمرو بن عبسة في أول لقاء جمعهما: «ما أنت؟» ولم يقل: من أنت؟؛ لأنه أراد الاستفهام عن الكنه والهوية لا عن الشخص.

وأجاب النبي ﷺ ببساطة فقال: «أنا نبي؟»، وفي الإجابة إيجاز جامع وتحديد جازم لهوية النبي ﷺ.

واستخدام ضمير الفصل «أنا» يفيد الحصر والتوكيد.

لكن هذه الإجابة لم تشف كل ما بنفس عمرو بن عبسة من تطلع للمعرفة، فسأل مرة أخرى: «وما نبي؟» سؤال ملؤه التعجب والانبهار، فقال النبي ﷺ: «أرسلني الله»، وفي الإجابة ما يؤكد أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون الله ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: ٢٥).

قال عمرو: «وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» عبارات قصيرة موجزة لخص فيها النبي ﷺ مهمات الأمور، وقدم فيها صلة الأرحام على كسر الأوثان وتوحيد الله، للدلالة على فضلها، ولإستارة نخوة العربي الجاهلي الشريف الذي تملك له مكارم الأخلاق.

قال عمرو: «فمن معك على هذا؟ قال ﷺ: حر وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به».

ويحتمل هنا أن الرسول ﷺ أراد بقوله: «حر وعبد» أبا بكر وبلالاً بالتعيين، ويؤيد هذا رواية أخرى يقول فيها عمرو بن عبسة: «أثبت النبي بما يقال له عكاظ، فقلت لرسول الله ﷺ: من بايعك على هذا الأمر؟ قال: من بين حر وعبد، فأقيمت الصلاة، فصففنا خلفه أنا وأبو بكر وبلال، وأنا يومئذ رابع الإسلام»^(١). وما جاء عند أحمد: «وكان عمرو بن عبسة يقول: لقد رأيتني وإنني لربيع الإسلام»^(٢).

ويحتمل أن الرسول ﷺ أراد أن من بين متبعيه من هو حر ومن هو عبد، وهذا يعني أن الإسلام لا يفرق بين حر وعبد إذ الكل سواسية أمام الله ﷻ. يقول عمرو: «فقلت إنني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس».

والمراد بيومك هذا ليس اليوم المعروف، بل تلك الفترة التي كان النبي فيها محاصراً مضطهداً من قومه، وهذا متاح في اللغة إذ (قد يراد باليوم الوقت مطلقاً، ومنه الحديث: «تلك أيام الهرج»)^(٣).

(١) أخبار المكيين (١/١٦٤).

(٢) مسند أحمد (٤/١١٤).

(٣) لسان العرب (١٢/٦٥٠).

يسأل عمرو النبي: «أتعرفني؟» فيجيب النبي ﷺ على الفور: «نعم، أنت الذي لقبيني بمكة» فكان النبي استعاض عن ذكر الاسم والنسب بأشهر حادثة جمعته بصاحبه، «نعم، أنت الذي لقبيني بمكة» أي: أنت الذي تركت أهلك ودارك ومالك، وجئتني في مكة تبحث عن الحق.
ثم راح عمرو يسأل، والنبي يجيب.



إعلان الدعوة وإنذار العشيرة

٨- «أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»:

عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٧١) (النمر: ٢١٤) صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِيُطَوِّئَ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَبَلًا بِالْوَادِي يُرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُتُّمُ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَتَزَلَّتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) [التنذ: ١-٢] (١).

٩- «يَا صَبَاحَاهُ»:

عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٧١) (النمر: ٢١٤) وَرَفِطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ - خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا، مِنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَبَلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُتُّمُ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ، أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) [التنذ: ١] (وَقَدْ تَبَّ)، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

إلى آخرِ السُّورَةِ»^(١).

١٠ - «إِنِّي نَذِيرٌ»:

عن قَيْصَةَ بنِ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرِ بنِ عَمْرِو قالَا: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ٢١٤) قَالََا: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ^(٢) مِنْ جَبَلٍ فَعَلَا أَغْلَاهَا حَجَرًا، ثُمَّ نَادَى: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَآةَ، إِنِّي نَذِيرٌ إِنَّمَا مَنَلِي وَمَمْلَكُكُمْ كَمَلٍ رَجُلٌ رَأَى الْعَدُوَّ قَانِطَلَقَ يَرْبَا أَهْلَهُ^(٣) فَخَشِيَ أَنْ يَنْسِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِأَصْبَاحَاهُ»^(٤).

١١ - «لَا أُغْنِي عَنْكُمُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ٢١٤) قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَآةٍ^(٥) لَا أُغْنِي عَنْكُمُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ سَلِّينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي^(٦)، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٧).

(١) أخرجه مسلم (٣٥٥) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

(٢) الرضمة: الحجر الكبير، جمعه: رضم، يسكون الضاد في المفرد والجمع. فتح الباري (٥٧٠/١).

(٣) يربا: أي يحفظ أهله ويتطلع إليهم. الديباج على مسلم (٢٧١/١).

(٤) أخرجه مسلم (٣٥٣) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

(٥) عند مسلم: يا بني عبد المطلب.

(٦) عند مسلم: سَلِّينِي بِمَا شِئْتَ.

(٧) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ومسلم

(٢٠٦) كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾، والترمذي مختصرًا (٢٣١٠) كتاب

الزهد، باب ما جاء في إنذار النبي ﷺ قومه.

في لحظة من اللحظات الحاسمة في تاريخ دعوة النبي ﷺ، وبعد ثلاث سنين من الدعوة السرية أذن الله لرسوله أن يعلن دعوته، وأن ينذر عشيرته فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (النمل: ٢١٤)، فلم يكن لرسول الله ﷺ من بدّ سوى أن يصدع بما أمره الله به، فصعد إلى الصفا ونادى قومه بأسماء بطونهم جميعاً حتى اجتمعوا، ثم بدأهم بانتزاع الاعتراف بصدقه من أفواههم قبل أن يعلن فيهم كلمة التوحيد.

وليس أجدر بالصدق عند العرب من النذير الذي يحذر قومه الغزو، فإنه إن يكن كاذباً يورط قومه ويثقل كاهلهم، وإن يكن خائناً يضيعهم ويخرب ديارهم.

وقد كانت سيرة النبي ﷺ في قومه قبل هذا اليوم تشهد له بالصدق والأمانة لا يماري في ذلك اثنان، ولذلك قالوا جميعاً بلا تردد: «نعم، ما جربنا عليك كذباً».

فقال «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

ففجأه عمه أبو لهب بقوله: تبا لك، أما جمعتنا إلا لهذا. فنزل قول المولى ﷺ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (التنمذ: ١).

والأحاديث الأربعة السابقة تتناول هذه الواقعة من زوايا مختلفة:

ففي الحديث الأول الذي رواه ابن عباس يخبرنا أن النبي ﷺ نادى فقال: «يا بني فهر، يا بني عدي»، وأن الناس تدافعوا إلى الصفا، فمن لم يستطع أن يخرج منهم أرسل رسولاً، حتى اجتمعوا جميعاً، فأعلن النبي فيهم دعوته، وجهه عمه أبو لهب بما جبهه به.

وفي الحديث الثاني الذي رواه ابن عباس أيضاً يضيف أن النبي حين صعد الصفا هتف فقال: «يا صباحاه» وهو نداء من يحذر قومه من غزو أو أمر جلل.

وفي الحديث الثالث الذي رواه قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو يخبران أن النبي ﷺ صعد إلى أعلى الجبل، ثم اختار أعلى صخرة فيه ثم اعتلاها، ونادى: «يا بني عبد مناف، إني نذير» ثم ضرب مثلاً لنفسه وقومه بمن رأى العدو فراح يهتف بقومه: يا صباحاه.

وفي الحديث الرابع الذي رواه أبو هريرة يضيف أن النبي ﷺ دعا قومه إلى الإيمان قبل أن يفوت الأوان، فقال لهم: «اشتروا أنفسكم» ثم خص عشيرته بني عبد مناف، وعمه العباس، وعمته صفية، وابنته فاطمة - بقوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً».

(وكانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد أوضح النبي ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلوات بينه وبينهم، وأن عصبه القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة الإنذار الآتي من عند الله^(١)).

لقد تخوَّف النبي ﷺ من إعلان الدعوة على نفسه، وعلى القلة التي آمنت به حتى إنه تردد قائلاً: «فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ عليها»^(٢).

إن النبي ﷺ قد أدرك منذ الرهلة الأولى أنه قد كتب عليه النَّصَبُ والأذى في سبيل هذه الدعوة، وقد كان مستعداً ومؤهلاً للصبر على هذه المحنة حتى يظهر الله دينه.

أية مشاعر يمكن أن تعتمل في صدر نبي يوقن بصدق رسالته، ويوقن أن قومه سيعادونه، بل وسيخرجونه كما أخبره ورقة حين يفشو فيهم أمره.

(١) الرحيق المختوم ٥٨/١.

(٢) كنز العمال ٨٥/١٣، وتاريخ مدينة دمشق ٧٩/٤٢. وأخرجه ابن إسحاق ١٢٦/٢.

وابن جرير ١٢١/١٩.

إنها مشاعر الأسى والشفقة على هذه العشيرة التي أظهر العداوة له منها أقرب الناس إليه: عمه أبو لهب.

لكنَّ ذلك لم يفتَّ في عضد النبي ﷺ ولم يوهن عزيمته، بل أعلنها لهم صريحة قاطعة: «اشترؤا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً».



قال النبي ﷺ وهو يواجه قومه الذين اجتمعوا على ندائه: «أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي».

وقوله «أرأيتمكم»: (أراد بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن الأمر الغائب)^(١)، فهو استفهام الغرض منه التقرير، و«أرأيتمكم» تعني أخبروني، (والعرب تقول: أرأيتمكم، أرأيتمكم، عند الاستخبار بمعنى أخبرني وأخبراني وأخبروني، وتأوّه مفتوحة أبداً)^(٢).

وقوله ﷺ: «خيلاً» مجاز مرسل علاقته الجزئية، واختار الخيل لأنها جماع عدة الجيش وأصل قوته.

«أكنتم مصدقي؟» استفهام المراد منه أيضاً التقرير، فالنبي ﷺ يريد أن يضعهم موضع المُقَرَّر بصدقه، حتى إذا أخبرهم بخبر الغيب فكذبوه كانوا كمن يكذبون أنفسهم، ويتناقضون في مواقفهم، فلما قالوا: «نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً» بادرهم بقوله: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

«فإني»: الفاء للدلالة على السرعة، «نذير»: صيغة مبالغة بمعنى اسم الفاعل، أي منذر.

وكما توقع النبي ﷺ جاء التكذيب فجاً صارخاً من عمه أبي لهب: «تباً

(١) فتح الباري ٨/٥٠٣.

(٢) عمدة القاري ١٩/١٠٢.

لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا».

و تَبَّأ: نصب على المصدر بإضمار فعل، والمراد منه التوكيد، والاستفهام في «ألهذا جمعتنا؟» الغرض منه الإنكار.

وفي الحديث الثاني قال النبي ﷺ: «يا صباحاه» وهو أسلوب استغاثة يراد منه الإنذار، واختير الصباح لأن الغارة عادة ما تكون في الصباح، (وكانوا يسمون الغارة يوم الصباح، فكان القائل «يا صباحاه» يقول: «قد غشنا العدو»^(١)).

فلما اجتمع إليه الناس ناداهم: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب» وقد كُنِيَ الراوي في الثلاثة الأولي، وصرَّح في الرابعة والخامسة، والترتيب الذي أورده في المصريح به يدل على أنه انتقل من العام إلى الخاص، وناداهم طبقة طبقة إلى أن وصل إلى أخص الناس لديه، وأقربهم منه، وهم بنو عبد المطلب، ويدل على ذلك ما سيأتي بعد من خطابه لعمه وعمته ثم ابنته.

وفي الحديث الثالث أنه نادى: «يا بني عبد منافاه» فصاغ منها أسلوب استغاثة يستنهض به همهم، ويستدعي به نخوتهم.

ثم صور النبي ﷺ حاله وحالهم بحال رجل رأى العدو وحده، وقومه غافلون مطمئنون، فأحس بثقل المسؤولية على عاتقه، الدار والديار، الأهل والأعراض، المال والبنون، كل ذلك هو مسؤول منه إن لم يتبه قومه ويستعدوا للغارة؛ لذلك راح يعدو إلى قومه ليحذرهم فلما خشي أن يسبق العدو إليهم راح يهتف في عجلة: يا صباحاه، لعل صوته يصلهم فيستهبوا قبل فوات الأوان.

وفي الحديث الرابع يقول ﷺ لقومه: «اشتروا أنفسكم»، إنها صفة

العمر، فلما فلاح أبدأ، وإما خسران لا طاقة للإنسان به، وكثيراً ما صَوَّرَ ﷺ الإيمان بالله صفقة تجارية جرياً على سَنَنِ القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿بَنَانَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذْكَوْا عَلَىٰ مِحْرَزٍ...﴾ [الف: ١٠]. لأنه يخاطب العرب أهل التجارة والصفقات.

روى الترمذي في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»^(١).

ويتدرج رسول الله ﷺ في خطابه لقومه - كما أسلفت - من العام إلى الخاص، فبدأ بقریش، ثم بني عبد مناف، ثم العباس عمه، ثم فاطمة ابنته، يقول لهم جميعاً: «لا أغني عنكم من الله شيئاً» يكررها تكرير تؤكد وجزم كلما تغير الخطاب، يعني: أنه لا قرابة مهما كانت درجتها من رسول الله ﷺ سوف تغني عن صاحبها شيئاً إذا لم يؤمن بالله العظيم، وتكرار النفي مع استخدام المضارع يؤكد الفكرة ويلح في إثباتها.

ويخص النبي ﷺ ابنته فاطمة بقوله: «سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً» إن مقام الأبوة يقتضي أن يكشف الأب لابنته زيف متاع الدنيا وحقارته، وهو لا يمنعها منه، فما سألته من مال فهو لها، لكنه لن يغني عنها من الله شيئاً.

هكذا يتمخض الموقف في مجمله عن إنذار صارم للعشيرة، وإعلان واضح لحقيقة الدعوة، ومعايير الربح والخسارة.

١٢ - «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت»:

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوَّجَ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ أُنِي عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم في المستدرک (٧٨٥١) (٣٤٣/٤) وغيرهما.

أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَقِفْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ^(١)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَتَأَدَّانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَتَأَدَّانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا^(٢).



هذه تجربة قاسية في حياة النبي ﷺ يصفها بأنها أقسى ما لقي من قومه، فهي أشد عليه من يوم أحد، (قال العلماء: جعل النبي ﷺ ما ناله من الاستهزاء وشماتة الأعداء أشد مما لاقاه يوم أحد من قتل حمزة في سبعين من أصحابه، مع ما ناله في نفسه من الجراحة، وما ذاك إلا أن نفس الكريم تتأذى بالقول وبالسب أشد مما تتأذى من الطعن والضرب، ولذلك عفا عن كل من تعرض لقتله، وأهدر دم كل من تعرض لشمته)^(٣).

لقد اكتنف الهمُّ قلب النبي العظيم، وأحس بالوحدة وصار هدفًا لِعَنَتِ قريش، فلم يعد يصدهم عنه صائدٌ، ولا يمنعهم عنه مجير، بعد وفاة عمه وزوجه. وأمعن الكافرون في إيذائه وإيذاء أصحابه، فخرج يلتمس من يحميه، ويقبل أن يرفع راية هذا الدين ويدافع عن المؤمنين.

خرج إلى الطائف يعرض نفسه على سيدها ابن عبد ياليل بن عبد كلال،

(١) اسم مكان، وهو ميقات أهل نجد وما حاذها، ويسمى أيضًا: قرن المنازل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين.

(٣) السابق (١/١٩٨).

فلم يجد منه ولا من قومه إلا الصد والأذى، فانطلق مهموماً على وجهه، فجاءه جبريل ومعه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق على قومه الأخشين: أبي قيس وقعيقعان، وهما جبلان من أعظم جبال مكة، فلم يقبل النبي ذلك، وإنما قال: «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». ثم عاد إلى مكة محملاً بالأسى، فمكث خارجها لا يستطيع أن يدخل وطنه ووطن آبائه وأجداده.

ويرسل النبي ﷺ إلى سادة مكة وكبرائها يلتمس منهم الجوار، والأسى يعتصر قلبه، فيعتذر هذا، ويتعلل ذاك، حتى يَقْبَل مطعم بن عدي فيدخل النبي إلى مكة في جواره.

وقد حفظ النبي ﷺ للمطعم هذا الموقف، (فلما كان يوم بدر قال النبي ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً، وكلمني في هؤلاء النتنى - يعني الأسرى - لتركتهم له، وكانوا سبعين أسيراً»)^(١).



تسأل السيدة عائشة رسول الله ﷺ وقد أصابه ما أصابه يوم أحد: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟» فيقول ﷺ: «لقد لقيت من قومك ما لقيت»، وما لقيه في هذا الموقف ليس من قومها، وإنما هو من ثقيف بالطائف، فلماذا قال النبي ﷺ: «من قومك»؟

قيل: (المراد بقوم عائشة في قوله: لقد لقيت من قومك: قريش، لا أهل الطائف الذين هم ثقيف؛ لأنهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه لثقيف)^(٢).

(١) سيرة النبي المختار (١/ ٢٠٠).

(٢) السيرة الحلبية (٢/ ٥٧).

ونسبة القوم إلى عائشة لا إلى نفسه الشريفة يوحى بأسى النبي وتأثره حين يذكر ما لقيه من قومه، حتى إنه يُعرض عن نسبتهم إلى نفسه.

وفي تكرار الفعل في قوله ﷺ (لقيت)، (ما لقيت) إحياء بشدة ما لقيه ﷺ في هذا الموقف، وفي غيره من المواقف من أذى قومه.

وقوله: «ما لقيت» (حذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم)^(١). فالحذف هنا أبلغ من الذكر؛ لأنه يشعر السامع بهول الأمر حتى إنه ليستعصي على الإحصاء.

و«أشد» خبر «كان» مقدم، والتقديم للحصر والتوكيد، و«ما» هي الاسم المؤخر في محل رفع.

«إذ عرضت نفسي»: في العبارة ما يوحى بتواضع النبي، وتضحيته في سبيل الدعوة، إذ كان على عظيم مكانته ورفعة منزلته يعرض نفسه على من هم أقل منه شأنًا، لعل الله يجعل منهم سببًا لنصرة الدعوة، وإقامة الدين، وذلك ديدن الأنبياء والصالحين.

«فلم يجنبي إلى ما أردت» حذف المفعول للتعبير عن عموم المراد، وهو النصر والعهود والإيمان، وعدم إجابة النبي ﷺ في ذلك التوقيت كان يعني أنه سيعود إلى مكة بلا ناصر ولا مجير، وأن كل السبل قد أوصدت، فإلى من المشتكى؟

«فانطلقت وأنا مهموم على وجهي»: تصوير لحال النبي المحزون الذي لا يدري إلى أين المتجه، و«أنا مهموم» جملة حالية.

«فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب»: زيادة توكيد لما أصاب النبي من شرود بسبب ما لقيه من إغراض وصد جعله ينطلق دون غاية حتى لا يفيق إلا

بقرن الثعالب.

«فرفعت رأسي»، إلى السماء، حيث رب السماء؛ فإليه وحده الملجأ والدعاء.

«فإذا أنا بسحابة قد أظلمني»: هذه رحمة الله تكتنف النبي الذي أصابه الهم والحزن.

«فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني»: سرعة إجابة تواكبها الغاءات المتعاقبة في الأفعال المتوالية.

«فإذا فيها جبريل» إيحاء بضخامة الملك فهو يملأ السحابة كلها.

ويقدم جبريل للنبي ﷺ ملك الجبال؛ ليا أمره بما يشاء في قومه، قال ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» وعلى رغم ما عاناه النبي من قومه، وعلى شدة ما أصابه من أذاهم إلا أنه يقول: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

وهي عبارة توحى بشدة حلمه، وعظيم عفوه، ورغبته الملحة في أن ينتشر هذا الدين، ويعمّ التوحيد ربوع الأرض.

١٣ - «وأنا محمد»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعَجُّبُونَ كَيْفَ يَضْرِبُ اللَّهُ عَنِّي شَمَّ قُرَيْشٍ وَلَغَنَهُمْ، يَنْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(١).



كان كفار قريش من شدة كراحتهم للنبي ﷺ يعدلون عن اسمه الدالّ على المدح (محمد) إلى ضده، فيقولون (مذمم)، لأنهم لا يريدون من كراحتهم

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٣) كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ، والنسائي في المجتبى (٣٤٣٨) كتاب الطلاق، باب الإبانة والإفصاح.

له أن ينطقوا اسمه ولو بالسوء. فإذا أرادوا ذكره بسوء (قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره)^(١).

فإذا قيل: كيف يستقيم ذلك، وهم - أي كفار قريش - ما كانوا يشتمون الاسم بل المسمى، والمسمى واحد؟ (فالجواب: أن المراد: كفى اسمي الذي هو محمد أن يشتم بالسب)^(٢).

وكانت أم جميل امرأة أبي لهب تنشد:

مذممًا أبينا

ودينه قَلْبًا

وأمره عصيًا

فصرفهم الله ﷻ عن أن يذكره باسمه بسوء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ [الحجر: ٩٥].



قوله ﷺ: «ألا تعجبون» مفتتح بـ«ألا» الاستفتاحية التي تفيد التنبيه، والرسول يخاطب صحابته؛ ليدخل السكينة إلى قلوبهم، وليبين لهم أن كيد الكفار مردود إلى نحورهم.

«شتم قريش ولعنهم» قال ابن الأعرابي: (الشتم في اللغة قبيح الكلام، وليس فيه قذف)^(٣)، والشتم السب، أمَّا اللعن فهو أشد من الشتم إذ هو:

(١) فتح الباري (٦/٥٥٨)، وعمدة القاري (١٦/٩٧).

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي (٦/١٥٩).

(٣) تهذيب اللغة (١١/٢٢٥).

(الإبعاد والطرْد من الخير، وقيل الطرد والإبعاد من الله، ومن الخُلُق: السب والدعاء)^(١).

فجمع رسول الله ﷺ بين الشتم واللعن ليستقصي كل صنوف الأذى القولي الذي ناله من قريش.

«يشتُمون مذمَّمًا، ويلعنون مذمَّمًا» إشارة إلى تنكُّب أعدائه لاسمه الشريف، ونيلهم من اسم آخر وهو مذمَّم.

«وأنا محمد» أسلوب قصر للحصر والتوكيد، استخدم فيه ضمير الفصل «أنا»، وفيه نبرة اعتزاز بهذا الاسم العظيم (قيل لعبد المطلب: بم أسْميت ابنك؟ فقال: بمحمد، فقالوا له: ما هذا من أسماء آبائك، فقال: أردت أن يُحمد في السماء والأرض)^(٢).



(١) لسان العرب (٣٨٧/١٣).

(٢) الرافعي بالرفيات (٦٧/١).

الهجرة إلى يثرب

١٤ - «قد أذن لي في الخروج»:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَلَّ يَوْمَ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرْغَبْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهُرًا، فَخَبَّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرِ حَدَثٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَغْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءُ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعَدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ^(١)».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «اسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَدَى، فَقَالَ لَهُ: أَقِم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنِّي لَا رَجُو ذَلِكَ، قَالَتْ: فَانْتَظِرْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَاتَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ظُهُرًا، فَتَادَاهُ فَقَالَ: أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، فَقَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الصُّحْبَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الصُّحْبَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي نَاقَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعَدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الْجَذْعَاءُ، فَرَكِبَا فَانْطَلَقَا، حَتَّى أَتَيَا الْغَارَ وَهُوَ بِثَوْرِ، فَتَوَارَبَا فِيهِ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ غُلَامًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا، وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ مَنَحَةٌ^(٢)، فَكَانَ يَرْوُحُ بِهَا وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ، وَيُضْبِحُ

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٨) كتاب البيوع، باب بيع الطعام قبل أن يقبض.

(٢) تطلق على كل شاة.

فَبَدَّلَ لِحِجَابِهِمَا^(١)، ثُمَّ يَسْرَحُ فَلَا يَفْطَنُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّعَاءِ، فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُمَا يُعْقِبَانِهِ حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَوْمَ بَنِي مَعُونَةَ^(٢).



لا أعلم حبًّا كبيرًا ربط بين قلبين كذلك الحب الذي ربط بين قلب النبي ﷺ وقلب صاحبه الأثير أبي بكر.

تقول السيدة عائشة بنت الصديق: «لَقَلَّ يَوْمَ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ» أي: ما كان يمضي يوم دون أن يزور النبي ﷺ صاحبه، وقد اختاره دون سائر أصحابه ليرافقه في رحلته إلى المدينة، تقول الرواية: «اسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَذَى، فَقَالَ: لَهُ أَقْمِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ».

وحين علم أبو بكر أن الله قد أذن للرسول في الهجرة صاح بكل توسل وحب: «الصَّحْبَةُ»، فأجابه صاحبه بكل تواضع وامتنان: «الصَّحْبَةُ».

ذلك هو الحدث الفصيل في تاريخ الدعوة، هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وقد سبقت تلك الرحلة إرهاصات وحوادث مهيئة، إذ هاجر أصحاب النبي ﷺ هجرتين إلى الحبشة فارين بدينهم من العنت والأذى الذي لا قوه على أيدي أساطين الكفر.

وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على وفود العرب إلى الحج، لعله يجد من ينصر دعوة الله، ويحمي رسوله، وحين فتح الله صدور الأنصار للإسلام بدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة فرادى، وتأخر أبو بكر رجاء في صحبة

(١) يسير إليهما ليلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٣) كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع.

النبي ﷺ.

وكان أبو بكر قد أعد راحلتين لهذا الغرض، فعرض إحداهما على النبي ﷺ، ورغم الصلة الوثيقة التي كانت تربط الصاحبين إلا أن الرسول ﷺ رفض أن يأخذ الناقة من صاحبه بلا ثمن، بل قال بحسم: «قد أخذتها بالثمن». وعندما أذن الله لرسوله في الهجرة انطلق خفية وصاحبه إلى غار ثور فتواريا فيه، والكافرون في أثرهما، وعامر بن فهيرة يروح ويغدو عليهما، ويعمّي على آثارهما حتى انقطع الطلب، فواصل سعيهما نحو المدينة.



«أخرج من عندك» رغم أن النبي ﷺ في بيت صاحبه، وبين أهله الأذنين، إلا أنه يعمل لكل شيء حساباً، ويضع خطة الخروج في تكتم شديد، وحرص بالغ، ليعلمنا كيف نأخذ بالأسباب.

«أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج» جاء في عمدة القاري: (أشعرت: معناه أعلم، لأن الهمزة هنا خرجت عن الاستفهام الحقيقي، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ٢١)^(١).

وربما يصح أن يقال: إنه استفهام، الغرض منه التقرير.

قال أبو بكر: «الصحة»، قال رسول الله ﷺ: «الصحة» وكلاهما مفعول به لفعل محذوف مقدر، لعله في الأولى (أريد)، وفي الثانية (ألزم)، ويجوز الرفع على تقدير مرادي الصحة، أو مطلوبي^(٢).

وفي بقية الحديث متابعة لتلك الملحمة العظيمة التي خاضها الصاحبان، وتصوير للمطاردة التي ألجأت الصاحبين إلى غار ثور، يختفيان به، وعامر

(١) عمدة القاري (١٧/٢٧٣).

(٢) المرجع السابق (١١/٢٥٧).

ابن فهيرة يخرج بشاة لأبي بكر، يروح ويغدو عليهما، فيشربان من لبنها، ثم يسرح بها، فيغطي على آثارهما حتى سكن الطلب، فخرجا يجدان إلى المدينة، وهما يعقبانه على ناقتيهما.



١٥ - «لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبْلِكَ»:

عن البراء قال: اشترى أبو بكر من أبي رَحْلًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَثْمَانَ بْنِ عُمَرَ: فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَاحَ قَرَسُهُ^(١) فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ وَوَثَبَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَأَذَعُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَى الْأَعْمَيْنِ عَلَى مِنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبْلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبْلِكَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَتَنَازَعُوا أَنَّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنْزِلْ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ، فَصَعِدَ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: يَا مُحَمَّدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٢).



لما علمت قريش أن رسول الله ﷺ خرج من مكة قاصداً المدينة رصدت له الطلب، فجعلت مائة ناقة لمن يرده إليهم، فخرج سراقه بن مالك بن جعشم يرجو أن يلحق بالرسول، فيرده، فيأخذ المائة. ترى كيف يكون إحساس المطارد في صحراء واسعة مكشوفة ليس معه

(١) غاصت قوائمه في الأرض، والضمير يعود على سراقه بن مالك.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٩) كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة.

إلا رفيق واحد - حين ينجلي الغبار عن فارس مدرّج يتبعهما؟ تلك كانت مشاعر الصديق رضي الله عنه.

يقول أبو بكر: «فلما دنا - يعني سراقه - فكان بيننا وبينه قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب يا رسول الله قد بلغنا، وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك»^(١).

لكن الرفيق المصاحب ليس بشراً عادياً، وإنما هو نبي معصوم، محوط بعناية الله ورعايته، ولذلك قال لصاحبه: ﴿لَا تَخْزَنَ لَكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠].

يقول سراقه: «فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم عثر بي فرسي، وذهبت يده في الأرض وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعها دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر، فناديت القوم: أنا سراقه بن جعشم، انظروني أكلمكم، فوالله لا أريكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه»^(٢). وفي رواية أنه قال: «قد أعلم أن قد دعوتما عليّ فادعوا لي، ولكما عليّ أن أرد الناس عنكم، ولا أضركما، قال: فدعاه فرجع ووفّي، وجعل يرد الناس»^(٣).

وفي رواية مسلم التي بين أيدينا يقول سراقه: «يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن يخلصني مما أنا فيه، ولك عليّ لأعين عليّ من ورائي، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها، فإنك ستمر عليّ إبلي وغلماي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، قال ﷺ: لا حاجة لي في إهلك».

وصل النبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة، واستقبله النساء والرجال فوق أسطح البيوت، والغلمان والخدم في الطرقات ينادون: «يا محمد يا رسول

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي (١/٣٤٤).

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول (١/٣٤٤).

(٣) خلاصة سير سيد البشر (١/٤٧).

الله، يا محمد يا رسول الله»، وتنازع الناس أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فتذكر صاحب القلب الكبير أحوال عبد المطلب الذين توفي عندهم أبوه، في طريق عودته من الشام، والرسول ما زال جنيئًا في بطن أمه، فأراد أن يخصهم بكرامة فقال: «أنزل على بني النجار أحوال عبد المطلب أكرمهم بذلك».



يعرض الحديث لمشهدين مثيرين، وهما صورتان واقعتان؛ إحداهما تلك المطاردة التي كان فرسانها الرفيقين المهاجرين وسراقة، إذ أدرك سراقة - منذ اللحظة الأولى - أن الأمر خارج عن طاقة البشر، فاستسلم، بل وعرض على الرسول ﷺ ما شاء من إبله، وهو الذي كان خارجًا طامعًا في مائة من الإبل إن ردَّ رسول الله ﷺ إلى مكة.

وقول الرسول ﷺ: «لا حاجة لي في إيلك» جواب قاطع صريح يوحى بالثقة والطمأنينة.

أما المشهد الثاني، فهو مشهد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة، واستقبال الناس الحافل له: الرجال والنساء فوق البيوت، والغلمان والخدم في الطرقات، ورسول الله ﷺ مع صاحبه يمشيان بكل تواضع ووقار، حتى إن الناس لا تعلم من رسول الله ﷺ منهما إلا حينما ترى خدمة أبي بكر للنبي، وتظليله إياه بردائه.



الفصل الثاني

في رحاب طيبة

مسجد الرسول ﷺ

١ - «ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ»:

عن أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَتَزَلَّ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاؤُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِذْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ» ^(١) هَذَا قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، فُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرْبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُشِثَتْ، ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسُوِّتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِصَادَتَيْهِ ^(٢) الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَزْتَجِرُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ ^(٣).

(١) الحائط: البستان.

(٢) عِصَادَتَيْهِ: عضادتَا الباب ما كان عليهما يطبق الباب إذا أصفق.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨) كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور المشركين، ومسلم (٥٢٤)

كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي، وأبو داود (٤٥٣) كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، والنسائي في المجتبى (٧٠٢) كتاب المساجد، باب نبش القبور واتخاذ أرضها مسجداً.



هذه صورة للمجتمع المدني عقب وصول النبي ﷺ إلى طيبة، وشروعه في تأسيس المسجد الذي صار فيما بعد مركز الدعوة والقيادة، ومصنع الرجال الأفذاذ، (بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدًى تلتقي وتتألف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون وبيت الانطلاقات، وبرلماناً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، وكان مع هذا كله داراً يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون)^(١).

إذ حطت - أخيراً - رحال النبي ﷺ في طيبة، وانتهت مرحلة، وبدأت مرحلة، انتهت مرحلة كان النبي ﷺ فيها مضطهداً مطاردًا مكذَّبًا، وبدأت مرحلة صار النبي ﷺ فيها آمناً آمراً مطاعاً.

ومنذ اللحظة الأولى تشكلت ملامح دولة قائدها محمد ﷺ، وشعبها هم المهاجرون والأنصار واليهود، ومركز قيادتها الأول هو المسجد.

يحدثنا الحديث عن اختيار الرسول ﷺ مكان المسجد، وكان فيه نخل وقبور للمشركين وخرب يضمها حائط لبني النجار أحوال النبي ﷺ، وما كان للنبي ﷺ - وقد جاء بالعدل والإحسان - أن يأخذ أرضاً بغير رضا أصحابها، ولذلك أرسل إلى بني النجار، فجأؤوه متقلدي السيوف، كأنهم يعلنون - بصورة عملية - استعدادهم للقتال لنصرة نبيهم.

قال لهم: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا».

يطلب منهم أن يبيعوه هذا الحائط بالثمن، وهو القائد القادر على أن يأمر

فيطاع، ويطلب فيُستجاب له، فيقولون له: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.
 تلك قلوب الأنصار، قلوب ملئت إيمانًا وعزمًا، وفاضت إخلاصًا ونبلاً،
 منذ اللحظة الأولى التي بركت فيها ناقة النبي في أحد مرابد بني النجار أعلنوا
 استعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الله، أرواحهم وأموالهم وأهلبيهم،
 أبوا أن يبيعوا الدنيا بالآخرة، ووهبوا الأرض وما عليها لله ولرسوله وللمؤمنين.
 كان بناء المسجد ملحمة شارك فيها المهاجرون والأنصار، وهم يتدفقون
 همة وحماسة، فيخلون الأرض من القبور، ويسوّون الخرب، ويقطعون النخل،
 وينقلون الصخور للبناء وهم ينشدون، والنبي معهم يشدُّ على سواعدهم،
 ويقول:

اللهم لا خيرَ إلا خيرَ الآخرةِ فاغفرْ للأنصارِ والمُهَاجِرَةِ



يخاطب النبي ﷺ أخواله بنداء تحببي أثير «يا بني النجار»، ناداهم بنسبهم
 الأقرب إلى نفسه، كأنه يستدعي صلة القرى ووشائج النسب، وكأنه يستحضر
 ذكرى أبيه الذي لم يره، والذي قضى بين ظهرائهم في طريق عودته من
 الشام، والرسول ما يزال جنيئًا في بطن أمه.

«ثاموني بحائظكم هذا» ثاموني، اختيار صيغة فاعِل يؤكد نية النبي في
 الشراء، إذ يُنحَى مقام النبوة وصلة القرابة، ويدع الأمر صفقة تجارية محضة
 بين بائع ومشتري يتفاوضان في الثمن حتى يحصل إيجاب وقبول.

ويستوقفنا في الحديث الرجز الذي كان النبي ﷺ ينشده وهو يشارك
 أصحابه في بناء المسجد:

اللهم لا خيرَ إلا خيرَ الآخرةِ فاغفرْ للأنصارِ والمُهَاجِرَةِ

إذ يشير هذا البيت مع نظائر له قليلة وردت على لسان النبي ﷺ قضية النبوة والشعر وما دار حولها من نقاش عند القدماء والمحدثين.

فمن المعروف أن من بين التهم التي حاول كفار قريش إلصاقها بالنبي ﷺ أنه شاعر.

قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَهْلَكُم بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (١) [الأنبياء: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَجَبُ الْمَتُونِ﴾ (٢) [الطور: ٣٠].

وقال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي السَّحَابِ بِتَحْنُونٍ﴾ (٣) [الصافات: ٣٦].

وقد نفى المولى ﷺ عن نبيه أن يكون شاعراً، أو أن يكون ما يقوله شعراً فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٤) [يس: ٦٩].

وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُنُومُونَ﴾ (٥) [الحاقة: ٤١].

أما ما ورد على لسان النبي ﷺ من بعض أبيات أو أنصاف أبيات من كلام موزون من غير قصد لنظمه فإنه لا يعني أنه قال شعراً، أو أن لديه ملكة الشعر.

ولم يكن نفى الشعر عن رسول الله ﷺ تهويناً من شأن الشعر أو ازدراء له، ولكنه كان صيانة لمقام كتاب الله، وحفظاً لمكانة النبوة، وقد كان النبي ﷺ يسمع الشعر، ويشي على الجيد منه، ويقول: «إن من الشعر حكمة» (٦)، وكان يستعين بالشعراء المسلمين للرد على هجاء المشركين، والذود عن الدعوة، ويقول لحسان بن ثابت: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله» (٧).

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (النمر: ٢٢٤)، جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال: «أنتم»، ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، قال: «أنتم»، ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ (النمر: ٢٢٧)، قال: «أنتم»^(١).

هذا هو موقف الإسلام الحقيقي من الشعر، فهو يستجيد منه ما كان جيدًا، ويستقبح منه ما كان قبيحًا، ويفصل بحزم بين صفة النبي وصفة الشاعر، وبين القرآن والشعر.



٢- «مُرِي غُلَامَكَ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا»:

عن أبي حازم بن دينار أَنَّ رَجُلًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، وَقَدْ امْتَرَوْا فِي الْمِنْبَرِ: مِمَّ عُوْدُهُ؟ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وَضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ فُلَانَةً - امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ - : «مُرِي غُلَامَكَ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسَ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ» فَأَمَرْتُهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرَفَاءِ الْغَابَةِ^(٢)، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا، فَوَضَعْتُهَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَيْهَا، وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْفَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَيَّ

(١) ابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٢) طرفاء الغابة: نوع من الشجر.

النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُّوا وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي»^(١).



ذلك منبر النبي ﷺ الذي كان أنجع وسيلة تعليمية في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ علّم أصحابه من فوقه أصول دينهم، وبث فيهم الحميّة والغيرة على معتقدتهم، وبكى ﷺ وأبكاهم وهو يصف لهم الحشر والحساب، ونعيم الجنة، وعذاب النار، ومن فوق هذا المنبر - ذاته - نعى إليهم نفسه وودعهم، واستودعهم الله.

ويورد الحديث قصة صنع المنبر، إذ «كان النبي يخطب يوم الجمعة إلى جذع قائمًا، فشق عليه أن يستمر على القيام في خطبته دائمًا»^(٢)، فأرسل لامرأة من الأنصار كان لها غلام نجار، فقال لها: «انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أكلّم الناس عليها»، فصنع الغلام للنبي منبرًا من درجات ثلاث، فوُضع في موضعه، فأتى النبي فوقف عليه وكبر حتى يراه الناس جميعًا، ويقتدوا به، فلما أراد أن يسجد تراجع إلى الخلف فسجد في أصل المنبر، ثم قام فصعد المنبر حتى فرغ من صلاته، ثم قال للناس: «يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتُموا بي، ولتعلموا صلاتي».

وقد ورد في ذلك السياق من معجزات النبي عند البخاري عن جابر أنه قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا

(١) أخرجه البخاري (٩١٧) كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، ومسلم (٥٤٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، ولفظ مسلم: «انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا»، وأبو داود (١٠٨٠) كتاب الصلاة، باب في اتخاذ المنبر.

(٢) المقفّى من سيرة المصطفى (٩٢/١).

كصوت العشار^(١)، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت^(٢).



يقول النبي ﷺ للأنصارية: «مري غلامك النجار أن يعمل لي أعوادًا أجلس عليهن إذا كلمت الناس».

وفي رواية مسلم: «انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها».

ويبدو استعمال فعل الأمر «مري» في الرواية الأولى أشد حزمًا من الفعل «انظري» في الرواية الثانية، في التعبير عن رغبة النبي ﷺ في صنع هذا المنبر.

كما يجري قول النبي ﷺ: غلامك النجار، لا عبدك النجار؛ على سَنَنِ النبي ﷺ في الرفق بالعبد، والإحسان إليهم، ومراعاة آدميتهم إذ نهى ﷺ أن يقول المرء: عبي، أمي، وأمر أن يقول: فتاي، وغلامي... ولا يقل أحدكم عبي أمي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي^(٣).

يقول النبي ﷺ: «يعمل لي أعوادًا» والتعبير عن المنبر بالأعواد يشير إلى تواضع النبي ﷺ، وعدم ميله إلى اتخاذ الأثاث الثمين والرياش الفاخرة، وقد كان هذا دأبه في بيته وملبسه ونعله ومركوبه ﷺ.

«أجلس عليهن» المأثور عن النبي ﷺ أنه كان يخطب قائمًا، وأجاب ابن حجر عن هذه الشبهة (باحتمال أن تكون الإشارة إلى الجلوس أول ما

(١) العشار: جمع عشاء، وهي الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٨٥) كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٥٢) كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، ومسلم (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة،

كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢) فتح الباري (٢/٤٠١).

يصعد، وبين الخطبتين^(٢).

والعبارة كلها أمر وجوابه، وجواب الأمر في الرواية الأولى «أن يعمل»، وهو مصدر مؤول في محل جزم، وفي الرواية الثانية «يعمل»، وهو فعل مضارع مجزوم.

ثم يقول النبي ﷺ في خاتمة الحديث: «أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتي».

وفي رواية مسلم: «يا أيها الناس، إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي».

خلت الرواية الأولى من أداة النداء بما يعزز قرب المنادي وهو رسول الله ﷺ من المنادي وهم أصحابه.

واستبدلت «إنما» في الرواية الأولى بـ «إني» في الرواية الثانية، والأولى تفيد القصر والحصر مع التوكيد بينما تفيد الثانية التوكيد فحسب، وفي الرواية الأولى قال: «لتأتموا»، بينما زيد في الرواية الثانية «لتأتموا بي»، والتعبير الأول أبلغ لأنه يفيد العموم.



٣ - «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ» :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(١).

٤ - «إِنْ قَوَّامٌ مِنْبَرِي هَذَا رَوَّابٌ فِي الْجَنَّةِ» :

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥) باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم (١٣٩٠) كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، والنسائي في المجتبى (٦٩٥) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) بَابُ (فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِيهِ).

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

٥ - «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» :

عَنْ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»^(٢).

٦ - «مَسْجِدِي هَذَا» :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَتْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

٧ - «رَأَيْتَ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ» :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَمِصَّانَ أَحْمَرَانِ يَغْتُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَتَزَلَّ فَأَخَذَهُمَا، فَصَبَعَهُمَا الْمِنْبَرِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾» [التغابن: ١٥]

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٦٩٦) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) بَابُ (فَضْلِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِيهِ).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٦٩٧) كِتَابُ (الْمَسَاجِدِ) بَابُ (ذِكْرِ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى)، والترمذي في سننه (٣٠٩٩) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩٧) كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وأبو داود (٢٠٢٣) كتاب المناسك، باب في إتيان المدينة، والترمذي (٣٢٦) كتاب أبواب الصلاة، باب ماجاء في المشي إلى المساجد، وابن ماجه (١٤٠٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها.

رَأَيْتَ هَذَيْنِ فَلَمْ أَضِيرَ»، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ^(١).



هذه هي الروضة التي تهفو إليها نفوس كل المسلمين، فَمَنْ مِنَ المسلمين لا يتوق إلى المكوث لحظات في بقعة من الجنة، لقد جعل الحديث الثالث تلك البقعة مهوى أفئدة الزائرين لمسجد الرسول ﷺ حتى اليوم، يتزاحمون على الصلاة فيها، وتهب عليهم نسائم الجنة من رحابها، إذ ذكر النبي ﷺ أنها روضة من رياض الجنة، (أي أنها كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة، لما يحصل من ملازمة خلق الذكر، لا سيما في عهده ﷺ)^(٢).

وقد يكون المراد بذلك أن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة، لعظم منزلتها، وشريف مكانتها؛ لأنها ضمت منبره ﷺ وبيته الذي صار بعد ذلك قبره الشريف.

(وحمل كثير من العلماء الحديث على ظاهره، فقالوا: ينقل ذلك الموضع بعينه إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] ذكر أن الجنة تكون في الأرض يوم القيامة)^(٣).

وفي الحديث الرابع يشير النبي ﷺ إلى فضل منبره، فيقول: (إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة).

ومعناه: (أن قَصْدَ منبره، والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد

(١) أخرجه أبو داود (١١٠٩) كتاب الصلاة، باب الإمام يَقْعُ الْخُطْبَةَ، وابن ماجه (٣٦٠٠) كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال.

(٢) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٣) عمدة القاري (٧/ ٢٦١).

صاحبه إلى الحوض، ويقتضي شربه منه^(١)، ورواتب: (جمع راتبه من رتب إذا انتصب قائماً، أي أن الأرض التي هو فيها من الجنة، فصارت القوائم مقرها الجنة، أو أنه سينقل إلى الجنة)^(٢).

وفي الحديث الخامس بيان لفضل مسجد الرسول ﷺ، فقد اختلف رجلاَن في المراد من المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [النبة: ١٠٨]، فقال رجل: هو مسجد قباء؛ لأنه أسس قبل مسجد الرسول ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ.

فقطع الرسول ﷺ هذا الخلاف بقوله: «هو مسجدي هذا».

قال السندي في حاشيته على «سنن النسائي»: (هذا نص في أن المراد بالمسجد المذكور في القرآن مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم لا مسجد قباء كما زعمه أصحاب التفسير؛ لكونه أوفق للقصة)^(٣).

أما الحديث السادس فيحدد المساجد التي لا يجوز شد الرحال إلا إليها، وهي مسجد النبي ﷺ، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى.

وبعضها يفوق بعضاً في الفضل، فيتقدمها بيت الله الحرام، ثم يليه مسجد الرسول ﷺ، ثم المسجد الأقصى.

وقد أخذ ترتيب الأفضلية هذا من كتاب الله الذي يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...﴾ [آل عمران: ٩٦]، ومن حديث رسول الله ﷺ الذي ورد عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي

(١) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ٣٦).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(١).

ويعرض الحديث السابع لمشهد طريف ومؤثر للحسن والحسين وهما ما يزالان طفلين صغيرين في أول عهدهما بالمشي يَدْرُجَان نحو جدهما في المسجد يعثران ويقومان، فتأخذه الشفقة بهما، فيقطع خطبته، وينزل فيحملهما، ويصعد بهما المنبر ويقول: «صدق الله ﴿إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلُكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [التغابن ١٥]، رأيت هذين فلم أصبر»، ثم يعود إلى خطبته.

تلك أخلاق النبي الرحيم ﷺ الذي وصف ربه ﷻ إرساله للناس بأنه رحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

روى الحاكم في المستدرک عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قَبْلَ حَسَنًا، وضمه إليه، وجعل يشمه، وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري إن لي ابنًا قد بلغ ما قَبْلته قط، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك، فما ذنبك؟»^(٢).



قال ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، واستخدام «ما» والتذكير في «روضة» يفيدان العموم، وتفيد «من» التبعض، وقد عدل عن جمع روضة على روضات، واستخدم «رياض» (فعال) لإفادة التكرير. وقد ورد عن بعض الشراح احتمال إرادة المجاز، وعلى هذا يكون (قوله: «روضة من رياض الجنة»، أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة خلق الذكر، لا سيما في عهده ﷺ،

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠) أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم (١٣٩٤) كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٨٦/٣) برقم (٤٧٩٣).

فيكون تشبيهاً بغير أداة، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة^(١).

وقال ﷺ في الحديث الرابع: «إن قوائم منبري هذراواتب في الجنة» وهذا تأكيد لفضل المنبر، إذ تنتصب قوائمه في الجنة، وقد عدَّ البعض ذلك حقيقة لا مجازاً، وجعله من خصائص النبي ﷺ^(٢). وعلى إرادة المجاز يكون المراد أيضاً أن التعب عند المنبر يؤدي بصاحبه إلى الجنة، وقد أكد الرسول ﷺ حديثه باستخدام اسم الإشارة «هذا».

ويؤكد الحديث الخامس أن مسجد الرسول ﷺ هو المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى، فيستخدم النبي أسلوب القصر بضمير الفصل «هو» فيقول: «هو مسجدي»، ويزيد العبارة تأكيداً باسم الإشارة «هذا».

وفي الحديث السادس يرد النهي الحقيقي عن شد الرحال إلى المساجد «لا تشد الرحال»، وهو كناية عن التجهز للسفر والرحلة، ثم يعدد النبي ﷺ المساجد التي تجوز الرحلة إليها فيقول: «مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».

وقوله: «مسجد الحرام، ومسجد الأقصى»، من باب (إضافة الموصوف إلى الصفه، وقد جوزة الكوفيون، واستشهدوا له بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [النمل: ١٤]، والبصريون يؤولونه بإضمار المكان أي الذي بجانب المكان الغربي، ومسجد المكان الأقصى ونحو ذلك)^(٣).

وفي الحديث السابع يعلل النبي ﷺ لقطعه الخطبة ونزوله لحمل الحسن والحسين - بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التباين: ١٥] ويقول:

(١) فتح الباري (٤/ ١٠٠).

(٢) انظر: بضع القدير (٤/ ٥٢٨).

(٣) فتح الباري (٣/ ٦٤).

«رأيت هذين فلم أصبر» واستخدام اسم الإشارة «هذين» لتعيين الحسن والحسين فيه إichاء بذلك الحب الكبير الذي يمتلئ به قلب النبي لهما، واستخدام الفاء في «فلم أصبر» للدلالة على سرعة رد الفعل من قبل النبي ﷺ، والمضارع «أصبر» دال على الاستمرار والتجدد.



في حب المدينة

٨- «اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعَكَ ^(١) أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَبَا بِلَالٌ كَيْفَ تَجِدُكَ؟

قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرَأٍ مُصَبِّحٌ ^(٢) فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِيهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ، يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

الْأَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلٌ ^(٣)

وَهَلْ أَرِدَنَ يَوْمًا مَيَاةَ مَجْنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ ^(٤)

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا، فَاجْعَلْهَا بِالْجُخْفَةِ» ^(٥).

٩- «فَتَأْوَلَّتْهَا أَنْ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ ثَقِيلَ»:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ: «رَأَيْتُ امْرَأَةً

(١) أصابه الوبك، أي الحمى.

(٢) معرض للإصابة بالموت صباحًا.

(٣) نباتان يكثران بمكة.

(٤) مجنة: موضع على أميال من مكة، وشامة وطفيل: جبلان، أو عينا ماء يقرب مكة.

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٢٦) كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة.

سُودَاءَ ثَائِرَةِ الرَّأْسِ، خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلْتُ بِمَهْيَعَةٍ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةٍ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ»^(١).

١٠ - «حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة»:

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدَّهَا وَصَاعِهَا»^(٢)، مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِمَكَّةَ^(٣).

١١ - «هذا جبل يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»:

«عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: «التَّوَسَّلْ لَنَا غَلَامًا مِنْ غِلْمَانِكَ يُعْخِذُنِي» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ يُرِدُّنِي وَرَاءَهُ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ^(٤)، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» فَلَمْ أَزَلْ أَخْدُمُهُ، حَتَّى أَقْبَلْنَا مِنْ خَيْرٍ، وَأَقْبَلَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُجَيْفٍ قَدْ حَارَزَهَا، فَكُنْتُ أَرَاهُ يُحَوِّي وَرَاءَهُ بَعَاءَةً أَوْ كِسَاءً، ثُمَّ يُرِدُّهَا وَرَاءَهُ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصَّهْبَاءِ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَدَعَوْتُ رَجُلًا فَأَكَلُوا، وَكَانَ ذَلِكَ بِنَاءَهُ بِهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى بَدَأَ لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٣٩) كتاب التعبير، باب المرأة السوداء، والترمذي (٢٢٩٠) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ، وابن ماجه (٣٩٢٤) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

(٢) المد من المكايل لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله. معجم مقاييس اللغة (٢٦٩/٥)، والصاع مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد يذكر ويؤث. لسان العرب (٢١٥/٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٩) كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ومده، ومسلم (١٣٦٠) كذب الحج، باب فضل المدينة.

(٤) من هذا الموضع حتى قوله: «وكان ذلك بناءه بها» ليس في رواية مسلم.

قال: اللهم اني أحرّم ما بين جبلَيْها، مثل ما حرّم به إبراهيم مكّة، اللهم بارك لهم في مدّهم وصاعهم^(١).

١٢ - «واني أدعوك للمدينة»:

عن أبي هريرة أنّه قال: كان الناس إذا رأوا أوّل النمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدّنا، اللهم ان إبراهيم عبدك وخليفك وبيك، واني عبدك وبيك، وإنّ دحّاك لمكّة، واني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكّة، ومثله معه»، قال: ثمّ يدعوا أصغر وليد له فيعطيه ذلك النمر^(٢).

١٣ - «لامرن بناقتي ثرحل»:

عن يحيى بن أبي إسحاق أنّه حدّث عن أبي سعيد مولى المهريّ، أنه أصابهم بالمدينة جهدٌ وشدة، وأنه أتى أبا سعيد الخدريّ فقال له: إني كثير العيال، وقد أصابتنا شدة، فأردت أن أنقل عيالي إلى بغضيّ الرّيف، فقال أبو سعيد: لا تفعل، الزم المدينة، فإنّا خرجنا مع نبيّ الله ﷺ - أظنّ أنّه قال: حتى قدّمنا عُسفان - فأقام بها ليالي، فقال الناس: والله ما نحن ها هنا في شيء، وإنّ عيالنا لخلوّف، ما نأمن عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما هذا الذي بلغني من حديثكم - ما أدري كيف قال - والذي أخلف به، أو والذي نفسي بيده لقد هممتُ أو إن يشئتم - لا أدري أيّتهما قال - لامرن بناقتي ثرحل، ثمّ لا أحلّ لها عُقْدَةً حتى أقدم المدينة»، وقال: «اللهم إن إبراهيم حرّم مكّة فجعلها حرماً،

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب الحج، باب فضل المدينة.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٣) كتاب الحج، باب فضل المدينة، والترمذي (٣٤٥٤) كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر، وقال أبو عبي: هذا حديث حسن صحيح.

وَأَنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْرَمَيْهَا^(١)، أَنْ لَا يَهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شُعْبٌ وَلَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانَهَا، حَتَّى تَقْدُمُوا إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «ارْزُقُوا» فَارْتَحَلْنَا، فَأَقْبَلْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَالَّذِي نَخْلِفُ بِهِ أَوْ يُخْلَفُ بِهِ - الشُّكُّ مِنْ حَمَادٍ - مَا وَضَعْنَا رِحَالَنَا حِينَ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى أَغَارَ عَلَيْنَا بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمَا يَهِيْجُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْءٌ^(٢).



١٤ - «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى»:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ: يَتْرُبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَّتَ الْحَدِيدِ»^(٣).

١٥ - «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي»:

عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِوَادِي الْعَقِيقِ^(٤) يَقُولُ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»^(٥).

(١) المأرم بهمة بعد الميم، ويكسر الزاي، وهو الجبل، وقيل المضيق بين الجبلين ونحوه، والأول هو الصواب هنا، ومعناه: ما بين جبليها. شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧٤) كتاب الحج، باب التَّغْيِبِ فِي سَكْنِ الْمَدِينَةِ.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧١) كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، ومسلم (١٣٨٢) كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها.

(٤) وإدعى بعد أربعة أميال من المدينة بعد البقيع.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٣٤) كتاب الحج، باب: قول النبي ﷺ: العقيق واد مبارك، =

كشعور أي غريب يفارق وطنه وأهله فراق المضطر كان شعور النبي وأصحابه أول قدومهم المدينة، أَلْهَمَ فراق مكة، وتفجرت مشاعر الغربة في نفوسهم.

يستوحش الصَّدِيقُ الرقيق ورفيقه بلال المدينة، وتؤرقهما ذكريات الوطن الحبيب في مكة، وتلح عليهما مراتع الصبا والشباب في بطحائها.

لقد فارقا الأهل، وأرغما على ترك الديار، إنهما الآن في قرية أخرى لم يعتادا بيتتها، ولم يألها أرضها ولم يستمرثا حُماها.

هاجتهما حمى المدينة، فانطلقت ألسنتهما تلهج بذكريات وديان مكة وإذخرها ومياها وجبالها، يتساءلان هل يدركهما الموت قبل أن يعودا لتلك الربوع، أو يمتع الله أعينهما برؤيتها مرة أخرى؟

كان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال ينشد إذا أفاق من الحمى:

أَلَا كَيْتَ شِفْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِسَوَادٍ وَخَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مَبَاةَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

ويشفق النبي ﷺ على أصحابه؛ فيرفع كفيه إلى السماء ويدعو ربه أن يرزقهم حب المدينة، وأن ينقل حماها إلى الجحفة.

قال ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها، فاجعلها بالجحفة».

وقد استجاب الله دعاء نبيه، فصارت المدينة أحب إلى قلوب النبي

= وأبو داود (١٨٠٠) كتاب المناسك، باب في الإقران، وابن ماجه (٢٩٧٦) كتاب المناسك، باب التمتع بالعمرة إلى الحج.

وأصحابه من أي مكان آخر، وصحح الله جَوْهاً بعد أن كانت بلد وباء، ونقلت حماها إلى الجحفة وهي موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل مصر الآن وكان أهلها - كما جاء في عمدة القاري: (يهودًا شديدي الإيذاء والعداوة للمؤمنين، فلذلك دعا عليهم، وأراد الخير لأهل الإسلام)^(١).

وفي الحديث التاسع يرى النبي في الرؤيا امرأة ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بالجحفة، ففسرها بأن وباء الحمى نقل من المدينة إلى الجحفة، وهو ما تحقق بعد دعاء النبي ﷺ.

وكما حَرَّمَ إبراهيم مكة ودعا لها - حرم النبي ﷺ كما جاء في الأحاديث العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر المدينة، ودعا لها بالبركة.

وجزم - كما جاء في الحديث الحادي عشر - بأن جبل أحد يحب المسلمين كما يحبونه، وتلك هي أسمى صور الحب، تلك التي يصير الجماد فيها كائناً حياً تتحرك المشاعر في ذراته، ويبادل محبيه الحب، ويهفو لرؤيتهم كما يتشوفون لرؤيته، ويتحدث إليه النبي ﷺ فيفهم عنه ويعي.

لقد بلغ حب الرسول وأصحابه للمدينة أن عشقوا أرضها وعشقتهم، فكان الرسول ﷺ يقول عن جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه».

وصعد النبي ﷺ جبل أحد - كما يروي البخاري وغيره - ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: «فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢).

ووصف الرسول ﷺ المدينة في الحديث الرابع عشر بأنها قرية تأكل القرى، أي تفتحها وتغلبها، وقد كره النبي تسميتها يثرب، قيل لأن الشرب

(١) عمدة القاري (٢١/٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذاً خليلاً.

هو (التوبيخ والملامة، أو من الثرب وهو الفساد، وكلاهما مستقبح)^(١).

كما ذكر ﷺ أنها تنفي وتبعد شرار الخلق عنها، كما تنفي النار خبث الحديد فيصير نقيًا خالصًا.

إنها طيبة الطيبة التي لا تقبل إلا الطيبين، ولا يتنفس هواءها خبيث، إنها تنفي عنها كل خبث، وتطهر نفسها من كل دنس.

ورد في موطأ مالك أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكى ثم قال: (يا مزاحم، أتخشى أن نكون ممن نفت المدينة)^(٢).

وقد شملت البركة أرض المدينة وما حولها من وديان وجبال كما ذكر في الحديث الخامس عشر إذ أمر النبي ﷺ أن يصلّي في وادي العقيق، وقيل له: «صلّ في هذا الوادي المبارك».



يقول النبي ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»، والأوامر «حب - صحح - بارك - انقل - اجمع»، غرضها الدعاء، وقُدِّم شبه الجملة الجار والمجرور «إلينا - لنا» للتخصيص، واسم التفضيل «أشد» ورد بلا مفضل عليه لإفادة العموم.

و«صاعها ومدّها» مجاز مرسل علاقته المحلية.

و«انقل حمّاها» نسبة الحمى إلى المدينة توحى بمدى ثقل الوباء وتغلغله بها.

وبشير الحديث التاسع إلى شدة الحمى وانتشار أذاها في رؤيا النبي ﷺ

(١) فتح الباري (٤/٨٧).

(٢) أخرجه مالك (١٥٧٥) (٢/٨٨٩)، كتاب الجامع، باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها.

للحمى في منامه كأنها امرأة سوداء نائرة الرأس؛ كما يشير إلى انتقال الحمى إلى الجحفة في قوله: «خرجت من المدينة حتى نزلت بمهية».

وقول النبي ﷺ: «فتأولتها أن وباء المدينة نقل» هو تأكيد على صدق رؤى الأنبياء وحتمية تحققها.

وفي الحديث العاشر يقارن النبي ﷺ بين تحريم إبراهيم عليه السلام لمكة ودعائه لها، وتحريمه هو للمدينة ودعائه لها؛ ليؤكد على حرمة المدينة وقديستها، ومزنتها العالية بين حواضر الإسلام باعتبارها المدينة الثانية الحرام بعد مكة.

وفي قول النبي ﷺ عن أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه» يأتي استخدام الجملة الاسمية مقصودًا لتأكيد الخبر، كما أن المضارع «يحبنا ونحبه» يفيد الاستمرار والتجدد، والراجع أن النبي لم يرد المجاز في حديثه عن حب الجبل للمسلمين، وإنما أراد الحقيقة، ويؤكد ذلك حديث أحد مع النبي وصحابته الثلاثة الذي سقته آنفًا، وحديث الجذع.

وكما استخدم النبي في حديثه عن المدينة ضمير الغائب: «في مدها وصاعها» «في مدهم وصاعهم» استخدم أيضًا ضمير المتكلم الجمعي: «في ثمرنا، في مدينتنا، في صاعنا، في مَدُنَّا» ليؤكد أنه ﷺ والمسلمين صاروا من أهل المدينة، وصارت المدينة وطنهم الأول.

وقوله ﷺ: «ما هذا الذي بلغني من حديثكم؟» استفهام انكاري.

والقسم في قوله ﷺ: «والذي أحلف به»، وقوله: «والذي نفسي بيده» كنياتان عن موصوف هو الله ﷻ.

والأول تأكيد على عدم جواز الحلف بغير الله، والثاني ترسيخ لحقيقة إيمانية هي أن الله وحده هو الذي يملك أرومة النفوس. والقسم الثاني كان أحب الأقسام إلى النبي ﷺ، وقد تكرر في أحاديثه أكثر بكثير مما تكرر غيره

من الأقسام.

قال ابن حجر: (والذي نفسي بيده: فيه تأكيد القول باليمين، فيكون أدعى إلى القبول وقد حُفظ عن النبي ﷺ الحلف به في أكثر من ثمانين موضعًا، قاله ابن القيم في الهدى^(١)).

«لقد هممت أو إن شئت» كلا التعبيرين يدل على أن النبي كان على وشك أن يعزم على الفعل لكنه لم يفعل. لكنَّ عزم النبي على الفعل ليس كعزم غيره، فهو أصدق البشر عزمًا. والعبارتان فيهما إشعار بغضب النبي مما قاله بعض الصحابة.

«لأمرن بناقتي فترحل» الفعل المضارع مصدر بلام القسم ومختوم بنون التوكيد، والفاء في «فترحل» للدلالة على السرعة، وهو تأكيد على صدق العزم.

«ثم لا أحل لها عقدة حتى أقدم المدينة» كناية عن الرحيل الدائم بلا توقف، وفي التعبير إحياء بشوق النبي ﷺ الشديد للمدينة الذي يفوق شوق أصحابه لها.

ويواصل رسول الله الدعاء للمدينة - كما فعل فيما سبق من أحاديث - فيدعو لها مرتين: «اللهم اجعل مع البركة بركتين»، ثم يقسم أنه «ما من المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها».

والشعب بكسر الشين هو الفرجة النافذة بين الجبلين، والنقب بفتح النون على المشهور الثقب في أي شيء، والمراد به هنا الطريق أو الموضع. وأراد الرسول ﷺ أن يستقصي كل موضع حول المدينة، وكل منفذ إليها.

والأسلوب أسلوب قصر أداتاه (ما) و(إلا): النفي والاستثناء، والغرض

(١) فتح الباري (٣٣٦/٥)، وانظر زاد المعاد (١/١٥٤)، (٣/٢٦٥).

منه الحصر والتوكيد.

وفي الحديث الرابع عشر يقول النبي ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى». يقولون يثرب، وهي المدينة». وفي قول الرسول ﷺ: «أمرت» ببناء الفعل للمجهول ما يدل على أن مهاجرة حدد له من قبل ربه، ولم يختره هو، ورد عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى عن النبي ﷺ: «ورأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب...»^(١).

«بقرية تأكل القرى» استعارة مكنية جعل النبي ﷺ فيها ظهور المدينة وسيطرتها على ما سواها من البلدان أكلاً لغيرها. نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: (هذا من فصيح كلام العرب، تقول العرب: أكلنا بلد كذا، إذا ظهوروا عليها)^(٢).

«يقولون يثرب»: في التعبير السابق ما ينم عن عدم رضا النبي عن هذا القول ويؤيده قوله ﷺ بعده: «وهي المدينة» وهو أسلوب قصر طريقه استخدام ضمير الفصل، وغرضه التوكيد والحصر.

«تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»: تشبيه تمثيل شبه النبي ﷺ فيه نفي المدينة لشرار الخلق بنفي زق الحداد لخبث الحديد، (والمراد أنها لا ينزل فيها من في قلبه دغل، بل يميزه عن القلوب الصادقة ويخرجه، كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده، ونسب التمييز للكير لكونه السبب الأكبر في إشعال النار التي يقع بها التمييز)^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم

(٢٢٧٢) كتاب الروا، باب رؤيا النبي ﷺ، وغيرهما.

(٢) فتح الباري (٨٧/٤).

(٣) عمدة القاري (٢٣٥/١٠).

قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آت من ربي».

الآتي هو جبريل أمين الوحي، وشبه الجملة «من ربي» صفة للآتي في محل رفع، وهي صفة تخلع على الآتي مزيداً من القدسية والجلال.

«فقال: صل في هذا الوادي المبارك»: الأمر بالصلاة في مكان محدد بيان لقدسيته، وعظيم بركته، والإشارة إلى الوادي للتعيين والتوكيد، ووصفه بالمبارك دليل على أن دعاء النبي للمدينة بالبركة قد استجيب.

«وقل عمرة في حجة»: يعني أن العمرة داخلية في الحج، وهو ما يسمي بالقران، وجاء في رواية أخرى للبخاري: «وقل عمرة وحجة» وأنشأ الاختلاف في الروایتين خلافاً بين الفقهاء في حقيقة حجة النبي ﷺ هل كانت تمتعاً أو قراناً.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل: (وهذا الحديث يحتج به الحنفيون؛ لأن القرآن عندهم أفضل، وقد أجبوا أن في بعض ألفاظه الصحيحة عمرة وحجة، على أن لفظة «في» قد تكون بمعنى مع، ثم هو محمول على معنى تحصيلهما جميعاً؛ لأن عمرة المتمتع واقعة في أشهر الحج^(١)).





غزوتا «بدر» و«أحد»

١٦- «لَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»:

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ^(١)، أَذْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَذْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَذْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»^(٢)، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَذْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَانْطَلِقْ»^(٣).



خرج المسلمون إلى بدر، قلة يربط بين قلوبها الإيمان، تهددها بالمحق كثرة من جحافل الكفر أتت مغرورة مستعلية تظن أنها قادرة على النصر لا محالة، وأنه آن الأوان لو أد هذه الفتنة، وإسكات هذا الصوت المزعج الذي هدد سطوتهم ومكانتهم بين العرب.

(١) حرة الوبرة: موضع على نحو أربعة أميال من المدينة.

(٢) هنا انتهت رواية الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم (١٨١٧) كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافرا، والترمذي (١٥٥٨) كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين، هل يسهم لهم؟

وكره بعض المؤمنين الخروج، وودوا لو أنهم سطوا على غير قريش، ولم يتندبوا للنفير، ولم يضطروا للقتال، لكن الركب مضى في طريقه إلى بدر بقيادة محمد ﷺ.

وفي ظل تلك الأحوال، وبينما المسلمون يجتاحهم الأمل والرجاء في النصر، وشيء من الخوف أن تهلك هذه العصابة المؤمنة - مضى النبي ﷺ رابط الجأش، واثقاً من عون الله وتأييده، بعزيمة صلبة لا تلين، ومبدأ لا تزغعه الأنواء، وعقيدة لا تؤثر فيها الحوادث.

ويضع الرسول ﷺ في الحديث السابق قاعدة في فقه الجهاد في الإسلام وهي أنه لا يجوز الاستعانة بالمشركين في الجهاد، فقد لحقه بحرة الوبرة وهو في طريقه إلى بدر - رجل من مشركي المدينة اشتهر بالشجاعة والجرأة حتى إن أصحاب الرسول ﷺ لما رأوه فرحوا بمقدمه، غير أن الرسول ﷺ سأله: «أتؤمن بالله ورسوله؟» قال: لا، قال: «فارجع؛ فلن أستعين بمشرك»، ثم لحقه بالشجرة فسأله ذات السؤال فأجاب بالنفي، فأمره بالرجوع، ثم لحقه بالبيداء فسأله كما سأله أول مرة: «أتؤمن بالله ورسوله»، قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق».

وهكذا نرى أن الرسول ﷺ رغم قلة عدد المسلمين وعدتهم رفض أن يستعين بمشرك على الجهاد في أول غزوة غزاها وهي غزوة بدر.

لكن من الثابت أيضاً أن رسول الله ﷺ استعان بصفوان بن أمية وهو ما يزال على الشرك في غزوة حنين، فكيف يُفسر هذا الأمر؟

قال الإمام النووي: (فأخذ طائفة من أهل العلم بالحديث الأول على إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به، وإلا فيكره، وحمل الحديثين

على هذين الحالين^(١).



قول الرسول ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله» استفهام بدون أداة يوحى بتركيز الرسول على قضية الإيمان بالله والرسول باعتبارها أول ما يطلب ممن يريد أن ينخرط في الجماعة المسلمة، ويشارك في سرائها وضرائها.

وقوله: «فارجع فلن أستمع بمشرك» فيه قطع لأمر الاستعانة بالمشركون لا يحتمل التردد، بدءاً من الأمر المبدوء بالفاء، ثم لن الدالة على النفي القاطع، إلى المضارع «أستمع» الدال على الاستمرار.

ومع تكرار عبارة «تؤمن بالله ورسوله» ثلاث مرات بدا أن الرجل مصمم على المشاركة في القتال، وبدا أن نفسه المتأرجحة بين الكفر والإيمان قد وصلت إلى لحظة الحسم باختيار الإيمان بالله ورسوله، ومن ثم كان أمر الرسول ﷺ المفتوح بالفاء «فانطلق».



١٧ - «إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ»:

عن مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي الْيَوْمَ مِنَ الْعَدُوِّ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ»، فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَقُولُ: يُعْطَاهُ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يُبَلِّ بِلَاثِي، فَبَيْنَمَا أَنَا إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: أَجِبْ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي شَيْءٍ بِكَلَامِي، فَجِئْتُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتَنِي هَذَا السَّيْفَ، وَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُ لِي فَهُوَ لَكَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَسْتَخْلِفُونَكَ عَلَىٰ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٩٨).

الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الأنفال: ١].^(١)



كانت الفرحة تملأ صدر سعد بن أبي وقاص بهذا النصر المؤزر على أعداء الله في بدر فهو يشعر أن الله شفى صدره من هؤلاء المجرمين الذين لم يرعوا في مسلم إلا ولا ذمة.

وكان سعد قد غنم يوم بدر سيفاً، فأتى به رسول الله ﷺ طالباً منه أن يهبه إياه، ولكن الرسول ﷺ لم يمنحه له؛ بل قال: «إن هذا السيف ليس لي ولا لك».

وأصيب سعد بشيء من الإحباط، وانصرف من عند الرسول وهو يشعر أنه قد غبن، وأن غيره ممن لم يُبَلِّ بلاءه في الحرب قد يُعْطَى هذا السيف، ولم تكن آيات الأنفال قد نزلت بعد، لتحسم الأمر في مسألة الغنائم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، استدعى رسول الله ﷺ سعداً، فأسرع مشفقاً أن يكون نزل في شأنه قرآن يتلى، فإذا الرسول ﷺ ينقله السيف قائلاً: «إنك سألتني هذا السيف، وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي فهو لك».



يبدأ الكلام بجملة اسمية مثبتة مؤكدة بـ(إن)، «إن هذا السيف ليس لي ولا لك». ثم ينفي الرسول ملكية السيف عن نفسه أولاً ليقطع طريق الهبة، ثم ينفي ملكيته عن سعد.

وتكرار النفي يؤكد أنه لا مجاملة في الحق، ولا تفريط في حقوق الله،

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٤٠) كتاب الجهاد، باب في النفل، والترمذي (٣٠٧٩) كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال.

فالنبي القائد لا يملك أن يهب سيفًا لخاله إلا أن يأذن الله.

فلما أذن للنبي استدعى سعدًا وقال له: «إنك سألتني هذا السيف، وليس هو لي ولا لك، وإن الله قد جعله لي فهو لك».

الجملة الأولى اسمية أيضًا مثبتة مؤكدة بـ(إن)، وجملة «وليس هو لي ولا لك» جملة حالية.

«فهو لك»: أسلوب قصر باستخدام الضمير المنفصل؛ بغرض الحصر والتوكيد.

وليس بخاف ذلك الإيقاع الجميل الهادئ بين الجملتين: «ولا لك»، «فهو لك»، وما أنشأه تكرار شبه الجملة «لك» من إحياء بتلك العلاقة الحميمة بين الرسول ﷺ وسعد.



١٨ - «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»:

عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعين وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقتلوا في طوي^(١) من أطواء بدر حيث مضى، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة ثلاث ليالٍ، فلما كان يدر اليوم الثالث أمر بإرجلته، فشد عليها رخلها، ثم مشى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا ليغضي حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسرُكم أنكم أطمعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» قال قتادة: أحياهم الله حتى

أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَضْغِيرًا وَنَقْمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا^(١).



يعرض الحديث لمشهد الانتصار العظيم في بدر، حين وضعت الحرب أوزارها، وأمر النبي ﷺ بإلقاء جثث أربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش في بئر خبيث من آبار بدر ليكون مثواهم إلى يوم البعث، ويصور نشوة المتصرين وهم يحملون جثث صناديد قريش الذين طالما آذوهم وعذبوهم، ليلقوها في تلك البئر كما أمر الرسول ﷺ.

وقد ورد في أحاديث أخرى أن قتل بدر من المشركين كانوا سبعين، فالراجح أن من ألقوا في القليب كانوا الرؤساء منهم، بدليل قوله: من صناديد قريش.

فلما أتم الرسول ﷺ ببدر اليوم الثالث - قيل لأنه كان إذا ظهر على قوم أقام في ساحتهم ثلاثة أيام من باب تتبع الفلول ومنع الأمداد وبث الرعب - أمر براحلته فجهازت، ثم مشى معه أصحابه إلى شفير البئر، ووقف وقوف الشاكر لنعمة ربه، الممتن لوعده الذي تحقق فكلّمهم وسألهم، كما يكلم الأحياء، ونادى الجثث التي جيفت بأسمائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان؟ أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟»، فاندھش عمر رضي الله تعالى عنه قائلاً للرسول ﷺ: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

ويثير هذا الحديث قضية صارت محلّ خلاف بين العلماء فيما بعد، وهي مسألة إحساس الميت بمن يزوره، وسماعه لما يوجه إليه من حديث.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل.

وفي المسألة ثلاثة آراء:

رأي يقطع بعدم سماع الميت لما حوله اعتماداً على قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُنْصِتُ إِلَيْهَا﴾ (النمل: ٨٠)، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (طه: ٢٢)، وحمل هؤلاء ما جاء في الحديث على أنه خاص بأولئك، ويؤكد ما جاء في ختام الحديث من قول قتادة: أحياءهم الله حتى أسمعهم قوله توبيحاً وتصغيراً ونعمة وحسرة وندماً.

ورأي يقرر أن الميت يسمع ما شاء الله له أن يسمع في أحوال مخصوصة بأن يحيه الله أو يحيي جزءاً منه ليعقل ويسمع في الوقت الذي يريده الله.

قال الإمام النووي: (قال المازري: قال بعض الناس: الميت يسمع، عملاً بظاهر هذا الحديث، ثم أنكره المازري، وادعى أن هذا خاص في هؤلاء، وردّ عليه القاضي عياض وقال: يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها، وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله هذا. وهو الظاهر المختار الذي يقتضيه أحاديث السلام على القبور، والله أعلم^(١)).

ورأي ثالث يؤكد أن الميت يشعر بما حوله، ويسمع في الجملة ما لم يعرض له عارض كما يعرض للأحياء، لكنه لا يملك الرد، ولا القبول أو الامتنال.



يخاطب النبي قتلى بدر فيقول: «يا فلان بن فلان»، ورغم أن روايات أخرى قد صرحت بالأسماء^(٢) إلا أن إهمال الراوي للأسماء والتكنية بفلان

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧/١٧).

(٢) مسلم في صحيحه (٢٨٧٤) وغيره.

ابن فلان تحمل ما تحمله من معاني التحقير والإهانة.

«أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله؟» استفهام إنكاري توبيخي فيه تقرير ولوم وتصغير، يعرّج بعده على إثبات وعد الله بالجملة الاسمىة المثبتة المؤكدة بـ(إن)، والخبر المؤكد بـ(قد).

«فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» استفهام تقريرى، وفيه أيضاً لوم وإهانة وبيان لسوء المصير.

«والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» القسم الذي يحبه النبي، ويكرره كثيراً، وفيه مطلق التسليم لأمر الله الذي يملك النفوس.

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» أسلوب قصر بضمير الفصل، والباء. وفيه توكيد قاطع للنفي.

«لما أقول» تقديم شبه الجملة (لما) للتخصيص، وشبه الجملة الجار والمجرور (منهم) متعلق بأسمع.



١٩ - «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا»

عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا لَمُ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ: «لَأُطْلَقْتُهُمْ لَهُ»^(١).



يضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم المثل في الوفاء لأصحاب الفضل، إذ لا ينسئ

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٩) كتاب الجهاد والسير، باب ما من النبي على الأسارى، وأبو داود (٢٦٨٩) كتاب الجهاد، باب في المن على الأسير بغير فداء.

من قَدَّم له معروفًا في أيام حالكة حين حوَّصر هو وأصحابه وأهله في شعب أبي طالب ثلاث سنين فلم يفرِّج عنهم كربة هذا الحصار إلا شهامة المطعم ابن عدي وآخرين.

كان المطعم بن عدي قد (مات كافرًا في صفر قبل بدر بنحو سبعة أشهر، وكان قد أحسن السعي في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في ألا يبايعوا الهاشمية والمطلبية، ولا يناكحوهم، وحصروهم في الشعب ثلاث سنين، فأراد النبي أن يكافئه، وقيل لما مات أبو طالب وخديجة خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، فلم يلتق عندهم خيرًا، ورجع إلى مكة في جوار المطعم^(١)).

صنَّف من الرجال الأفاضل يستحق أن يكافأ بما صنع، يتذكر الرسول ﷺ صنيعة، وهو يعاين أسرى بدر من المشركين، فيتمنى لو أن المطعم بن عدي كان حيًّا فكلمه في هؤلاء الأسرى فأطلقهم إكرامًا له.

وفيه ما يدل على أن للإمام أن يمنَّ على الأسارى بغير فداء، وفيه أن على المسلم أن يرد ما أسدي إليه من أيادٍ عند الاستطاعة، وإن كانت من غير المسلم.



يقول النبي: «لو كان المطعم بن عدي حيًّا، ثم كلمني في هؤلاء التني لركتهم له».

استخدام (لو) يفيد استحالة التحقق، فهو من قبيل التمني، واختيار المطعم ابن عدي دون غيره من عظماء قريش في الجاهلية فيه تكريم لشخصه ووفاء لبلده.

ووصف النبي ﷺ لأسرى قريش بالتني فيه غاية التحقير لهم والإقلال

من شأنهم لا لأشخاصهم، ولكن لشركهم، ومحاربتهم لله ورسوله.

«لتركهم له» وفي رواية أبي داود: «أطلقتهم له».

والفرق بين الترك والإطلاق أن الترك يكون لشيء لا تجتهد غالباً في المحافظة عليه وحبسه، ولا يكون في تركه جهد ولا كبير معروف.

بينما الإطلاق لا يكون إلا لمحجوس أو مأسور، ويكون تسريحه معروفاً يسدي، ومنه تؤدى؛ ولذلك تبدو الرواية الثانية أقرب للمعنى المراد.



٢٠- «فلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»:

عن أبي إسحاق، سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما يحدث، قال: جعل النبي ﷺ على الرجال يوم أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ، فقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَحْطِفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَرَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ»، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسُوفُهُنَّ رَافِعَاتٍ يَتَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيْمَةُ، أَيُّ قَوْمٍ الْغَنِيْمَةُ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنْتَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصَيِّبَنَّ مِنَ الْغَنِيْمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَرِمِينَ^(١) ... الحديث.



يُتَلَى المسلمون في غزوة أحد بأعظم محنة، حين عصى بعضهم رسول الله ﷺ، وخالفوا أوامره، وحرصوا على متاع الدنيا، فغادروا مواقعهم دون

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وأبو داود (٢٦٦٢) كتاب الجهاد، باب في الكُفَاءِ.

إذنه ﷺ.

والحديث يصور فرح المسلمين بالنصر بادئ الأمر، والمشركون ينهزمون، ونساء المشركين يمعنّ في الهرب خشية الوقوع في الأسر، فلا يفظنّ لثيابهن المتكشفات من شدة الذعر، قد بدت خلاخلهن وسوقهن، وهن رافعات ثيابهن.

ويفضّل موقف الرّجاله حين ظنّوا أن مصير المعركة قد حُسم لصالح المسلمين، وأنه لا بأس عليهم إن غادروا مواقعهم ليصيبوا من الغنيمة مع رفاقهم، ولم يسمعوا لتحذير أميرهم عبد الله بن جبير، وتذكيره لهم بما أمر به رسول الله ﷺ، فتركوا مواقعهم، فأتتهم الهزيمة من حيث لا يحتسبون، وأمعن الكفار فيهم قتلاً وجرحاً.

وفي الحديث ما لا يخفى من الدروس والعبر أبرزها أنه لا مناص من طاعة القائد في المعركة، وتنفيذ أوامره بكل دقة، وأن المقاتلين في المعركة يمثلون منظومة واحدة متعددة الأركان إذا اختل منها ركن واحد عاد ذلك بالوبال على الجيش كله.

وفيه حنكة رسول الله ﷺ العسكرية، وبصره بمواقع القتال، وإدارة المعركة، وفنون الكر والفر.



قال النبي ﷺ موجّهاً حديثه للرماة الرّجاله: «إن رأيتمونا تخططنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم».

«تخططنا الطير» كناية عن الهزيمة الماحقة، قال الداودي: (معناه إن قتلنا وأكلت الطير لحومنا فلا تبرحوا مكانكم)^(١)، والإشارة إلى المكان في قوله

«مكانكم هذا» للتأكيد على أهمية المكان، وخطورة مغادرته.

«وان رأيتمونا هزمتا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم».

«وأوطأناهم» قال ابن التين: يريد مشينا عليهم وهم قتلنى على الأرض، وقال الكرمانى: (الهمزة في أوطأناهم للتعريض أي جعلناهم في معرض الدوس بالقدم)^(١)، فهي كناية عن الهزيمة الموجهة.

ولا يخفى ما في تكرار جملة «فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» في الحالين من نصر أو هزيمة - من تشديد في النهي عن مغادرة المكان الذي حدده الرسول ﷺ.



٢١ - «لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا»:

عن أنس بن مالك - المَعْنَى - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ، حَتَّى يُخَشَّرَ مِنْ بَطُونِهَا، وَقَلَّتِ الثِّيَابُ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى، فَكَانَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ».

زَادَ قُتَيْبَةُ: ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُهُمْ قُرْآنًا؟ فَيَقْدُمُهُ إِلَى الْقَبْلَةِ^(٢).



يمرُّ رسول الله ﷺ على عمه وأخيه في الرضاع حمزة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ويرى عمه صريعاً قد مُثِّلَ به، فيقف على جثمانه وقد شَفَّه

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٣٦) كتاب الجنائز، باب في الشَّهِيدِ يُغَسَّلُ، والترمذي (١٠١٦)

كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتل أحد وذكر حمزة.

الحزن والألم، كاظمًا غيظه، مشفقًا على عمته أخت حمزة، إنه يحب حمزة كما تحبه، لذلك كان يرجو أن يتركه لتأكله السباع، فيبعث يوم القيامة من بطونها، ليكون ذلك أبلغ له في الأجر، وأرفع في المنزلة، لكنه لم يفعل إكرامًا لها، ومراعاة لحزنها.

ويؤكد الحديث على شدة مصاب المسلمين في أحد، إذ بلغ عدد شهدائهم السبعين، ولم يكن عندهم ما يكفي من الثياب لتكفين هؤلاء جميعًا، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفون في الثوب الواحد.

روى البخاري وغيره عن خباب رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوجب أجرا على الله، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئًا، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه، فقال النبي ﷺ: «غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجله الإذخر»، ومنا من أينعت ثمرته فهو يهدبها^(١).



قال رضي الله عنه: «لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية، حتى يحشر من بطونها».

«لولا أن تجد الفعل وجد له عدة معان منها: وجد الشيء يجده أي حصَّله، ويقال: وجدت في المال أي صرت ذا مالٍ، ووجد عليه أي غضب، ووجد به وجدًا في الحب، يقال: إنه ليجد بفلانة وجدًا إذا كان يهواها، ووجد الرجل في الحزن وجدًا أي حزن^(٢)».

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٢) كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، ومسلم (٩٤٠) كتاب الجنائز، باب في كف الميت.

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦).

والمعنى الأخير هو المراد في الحديث.

«لتركته حتى تأكله العافية» والعافية من الدواب والطيور طلاب الرزق تقع على الجيف فتأكلها، وتجمع على العوافي، (وقد تقع العافية على الجماعة)^(١).
والجملة كناية عن الرغبة في عدم الدفن، حباً في حمزة، ورجاء له في تمام الأجر عند الله.



٢٢ - «أنا شهيدٌ على هؤلاء»:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بين الرَّجُلَيْنِ من قَتَلَى أَحَدٍ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمُ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟» فإذا أُشِيرَ له إلى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ، وقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء يومَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ في دِمَائِهِمْ، ولم يُعْسَلُوا، ولم يُصَلَّ عَلَيْهِمْ^(٢).



يقف رسول الله ﷺ على جثامين شهداء أحد، ويقدم أكثرهم أخذاً للقرآن في اللحد، ويأمر بدفنهم بلا غسل ولا صلاة.
ويخيم الحزن النبيل على معسكر المسلمين وهم يدفنون قتلاهم، وقد عزَّتْ الأكفان حتى صار الثوب الواحد يجمع الرجلين والثلاثة.
أي أسوأ عظيم كان يعصف بقلب النبي وهو يشرف على تكفينهم، ويقول: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة».

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٢٦٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٣) كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، وأبو داود (٣١٣٨) كتاب الجنائز، باب في الشهيد يُعْسَلُ، والنسائي في المجتبى (١٩٥٥) كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة عليهم.

كلمات لا ترد من قضى نحبه، لكنها تعظم فيه العزاء.



سأل النبي ﷺ وهو يدفن القتلى: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» وعبارة: «أكثر أخذًا للقرآن» كناية عن كثرة الحفظ وقيل: إن معنى ثوب واحد: قبر واحد إذ لا يجوز تجريدتهما بحيث تتلاقى بشرتاها^(١)، ويدفع هذا ما جاء في الحديث السابق من النص على التكفين في الثوب الواحد، وهو قول الراوي: «وقلت الثياب، وكثرت القتلى، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يكفون في الثوب الواحد»^(٢).

ورأى ابن تيمية أنَّ المراد بذلك أنَّ (يقسم الثوب الواحد بين الجماعة، فيكفن كل واحد ببعضه للضرورة، وإن لم يستر إلا بعض بدنه)^(٣).

وكان الرسول ﷺ يقول وهو يدفنهم: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة». «أنا شهيد» قصر باستخدام الضمير المنفصل، و«شهيد» صيغة مبالغة، أراد أنه ضامن وشفيع لهم عند ربهم يوم القيامة جزاء ما قدموا من تضحية بدمائهم في سبيل دينهم، ولذلك أمر بدفنهم في دمائهم ليكون ذلك أبلغ في الشهادة.



(١) عمدة القاري (٨/ ١٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٣٦)، والترمذي (١٠١٦).

(٣) عمدة القاري (٨/ ١٥٤)، وهون المعبر (٨/ ٢٨٥).

مواقف في المدينة

٢٣ - «اعلموا أن الأرض لله ورسوله»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِذْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَادَاهُمْ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا»، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ: «ذَلِكَ أُرِيدُ»، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ثُمَّ قَالَ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاغْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١).



أعلن اليهود أهل النفاق والشقاق - منذ دخول النبي ﷺ المدينة - الحرب على الله ورسوله، ونقضوا عهودهم مع المسلمين، ووصل بهم الغدر إلى محاولة اغتيال الرسول ﷺ.

فلما استقر عزمه ﷺ على إخراجهم، لم يعاملهم كما عاملوه، وإنما أبى نبل خلقه وكريم سجاياه أن يباغتهم، فذهب إليهم يذرهم بالخروج، ويمهلهم حتى يتصرفوا في أموالهم.

ولم يكن النبي ﷺ حين دخل المدينة ينوي إخراج اليهود منها، بل جاء في وثيقة المدينة التي وضعها ما ينص على أنهم من مواطنيها، لهم ما لأهلها،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٤) كتاب الإكراه، باب في بيع المكروه، ومسلم (١٧٦٥) كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود، وأبو داود (٣٠٠٣) كتاب الخراج والأمانة والفتى، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.

وعليهم ما على أهلها، غير أنه بعدما لقي منهم من عداء سافر ومكر وغدر ونفاق اضطر إلى قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وعزم على إخراج اليهود جميعاً من المدينة، ومن جزيرة العرب قاطبة حتى لا يبقى فيها إلا دين واحد.

فخرج يوماً مع أصحابه إلى بيت المدراس، وهو البيت الذي يدرس اليهود فيه التوراة، وهناك ناداهم قائلاً: «يا معشر يهود: أسلموا تسلموا»، وكررها ثلاثاً وهم في كل مرة يقولون: قد بلغت أبا القاسم، وهو يقول: «ذلك أريد».

ثم أخبرهم أن الأرض لله ولرسوله، وأنه يريد أن يجليهم، فمن استطاع منهم أن ينجو بماله فليفعل.



ويتضح جلياً في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان متعجباً، وكان حازماً غاية الحزم وهو يأمر أصحابه: «انطلقوا إلى يهود»، فلم يعد ثمة مجال للصبر على كيدهم وخيانتهم، ويؤيد ذلك هذا الإنذار شديد اللهجة: «يا معشر يهود، أسلموا تسلموا».

السلامة في الإسلام، وفي الكبر والعناد والكفر الهلكة والندامة.

واستخدم النبي ﷺ كلمة: «يهود» بدون (أل) ليفيد العموم، وهو اسم للقبيلة، ولذلك جاء غير منصرف للعلمية والتأنيث، قال الشاعر:

أولئك أولى من يهود بمدحٍ إذا أنت قلتها يوماً لم تُؤنَّب^(١)

قال سيويه في كتابه: (هذا باب ما لم يقع إلا اسماً للقبيلة، كما أن عمان لم يقع إلا اسماً لمؤنث، وكان التأنيث هو الغالب عليها، وذلك مجوس

(١) لسان العرب (٣/٤٣٩).

ويهود^(١).

و«أسلموا تسلموا» فيه جرس موسيقي لطيف ناشئ عن الجناس الناقص، والأمر وجوابه المجزوم تعبير في غاية الإيجاز والشمول يقطع كل مجال للجدال والتحايل الذي هو من شأن اليهود، ويلخص الفعل والنتيجة اللذين لا بديل لهما، ولذلك يكرره الرسول ثلاثاً لتصل الرسالة واضحة.

ثم يختم الرسول بعد ذلك بقراره الذي أراد أن يبلغه يهود، وهو أنه سوف يجليهم فيقدم لذلك بقوله: «اعلموا أن الأرض لله ورسوله» بيان قاطع يخلع قلب العدو المتوجس، ويوحى بما سترتب عليه.

«واني أريد أن أجليكم» استخدم الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بـ(إن)، وأتبعها بالمصدر المؤول دون الصريح: «أن أجليكم» لمزيد من التوكيد والعزم.

«فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه» قال ابن حجر:

(«فمن وجد» كذا هنا بلفظ الفعل الماضي، «بماله شيئاً» الباء متعلقة بشيء محذوف، أو ضَمَّنَ وَجَدَ معنى: نَحَلَ، فعَدَّاه بالباء، أو وجد من الوجدان، والباء سببية أي: فمن وجد بماله شيئاً من المحبة، وقال الكرمانى: الباء هنا للمقابلة، فجعل وجد من الوجدان)^(٢).

والمعنى الأخير أقرب إلى المعنى المراد، وأوفق للسياق.

«والأفاعلموا أن الأرض لله ورسوله» تكرار للبيان القاطع الذي بدأ به ﷺ عبارته الأخيرة على سبيل التوكيد، ولا يخفى ما في (إلا) من معاني التهديد

(١) كتاب سيويه (٣/ ٢٥٤)، ونسب سيويه البيت إلى امرئ القيس، بينما نسب المعافى بن زكريا إلى كعب بن مالك يؤنب العباس بن مرداس السلمي في مدحه قريظة، ويشير إلى أن مدحه للانصار أولى. المجلس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافى (١/ ٤٦٨).

(٢) فتح الباري (٣١٨/ ١٢).

والوعيد.



٢٤ - «إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك»:

عن البراء بن عازب قال: مروا على رسول الله ﷺ يهودي قد حُمِمَ وجهه، وهو يطافُ به، فنأشدهم: «ما حد الزاني في كتابهم؟» قال: فأخالوه على رجل منهم، فنشدته النبي ﷺ: «ما حد الزاني في كتابكم؟» فقال: الرجم، ولكن ظهر الزني في أشرافنا، فكرهنا أن يترك الشريف، ويقام على من دونه، فوضعنا هذا عنا، فأمر به رسول الله ﷺ، فرجم، ثم قال: «اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك»^(١).



مر اليهود على رسول الله ﷺ يهودي زان قد سود وجهه ولطح، فسألهم: ما حد الزاني في كتابهم؟ فأخالوه على أحد أبحارهم فسأله فقال: الرجم. وبرر الرجل الإعراض عن الرجم والاكتفاء بالتحميم بظهور الزني في أشرافهم، فكرهوا - كما يدعون - أن يقام الحد على الضعفاء ويترك الشرفاء، فوضعوه عنهم.

اعتراف واضح من أبحار اليهود بتحريف التوراة والخروج على أحكامها، بالإعراض عن حد الرجم، والاكتفاء بالتحميم.

فما يزال اليهود يؤكدون ما وصفهم به الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠) كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزني، وأبو داود (٤٤٤٧) كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، واللفظ له، وابن ماجه (٢٥٥٨) كتاب الحدود باب رجم اليهودي واليهودية.

مُسَمَّعٌ... ﴿[النساء: ٤٦].﴾

والرسول ﷺ يغضب لانتهاك حدود الله ويأبى إلا أن تقام بغير تغيير ولا تحريف؛ ولذلك لم يقبل من اليهود أن يغيروا ويحرفوا في حدود الله، وأمر بأن يقام الحد على ذلك اليهودي قاتلاً في عزة: «اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك».



ورد سؤال النبي ﷺ لليهود عن حد الزاني في الحديث بصيغتين: الأولى: «ما حد الزاني في كتابكم؟»، والثانية: «ما حد الزاني في كتابكم؟».

ويبدو في الصياغة الأولى أن الراوي (وهو البراء بن عازب) كان يحكي سؤال رسول الله ﷺ بداية، كأنه أراد: فناشدهم عن ماهية حد الزاني في كتابهم. ثم نقل نص سؤال النبي ﷺ في الثانية لليهودي: «فشد النبي: ما حد الزاني في كتابكم؟» والسؤال ليس للمعرفة والاستفهام، وإنما هو لتقرير الحقيقة، أو كما قال النووي: (لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم)^(١)، فلا شك أن النبي ﷺ كان يعلم حكم الله في الزاني في التوراة، لكنه أراد أن يقرأ به ليكون حجة عليهم، وبياناً لما أحدثوه في حدود الله من تحريف.

ولذلك أشهد النبي ربه على ذلك قاتلاً: «اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك»، وفي تعبير النبي ﷺ تشبيه للشرائع والحدود بالكائنات الحية التي أُميتت ثم أعادها الرسول ﷺ إلى الحياة تارة أخرى.

وفي ذلك التصوير إحياء بشدة الجرم الذي ارتكبه اليهود في حق أحكام الله، وعظيم فضل النبي ﷺ بإحياء ما أماتوا.

ولم يرد النبي ﷺ بقوله: «اللهم إني أول من أحيا» الافتخار أو المن،

(١) شرح النووي (٢٠٨/١١).

فليس هذا بخلقه، وإنما أراد التقرب إلى الله بذلك الفعل، وضرب المثل والقدوة لأمته من بعده.



٢٥ - «قد كنت أنهاك عن حب يهود»:

عن أسامة بن زَيْدٍ قال: خَرَجَ رسول الله ﷺ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ، قَالَ: «قد كنت أنهاك عن حُبِّ يَهُودَ»، قَالَ: فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ أَسْعَدُ بنُ زُرَّارَةَ فَمَهْ، فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي قَدْ مَاتَ، فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنُهُ فِيهِ، فَتَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(١).



ذهب الرسول ﷺ يعود عبد الله بن أبي المنافق في مرض موته، فلما عرف فيه الموت قال له: «قد كنت أنهاك عن حب يهود»، وفي رواية أنه قال له: «أهلكك حب يهود»، فقال: يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي، ولم أرسل إليك لتوبخني^(٢).

ثم قال عبد الله بن أبي: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمه.

أي قد أبغضهم أسعد بن زرارة - وهو من سادة الأنصار - (فماذا حصل له ببغضهم، فالهاء منقلبة عن الألف، وأصله فما، أو هو اسم فعل بمعنى اسكت، وكأنه يريد أنه لا يضر، ولا ينفع ببغضهم، ولو نفع ببغضهم لما مات أسعد بن زرارة)^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٩٤) كتاب الجنائز، باب في العيادة.

(٢) فتح الباري (٨/٣٣٤).

(٣) عون المعبود (٨/٢٤٨).

وفي رواية لأحمد وغيره: «فقد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات»^(١).

ظن عبد الله بن أبي - لسوء رأيه وقلة فهمه - (أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص عنه)^(٢).

ومع ذلك فإن النبي ﷺ لما أتاه عبد الله بن عبد الله بن أبي بعد موت والده يطلب قميصه ليكفن فيه أباه - نزع رسول الله ﷺ قميصه وأعطاه إياه.

وتلك هي أخلاق الرسل التي يزينها الحلم والتسامح والصفح، فالرجل الذي حارب رسول الله ﷺ علانية أحياناً، وخفية في كثير من الأحيان، ووصل به الأمر إلى أن طعن رسول الله ﷺ في عرضه - يحضره مرض الموت، فيذهب إليه سيد الرسل ليزوره، ويستغفر له.

بل إنه ﷺ في رواية للبخاري والترمذي صَلَّى عليه، فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبي لما تُوفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلَّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه، فقال: «أذنني أصلي عليه»، فأذنه فلما أراد أن يصلي عليه، جذبته عمر رضي الله عنهما فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين، فقال: «أنا بين خيرتين»، قال: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ...﴾ [التوبة: ٨٠] فصللي عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِيكَ بِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]^(٣).

وفي رواية أخرى للبخاري عن جابر قال: (أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن، فأخرجه، فنفت فيه من ريقه، وألبسه قميصه)^(٤).

(١) مستد أحمد (٢٠١/٥).

(٢) عون المعبود (٢٤٨/٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٦٩) كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يُكفُّ أو لا يكفن، ومن كفن بغير قميص، والترمذي (٣٠٩٧) كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٧٠) كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يُكفُّ أو لا =

فأي قلب كبير ذلك؟! وأي نفس سامية تلك؟!



قول النبي ﷺ لعبد الله بن أبيي وهو على فراش الموت: «قد كنت أنهاك عن حب يهود» صُدِّرَ بحرف التحقيق (قد) للتوكيد، وأعقبه النبي ﷺ بالفعل الماضي الناسخ (كان) المسند إلى تاء الفاعل؛ ليقرر أن النصيحة كانت مباشرة، ثم استخدم المضارع «أنهاك» ليدل على تكرارها واستمرارها.

والنهي عن مجرد الحب - وهو شعور قلبي - يدل على إثم ما يستتبعه من انحياز، أو تأييد، أو نصرة بالقول أو بالفعل.

وفي العبارة إحياء باللوم والتأنيب، وإشارة إلى سوء خاتمة ابن أبيي لفداحة صنيعه، ولعصيانه لرسول الله ﷺ، وموالاته لأعداء الله.



٢٦ - «إِلَّا أَذْلُكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ - أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَشْرَفَ النَّاسَ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَذْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَذْعُونَ سَمِيمًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»، وَأَنَا خَلَفَ دَابَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِلَّا أَذْلُكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

- يكف، ومن كفن بغير قميص.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٢) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وأبو داود - مختصراً -

في الطريق إلى غزو خيبر أشرف الناس - كما يعرض الحديث - على وادٍ فصاروا يرفعون أصواتهم بالتكبير والتهليل، فأراد الرسول ﷺ أن يعلمهم درساً في الذكر، فقال لهم: «اربعوا على أنفسكم» أي ارفعوا بأنفسكم ولا تبالغوا في رفع الصوت، «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم».

وكان صحابة رسول الله ﷺ أسرع الناس إلى طاعته والامتثال لأمره، والمبادرة إلى تلبية نداءه، وفدائه بكل نفيس وغال.

كان عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعري - خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعه النبي ﷺ وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فأراد أن يهبه شيئاً، فناداه، فقال عبد الله: ليك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة»، قال عبد الله: بلى يا رسول الله، فذاك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»؛ أي إنها (كالكنز في كونه أمراً نفيساً مدخراً مكنوناً عن أعين الناس، وهي كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى)^(١)، تعبر عن التوحيد الخفي؛ ولذلك كانت لها هذه المنزلة العالية والدرجة المخصوصة عند الله ﷻ.



وجّه النبي ﷺ أصحابه الذين كانوا يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير وهم مشرفون على خيبر قائلاً: «اربعوا على أنفسكم».

«اربعوا» الأصل في مادته: (ربع يربع: إذا وقف وتحبس، وفي حديث شريح: «حدّث امرأة حديثين فإن أبت فأربع»، قيل فيه: بمعنى قف واقتصر، يقول: حدثها حديثين فإن أبت فأمسك ولا تتعب نفسك، ومن قطع الهمزة

= (١٥٢٦) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار.

(١) عمدة القاري (١٢/٢٣).

قال: فأربع^(١).

وفي عمدة القاري ما يؤكد أنه بكسر الهمزة وفتح الباء قال: (قوله: «أربعوا» بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة، أي ارفقوا بأنفسكم)^(٢)، وفي موضع آخر نصّ على أن في المسألة خلافاً فقال: (وحكى ابن التين أنه وقع في رواية بكسر الباء، وأنه في كتب أهل اللغة وبعض كتب الحديث بفتحها، قلت: الفتح هو الصحيح؛ لأنه من الكلمة التي في لام فعلها حرف حلق، ولا يجيء مضارعه إلا بفتح عين الفعل)^(٣).

والراجح الموافق للاستعمال أن همزته موصولة مكسورة، وأنه مفتوح الباء، إذ ما زالت هذه الكلمة تستعمل في لهجة بعض قرى محافظة الشرقية، وفي قرىتي «القرين» على وجه التحديد، وما جاورها من قرى مركز أبي حماد، يقولون لمن أوشك أن يخاطر بنفسه: إربع بفتح الباء، يعني تمهل وتوقف، ويقولون لمن هو على أهبة السفر: أربع على روحك. أي حافظ على نفسك وصنها.

«إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميماً قريباً، وهو معكم»

نفى رسول الله ﷺ عن الله ﷻ الصمم والغيبة ليثبت له السمع والقرب وفي التعبير مقابلة تؤكد المعنى.

فإن قيل: لم لم يقل: أصم ولا أعمى، وفي المقابل: سميماً بصيراً، وهو المراد من المعنى - يجيئنا الكرمانى كما جاء في عمدة القاري بكلام نفيس يقول فيه: (الأعمى غائب عن الإحساس بالبصر، والغائب كالأعمى في عدم رؤية المبصر، فنفى لازمه ليكون أبلغ وأعم، وزاد القريب، إذ رب سامع

(١) لسان العرب (٨/١١٠).

(٢) عمدة القاري (٢٣/١٢).

(٣) السابق (٩٢/٢٥).

وباصر لا يسمع ولا يبصر لبعده عن المحسوس، فأثبت القريب لتبيين وجود المقتضى وعدم المانع^(١).

«وهو معكم» أسلوب قصر استخدم ضمير الفصل الغائب، وهو تأكيد للجملـة السابقة.

ثم دعا النبي ﷺ أبا موسى الأشعري فقال له: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟».

«ألا أدلك؟» الاستفهام للترغيب والتحريض والتشويق. و«كلمة» مجاز مرسل علاقته الجزئية، و«من» الأولى للبيان، والثانية للتبعيض.

وفي التعبير تشبيه للكلمة بالكنز في خفاء نفاستها، وعظيم قيمتها، كما أن إضافة الكنوز إلى الجنة يزيد من الإحساس بتفردھا، وجلال محتواھا.

«لا حول ولا قوة إلا بالله»: الحول: الحيلة وهو أيضًا القوة، جاء في تاج العروس:

(والحول والحيلة والقوة واحد، وفي الحديث «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كنز من كنوز الجنة»، قال أبو الهيثم: الحول هنا الحركة، والمعنى: لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالى)^(٢).

فعلى هذا يكون التعبير: «لا حول ولا قوة» استقصاء في نفي كل معنى من معاني القوة والحيلة عن غير المولى ﷺ.



٢٧ - «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس^(٣)، وأشجع الناس، ولقد

(١) عمدة القاري (٢٥/٩٢).

(٢) تاج العروس (٢٨/٣٨٢).

(٣) زاد مسلم: «وكان أجود الناس».

فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ^(١)، وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ^(٢)، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِي^(٣)، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا»^(٤)، ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا» أَوْ قَالَ: «إِنَّهُ لَبَحْرٌ»^(٥).



كان أهل المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليهم مهددين من أعداء كثير، وكانوا يتوقعون أن يفجأهم بعض هؤلاء الأعداء بهجوم مباغت، فهم دائماً على حذر، إذا سمعوا هيعة أو صيحة فزعوا يستطلعون الأمر، وأسرعوا يستبرئون الخبر.

ويستيقظ أهل المدينة ذات ليلة على صوت وجلبة، فيخرجون لاستطلاع الأمر فيجدون النبي ﷺ قد سبقهم، سمع ما سمعوا، وأهمه ما أهمهم، فاستبرأ الخبر، وعلم أن لا خطر، فلقيهم عائداً وهو على فرس لأبي طلحة بلا سرج - ولا يركب الفرس العري إلا الفارس المعلم - والسيف في عنقه، وهو يقول لهم: «لم تراعوا، لم تراعوا».

وباستمتاع الفارس بفرسه، وتلذذه بركوبه، وإعجابه بخلقه قال: «وجدناه بحرًا» أو «إنه لبحر» أي واسع الجري.

(١) في رواية مسلم: «فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ».

(٢) عند مسلم: «راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت».

(٣) زاد ابن ماجه: «ما عليه سرج».

(٤) في رواية ابن ماجه: «لن تراعوا»، يردهم.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٠٨) كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف، ومسلم

(٢٣٠٧) كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، وابن ماجه

(٢٧٧٢) كتاب الجهاد، باب الخروج في النفير.

وزاد مسلم في روايته: «قال: وكان فرساً يُطَّا»، وانفرد ابن ماجه بزيادة جاء فيها: «كان

فرساً لأبي طلحة يُطَّا فما سبقَ بَنَدَ ذلك اليوم».

ذلك تمكّن الفارس، وإقدام الواثق، ونخوة الأبي، ونجدة المستغيث.



قال النبي ﷺ لأصحابه يهدئ من روعهم: «لم تراعوا، لم تراعوا».

والمعنى: لا تراعوا أي لا تفزعوا، لكن النفي بلم أبلغ وأوكد، والتكرار للتوكيد، أو أن النبي كلّم قومًا عن يمينه ثم كلّم قومًا عن يساره.

قال المباركفوري صاحب تحفة الأحوذى: (وأنتى بصيغة الجحد، وكأنه ما وقع الروع والفرع قط. «لم تراعوا»: كرهه تأكيدًا، أو كُِّلَّ لخطاب قوم عن يمينه ويساره^(١)).

ثم وصف النبي الفرس الذي كان يركبه فقال: «وجدناه بحرًا» أو قال: «إنه لبحر»، وكلاهما استعارة تصريحية شبه فيها الفرس بالبحر في الجري المنساب المتدفق، والثانية أبلغ لاستخدام ثلاث مؤكدات هي الجملة الاسمية المثبتة، وإن، واللام.

وفي التعبير إشارة إلى فروسية النبي، وخبرته في ركوب الخيل، ومعرفته بصفات وأخلاقياتها.



٢٨ - «لَنَا غَنَمٌ مِائَةٌ لَا نُزِيدُ أَنْ تَزِيدَ»:

عن عاصم بن لقيط بن صبرة، عن أبيه لقيط بن صبرة، قال: كنت وإفد بني المُستَفِقِ أو في وفد بني المُستَفِقِ إلى رسول الله ﷺ، قال: فلما قَدِمْنَا عَلَى رسول الله ﷺ فلم نُصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ، وَصَادَفْنَا عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَأَمَرْتُ لَنَا بِخَزِيرَةٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا، قَالَ: وَأَتَيْنَا بِقِنَاعٍ، وَلَمْ يَقُلْ قُتَيْبَةُ الْقِنَاعِ،

(١) تحفة الأحوذى (٢٧٥/٥).

وَالْفِتَاقُ: الطَّبَقُ فِيهِ تَمَرٌ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا أَوْ أَمَرَ لَكُمْ بِشَيْءٍ؟» قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَيْنَا نَخْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ إِذْ دَفَعَ الرَّاعِي غَنَمَهُ إِلَى الْمُرَاحِ، وَمَعَهُ سَخْلَةٌ تَبَعْرُ، فَقَالَ: «مَا وَلَدَتْ يَا فُلَانُ؟» قَالَ: بِهَمَّةٍ، قَالَ: «فَإَذْبَحْ لَنَا مَكَانَهَا شَاةً»، ثُمَّ قَالَ: «لَا تَحْسِبَنَّ - وَلَمْ يَنْقُلْ لَا تَحْسِبَنَّ - أَنَا مِنْ أَجْلِكَ ذَبَحْتُهَا، لَنَا غَنَمٌ مِائَةٌ لَا تُرِيدُ أَنْ تُرِيدَ، فَإِذَا وَلَدَتْ الرَّاعِي بِهَمَّةٍ، ذَبَحْنَا مَكَانَهَا شَاةً»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي امْرَأَةً، وَإِنَّ فِي لِسَانِهَا شَيْئًا، يَعْنِي الْبَدَاءَ، قَالَ: «فَطَلِّقْهَا إِذَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَهَا صُحْبَةً، وَلِي مِنْهَا وَلَدٌ، قَالَ: «فَمُرْهَا - يَقُولُ: عِظْهَا - فَإِنَّ يَكُ فِيهَا خَيْرٌ فَتَعْمَلْ، وَلَا تَضْرِبْ ظَعْمَتَكَ كَضْرِبِكَ أُمَيْتِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ، قَالَ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغِ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(١).



إن بيت رسول الله ﷺ هو بيت كل المسلمين، لا يقصده زائر إلا أكرم بكل ما هو متاح، وقُدِّم له كل ما هو طيب، سواء أكان رسول الله موجودًا أم لا، فإن عاد رسول الله فوجد أضيافًا فإن أهم ما يشغله أن يتفقد أحوالهم، وأن يطمئن على أنهم نالوا نصيبهم من القرى، ثم هو بعد ذلك يهب بلا حدود، ويسخو بلا تردد، ويعطي عطاءً من لا يخشى الفقر.

يقدم وفد من بني المتفق - وهم من أهل الطائف - على بيت رسول الله ﷺ فلا يجدون الرسول ﷺ، فتأمر لهم السيدة عائشة بخزيرة، وهي اللحم (يقطع قطعًا صغارًا)، ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذر عليه الدقيق وعضد به ثم أدم بإدام ما^(٢)، وجاءتهم بطبق من التمر. فلما عاد

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢) كتاب الصلاة، باب في الاستنشاق.

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٣١)، وانظر: لسان العرب (٤/ ٢٣٧).

الرسول ﷺ سألهم: «هل أصبتم شيئاً»، أو: «أمر لكم بشيء؟» قالوا: نعم.

فلم يكتف النبي ﷺ بما قدم لهم، وإنما أمر الراعي - وقد علم أن نعمة ولدت - بأن يذبح شاة مكان التي وُلدت، وأوضح لضيوفه أنه لم يتكلف لهم ذلك، وإنما لديه غنم مائة فإذا زادت وليدة، ذبح مكانها شاة، وعلل لذلك بقوله: «لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد».

وحين يُسأل رسول الله ﷺ عن مسألة؛ فإنه لا يُعرض عن السائل، ولا ييخل بالنصيحة، بل يجيب عن كل سؤال، ويوضح كل مبهم، ويفصل كل مجمل.

أخبر لقيط (راوي الحديث) الرسول ﷺ أن له امرأة بذيئة اللسان فأمره الرسول بطلاقها، فاعتلَّ بأن لها صحبة، وله منها ولد، فأمره بوعظها، وعدم ضربها كما تُضرب الأمة.

ثم سأل لقيط رسول الله ﷺ عن الوضوء، فأمره النبي بإسباغهِ، والتخليل بين الأصابع، والمبالغة في الاستشاق.



يسأل النبي أضيافه: «هل أصبتم شيئاً، أو أمر لكم بشيء؟» والاستفهام يشعر بلهفة المضيف الكريم الذي لا يضام من قصده.

وحين يأمر بالذبح للأضياف يقول: «لا تحسبن - ولم يقل: لا تحسبن - أنا من أجلك ذبحناها» وفي العبارة إيحاء بحياء النبي الفطري، وكرمه العفوي، وأدبه الرفيع مع أضيافه.

وقد أشار الراوي إلى أن النبي ﷺ قال: لا تحسبن بالكسر، ولم يقل: لا تحسبن بالفتح وفي ذلك عدة دلالات منها:

١ - دقة الراوي في النقل عن النبي ﷺ، إذ يتحرى ضبط الفعل بإتقان

شديد، وينبها إلى ذلك.

٢ - إشارة الراوي تدل على أن النبي قصد إلى نطق الفعل بالكسر لا بالفتح.

٣ - أهل اللغة لا يفرقون بين يحسب، ويحسب في المعنى؛ فالفعل حسب يأتي المضارع منه على يفعل، ويفعل، ورد في قراءة حفص عن عاصم مفتوح العين، وورد في غير قراءة حفص مكسورًا. وكلاهما بمعنى واحد، حسب الشيء كائنًا أي ظنه.

٤ - يشير ابن منظور إلى أن يحسب بالكسر هي أجود اللغتين^(١). وينصح النبي محدثه بالرفق بزوجه، وينهاه عن ضربها: «ولا تضرب ظعتك كضربك أميتك».

سميت المرأة ظعينة (على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه)^(٢)، وإلا فإن الأصل أن الظعينة هي (الجملة يُظعن عليه، والظعينة الهودج تكون فيه المرأة، وقيل هو الهودج كانت فيه أولم تكن)^(٣).

وكان في الكلام مجازًا لكنه لكثرة الاستعمال صار يجري مجرى الحقيقة، كما أن الظعينة يراد بها الزوجة الكريمة المصونة.

والأمية تصغير الأمة، وهي الجارية المملوكة، وفي النص إشعار بجواز الضرب غير المبرح للزوجة إذا لم يُجدِ الوعظ.

ويسأل السائل عن الوضوء، فيأمره النبي ﷺ بإسباغ الوضوء، وتخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق، وليس هذا كل الوضوء، فما دلالة ذكر النبي لهذه الثلاثة دون غيرها من أعمال الوضوء؟

(١) لسان العرب (١/٣١٥).

(٢) السابق (١٣/٢٧١).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(قال الطيبي: وإنما أجاب النبي عن بعض سنن الوضوء لأن السائل كان عارفاً بأصل الوضوء، وقال في التوسط: اقتصر في الجواب علماً منه أن السائل لم يسأله عن ظاهر الوضوء بل عما خفي من باطن الأنف والأصابع، فإن الخطاب بأسنخ إنما يتوجه نحو من علم بصفته^(١)).

ولا شك أن الاختصار على هذه الثلاثة يدل على أهميتها وعظيم ثواب فاعلها.



٢٩ - «يَغْضَبُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَجِدَ مَا أُعْطِيهِ»:

عن عطاء بن يسار، عن رجل من بني أسد أنه قال: نزلت أنا وأهلي ببقيع الغرقد، فقال لي أهلي: اذهب إلى رسول الله ﷺ، فسله لنا شيئاً نأكله، فجعلوا يذكرُون من حاجتهم، ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فوجدت عنده رجلاً يسأله، ورسول الله ﷺ يقول: «لا أجد ما أعطيك»، فتولَّى الرجل عنه وهو مغضب، وهو يقول: لعمري إنك لتعطي من شئت، فقال رسول الله ﷺ: «يغضب عليَّ أن لا أجد ما أعطيهِ، من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً»، قال الأسدي: فقلت: ليلقح لنا خير من أوقية، والأوقية أربعون درهماً، قال: فرجعت، ولم أسأله، فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير أو زيب، فقسَم لنا منه - أو كما قال - حتى أغنانا الله^(٢).



(١) عون المعبود (١/١٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢٧) كتاب الزكاة، باب من يُعطى من الصدقة وحده الغني، والنسائي في المجتبى (٢٥٩٦) كتاب الزكاة، باب من الملحف.

صورة من صور العوز الشديد الذي كان المسلمون يعانون منه في المدينة قبل أن يفتح الله عليهم البلاد، ينزل رجل من بني أسد مع أهله المدينة، فيقيمون بالبقيع، ويطلب منه أهله أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ليسأله شيئاً يأكلونه، فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ جَبَّهَ مشهد لرجل يسأل الرسول عطاءً، والرسول لا يجد ما يعطيه، فيتولى الرجل مغضباً، ويقول للرسول ﷺ: لعمري إنك لتعطي من شئت.

فيعجب رسول الله ﷺ من نزق الرجل ويقول: «يغضب عليّ ألا أجد ما أعطيه، من سأل منكم - أي عطاء - وله أوقية أو عِدْلُهَا فقد سأل إلحافاً».

وعلم الأسدِيُّ أن لا حق له في السؤال، فانصرف من عند رسول الله ﷺ وهو يقول: لِلْقَحَّةِ - وهي الناقة قريبة العهد بالتاج - لنا خير من أوقية، وما لبث أن جاء رسول الله ﷺ بعد ذلك شعير وزيب فقسم لهم منه.

لقد غمر الحرج والحزن قلب الرسول ﷺ حين سأله السائل، وليس في بيته شيء؛ لأن تلك اليد الكريمة تعودت على العطاء، ولأن هذه النفس العظيمة جبلت على الكرم.

فإذا اتهم رسول الله ﷺ بأنه يعطي من شاء، ويمنع من شاء، فتلك لعمري أعظم فرية، وأكذب بُهتان.

إن رسول الله ﷺ يكرم النفس المؤمنة أن تذل بالسؤال، فالمسلم لا يسأل الناس إلحافاً، إلا أن يكون ذا فقر مدقع، ولا يتعرض لما يهين كرامته، ويقلل من شأنه، ﴿وَلِلَّهِ الْمِزْنُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المتافرون: ٨].

ويشير هذا الحديث قضية المسألة في الإسلام، ومن يحق له أن يسأل الناس، ومن لا يحق له، إذ حدد النبي الأوقية (وهي أربعون درهماً) حداً لا يجوز لمن يملكه أن يسأل الناس.

وقد وقع نحو من هذه القصة لأبي سعيد الخدري، (قال: أسرحني أمي إلى النبي - يعني لأسأله من حاجة شديدة، فأتيته وقعدت، فاستقبلني، فقال: «من استغنى أغناه الله، ومن استعفَّ عَفَّه الله، ومن استكفى كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف»، فقلت: ناقتي خير من أوقية، فرجعت ولم أسأله)^(١).

وكلا الحديشين يوضح أن الإسلام يحد من المسألة، ويجعلها في أضيق نطاق، ويدعو إلى التعفف والصبر كيلا يتواكل المسلم، ويترك السعي، ويركن إلى الكسل.



يقول الرسول ﷺ للرجل الذي جاء يسأله وليس عنده شيء: «لا أجد ما أعطيك»، وهو نفى ملؤه الأسى والألم.

يتبعه النبي ﷺ بقوله: «يغضب عليّ أن لا أجد ما أعطيه، من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً».

«يغضب عليّ» استخدام المضارع يصوّر شعلة الغضب المتأججة المستمرة في نفس السائل.

«أن لا أجد ما أعطيه» بيان لعدم وجود موجبات الغضب أو مبرراته.

«وله أوقية» الواو للحال، والجملة الاسمية في محل نصب حال، وتقديم شبه الجملة يفيد التخصيص.

إلحافاً: اقتباس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتُلُونَ النَّاسَ﴾ [الحافاً] (البقرة: ٢٧٣).

و(ألحف) السائل: ألحَّ أو شمل بالمسألة وهو مستغن عنها، وعده بعض

اللغويين من المجاز، قال الزمخشري في أساس البلاغة: (ومن المجاز ألحف السائل: إذا شمل بسؤاله وهو مستغن عنه، ولا حفت فلانًا لازمته)^(١). (وألحف ظفره وأحفاه: استأصله بالمقص ويجوز أن يكون إلحاف السائل منه)^(٢).

والمراد: التنفير من صورة من يلح في السؤال، ويلازم المسؤول حتى يضجره، وهي صورة غير كريمة لا تليق بالمسلم.



(١) أساس البلاغة (١/٥٦٠).

(٢) السابق (١/٥٦١).

الفصل الثالث

إلى الرفيق الأعلى

حان الأجل

١ - «لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَاجَتِي هَذِهِ»:

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَرْمِي عَلَى رَأْسِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَاجَتِي هَذِهِ»^(١).



٢ - «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ»:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُودَعِ لِلْأَخْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ قَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مُوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَنْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُفْسِرُكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا» قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظَرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).



٣ - «إِنْ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ»:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنْ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج، باب استغفار رمي جمرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا، وأبو داود (١٩٧٠) كتاب المناسك، باب في رمي الجمار.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ومسلم (٢٢٩٦) كتاب الفضائل، باب إثبات حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وصفاته.

عنده، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَذَيْنَاكَ يَا بَاتِنَا وَأُمَهَاتِنَا، فَمَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَذَيْنَاكَ يَا بَاتِنَا وَأُمَهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخْبِرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أَمْنِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا حَلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَتَّقِينَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةً إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»^(١).



٤ - «ولا أراه إلا قد حضر أجلي»:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي، كَأَنَّ مَشْيَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرَحَبًا يَا بَنِيَّ» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَأَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسْرَأَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَصَحَّحْتُ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَقْبِسَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا^(٢)، فَقَالَتْ: أَسْرَأَ إِلَيَّ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْغَمَّ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي» فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟» فَصَحَّحْتُ لِدَلِّكَ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤) كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه،

ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، والترمذي (٣٦٥٩)

كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر.

(٢) هنا يبدأ الحديث التالي عند البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، (٣٦٢٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام،

ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، وابن ماجه (١٦٢١)

كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض النبي ﷺ، وعند الترمذي بلفظ آخر (٣٨٧٢).

ليست هناك مصيبة كان يمكن أن يصاب بها المسلمون أعظم من وفاة رسول الله ﷺ، ولذلك شاء الله ﷻ أن يخفف المصاب عن أمة محمد فيه، فيمهد لهذا الأمر في السنة التي قبض فيها رسول الله ﷺ، فأشعره بأن أجله قد اقترب حين عارضه جبريل بالقرآن مرتين، ثم خيره بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله، وصرح رسول الله ﷺ لأصحابه بذلك، بل أخبرهم أنه سابقهم، وحذر أصحابه من التنافس على الدنيا والإغراق في ملذاتها، فإنه قد يؤدي بهم إلى الهلكة وضياع الدنيا والآخرة.

فبينما النبي ﷺ يحج بأصحابه حجة الوداع، ويؤدي المناسك كما أمره ربه، ويأمر أصحابه أن يأخذوا عنه ويتعلموا منه؛ أخبرهم أنه قد لا يحج معهم ثانية، وفي ذلك إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته، وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع^(١).

وفي ذات السياق يخرج الرسول ﷺ إلى أصحابه بعد ثمانين سنين من أحد، (وكانت أحد في شوال سنة ثلاث، ومات ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة، فعلى هذا ففي قوله: ثمانين سنين تجوز على طريق جبر الكسر، وإلا فهي سبع سنين ودون النصف)^(٢)، يخرج ﷺ فيصلّي على قتلى أحد كالمودع للأحياء والأموات، وفيه جواز الصلاة على الشهداء، وهو أمر مختلف فيه، ولذلك حمل بعض العلماء الصلاة في هذا الحديث على الدعاء.

وأياً كان الأمر فقد كانت كلمات الرسول لأصحابه بعد ذلك تعبيراً عن هذا الوداع، إذ أكد لهم أنه سابقهم إلى الآخرة، وأنه سوف يكون عليهم

= كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ.

(١) شرح النووي (٩/٤٥).

(٢) فتح الباري (٣/٢١٠).

شهيداً، ووعدهم باللقاء عند الحوض، ثم أخبرهم أنه لا يخشى عليهم من الشرك، والمراد: مجموعهم، إذ وقع فيه بعضهم، وإنما يخشى عليهم من التنافس في الدنيا إذ هو سبيل إلى الاقتتال والهلكة كما جاء في رواية مسلم. وكانت هذه آخر نظرة نظرها راوي الحديث - عقبه بن عامر - إلى النبي ﷺ إذ أعقب ذلك اشتداد المرض على النبي ﷺ ثم وفاته.

وكان أبو بكر رضي الله عنه من أشد الناس ابتلاء بوفاة النبي، فلم يكن يتخيل الدنيا من غير رسول الله ﷺ، إذ كانت حياته كلها موقوفة على الدعوة وصاحبها.

فلما أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في واقعة أخرى، وهو على المنبر - وبطريق غير مباشرة - أن الأجل أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأنه خير فاختار، لم يدرك الناس أن الرسول ﷺ قصد نفسه بقوله: «إن عبداً خيره الله»، فلم يعلق أحد على عبارة النبي ﷺ سوى أبي بكر فإنه فهم ما يعنيه النبي، فأجش بالبكاء وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان بحق أقرب الناس إليه وأعلمهم به. ولذلك ذكر النبي ﷺ أن أبا بكر من أكثر الناس فضلاً عليه في صحبه وماله، وأنه لو جاز لنبي أن يتخذ خليلاً من أمته لاتخذ أبا بكر خليلاً، وأمر بأن تغلق كل الأبواب المؤدية إلى المسجد من دور الصحابة إلا باب أبي بكر اعترافاً بمكانته وفضله.

وتروي لنا السيدة عائشة واقعة حدثت في العام الأخير من حياة النبي ﷺ كانت هي شاهدة عيان لها إذ أقبلت السيدة فاطمة تزور أباهما تمشي كمشية أبيها، فرحب بها النبي ﷺ وأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها بحديث فبكت ثم سارها بحديث فضحكت، فعجبت السيدة عائشة لهذا، وسألت السيدة فاطمة عما قاله النبي ﷺ فأبكاها ثم أضحكها، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ.

فلما قبض رسول الله ﷺ لم تنس السيدة عائشة أن تعيد سؤالها عن سر هذا البكاء والضحك، فأخبرتها السيدة فاطمة (عليها السلام): أنه أسرَّ إليها أولاً بأن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضه إياه هذا العام مرتين، وفهم الرسول ﷺ من ذلك أن أجله قد حضر، وأنها - السيدة فاطمة - ستكون أول أهله لحاقاً به، فبكت، ثم أسرَّ إليها أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت.

وتحقق ما قاله النبي ﷺ فلحق بربه في هذا العام، ولحقت به السيدة فاطمة بعد ستة أشهر من وفاته، فكانت أول أهله لحاقاً به.

قال ابن حجر: (وأقوى ما يُستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن ما ذكر من قوله ﷺ: «إنها سيدة نساء العالمين إلا مريم»^(١)، وأنها رُزئت بالنبي دون غيرها من بناته، فإنهن مُتْن في حياته، فكنَّ في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها)^(٢).



يقول النبي ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم» واستخدام المضارع المصدر بلام الأمر فيه إشعار بمباشرة الأمر في الحال، وعدم التواني في الأخذ، والاستمرار في التلقي.

ونسبة المناسك إلى المسلمين «مناسككم» توثيق للرابطة التعبدية بين العبد وربّه.

«العلي لا أحج بعد حجتي هذه»، كناية عن حلول أجل رسول الله ﷺ، وفيها حث على انتهاء فرصة وجوده بينهم في التعلم منه، والأخذ عنه.

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٧٣)، والنسائي في سننه الكبرى (٨٣٦٦)، وابن حبان (٦٩٥٢)، والحاكم في المستدرک (٦٨٣٧).

(٢) فتح الباري (١٠٥/٧).

«بين أيديكم فرط» تقديم شبه الجملة (بين أيديكم) للتخصيص، ويوحى بقرب الساعة بعد موت النبي ﷺ، ويتأكد ذلك بقوله ﷺ في حديث آخر «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بإصبعيه فيمُدُّ بهما^(١).

وفرط: (بفتح الفاء والراء، وهو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الرشاء والدلاء ويسقي لهم؛ وهو فَعَلَ بمعنى فاعل كَتَبَ بمعنى تابع، يريد أنه شفيع لهم لأنه يتقدمهم)^(٢).

«وأنا عليكم شهيد» أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل (أنا) وغرضه الحصر والتوكيد.

«وإن موعدكم الحوض» أخر الحوض لتشويق السامع.

«وإني لأنظر إليه من مقامي هذا» إشارة إلى قرب وفاة الرسول ﷺ، وتأكيد لخصيصة من خصائص النبي ﷺ، وهي رؤية بعض الغيبات التي لا يراها الناس.

«وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» جملتان اسميتان بينهما مقابلة تؤكد المعنى، واستخدام المضارع (أخشى) يفيد استمرار الخشية وثباتها، وتقديم شبه الجملة (عليكم) في الجملتين للتخصيص، ويوحى بحرص النبي ﷺ على نجات أمته، والفعل (تنافسوها) أصله (تنافسوها) وحذفت التاء للتخفيف.

قال ﷺ: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء الله وبين ما عنده، فاختر ما عنده».

«إن عبدًا خيره الله»: يشير رسول الله ﷺ إشارة لطيفة إلى نفسه فيقول: «إن

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥١)، وغيرهما.

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/١٠٣).

عبدًا»، وفي التنكير واستخدام كلمة «عبد» ما يوحى بالتواضع الشديد، والخضوع الكامل لله.

«خير الله»: هذه مكانة رسول الله ﷺ عند ربه إذ يترك له ربه الاختيار بين الحياة الدنيا وزينتها وبين ما عند الله.

«فاختار ما عنده» استخدام الفاء دلّ على سرعة الجواب وعدم التردد في الاختيار، والعبارة كناية عن اختيار الرسول ﷺ للرفيق الأعلى.

وقال ﷺ: «إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر» جاء في رواية أخرى للبخاري: «إن آمن»^(١). والأولى تعني أن لغير أبي بكر مشاركة في الأفضلية وإن تقدم الجميع، إذ تفيد (من) التبعية، والثانية تعني أنه وحده صاحب الفضل والمن، وقد أشار ابن حجر إلى ذلك فقال:

(وقوله: «أمن الناس» في رواية الباب ما يوافق حديث ابن عباس بلفظ «ليس أحد من الناس آمن علي في نفسه وماله من أبي بكر»، وأما الرواية التي فيها (من)، فإن قلنا زائدة فلا تخالف، وإلا فتحمل على أن المراد أن لغيره مشاركة ما في الأفضلية، إلا أنه مقدم في ذلك بدليل ما تقدم من السياق وما تأخر)^(٢).

وتقديم شبه الجملة (من آمن) يفيد التخصيص، وهو دلالة على عظم منزلة أبي بكر.

«ولو كنت متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام» إشارة إلى مكانة أبي بكر في الإسلام، إذ لم يُقل هذا في حق أحد من الأصحاب سوى أبي بكر.

و«متخذًا» مفتعلاً من اتخذ (الاتخاذ افتعال من الأخذ، واتخذ يتعدى إلى

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد.

(٢) فتح الباري (١٢/٧).

مفعول واحد، ويتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر، فيكون بمعنى: اختار واصطفى، وهنا سكت عن أحد مفعوليه، وهو الذي دخل عليه حرف الجر، فكأنه قال: لو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت منهم أبا بكر^(١).

والخليل (الصديق): فعيل بمعنى مُفَاعِل، وقد يكون بمعنى مفعول، قال: وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة^(٢).

والخليل (المخال)، وهو الذي يخالُك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل، وهو الطريق في الرمل، أو يسد خللك كما تسد خلله، أو يداخلك خلال منازلك^(٣).

وفي معنى الخليل والخلة تأويلات أخرى كثيرة ومحتملة، وما ذكر هو أشهرها وأقربها لموافقة السياق.

«لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»: الخوخة (هي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب)^(٤).

وكانت معظم الدور التي تحيط بمسجد النبي ﷺ لها خوخات تنفذ إلى المسجد، فأمر النبي ﷺ بسدها جميعًا إلا خوخة أبي بكر.

ولا شك أن في ذلك تعبيرًا واضحًا عن تقدير النبي ﷺ لأبي بكر، وحفظه لحسن صحبته، وقد حمل بعض المحدثين هذه الجملة على المجاز فادعى (أن الباب كناية عن الخلافة، والأمر بالسد كناية عن طلبها، كأنه قال: لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر، فإنه لا حرج عليه في طلبها، وإلى هذا مال

(١) عمدة القاري (٤/٢٤٤).

(٢) لسان العرب (١١/٢١٧).

(٣) عمدة القاري (٤/٢٤٤).

(٤) تاج العروس (٧/٢٤٧).

ابن حبان، فقال بعد أن أخرج هذا الحديث: وفيه دليل على أن الخلافة له بعد النبي ﷺ؛ لأنه حسم بقوله: «سدوا عني كل خوخة في المسجد» أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده^(١).

ولا أظن أن النبي ﷺ كان مضطراً إلى المجاز في هذا الأمر، ولو كان ﷺ مأموراً بأن يحسم هذا الأمر في حياته لفعل، لكن الظاهر - والله أعلم - أنه ﷺ اكتفى بالإشارات القوية - وعلى رأسها أمره أبا بكر أن يصلي بالناس - وترك الأمر لاختيار الناس ليتحقق معنى الشورى الذي قرره الإسلام.

وجملة «لا ييقن...» أسلوب قصر طريقه (النفي والاستثناء) وفيه توكيد وقطع بالأمر، فلا يطمعن طامع في غير ذلك.

يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة: «مرحباً بابنتي».

والملاحظ في هذا التعبير أن النبي ﷺ لم يوجه الخطاب مباشرة لفاطمة فيقول: مرحباً يا ابنتي. وإنما قال مرحباً بابنتي، وكأن النبي ﷺ يلفت نظر من حوله من نسائه إلى قدوم ابنته الحبيبة، وفي ذلك نبرة اعتزاز واضحة، وحب كبير.

وحين جلست السيدة فاطمة أسراً إليها فقال: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي».

وإسرار النبي ﷺ إلى ابنته بهذا الحديث الذي لم يفشه لأحد غيرها حتى قبض دليل على عظم مكانتها في نفسه، ورغبته في أن يميزها عن غيرها من النساء، فيخصها بهذا التكريم.

ومهد النبي ﷺ لقوله: «ولا أراه إلا قد حضر أجلي» بجملتين لكيلا يفجأ السيدة

(١) عمدة القاري (١٦/١٧٦).

فاطمة بهذا الخبر المفجع، ثم أراد أن يخفف وقعه عليها بقوله: «وإنك أول أهلي لحاقاً بي».

وقوله: «لحاقاً بي» لاحقاً مصدر لاحق، يقال: لاحقَ لَحَقًا وَلُحُوقًا وَلِحاقًا أي أدرك^(١).

وورد المصدر «لحاقاً» في رواية البخاري، و«لحوقاً» في رواية مسلم وابن ماجة، وهما بمعنى واحد.

يقول النبي ﷺ لابنته فاطمة: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟» الاستفهام يحمل معاني التشويق والبشارة بعظيم المنزلة ورفعة الدرجة، والشك في قوله: «أو نساء المؤمنين» هو من الراوي على الراجح.



(١) انظر لسان العرب (١٠/٣٢٧).

النبي الشهيد

٥ - «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سَمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إني سألتُكم عن شيءٍ، فهل أنتم صادقون عنه؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من أبوكُم؟» قَالُوا: أبونا فلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كذبتم، بل أبوكُم فلانٌ» فَقَالُوا: صدقت وبرزت، فَقَالَ: «هل أنتم صادقون عن شيءٍ إن سألتُكم عنه؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من أهل النار؟» فَقَالُوا: نكون فيها يسيرا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخسئوا فيها، والله لا نخلفُكم فيها أبداً»، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «فهل أنتم صادقون عن شيءٍ إن سألتُكم عنه؟» قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «هل جعلتُم في هذه الشاة سمًّا؟» فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: «ما حملُكم على ذلك؟» فَقَالُوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرَّك ^(١).



٦ - «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر»

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «يَا عَائِشَةُ مَا أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانٌ وجدت انقطاع

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٧) كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ.

أَبْهَرِي^(١) مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ^(٢).



٧- «فَهَذَا أَوَانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي»:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، زَادَ: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْرِ شَأٍ مَضْلِيَّةٍ سَمَّيْنَاهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «ارْقُمُوا أَيْدِيَكُمْ، فَإِنَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بِشَرِّ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟» قَالَتْ: «إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُتِلَتْ، ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي»^(٣).



لم يبلغ قوم في خستهم ومكرهم ما بلغت يهود، ولذلك لم يكن مستغرباً أنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسُّمِّ بعد فتح خيبر.

(١) (أبهري) بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء، وهو عرق مستطِن القلب، قيل: وهو النياط الذي علق به القلب، فإذا انقطع مات، وقيل هما أبهران يخرجان من القلب، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين، وقيل هو عرق في الصلب متصل بالقلب. عمدة القاري (١٨/٦١). وفي المعجم الوسيط: (الأبهران) الوردان اللذان يحملان الدم من جميع أوردة الجسم إلى الأذين الأيمن من القلب. المعجم الوسيط (١/٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٨) كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥١٢) كتاب الديات، باب فِيمَنْ سَقَى رَجُلًا سُمًّا أَوْ أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَتَقَادُ مِنْهُ.

وعندما واجههم النبي بذلك اعترفوا بجرمهم، ولم ينكروا لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ سيكشف كذبهم بما يوحيه إليه ربه، لقد علم النبي لحظة نَهِس نَهْسة من ذراع الشاة أنها مسمومة، لكن هذه النهسة كانت كافية لتحمل السم إلى جدر رسول الله ﷺ.

رُوي: «أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها»^(١)، «وأكل القوم فقال: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة، فمات بشر بن البراء»^(٢)، «فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسطك على ذاك، أو قال: علي، قالوا: ألا نقتلها، قال: لا...»^(٣).

وروي أنه لما مات بشر بن البراء بن معرور دفعها الرسول ﷺ إلى أوليائه فقتلوها.

(قال القاضي: ووجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها أولاً حين اطلع على سمها، وقيل له اقتلها، فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً، فيصح قولهم: لم يقتلها، أي في الحال، ويصح قولهم: قتلها، أي بعد ذلك)^(٤).

وأمر النبي عقب هذه الحادثة بجمع من كان في خير من اليهود، فسألهم: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتُم بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، فسألهم: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها سبيراً، ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم سألهم: هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٠)، وأبو داود (٤٥٠٨).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٨/١٤).

كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك.

وثار حول هذا الحديث خلاف حول من سَمَّ طعاماً أو شراباً لأحد فمات منه، (فذكر ابن المنذر عن الكوفيين أنه لا قصاص عليه، وعلى عاقلته الدية، وقال مالك إذا استكرهه فسقاه سماً فقتله فعليه القود، وعن الشافعي إذا سقاه سماً غير مُكره له ففيه قولان؛ أحدهما أنه عليه القود، وهو أشبههما، وثانيها لا قود عليه، وهو آثم^(١)).

ولقد ظل ألم هذا السم يعاود النبي ﷺ حتى قال في مرض موته: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

والأحاديث الثلاثة تثبت بشكل قاطع أن اليهود هم الذين قتلوا النبي ﷺ. قال المناوي في فيض القدير: (ليجمع - أي النبي ﷺ - إلى منصب النبوة مقام الشهادة، ولا يفوته مكرمة، ولهذا كان ابن مسعود وغيره يقول: مات شهيداً من ذلك السم، وكان في حال حياته يثور عليه أحياناً، ويكمن أحياناً)^(٢).



جمع النبي ﷺ اليهود وقال لهم: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنت صادقني عنه؟».

«إني سائلكم» استخدام صيغة اسم الفاعل عوضاً عن الفعل في «سائلكم، صادقني» أدل على الاستمرار واللزوم.

والاستفهام في قوله: «فهل أنتم صادقني عنه؟» غرضه الحث والتحريض، ويوحى بغلبة الشك، وغياب اليقين في صدقهم.

(١) عمدة القاري (٢١/ ٢٩٠).

(٢) فيض القدير (٥/ ٤٤٨).

وسألهم النبي ﷺ مختبراً صدقهم: «من أبوكم؟» والمراد بالأب هنا الجد الذي ينتسبون إليه.

ثم سألهم يستدرجهم: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فقالوا: نكون فيها ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم: اخسؤوا فيها. كلمة (زجر لهم بالطرد والإبعاد، أو دعاء عليهم بذلك، ويقال لطرد الكلب: اخسأ)^(١)، فكانه ﷺ أنزلهم منزلة الكلاب.

«والله لا نخلفكم فيها أبداً» قسم جوابه مضارع منفي بلا، مؤكد بالظرف (أبداً)، والخَلَفَ بفتح الخاء يأتي بتحريك اللام ويسكونها، وهو بالتحريك فيمن كانوا خيرين، يقال: هؤلاء خَلَفَ صالح. قال كعب بن زهير:

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزْفَا وَلَا أَرَى لَشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا^(٢)

ويسكون اللام في أهل الشر، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مریم: ٥٩].

والاستفهام في قوله: «ما حملكم على ذلك؟»: استفهام فيه إنكار ولوم وتأنيب.

يقول ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير»: النداء للتحبيب والتقرب، واستخدام المضارع الناقص الدال على الاستمرار (ما أزال) مع المضارع (أجد) يفيدان استمرار الألم منذ دخول السم إلى جسد رسول الله ﷺ.

«ألم الطعام» كلمة الطعام بها مجاز مرسل.

«فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري»: «أوان» يجوز فيها الضم على أنها خبر، والبناء على الفتح للظرفية.

(١) عمدة القاري (٩١/١٥).

(٢) ديوان كعب بن زهير (٢٣/١).

«وجدت انقطاع أبهري» كناية عن اقتراب وفاته ﷺ.

وفي الرواية الأخرى يستخدم الرسول ﷺ الفعل الماضي بدلاً من المصدر فيقول: «فهذا أوان قَطَعْتُ أبهري» وهذه أكد في التعبير عن بلوغ السم مداه، وتحقق أثره.



المرض يتسلل إلى جسد رسول الله ﷺ

٨ - «إني أوعكُ كما يُوعكُ رجلانِ مِنْكُمْ»:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، قَالَ: «أَجَلْ إني أوعكُ»^(١) كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، قَالَ: «أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سِتَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا»^(٢).



٩ - «ذَاكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ»:

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأَسَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَأَذْعُوَ لَكَ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَائْكُلِيَاهُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرَّسًا بِغَضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأَسَاهُ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ، أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَمْنَنَ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا بَنِي اللَّهِ وَيَذْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ - أَوْ يَذْفَعُ اللَّهُ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ»^(٣).

(١) أوعك: أي يأخذني الوغك بسكون العين، أي شدة الحمى وسورتها، أو ألمها والردة فيها. فيض القدير (١٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرضي، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، وابن ماجه بلفظ آخر (٤٠٢٤) كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) كتاب المرضي، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع.

١٠ - «أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاحِكًا» :

عن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَنْقُ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تَرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاحِكًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَمَعْظُمُوا فِيهِ الرَّبُّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمَنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(١).



١١ - «أَيْنَ أَنَا غَدًا» :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» اسْتَطِيعَ لِيَوْمٍ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَدُفِنَ فِي بَيْتِي^(٢).



١٢ - «إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ» :

عن عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ - تَغْنِي فِي مَرَضِهِ - فَاجْتَمَعْنَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأَذَّنَ لِي فَأَكُونَنَّ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ» فَأَذِنَ لَهُ^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأبو داود (٨٧٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود، والنسائي في المجتبى (١٠٤٥) كتاب التطبيق، باب تعظيم الرب في الركوع، وابن ماجه (٣٨٩٩) كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٩) كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، ومسلم (٢٤٤٣) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها. والجملة الأخيرة ليست عند مسلم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٧) كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء.

هذا مقام النبوة العالي، أراد الله له كمال الأجر، وتمام النعمة، فزاد في بلائه، (والسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد، ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد، قاله الكرمانى^(١)).

قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأهل»^(٢).

بدأت معاناة النبي ﷺ في مرض موته، عركته الحمى كما تعرك الرجلين من أمته، فراح ﷺ يتألم ألماً شديداً عجب له عبد الله بن مسعود، وهو يعود النبي، فقال له: إنك لتوعك وعكاً شديداً. فأجابه النبي: «أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم»، ففهم ابن مسعود أن مضاعفة الألم تستتبع مضاعفة الأجر، فقال: ذلك أن لك أجرين. فقال النبي ﷺ: «أجل ذلك كذلك».

ثم لم يُنسِ ألمه المضاعف أن يبشر المؤمنين المبتليين من أمته بأن البلاء نعمة تكفر بها السيئات، وتُحطَّ بها الخطايا، كما تُحطُّ الشجرة ورقها.

كان الرسول في بيته، في حجرة السيدة عائشة، في بدايات مرضه، وكان قد عاد من البقيع لتوه تناب رأسه الحمى فتقلعه، ومع ذلك لا يفتر عن مداعبة السيدة عائشة حين تشتكي وجعاً أصاب رأسها فتقول: وأرأساه، فيقول ﷺ: «ذلك لو كان وأنا حي» أي لعلك تموتين وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، يؤكد هذا ما جاء بعده، وما ذكر في رواية من أنه قال: «وما ضرك لو مت قبلي ففلسنك وكفتنك وصليت عليك ثم دفنتك»^(٣).

فلا تملك السيدة عائشة حين تسمع ذلك إلا أن تملك قلبها الغيرة - وكانت أشد نساءه ﷺ غيرةً عليه - فتقول: وائكلياه - تستغيث وتندب، والكل: فقدان المرأة ولدها، ثم تقول: والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك

(١) عمدة القاري (٢١/٢١٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٤٨٢)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (٣٦٩/٦) وغيرهم.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٠٧٩)، وابن ماجه (١٤٦٥)، وأحمد (٢٢٨/٦) وغيرهم.

- أي ولو حدث هذا الموت - لظللت آخر يومك معرّساً ببعض أزواجك، ومعرّساً بكسر الراء وتشديدها - وتُروى بدون التشديد - من (أعرس بأهله إذا بنى بها، وكذلك إذا غشيها)^(١).

ثم يقول لها النبي ﷺ: «بل أنا وأرأسه» كأنه يريد أن يضرب عما سبق، ويدعوها لأن تنسى وجع رأسها فإنه لن يضرها، وتهتم بالنبي ووجعه الذي بدا يُنهك قواه، ويستترف طاقته، ويكاد أن يفضي به إلى الرفيق الأعلى.

ثم يخبرها أنه أوشك أن يدعو أبا بكر وابنه، ليعهد إلى أبي بكر بالأمر من بعده، درءاً للفتنة ودفعاً للقليل والقال، ولأمانى الطامعين، ثم قال: «يأبى الله ويدفع المؤمنين أو يدفع الله ويأبى المؤمنون» والشك من الراوي يعني أن ذلك الأمر صائر لا محالة لأبي بكر لا إلى غيره بإرادة الله أولاً، ثم بإجماع المؤمنين.

وفي الحديث جواز الشكوى من المرض، (وما طبعت عليه المرأة من الغيرة، وفيه مداعبة الرجل أهله، والإفضاء إليهم بما يستره عن غيره)^(٢)، وإعلام الله لنبيه بدنو أجله، وفيه تصريح بخلافة أبي بكر إن كان المراد بالعهد الخلافة كما هو ظاهر السياق.

وينهك المرض جسد رسول الله ﷺ فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، لكنه يشعر يومًا بالشوق إلى مسجده، وإلى مكانه بين صحابته، فيكشف الستارة من بيت عائشة، كما يقول الحديث الذي بين أيدينا، وفي رواية أخرى لمسلم والنسائي في المجتبى: (كشف رسول الله ﷺ السرور ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه)^(٣)، فيفرح الناس لظهوره حتى كادوا يفتنون في

(١) عمدة القاري (٢٢٣/٢١).

(٢) فتح الباري (١٢٦/١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ▪

صلاتهم، ويوصي الرسول أصحابه، فيقول لهم وكأنه يودعهم: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»، ثم يعيد الستارة إلى مكانها.

(قال ابن التين: معنى الحديث أن الوحي ينقطع بموتي ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا الصالحة)^(١).

وقد ورد عند البخاري وغيره قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»^(٢)، وكان أول ما بدئ به الرسول ﷺ قبل نزول الوحي الرؤيا الصادقة.

ثم أخبرهم النبي ﷺ أن الله جَلَّوَعَلَا نهاه عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، وأخبرهم أن الركوع مقامٌ لتعظيم الرب جَلَّوَعَلَا، وأن السجود مقامٌ للدعاء والتضرع.

(قال الخطابي: لما كان الركوع والسجود وهما غاية الذل والخضوع مخصوصين بالذكر والتسبيح - نهى ﷺ عن القراءة فيهما، كأنه كره أن يجمع بين كلام الله تعالى، وكلام الخلق في موضع واحد، فيكونان سواء)^(٣).

ولم يعد النبي يستطيع - مع اشتداد وطأة المرض عليه - أن يدور بين نسائه، فبيت عند كل واحدة ليلة كما كان يفعل وهو مُعافًى تحقيقاً للعدل الأسمى الذي يتمثل في خلقه العظيم، فصار يتعلل ويطلب العذر (فيما يحاوله من الانتقال إلى بيت عائشة رضي الله تعالى عنها)^(٤)، فيسأل: أين أنا

= والنسائي في المجتبى (١١٢٠) باب الأمر بالاجتهاد في الدعاء والسجود.

(١) فتح الباري (١٢/٣٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٢٦٣)، وغيرهما.

(٣) عون المعبود (٣/٩١).

(٤) عمدة القاري (٨/٢٢٣).

اليوم؟ أين أنا غدا؟ لمن النوبة اليوم؟ لمن النوبة غدا؟ كأنه يستطيل اليوم اشتياقاً إليها وإلى نوبتها، ويعمل على توقّي مشقة الانتقال من بيت إلى بيت.

ثم جاء يوم لم يستطع فيه رسول الله ﷺ أن يتحمل المزيد من العناء فصّرّح لأزواجه برغبته في الاستقرار ببيت عائشة، قال: «إني لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتم أن تأذن لي فأكون عند عائشة فعلتن».

يطلب النبي الكريم ﷺ الإذن من أزواجه ليمكث في بيت إحداهن، لا ليستمع ويسترخي، وإنما ليُمرّض ويعالج.

لقد كانت عائشة أحب نساء النبي إليه، وكانت نساؤه جميعاً يعلمن ذلك. وكن جميعاً - رغم حبهن لبقائه معهن، وعدم تفریطهن في حقهن فيه - حريصات على راحته، راغبات في تجنبه كل عناء، فلما استأذن منهن أن يمرّض في بيت عائشة أذن له عن طيب خاطر.

وفي يوم عائشة شاء الله أن يقبض نبيّه ﷺ على صدرها، بين سحرها ونحرها كما تقول رضي الله عنها.



يقول النبي ﷺ: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» وهذه كناية عن شدة الألم وعظيم المعاناة.

«أذى شوكة» ضرب للمثل بأقل الأذى.

«كما تحط الشجرة ورقها» تشبيه تمثيلي شبه فيه النبي ﷺ المسلم وسبائته تنحدر عن جسده فيغفر له بفضل المرض، بالشجرة تحط عنها أوراقها التي ذبلت؛ لتستعيد نضارتها من جديد.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «وارأساه، فيقول النبي ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعوك».

«ذاك» بكسر الكاف (إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت)^(١).

«لو كان»: أسلوب شرط أداته «لو» غير الجازمة، وفي الجملة معنى التمني؛ ولذلك نصب الفعل في الجواب بعد فاء السببية.

«وأنا حي» جملة اسمية حالية في محل نصب.

وفي العبارة حذف يفهم من السياق ومن الروايات الأخرى وتقديره: ذلك لو كان وأنا حي - فأقوم على غسلك وتكفينك والصلاة عليك ودفنك - ، والكلام كله من قبيل المداعبة والتلطف.

ثم قال النبي ﷺ: «بل أنا وأرأساه»: (بل) حرف إضراب، يضرب عما سبق: (أي أضربُ أنا عن حكاية وجع رأسك، واشتغل بوجع رأسي، إذ لا بأس بك، وأنت تعيشين بعدي - عرفه بالوحي)^(٢)، وهو أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل المتكلم.

«لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد»: «لقد هممت - أو أردت»: الشك من الراوي.

ويوحي التعبير بأن النبي ﷺ همَّ بهذا الأمر ولم يعزم، «أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد».

وقد قيل: إذا كان العهد لأبي بكر، فلماذا يحضر الابن؟ (وأجيب بأن المقام مقام استمالة قلب عائشة، يعني كما أن الأمر مفوض إلى والدك، كذلك الاهتمام في ذلك بحضور أخيك، فأقاربك هم أهل أمري وأهل مشورتي، أو لما أراد تفويض الأمر إليه بحضورها أراد إحضار بعض محارمه حتى لو احتاج إلى رسالة إلى أحد، أو قضاء حاجة لتصدي لذلك)^(٣).

(١) فتح الباري (١٠/١٢٥).

(٢) عمدة القاري (٢٤/٢٧٩).

(٣) عمدة القاري (٢٤/٢٧٩).

وقال النووي: (وأما طلبه لأخيها مع أبي بكر؛ فالمراد منه أنه يكتب الكتاب)^(١).

«وأعهد» أي أوصي، واختلف في المراد من الإيصاء، لكن الراجح من خلال قوله فيما بعد: «يأبئ الله ويدفع المؤمنين» أن المراد هو الخلافة. «أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون» أي (لثلاً يقول القائلون، أو مخافة أن يقول القائلون: لم يعهد رسول الله إلى أبي بكر الخلافة الكبرى، وإنما اقتصر على الخلافة الصغرى، وهي الإمامة، مع أن فيها الإشارة إلى إقامة تلك الأمانة، «أو يتمنى المتمنون» أي الخلافة لغيره من أنفسهم، أو لغيرهم، فأول للتفريع لا للشك)^(٢).

وأيًا كان التأويل لكلام رسول الله ﷺ، فإن ذلك كله ينتهي إلى أن رسول الله لم يعث إلى أبي بكر وابنه، ولم يعهد بالخلافة إلى أحد صراحة، وإنما ظلت أقواله وإيماءاته كلها توحي بأن أبا بكر هو الرجل الأول المرشح من بعده لذلك المنصب دون أن يبلغ ذلك حد التكليف المباشر، (ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة بين الأنصار وغيرهم)^(٣).

«يأبئ الله ويدفع المؤمنين، أو يدفع الله ويأبئ المؤمنين»

الشك من الراوي. والعبارتان متشابهتان في المعنى، غير أن الأولى أقوى في التعبير عن الرفض القاطع لغير أبي بكر، فالإباء من الله يحسم المسألة، ولا يدع حجة لمحتج، فيجتمع المؤمنون بعد ذلك على دفع هذا الأمر والحيلولة دون تحقيقه.

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا

(١) شرح النووي (١٥/١٥٥).

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/١٢١).

(٣) السابق (١١/١٦٨).

الصالحة يراها المسلم أو تُرى له: «أيها الناس» نداء يحمل صفة العموم، فهو موجه للناس جميعًا لا للمؤمنين فحسب.

«إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة» جملة مؤكدة بأسلوب القصر، وطريقه النفي والاستثناء.

«يرaha المسلم أو تُرى له» أو للتفريع لا للشك.

«ألا وإني» استهلال واستفتاح وتنبه يبدأ به الرسول ﷺ توصية المؤمنين بما يريد مؤكدًا حديثه بأن.

«فأما الركوع فعظموا» و«وأما السجود فاجتهدوا»: «أمّا»: حرف شرط وتفصيل، وتقدر عند جمهور النحويين بـ (مهما يكن من شيء)، وتلزم الفاء جوابها وجوبًا.

وهي أيضًا مفيدة للتوكيد، قال ابن هشام: (وأما التوكيد فقلّ من ذكره، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري، فإنه قال: فائدة أمّا في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصد توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة - قلت: أمّا زيد فذهاب؛ ولذلك قال سيويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، فهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين: بيان كونه توكيدًا، وأنه في معنى الشرط)^(١).

والجملتان بينهما ازدواج يكسبهما إيقاعًا لطيفًا.

«فمَن أن يستجاب لكم» فَمَنْ: أي جدير، وهي بفتح القاف والميم مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقد تكون مكسورة الميم فيراد بها الرصف، فهي عندئذ تثنى وتجمع وتؤنث، (وفيه لغة ثالثة: قمين، بزيادة ياء، وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه حقيق)^(٢).

(١) مغني اللبيب (١/٨٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/١٩٧)، وانظر لسان العرب (١٣/٣٤٧) مادة: قمن.

«أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟» هذان التعبيران كناية عن استقالة الوقت اشتياقاً إلى عائشة، واستبطاءً لنوبتها، حيث لا يستريح ولا يسكن للمريض إلا في بيتها، يؤكد ذلك ما جاء في الحديث التالي:

«إني لا أستطيع أن أدور بينكن، فإن رأيتم أن تأذن لي فأكون عند عائشة فعلتن»: «إني لا أستطيع أن أدور بينكن» إشارة واضحة إلى ما أصاب الرسول ﷺ من إعياء وتعب لا يمكنه من الانتقال بين بيوت نساءه، كما كان يفعل في صحته.

«فإن رأيتم أن تأذن لي فأكون عند عائشة فعلتن» استخدام الشرط دون الأمر «فإن رأيتم» وقوله: «تأذن»: يشف عن الأدب النبوي الرفيع، إذ يترك لنساءه الخيار في الأمر، دون قسر أو إجبار، والفاء في «فأكون» دلالة على الرغبة في سرعة الإذن، لاشتداد المرض على رسول الله ﷺ.



اشتداد وطاة المرض

١٣ - «لا تلُدُونِي»:

قَالَتْ عَائِشَةُ: لَدَدْنَاهُ^(١) فِي مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُبَشِّرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلُدُونِي، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ تَلُدُونِي»، قُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظَرُ، إِلَّا الْعَبَّاسُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ»^(٢).



١٤ - «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ»:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَمْرَضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ تَخْطُرُ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَذَرِي مَنْ الرَّجُلِ الْآخَرَ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تَحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ

(١) لددناه: أي جعلنا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهذا هو اللدود، فأما ما يصب في الحلق، فيقال له: الوجور، وقد وقع عند الطبراني من حديث العباس أنهم أذابوا قطناً أي بزيت، فلدوده به. فتح الباري (١٤٧/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٨) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

أَوْكِئَهُنَّ؛ لَعَلِّي أَغْهَدُ إِلَى النَّاسِ»، فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَضُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ: حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ: أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ^(١).



١٥ - «صَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ»:

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «صَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِنُوءٍ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «صَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِنُوءٍ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «صَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِنُوءٍ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا - يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِمَصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ» فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢) كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته.

بَكَرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُم بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتَ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ^(١).



١٦ - «دَعُونِي فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ»:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمَ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ! اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: «اثْنُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا» فَتَنَارَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَارُعٍ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ، فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «دَعُونِي فَأَلْذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ» وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ: قَالَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُمْ أُجِيزُهُمْ» وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَ فَتَسَبَّهَتْ^(٢).



أَيُّ خَوْفٍ وَهَلَعٍ أَصَابَ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ يَرِينَ قُوَى الزَّوْجِ الْحَبِيبِ تَتَدَاعَى أَمَامَ أَعْيُنِهِنَّ، وَهُنَّ لَا يَمْلِكْنَ أَنْ يَدْفَعْنَ عَنْهُ، فَيَحَاوِلْنَ التَّمَاسَّ الشِّفَاءَ لَهُ بِأَيِّ حِيلَةٍ، وَلَوْ كَانَ الدَّوَاءُ فِيمَا يَكْرَهُهُ.

أَشَارَتْ بَعْضُهُنَّ بِاللُّدُودِ، وَهُوَ الدَّوَاءُ يُوَضَعُ فِي جَانِبِ فَمِ الْمَرِيضِ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧) كتاب الجماعة والإمامة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، والنسائي في المجتبى، كتاب الإمامة، باب الاهتمام بالإمام يصلي قاعدًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣١) باب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ومسلم (١٦٣٧) كتاب الوصية، باب ترك الوصية..

غير اختياره، قيل: إنهم أذابوا قسطًا هندیًا بزيت، ثم لدُّوا به رسول الله ﷺ، فأشار إليهم أن لا تفعلوا، فظنوا أن ذلك مرجعه كراهية الدواء وليس النهي. فلما أفاق ﷺ عاقبهم جميعًا لعدم امتثالهم لنهيهِ، فأمر أن يُلدَّ كل من في البيت إلا العباس لأنه لم يشهدهم.

وقد كانت ميمونة أم المؤمنين معهم، وكانت صائمة، غير أنها لُدَّت أيضًا لعموم أمر النبي ﷺ.

جاء في شرح مشکل الآثار: (عن أسماء بنت عميس قالت: إن أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، اشتد مرضه حتى أغمى عليه. قالت: فتشاور نساؤه في لدِّه فلدُّوه، فلما أفاق قال: ما هذا؟ أفعلُ نساء يجثن من هاهنا، وأشار إلى أرض الحبشة، وكانت أسماء معهن، فقالوا: كنا نتهم بك ذات الجنب^(١) يا رسول الله، قال: «إن ذلك داء ما كان الله ﷻ ليعذبني به، لا يبقين في البيت أحد إلا لدِّ إلا عم رسول الله ﷺ»، يعني العباس. قال: فلقد التدت ميمونة يومئذ وإنها لصائمة؛ لعزيمة رسول الله ﷺ^(٢)).

وإنما كرهَ ﷺ اللدَّ مع أنه حثَّ على التداوي، وكان يتداوى؛ لأنه تحقَّق أن اللدَّ لا يناسب مرضه، ولا يفيدُه، كما ذهب إلى ذلك ابن حجر^(٣).

واشتدت الحمى برسول الله ﷺ حتى ما عاد يستطيع المشي والحركة، فخرج من بيت ميمونة بعد أن أذن له أزواجه أن يمرض في بيت عائشة يستند إلى العباس وعليّ، ورجلاه تخطان في الأرض، فلما استقر به الرقاد في بيت عائشة، وأوهنت الحمى قواه، أراد أن يخرج إلى الناس ليعهد إليهم، فأمر من

(١) ذات الجنب: قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه، وهي علة صعبة تأخذ في الجنب، وقال ابن شميل: ذات الجنب هي الدُّبَيْلَةُ، وهي قرحة تنقب البطن، وقيل هي التهاب في الغشاء المحيط بالرة. تاج العروس (٢/ ١٩١، ١٩٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٣٠٨).

(٢) شرح مشکل الآثار (٥/ ١٩٣).

(٣) فتح الباري (٨/ ١٤٧).

حوله من أهله أن يأتوه بسبع قرب لم تحلل أغطيتها بعد ملئها من آبار المدينة، فيصبوها عليه لعلها ترفع عنه الحمى، فيخرج إلى الناس فيعهد إليهم. واشترط ﷺ ألا تكون أوكية هذه القرب قد حُلَّت من قبل، حتى يضمن صفاء الماء (لأن الأيدي لم تخالطه، وأول الماء أطهره وأصفاه)^(١).

وجيء للنبي بالقرب، ثم أُجلس في مخضب لحفصة، وصُبَّت عليه تلك القرب حتى أشار إليهم أن كفوا، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم.

ثم نُقِلَ النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: «أصلى الناس؟» فأجابوه: لا، هم ينتظرونك، فأمرهم أن يضعوا له ماء في المخضب، فاغتسل ثم أراد أن ينهض ليخرج فأغمي عليه، ثم أفاق، واغتسل رسول الله ﷺ بعد ذلك مرتين، وهو يحاول في كل مرة أن ينهض فلا يستطيع، ثم يغمى عليه ثم يفيق.

وبعد الثالثة أرسل الرسول ﷺ لأبي بكر يأمره أن يصلي بالناس الذين كانوا ما يزالون عكوفاً بالمسجد ينتظرون أن يصلي الرسول ﷺ بهم العشاء الأخيرة.

ورغم هذا المرض الشديد الذي أنهك قوى النبي ﷺ إلا أن ارتباطه الوثيق بالمسجد الذي يملك فؤاده، وبأصحابه الذين أحبهم وأحبوه - يدفعه إلى أن يتمالك نفسه، ويتناسى آلامه، ويبدل ما وسعه من جهد ليخرج إلى الناس فيصلي بهم.

شعر النبي ذات يوم بخفة، فخرج يستند إلى رجلين هما العباس وعلي، وكان أبو بكر يصلي الظهر بالناس، فلما رآه أبو بكر أراد أن يتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وأجلس النبي ﷺ إلى جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يأتهم بصلاة النبي، والناس يأتهم بصلاة أبي بكر حتى تمت الصلاة.

وفي يوم الخميس اشتد بالرسول وجعه فقال: «اثنوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا» فاختلف الناس من حوله وتنازعوا، فمنهم من دعا إلى إجابة أمر النبي، ومنهم من امتنع، قال المازري: (إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك؛ لأن الأوامر قد يقرنها ما ينقلها من الوجوب، فكانه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهداهم^(١)).

فلما ألحوا على النبي ﷺ بالكلام. قال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» ثم أوصاهم بثلاث: إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بمثل ما كان يجيزه رسول الله ﷺ، ثم سكت عن الثالثة، أو قال الراوي: فنسيتها.



قوله ﷺ: «ألم أنحكم أن تلذوني؟»: استفهام فيه إنكار شديد لما فعله المحيطون بالنبي من لذه على غير رغبته.

أما قوله: «لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ»: ففيه حصر وتوكيد واستقصاء للنقصان إلى غايته.

«وأنا انظر» جملة حالية فيها تأكيد حتمية القصاص إذ اشترط رؤيته بنفسه ﷺ.

«إلا العباس، فإنه لم يشهدكم» استثناء العباس مقترن بعلمته، وفي ذلك تحقيق للعدل النبوي.

قال رسول الله ﷺ وقد اشتد به وجعه: «هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن؛ لعليّ أعهد إلى الناس»: «هريقوا»، وردت في رواية «أهريقوا».

وفي بعض النسخ «أريقوا» ولكل ذلك وجه في اللغة، جاء في الصحاح: (وهراق الماء يُهرقه بفتح الهاء هِرَاقَةً، أي: صَبَّهُ، وأصله: أَرَأَقَ يَرِيقُ إِرَاقَةً... وفيه لغة أخرى: أَهْرَقَ الماء يهرقه إِهْرَاقًا... وفيه لغة ثالثة: أَهْرَأَقَ يُهْرِيقُ إِهْرَاقًا فهو مُهْرِيقٌ)^(١).

واللفظة توحى بشدة تدفق الماء عند سكبهِ.

«من سبع قرب» واختيار السبع (يشبه أن يكون تبركًا بهذا العدد؛ لأن له دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة)^(٢)، فالسماوات سبع والأرضون سبع وأيام الأسبوع سبع، كما يبدو أن له خاصية في دفع السم والسحر، وقد ورد في ذلك أحاديث منها: «من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر»^(٣)، وقوله ﷺ: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، سبع مرات، إلا عافاه الله من ذلك المرض»^(٤).

«لعلّي أعهد إلى الناس» رجاء يوحى بشدة حرص النبي ﷺ على ألا يترك أمته دون أن يوصيها ويرشدها، فهو لم يطلب صبّ القرب رجاء الشفاء، بل لكي يتمكن من الخروج إلى الناس ليصلي بهم ويخطبهم.

يقول ﷺ وقد ثقل: «أصلّي الناس؟» استفهام تكرر ثلاث مرات ليحمل معاني الشفقة والرحمة والحرص على إقامة فريضة الله، وفيه ما يوحى بغياب النبي عن الوعي بحيث لا يشعر بما يحدث إلى جواره في المسجد.

«ضعوا لي ماء في المخضب» أمر تكرر ثلاث مرات؛ ليعبر عن المحاولات

(١) الصحاح في اللغة (٤/١٥٦٩ - ١٥٧٠).

(٢) فتح الباري (١/٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٤٥)، ومسلم (٢٠٤٧) وغيرهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣) وغيرهما.

المضنية التي يبذلها رسول الله ﷺ، وتحمل عنها من أجل أصحابه وأمه.
 «أجلساني إلى جنبه» أمر يوحى بشدة وطأة المرض، إذ لا يستطيع النبي ﷺ أن يصلي واقفاً، بل لا يستطيع أن يجلس وحده، وفيه تواضع الأنبياء ودمائهم، وفيه أيضاً إشارة إلى عظيم مكانة أبي بكر في الإسلام.

يقول ﷺ: «اثنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»

«اثنوني أكتب» أمر وجوابه، والغرض من الأمر مختلف فيه بين الوجوب والندب، وهو إلى الندب أقرب، إذ لو كان واجباً لما وسعهم إلا أن يستجيروا له.

«لن تضلوا بعده أبداً» النبي بلن، وإتباعه بقوله: «أبداً» يؤكد النبي، ويقطع بحتميته.

ثم قال ﷺ: «دعوني؛ فالذي أنا فيه خير»: وفعل الأمر «دعوني» يحمل معاني الضجر والضييق بما يقولونه، «فالذي أنا فيه خير» كناية عما أعده الله ﷺ له من الكرامة.

ثم قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» تبدو بين الجملتين ملامح مقابلة، فعلى حين تدعو الجملة الأولى إلى الإخراج والطرْد، تحض الثانية على الإكرام والإجازة، وحديث النبي ﷺ عن هذين الأمرين في مرضه الذي قبض فيه دليل على خطورتهما وعظيم أهميتهما.



الرحيل

١٧ - «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا نَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَكَزَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْشُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ^(١).



١٨ - «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»:

عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ صَحِيحٌ - يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَفْبُضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحِبًّا - أَوْ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ، وَرَأَسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» فَقُلْتُ: إِذَا لَا يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، والنسائي في الصغرى (١٨٤٤)، وابن ماجه في سننه (١٦٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

١٩ - «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»:

عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا، وَأَضَعَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»^(١).

عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». فَلَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنُقِلَ، أَخَذَتْ بِيَدِهِ لِأَضَعَهُ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، فَانْتَرَعَ يَدَهُ مِنْ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى». قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرَ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى^(٢).



تقطع نفس السيدة فاطمة عليها السلام حسرة، وهي ترى أباهما يُحتضر فتصيح صيحة تخلع القلب، وتدمي النفس: واكرب أباه، إنه الرسول الكريم والأب الحنون يعاني سكرات الموت. فما أفدحها من مصيبة!، وما أشدها من محنة! فيجيبها النبي ﷺ بجلال النفس الراضية المطمئنة: «ليس على أهلك كرب بعد اليوم» أي: لا كرب عليه بعد انتقاله عليه السلام إلى جوار ربه.

وليس ذلك نواحا من المنهي عنه، لأنها لم ترفع صوتها به، ولذلك لم ينهها عليها السلام عنه، ويأتي في ذات السياق ما قالته السيدة المكلومة حين فجعت بأبيها: يا أبتاه، أجب ربنا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فكلها حقائق لم تتجاوز بها السيدة الكريمة الواقع، ولم يخرجها الحزن النبيل عن الحق.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩١) كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض.

ثم إذا انتقل الرسول إلى بارئته، ونعته السيدة الجليلة إلى جبريل، ودفنه أصحابه، قالت لأنس في أسى: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟.

ولم يجب أنس تأديباً ورعاية لحال السيدة المكلمة، لكن لسان حاله كان يقول: لا والله، ما طابت أنفسنا بذلك، وما كان لها أن تطيب، لكننا نحبه ونطيعه، وهو الذي أمرنا بذلك، ولو كنا نملك أن نضعه بين أعيننا وقلوبنا بدلاً من أن نضعه في التراب لفعلنا.

نقلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قوله وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُحياً» - شك الراوي فقال: أو يخير؟.

والمراد بقوله: «يُحياً» بتشديد الياء الأخيرة، (أي يسلّم إليه الأمر أو يملك في أمره، أو يسلّم عليه تسليم الوداع)^(١).

وهذا الأمر من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما ينص الحديث.

جاء في مسند أحمد وغيره من حديث أبي مويهة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة»^(٢).

إن أحدًا غير السيدة عائشة لم يشهد اللحظات الأخيرة في حياة النبي ﷺ. لقد أتيح لها أن تراه وهو يخير - قبل أن يقبض - بين الحياة الدنيا وجوار ربه، وسمعتة وهو يقول - شاخصاً ببصره نحو سقف البيت - : «اللهم في الرفيق

(١) عمدة القاري (١٨/٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٨٩)، والحاكم في المستدرک (٤٣٨٣) (٣/٥٧)، والطبراني في الكبير (٨٧١) (٢٢/٣٤٦).

الأعلى».

أرادت كما جاء في الرواية الأخيرة - أن تمسح على النبي ﷺ بيمين نفسه كما كان يفعل إذا اشتكى منهم إنسان، فترع يده من يدها، وشخص بصره نحو سقف البيت وقال:

«اللهم الرفيق الأعلى» أو قال: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق» أو قال: «اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى».

فأدركت السيدة عائشة أن الرسول ﷺ قد خُير - كما كان يقول وهو صحيح - فاختر.

زهد النبي في المتاع الزائل، وقد عاش حياته كلها زاهدًا فيه، واختار ما هو خير وأبقى، ولم ينس وهو يعالج السكرات أن يطلب من الله المغفرة: «اللهم اغفر لي».

وليس ثمة ذنب يتطلب المغفرة للنبي المعصوم، ولكنه التواضع والتذلل للمخالق جَلَّوَعَلَا، في موقف تنتزل فيه الرحمات، وتقال فيه العثرات.

إنه الإقبال الكامل على الله، والانصراف عما سواه.

إنه الخضوع المطلق لمالك الكون، ومالك النفوس.

تقول السيدة عائشة بعد أن سمعت هذه الكلمات من فم رسول الله ﷺ: فذهبت أنظر فإذا هو قد قبض.



قال النبي ﷺ لابنته فاطمة (عليها السلام) حين صاحت: واكرب أباه: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».

تقدم شبه الجملة الخبر على الاسم للدلالة على التخصيص، والاسم «كرب» نكرة لإفادة العموم، «بعد اليوم» أراد يوم الاحتضار.

والجملة كاملة كناية عن انتهاء النصب والعناء الذي لقيه النبي ﷺ في الدنيا، وديمومة النعيم الذي ينتظره عند ربه في الآخرة.

كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُحْيَا - أو يُخَيَّر».

«إنه لم يقبض نبي قط» والفعل «يقبض» منفي بلم، وتأكد نفيه بالظرف المبني (قط)، «حتى يرى مقعده من الجنة» كناية عن تثبيت الله لأنبيائه بتحقيق وعده لهم، «ثم يُحْيَا أو يُخَيَّر».

«ثم يُحْيَا» كناية عن التوديع والمفارقة.

«أو يُخَيَّر» أو للشك، ويخَيَّر: كناية عن التفويض التام في أمر النفس.

قال ﷺ في النفس الأخير: «اللهم في الرفيق الأعلى»^(١)، وفي رواية: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحمني بالرفيق»^(٢)، وفي رواية أخرى: «اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى»^(٣).

والجامع المشترك بين هذه الثلاثة هو قوله: «في الرفيق» وهو شبه جملة جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: أدخلوني فيهم، والرفيق الأعلى: (قال الجوهرى: الرفيق الأعلى: الجنة، وكذا زُوي عن ابن إسحاق، وقيل: الرفيق: اسم جنس يشمل الواحد وما فوقه، والمراد به الأنبياء عليهم السلام ومن ذكر في الآية^(٤))، وقال الخطابي: الرفيق الأعلى هو صاحب المرافق، وهو هاهنا بمعنى الرفقاء يعني الملائكة، وقال الكرمانى: الظاهر أنه معهود من قوله تعالى: ﴿وَحَسِّنْ أَوْلِيَّتَكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، أي أدخلني في جملة

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩١).

(٤) المراد آية النساء ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ [النساء: ٦٩].

أهل الجنة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والحديث المتقدم يشهد بذلك، وقيل: المراد بالرفيق الأعلى الله ﷻ، لأنه رفيق بعباده^(١). وكل أولئك يصلح أن يكون مرادًا لكلمة الرفيق، لأن المعنى أن الرسول ﷺ في نهاية المطاف، وبعد حياة حافلة بالجهاد - زهد في الدنيا ومتاعها، واختار الله وما عنده.



الباب الثاني

الرَّسُولُ ﷺ مع الْمُؤْمِنِينَ

الفصل الأول

الرسول ﷺ مع الرسل والأنبياء

عليه السلام

مثلي ومثل الأنبياء

١ - «مثلي ومثل الأنبياء»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثْلِي وَمَثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَخْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ، قَالَ: «فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»^(١).



يؤكد هذا الحديث أن رسالة محمد ﷺ لم تأت في سياق وحدها، وإنما جاءت ختامًا لسلسلة متصلة من الرسالات، واكتمل بها بناء الوحي السماوي، ولا يعني ذلك أن الرسالات التي سبقتها كانت ناقصة، (فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد - هنا - : النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة)^(٢)؛ بل يعني أن الرسالة المحمدية هي الرسالة التي استوعبت ما سبقها من رسالات، وصدقت بما جاء قبلها من كتب صحيحة لم تنلها يد التحريف، وأبطلت بعض ما جاء فيها مما لا يناسب الرسالة العامة الخاتمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي معنى التصديق والهيمنة قال الطاهر بن عاشور: (وقد أشارت الآية

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ومسلم (٢٢٨٦) كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، والترمذي (٢٨٦٢) كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في مثل النبي ﷺ والأنبياء قبله.

(٢) فتح الباري (٥٥٩/٨).

إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع، مقرر له من كل حكم كانت مصلحته كليّة، لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدق، أي محقق ومقرر، وهو أيضًا مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصلحته جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة^(١).

إنه دين واحد، وإن تعددت الرسالات، وتعدد المرسلون؛ لأن المرسل ﷺ واحد، والغاية واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [النور: ١٣].

ويبقى لمحمد ﷺ مع ذلك فضل الرسالة العامة الشاملة التي جاءت للناس كافة، وختمت بها كل الرسالات.

إن الحديث ينقل لنا الإحساس بالتعاضد الذي يغمر قلب النبي ﷺ، إذ لا يشعر أنه وحيد، وإنما هو عضو في أسرة كريمة واحدة، تجمعها أخوة النبوة: «أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء إخوة أولاد علات، وليس بيني وبين عيسى نبي»^(٢).

ومع ما فضل به محمد ﷺ على سائر الأنبياء من حمل الرسالة الخاتمة، إلا أنه لتواضعه الجسم يصف نفسه باللينة، لبنة في بناء كبير متماسك، حتى وإن كان الواقع يقول أنه لولا هذه اللينة لما تم البناء، ولما وصف بالكمال والجمال.



(١) التحرير والتنوير (٦/٢٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٦٣).

الحديث يعرض تشبيهاً تمثيلياً، صور فيه النبي ﷺ حاله وحال الأنبياء من قبله وما جاؤوا به، وما جاء به - بحال بيت بناه رجل فأحسن بناءه، وبالع في تزيينه وتجميله، ولكنه ترك فيه موضع لبنة في زاوية، لم يضعها في موضعها، فصار الناس يتعجبون من جمال البيت وروعة بنائه، ويأسفون لغياب هذه اللبنة، ويقولون هلاً وضعت هذه اللبنة.

والتشبيه يوحى بأهمية الرسالة المحمدية وفضلها على كل الرسالات، كما أنه يشير إلى وحدة الرسالات، ووحدانية المرسِل.

وهذا التشبيه مثال واضح للبلاغة النبوية المتفردة، إنه صورة حية شديدة البساطة، مع تعدد أطرافها، وتنوع تفاصيلها. إنها تأخذ لُبَّك من اللحظة الأولى حين تتابع هذا الرجل الذي بنى البيت وحسنه وجملته، ثم تفجؤك بأنه ترك موضع لبنة، ثم تدور عيناك مع الناس وهم يدورون حول البيت ويعجبون من حسنه وجماله، ثم تتحسر معهم حين يتحسرون على موضع اللبنة الغائبة، ثم تهدأ نفسك، وشرح صدرك حين تعلم أن النبي ﷺ هو هذه اللبنة، وأن دين الله قد اكتمل واختتم بمجيئه.

إنها صورة مليئة بالحركة (بنى - يطوفون) عامرة بالأصوات (يعجبون - ويقولون)، متعددة الأطراف، كما أنها تشبه القصة القصيرة في كثافة الصورة، وجودة الحبكة، وروعة الخاتمة.

وقوله ﷺ: «يطوفون به، ويعجبون له» ازدواج لطيف الإيقاع.

«هلاً وضعت هذه اللبنة» أسلوب طلبي، غرضه الحث والتحضيض.

«فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» جملتان اسميتان مثبتتان صيغتا بأسلوب القصر الذي اعتمد على ضمير الفصل، وفيه مثال على التكثيف اللغوي الذي يختم به النبي ﷺ الحديث، ويلخص فيه مضمونه، ويكون آخر ما يقرع به أذن السامع بقوة وتركيز؛ ليظل متردداً في وعيه؛ محفوظاً في ذاكرته إلى

أطول زمن ممكن.



الرسول ﷺ مع جبريل عليه السلام

١ - «فُضِرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِرَجَ عَنْ سَفْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَتَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفُضِرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَبَسٍ مِنْ ذَهَبٍ مُنْتَلِي حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَفَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...»^(١).



٢ - «رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ»:

عَنْ مَرْوُقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثَ مَنْ نَكَلَمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا - ﷺ - رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِيَنِي وَلَا تَعْجَلِيَنِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾. فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(٢).

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٤٩) كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟، ومسلم (١٦٣) كتاب الإيمان، باب الإسراء، عن أنس رضي الله عنه، وينحوه عند النسائي في المجتبى عن مالك بن صعصعة (٤٤٨) كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ =

٣- «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحْدِثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحَقَاءُ الْمَرْأَةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَنْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتِ وَيَسْمُرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ» فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»^(١).



٤- «وَأَعَدَّتْنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ» :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصَا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ،

= وَقَالَ رَأَى النَّبِيُّ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٦٨) كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٧٧) كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، وَمُسْلِمٌ (٩) كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِنَحْوِهِ عَنْ عُمَرَ (٢٦١٠) كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

وقال: «ما يُخْلِفُ الله وَغَدَهُ وَلَا رُسُلُهُ» ثُمَّ التَفَتَ، فإِذَا جَرُّوْ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فقال: «يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟» فقالت: والله ما دَرَيْتُ، فَأَمَرَهُ بِه فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ، فقال رسول الله ﷺ: «وَأَعَدْتَنِي فَبَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ» فقال: مَتَعْنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ^(١).



٥ - «نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي»:

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَرَ الْعَصْرَ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: أَمَا إِنَّ جِبْرِيلَ قَدْ نَزَلَ فَصَلِّ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: اغْلَمْ مَا تَقُولُ يَا عُرْوَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ بَشِيرَ بْنَ أَبِي مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، يَخُشِبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ»^(٢).



٦ - «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ»:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ

(١) أخرجه مسلم (٢١٠٤) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، عن عائشة رضي الله عنها، وأبو داود (٤١٥٧) كتاب اللباس، باب في الصور، والنسائي في المجتبى (٤٢٨٣) كتاب الصيد والذبائح، باب امْتِنَاعُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ دُخُولِ بَيْتٍ فِيهِ كَلْبٌ، بنحوه، كلاهما عن ابن عباس عن ميمونة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢١) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (٦١٠) كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، والنسائي في المجتبى (٤٩٤) كتاب المواقيت، باب المواقيت، وابن ماجه (٦٦٨) كتاب الصلاة، أبواب مواقيت الصلاة.

مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ، وَكَانَتْ قَدَرُ الشَّرَاكِ، وَصَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِي - يَعْنِي الْمَغْرِبَ - حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرَّمَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عَلَى الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ صَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِي الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلَّى بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ^(١).



٧- «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ»:

عن خَلَادِ بْنِ السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَانَهُمْ بِالْإِهْلَالِ»، أَوْ قَالَ: «بِالتَّلْيَةِ»، يُرِيدُ أَحَدَهُمَا^(٢).



تبدو مفعمة حرارة اللقاء بين الأرض ممثلة في شخص النبي ﷺ، والسماء ممثلة في جبريل عليه السلام، إذ لم يكن هذا اللقاء مشابها للقاءات السابقة، بل كان لقاء فذاً متميزاً، إنه لقاء الإعداد لرحلة الإسراء والمعراج وتهينة قلب النبي لاختراق السماوات العلى، والسباحة في الملكوت الأعلى. كان لقاء التطهير والاصطفاء.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣) كتاب الصلاة، باب في المَوَاقِيتِ، والترمذي (١٤٩) كتاب أبواب الصَّلَاةِ، باب ما جاء في مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨١٤) كتاب المناسك، باب كيف التَّلْيَةُ؟، والترمذي (٨٢٩) كتاب الحج، باب ما جاء في رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّلْيَةِ، وابن ماجه (٢٩٢٢) كتاب المناسك، باب رَفْعِ الصَّوْتِ بِالتَّلْيَةِ.

في الحديث الأول أخبر النبي ﷺ أن جبريل أتاه وهو بمكة ففرج سقف البيت، ثم نزل إلى النبي ﷺ، ففرج صدره، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدره، ثم أطبقه كما كان، ثم أخذ بيده بكل رفق، فخرج به إلى السماء.

وهذا الشقُّ الذي تحدث عنه النبي في الحديث كان قبيل الإسراء، وهو غير الشقِّ الأول الذي كان النبي ﷺ فيه صبيّاً في مراتع بني سعد، ويبدو أن هذا الشقِّ الأخير كان تهيئة للنبي للرحلة العلوية التي لا يتحملها قلب بشر إلا أن يعده الله لذلك.

ولا يجوز تأويل الحديث أو إخراجه عن حقيقته، فإن شقَّ صدر النبي ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة، وهو ليس بالأمر المستغرب في حق النبي ﷺ، بل هو من معجزاته المعدودة الثابتة.

ويُفاجأ النبي ﷺ في لقاء آخر بمشهد عظيم لم يره من قبل، إنه جبريل في صورته الطبيعية دون تمثل أو تشكّل، أي هول تراه خالط قلب النبي حين رأى هذا الخلق العظيم؟! وأي سعادة غمرت جوانحه، وحجب الغيب تتكشف له فيرى ما لا يراه الناس، ويُختص بفيوض المنح الإلهية التي لا توهب إلا لأصفياء المولى ﷺ؟

في الحديث الثاني يدور حوار بين السيدة عائشة رضي الله عنها ومسروق رضي الله عنه حول هذه المسألة، فقد بادرت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت له - وكان جالسا عندها: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، فسألها ما هنّ؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وكان مسروق متكئاً فجلس وقال: يا أم المؤمنين أنظريني - أي أمهليني - ولا تعجلي عليّ، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيُبَيْنِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟ وكان مسروقاً قد فهم من هاتين الآيتين أن المراد

بالرؤية رؤية الله ﷻ، فتجيبه السيدة عائشة: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك - أي عن المراد بالرؤية في الآيتين - رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها - فقد كان ينزل على رسول الله أحياناً متمثلاً في صور أخرى - غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض».

والخلاصة أن السيدة عائشة تنفي هنا بصورة قاطعة رؤية الرسول ﷺ لربه رأي العين، ومع ذلك فإن (إنكار عائشة رضي الله تعالى عنها الرؤية لم تذكرها رواية إذ لو كان منها رواية فيه لذكرته)^(١)، وإنما هي تنقل عن رسول الله ﷺ تفسيره للآيتين السالفتين اللتين سألتُه عنهما من أن المراد بالرؤية فيهما رؤية جبريل، ومن المحتمل أن لا تكون السيدة عائشة رَضِيَتْ عَنْهَا سمعت من النبي ﷺ ما يثبت رؤيته لربه.

على أن الأحاديث الصحيحة التي تحدثت عن رؤية النبي ﷺ لربه لم تذكر صراحة أنه رآه رأي العين، بل ذكرت أنه ﷺ رأى نوراً.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألتُه، فقال: عن أي شيء تسأله؟ قال: كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت، فقال: رأيت نوراً، وعند الترمذي أنه قال: «نور أنى أراه»^(٢).

وعلى أية حال، فإنه لا خلاف في أن المراد بقوله ﷺ: «رأيتُه منهبطاً ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض» هو جبريل ﷺ، وكانت هذه من المرات القليلة التي رآه فيها النبي ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها.

وفي الحديث الثالث تبدى أخلاق النبوة في أسمى صورها، إذ يتسع

(١) عمدة القاري (١٤٣/١٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٨٢).

صدر النبي الحليم لرجل غريب لا يعرفه، ولا يعرفه أحد من أصحابه، ليجلس أمامه ويسند ركبته إلى ركبته، ويضع كفيه على فخذه كما تصرح رواية مسلم عن عمر رضي الله تعالى عنه^(١)، ثم يسأل عن أصول الدين وأشراف الساعة فيجيبه بكل أريحية، ولا يكتمه حديثاً، ولا يملّ منه حتى يملّ الآخر، ثم ينصرف.

إنه جبريل جاء في صورة رجل، وراح يسأل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وأمارات الساعة، ثم انصرف، فأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يردوه إليه، فذهبوا ليعيدوه، فلم يجدوا شيئاً، فقال ﷺ: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

ويبدو أن الرسول ﷺ عندما جاءه الرجل، وجلس بين يديه يسأله لم يكن يعلم أنه جبريل، وأنه أدرك ذلك حين انصرف الرجل، وسعى الصحابة للعودة به فلم يجدوه.

ودليل ذلك رواية ساقها ابن حبان، والبيهقي والدارقطني، ورد في ختامها قوله ﷺ: «...هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه، والذي نفسي بيده ما شُبّه عليّ منذ أتاني قبل مرّتي هذه، وما عرفته حتى ولّني»^(٢).

والحديث جامع لعلوم القرآن والسنة، (قال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه)^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٨) كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٧٣)، والبيهقي في الصغرى (٩)، والدارقطني في سنة (٣/٣٤٠).

(٣) فتح الباري (١/١٢٤).

ويظلُّ شوق النبي ﷺ لجبريل ملحاً، ولذلك كان يتبع الأسباب التي قد تحول دون حضوره إلى بيت النبي كالكلب والصورة، ويسارع إلى إزالة تلك الموانع، حتى يظل حبل النبي ﷺ موصولاً بالسماء.

ففي الحديث الرابع كان جبريل ﷺ قد واعد رسول الله ﷺ في ساعة يأتيه فيها، فلم يأت، فتعجب رسول الله ﷺ قائلاً: «ما يخلف الله وعده ولا رسله».

أدرك الرسول ﷺ أن جبريل لم يأت لعله قد تكون في البيت، فبحث فوجد كلباً تحت سريره، فأمر به فأخرج، وجاء جبريل فأخبر النبي ﷺ أنه أتاه فمنعه من الدخول وجود كلب، وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة.

وتبدو المؤازرة السماوية العلمية للنبي صلى الله عليه وآله متصلة بلا انقطاع إذ يتفرغ جبريل ﷺ يومين كاملين من الفجر إلى عتمة الليل ليؤم النبي في الصلوات الخمس مرتين، حتى يحدد معه بصورة عملية مواقيت الصلاة.

ففي الحديث الخامس ينزل جبريل كما أخبر النبي ﷺ إلى الأرض، فيؤم الرسول ﷺ خمس صلوات، وهي الصلوات الخمس: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويفصل الحديث السادس فيبين أن جبريل أم النبي ﷺ مرتين مرة في أول الوقت ومرة في آخره، ثم يبين له أن الوقت المباح هو ما بين هذين الوقتين.

وفي الحديث السابع يأتي جبريل إلى النبي ﷺ وهو وأصحابه بملابس الإحرام في طريقهم إلى الحج، فيأمره أن يأمر أصحابه برفع أصواتهم بالإلهال - أي التلبية - لأنها من شعائر الحج، (والحديث يدل على استحباب رفع الصوت بالتلبية، وهو قول الجمهور، وروى البخاري في صحيحه^(١) عن أنس قال: صلى النبي بالمدينة الظهر أربعاً، والعصر بذى

الحليفة ركعتين، وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً، وروى ابن أبي شيبة^(١) بإسناد صحيح عن بكر بن عبد الله المزني قال: كنت مع ابن عمر فلبيّ حتى أسمع ما بين الجبلين^(٢).

وما يزال المسلمون حتى اليوم يرفعون أصواتهم بالتلبية؛ لتتردد أصداؤها في الأرض والسماء، وليتناغم الكون كله جمادات وأحياء في نسق واحد يضرع إلى المولى ويستجير به، ويسبح بحمده. ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].



* قوله ﷺ: «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة»: فرج: أي فُتح فيه فتح، والفعل مبني للمجهول لأن الأمر فوق قدرات النبي ودون إرادته، كما أن الفاعل لحظة الفعل لم يكن معلوماً للنبي ﷺ.

«عن سقف بيتي»: نزول الملك من السقف؛ لا من الباب أوقع صدقاً، وأنسب للملك وأدعى للمفاجأة.

وقوله «يتي»: أضاف ﷺ البيت لنفسه، (فإن قلت: كان البيت لأم هانيء، فكيف قال: بيتي بإضافته إلى نفسه، قلت: أضافه إليه بأدنى ملابسة، وهذا كثير في كلام العرب، كما يقول أحد حاملبي الخشبة للآخر: خذ طرفك)^(٣).

«وأنا بمكة» جملة اسمية حالية مصدرة بواو الحال، وهي تصرف عن ذهن المستمع أي احتمال لكون الإسراء والمعراج حدث في غير مكة.

«فنزّل جبريل ﷺ ففرج صدري»: في العبارة حذف مفهوم من السياق وتقديره: فسلم عليّ، ثم أضجعني على ظهري ففرج...، والنبي يستغني عن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥٠٤٧).

(٢) تحفة الأحوذى (٤٧٨/٣، ٤٧٩).

(٣) عمدة القاري (٢٤/٤).

ذكر التفاصيل بالتركيز على الحديث الأهم.

وقول النبي ﷺ: «فَقَرَجَ صَدْرِي» مناسب لقوله في أول الحديث «فُرج عن سقف بيتي» وفيه إيحاء بالسهولة التي تم بها الحدث لأنه فعل ملائكة، واستخدام الفاء دلالة على السرعة التي تمَّ بها الأمر.

«ثم غسله بماء زمزم» هذه إشارة إلى بركة ماء زمزم، (حيث اختص غسل صدره ﷺ بمائها دون غيرها، وذلك لأنها ركضة جبريل ﷺ، وسُقيا إسماعيل) ^(١).

* قوله ﷺ: «ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً»: «بطست من ذهب»، قيل إنها (من الجنة يُغسل فيها قلوب الأنبياء) ^(٢).

والطست مؤنثة، ومع ذلك جاء الوصف بعدها «ممتلئ» (على معناها، وهو الإناء) ^(٣).

«ممتلئ حكمة وإيماناً»: والحكمة والإيمان معنيان، فكيف يمتلئ بهما الطست، وكيف يفرغهما في صدر النبي ﷺ، وهل يكون ذلك على سبيل المجاز كما قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان، وهذه صفة الأجسام - فمعناه والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما، فسُمِّيَ إيماناً وحكمة لكونه سبباً لهما، وهذا من أحسن المجاز) ^(٤).

وغالب الظن أننا لو أخذنا بتفسير الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ - لما كان هناك معنى للشقِّ واللأم، بل والنزول من باب أولى، ولجاز أن نخرج الحديث كله

(١) السابق (٢٧٧/٩).

(٢) فتح الباري (٥٨/٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٨/٢).

(٤) السابق، الموضع نفسه.

من الحقيقة إلى المجاز، وهو ما يتعارض مع كون الشق معجزة ثابتة بالأحاديث الصحيحة المتواترة. فالراجع - والله أعلم - أن الواقعة لا محل فيها للخيال، وأن تفاصيلها من الأمور الغيبية التي لا مجال للنظر العقلي فيها، وإنما يجب الإيمان بها كما يؤمن بسائر الغيبات.

«فأفرغه في صدري» الفاء للسرعة، وأفرغه تفيد تمام استفاد ما في الطست من إيمان وحكمة، ولذا لم يقل: فسكره، أو فآلقاه؛ لأنهما لا تفيدان ذلك المعنى.

«في صدري» صدري مجاز مرسل علاقته المحلية.

«ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فخرج بي...» قدرات ملكية فائقة تقف إمكانات البشر أمامها عاجزة، عملية جراحية سريعة بلا تخدير ولا دماء تنتهي في لحظات، ثم يُطبّق الصدر بلا خيوط، ويقوم النبي سريعاً بلا استراحة ولا نقاهة فيأخذ الملك بيده، فيصعد به إلى السماء.

* قوله ﷺ: «رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»: «رأيتُه منهبطاً من السماء» ويدعو للتأمل هنا استعمال النبي لاسم الفاعل «منهبطاً»، وعدم استعماله (هابطاً).

و«منهبطاً» اسم فاعل من الفعل (أنهبط) بوزن (انفعل)، وهو فعل يأتي غالباً لمطاوعة فعل، وهو هنا أهبط فأنهبط، إشارة إلى أن جبريل لم يهبط بنفسه، وإنما أهبطه الله، فهو منهبط، وفيه إلى ذلك إحياء بشدة الهبوط وقوته.

«ساداً عظم خلقه» استخدام اسم الفاعل «ساداً» عوضاً عن الفعل سدّ سدّ - أثبت وأكد للصفة.

والجملة كلها تؤكد على ضخامة المَلَك، وعظيم صنع الله في خلقه.

يُسأل النبي عن أصول الدين، فتجد الإجابة عنها تبدأ بذكر المسؤول عنه، ثم يتلوه مصدر مؤول: «الإيمان: أن تؤمن... الإسلام أن تعبد... الإحسان أن

تعبد...» وذكر المسؤول عنه في بداية الإجابة يزيده تحديدًا وتركيزًا في ذهن السامع، واستعمال المصدر المؤول المكون من (أن + الفعل المضارع) أكثر تأكيدًا من المصدر الصريح، وأدُلُّ على الحالية والاستمرار.

وحين سُئل ﷺ عن الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» والعبرة ذهبت في استيفاء نفي العلم إلى أبعد حد إذ نفاه عن نفسه وعن السائل، وهذا يقتضي نفيه عن كل أحد.

ثم بدأ النبي ﷺ يتحدث عن أشراط الساعة فقال: «إذا ولدت المرأة ربته» وفي رواية «ربها»، وفي قوله: «ربته» مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون، وقد فُسر هذا القول بأكثر من تفسير أشهرها أن الأُمَّة تكون تحت السيد فتلد مولودًا فيصير سيدها أو سيدتها، ولا يناسب هذا التفسير ما آل إليه الأمر من اختفاء الرق القديم، وإن ظلت بعض صور الرق الحديث موجودة، كالتجارة في النساء والأطفال بالبغاء، وكبيع لاعبي كرة القدم، وليس بعيد أن يعود الرق القديم قبل قيام الساعة، لكن أقرب التفاسير إلى الواقع - في ظني - هو (أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازًا)^(١).

وهذا مناسب لما سيرد بعد ذلك من أمارات تدل على انقلاب الأمور كأن يصير الحفاة العراة رؤوس الناس.

ولا يخفى ما بين الحفاة العراة، ورؤوس الناس من طباق معنوي يبرز المعنى ويؤكد.

فلما انصرف الرجل قال النبي ﷺ: «ردُّوا علي» وفي الجملة إرادة الاختصار خوف فوات الفرصة، وغياب أثر الرجل.

• يقول النبي ﷺ: «ما يخلف الله وعده ولا رسله» أراد تأكيد النفي تأكيداً قاطعاً، فبدأ بنفي خُلف الوعد عن المولى ﷺ، مع أن المراد جبريل، ثم نفاه عن جبريل فقال: «ولا رسله». واستخدم أشهر أداتين للنفي وهما (ما)، و(لا)، فنَقَى المضارع بـ (ما) مع جواز نفيه بـ (لا)، ونَقَى الاسم بـ (لا) مع جواز نفيه بـ (ما)، واجتماع الأداتين معاً في النفي أقوى وأكد. وقد أحر الرسول ﷺ «رسله» ولم يعطفها مباشرة على لفظ الجلالة، فلم يقل: «ما يخلف الله ولا رسله وعدهما» تأديباً مع الله ﷻ الذي لا يُسوَّى به أحد من خلقه.

«متى دخل هذا الكلب هاهنا؟» استفهام غرضه البلاغي الإنكار.

«واعدتني فجلست لك فلم تأت» كأن النبي ﷺ يعاتب جبريل عتاباً رقيقاً، فبدأ بذكر الوعد، ثم يتلطف في العتاب فيقول: «فجلست لك فلم تأت»، و«فجلست لك» فيها بيان لتهيؤ الرسول للموعد، واستفراغ الوقت والجهد له، و«فلم تأت» آخر مقتضى العتاب وهو عدم الإتيان فلم يَجِبْ به جبريل من باب الأدب النبوي الرفيع مع رسول رب العالمين ﷺ.

يقول النبي ﷺ: «نزل جبريل فأمني، فصليت معه ثم صليت معه...»

«نزل جبريل فأمني، فصليت» استخدام الفاء يدل على السرعة كما يوحى بخطورة المهمة التي نزل لها جبريل إذ قصر نزوله عليها، وظل يوماً كاملاً أو يومين كما ذكر في الحديث التالي يؤم النبي ﷺ في الصلوات الخمس «أمني جبريل ﷺ عند البيت مرتين».

وقوله ﷺ في الحديث السادس: «حين أفطر الصائم» كناية عن أول وقت المغرب، و«حين حرم الطعام والشراب» كناية عن أول وقت الفجر.

وفي الحديث الأخير يقول ﷺ: «أتاني جبريل ﷺ فأمرني أن آمر، استخدام جملة (أمرني أن آمر)، نوحى بأهمية رفع الصوت عند الإهلال والتأكيد عليه.

وقوله ﷺ: «ومن معي» يجعل الأمر شاملاً للأصحاب وغير الأصحاب،
من آل بيت النبي، ومن في معيته من الخدم والعبيد والموالي وغيرهم.



الرسول ﷺ مع إبراهيم عليه السلام

١ - «رجل طويل لا أكاد أرى رأسه»:

حدثنا سمره قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آتيان، فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا، وإنه إبراهيم عليه السلام»^(١).



٢ - «أما إبراهيم فأنظروا إلى صاحبكم»:

عن مجاهد، أنه سمع ابن عباس عليه السلام - وذكروا له الدجال، بين عينيه مكتوب: كافر، أو: كف - قال: لم أسمع، ولكنه قال: «أما إبراهيم فأنظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر، مخطوم بخلي، كاني أنظر إليه»^(٢) انحدَرَ في الوادي»^(٣).



٣ - «نحن أحق بالشك من إبراهيم»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وَيَرْحَمَ اللَّهُ لَوْطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

(٢) زاد مسلم: «إذا».

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٥) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (١٦٦) كتاب الإيمان، باب الإسراء.

السَّخْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(١).



تشير الأحاديث الثلاثة السابقة إلى سمات بارزة في شخصية إبراهيم عليه السلام أولها أنه طويل جدًا لا يكاد يُرى رأسه من فرط طوله، وربما يُفسر ذلك بقرب عهده بأبيه آدم، إذ كان طول آدم ستين ذراعًا كما ورد عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا...»^(٢)، فلا عجب إذاً أن يكون إبراهيم بهذا الطول المفرط.

أمَّا السمة الثانية فهي أن ملامح وجه إبراهيم كلامح وجه حفيده محمد ﷺ، وهذا يعني أنه كما ورد عن أنس وهو يصف النبي ﷺ: (أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل...)»^(٣).

أمَّا الأمر الثالث فهو الشك الذي خالط قلب إبراهيم في قضية إحياء الموتى إذ قال لربه: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّیَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

(واختلف السلف في المراد من الشك هنا، فحملة بعضهم على ظاهره، وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحملة أيضًا الطبري على ظاهره، وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر، ولا زلزلت الإيمان الثابت... وذهب آخرون إلى تأويل ذلك)^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ﷺ: ﴿وَنَبِّئَهُمْ عَنْ صَبِّهِمْ﴾ (٥) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ الآية، ومسلم (١٦٦) كتاب الإيمان، باب زِيَادَةِ طَمَآنِيَةِ الْقَلْبِ بِظَاهِرِ الْأَوَّلَةِ، وابن ماجه (٤٠٢٦) كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٤) فتح الباري (٦/٤١١، ٤١٢).

أما قول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فقد رجح فيه النووي معنيان (أحدهما: أنه خرج مخرج العادة في الخطاب، فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلم فيه: ما كنت قائلًا لفلان أو فاعلاً معه من مكروه فقله لي، وافعله معي، ومقصوده: لا تقل ذلك فيه. والثاني: أن معناه أن هذا الذي تظنونه شكًا أنا أولى به، فإنه ليس بشك، وإنما هو طلب لمزيد اليقين^(١)).

عمر قلب النبي ﷺ بحب جده إبراهيم، فهو يذكره دائمًا بكل إعزاز وتقدير، ويعتبر نفسه ابنًا له، فعندما يرزقه الله بولد من مارية يسميه إبراهيم ويقول: «ولد لي الليلة غلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم»^(٢).

بل عندما يسأله أصحابه فيقولون له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى...»^(٣).

ووليّه وخليله من دون الرسل جميعًا هو إبراهيم عليه السلام، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي ولاية من النبيين، وإن وليي وخليلي منهم أبي إبراهيم»، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْإِنسَانِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [المؤمن: ٦٨]^(٤).

ومن المعروف أن النبي ﷺ قبل أن يبعث كان يخرج إلى غار حراء فيتحنث الليالي ذوات العدد أي (يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم)^(٥).

إن رحمًا ونسبًا يربط محمدًا ﷺ بإبراهيم عليه السلام، وعلاقة حميمية تصل ما بين شريعة محمد وحنيفية إبراهيم، حتى إنهما ليعدان شيئًا واحدًا.

أخرج الترمذي وغيره عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال له: «إن الله

(١) شرح النووي (٢/١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٥)، وأبو داود (٣١٢٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٦٦)، وابن حبان (٦٤٠٤).

(٤) أخرجه الحاكم (٤٠٣١).

(٥) فتح الباري (١/٢٣).

أمرني أن أقرأ عليك القرآن» فقرأ عليه ﴿لَا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٧]، وفيها: «إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية...»^(١).

وكان هذا قرآنًا يتلى قبل أن ينسخ تلاوةً ويبقى حكمًا.



يقول النبي ﷺ: «أنا في الليلة آتيان»: وإيهام الآتين، وعدم الإشارة إلى ماهيتهما، فيه تعظيم لهما، وإضفاء لغلائل الهيبة عليهما. «لا أكاد أرى رأسه طولاً»: كناية عن الطول البائن، وفي الطول جلال ووقار.

«وإنه إبراهيم ﷺ»: جملة اسمية مثبتة مؤكدة بيان، وفي الجملة معنى المفاجأة، وكأن النبي ﷺ يقول: فإذا هو إبراهيم. أما قوله ﷺ: «فانظروا إلى صاحبكم»: فهو كناية عن الشبه الشديد بين النبي ﷺ وأبيه إبراهيم وهو شبه شكلي ومعنوي.

وقول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»: في باطن العبارة نفي للشك عن إبراهيم؛ لأن معناه (أن الشك يستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحقُّ به من إبراهيم، وقد علمتم أنني لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم لم يشك)^(٢).



(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٨)، وأحمد (١٣٢/٥).

(٢) الدياج على مسلم (١٧٣/١).

الرسول ﷺ مع يوسف ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتَقَاهُمْ»، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ بْنُيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَّهُوا»^(١).



سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْرَمِ النَّاسِ؛ فَأَجَابَ أَوَّلًا إجابة عامة فقال: «أتقاهم» لأن التقى أشرف الناس، إذ يترفع عن الصغائر، ويتسامى عن المطامع، ويتشوف إلى أسباب العز والرفعة.

فلما قال الصحابة: ليس عن هذا نسألك، قال: «فيوسف» فهو أشرف الناس نسباً، لأنه نبي، ابن نبي هو يعقوب، ابن نبي هو إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم، وكفى بهذا النسب شرفاً وعزاً.

فإذا أضيف إليه (علم الرؤيا، وراثسة الدنيا، وحيطة الرعية)^(٢) كان ذلك غاية الرفعة والسمو.

لكن أصحاب النبي قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: «فمن معادن العرب تسألون؟» أي (أصولهم التي يُنسبون إليها، ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة)^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٣) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (٢٣٧٨) كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فيض القدير (٢/ ٩٠).

(٣) عمدة القاري (١٥/ ٢٤٥).

فأضاف النبي ﷺ قائلاً: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا».

أي أن أكرم الناس من كان شريفاً في الجاهلية شريفاً في الإسلام متفقهاً في دينه عالماً بشريعته.

وهنا يبدو اتصال وشائج القربى الفكرية والمنهجية بين الأنبياء جلياً، وهذا ما عناه النبي ﷺ بقوله: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»^(١).

كما نرى خلق التواضع المحمدي بادياً في إجابة النبي عن السؤال «من أكرم الناس؟» ولو شاء النبي ﷺ لقال ولصدق: أنا، فهو أكرم خلق الله بلا شك، لكنه أجاب فقال: «أتقاهم»، وهي صفة تصدق على كل مسلم خشي الله وعمل بما يرضيه، فلما أعيد عليه السؤال قدم أخاه يوسف على نفسه، ليضرب مثلاً لأمة في إنكار الذات وعدم تزكية النفس.



قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم».

و«أتقاهم» جملة اسمية حذف المبتدأ فيها جوازاً لدلالة السياق عليه، والتقدير: أكرم الناس أتقاهم. والغرض من الحذف هنا هو التركيز والتأكيد على الخبر، وفيه أيضاً اقتباس من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

ثم أجاب: «فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله»، وتلك الإجابة فيها بيان تفصيلي لسلسلة النسب الشريفة ليوسف للتدليل القاطع على كرمه وسمو مكانته.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، وأحمد (٤٨٢/٢) وغيرهما.

ثم قال: «فمن معادن العرب تسألون»: وفي الجملة تقديم لشبه الجملة «عن معادن» غرضه التخصيص، و«معادن العرب» تشبيه من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، (شَبَّهَهُم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر)^(١).

«خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»

في العبارة ازدواج يضيفي على العبارة إيقاعاً جميلاً، يزيد من تأثيره تكرار كلمة خيارهم، والطباق بين الجاهلية والإسلام «إذا فقهوا»، وفَقَّه بالضم - وهي الرواية - من الفقه، وهو (العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم)^(٢).

فَفَقَّه بالضم، أي: صار فقيهاً عالماً. أما فَقَّه بالكسر، فيقال: (فَقَّه يَفْقَهُ فَقْهًا إذا فهم، وأفقهته أي بينت له)^(٣).



(١) فتح الباري (٤١٤/٦).

(٢) لسان العرب (٥٢٢/١٣).

(٣) العين (٣٧٠/٣).

الرسول ﷺ مع موسى عليه السلام

١ - « لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى » :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ، رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَيْقُظُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي، أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِنْهُمْ اسْتَنْتَى اللَّهَ؟ » ^(١).

٢ - « فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَ بِمُوسَى ﷺ » :

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ حَزْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَ بِمُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَى: فَرَاغَ رَبُّكَ ﷻ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاغْتُ رَبِّي ﷻ فَوَضَعَ سَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبُّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاغْتُ رَبِّي ﷻ فَقَالَ: هِيَ

(١) أخرجه البخاري (٢٤١١) كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلمين واليهودي، وأبو داود (٤٦٧١) كتاب في السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

خَمْسَ وَهَيَّ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ. فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ﷺ^(١).



٣- هذا موسى في قومه:

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: «عُرِضْتُ عَلَيْي الْأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سِوَاكَ كَثِيرًا اسْدَأَفَقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ»^(٢).



٤- «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ؛ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْثَرٍ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا عَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُذِيَنَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ؛ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَخْمَرِ»^(٣).



٥- «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى»:

عن أنس بن مالك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ - وَفِي رِوَايَةٍ هَدَابٍ:

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٤٤٩) كتاب الصلاة، باب فَرَضِ الصَّلَاةِ، وابن ماجه (١٣٩٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٠) كتاب أحاديث الأنبياء، باب وَفَاةُ مُوسَى وَذِكْرُهُ بَعْدُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٩) كتاب الجنائز، باب مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا، ومسلم (٢٣٧٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام.

مَرَزْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةً أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَخْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ^(١).



لموسى ﷺ مكانة خاصة في الإسلام، فهو من أولي العزم من الرسل الذين جاهدوا في سبيل دعوتهم جهادًا كبيرًا، وصبروا على أذى أقوامهم صبرًا طويلًا، وقد أيدته الله بكثير من المعجزات الباهرة، ونصره على أعدائه نصرًا مؤزرًا، وكانت قصته أعظم قصص القرآن عظة واعتبارًا، وأكثرها ذكرًا وتكرارًا.

ويكفي أن نعلم أن اسمه أكثر أسماء الأنبياء ذكرًا في القرآن إذ ورد مائة وأربعًا وعشرين مرة، وتلاه في ذلك إبراهيم ﷺ الذي ذكر ستًا وخمسين مرة. وأشار النبي ﷺ إلى أخيه موسى في أحاديثه الشريفة فيما يقرب من مائة وعشرين حديثًا في صحيح البخاري وحده.

وفي الحديث الأول ينهى النبي ﷺ - في تواضع جم - أصحابه عن تفضيله على موسى، ويعدد فضائل موسى وأياديه على أمة محمد ﷺ، ولا يتعارض ذلك مع قول النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...»^(٢)؛ لأن المراد ليس النهي المطلق عن التفضيل، فقد فضل الله بعض الرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَمَا تَنْظُرُونَ إِلَّا فِي أَرْبَابٍ مُتَبَايِنِينَ وَأَيُّكُمْ يَرْجُو أَلْقُدُسَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَ الْأَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٥) كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، والنسائي في المجتبى (١٦٣٧) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذَكَرَ صَلَاةَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ وَذَكَرَ الْإِخْلَافَ عَلَى سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ فِيهِ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وابن حبان (٦٤٧٨) وغيرهما.

مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَسَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿البقرة: ٢٥٢﴾ لكن ينبغي أن لا يكون (تفضيلاً يؤدي إلى إيهام المنقصة، أو إلى تسبب الخصومة) ^(١).

ثم يذكر النبي ﷺ فضلاً لموسى يوم القيامة يختص به عن سائر الخلق، إذ يُصْعَقُ الناسُ أجمعين، ويصْعَقُ نبينا ﷺ معهم، ثم يكون أول من يفيق، فيجد موسى مستمسكاً بقوائم العرش فلا يدري أكان فيمن صُعِقَ فأفاق قبله، أو أنه استثنى من الصعق، لأنه صُعِقَ قَبْلَ ذَلِكَ عند الطور؟ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلُهُ مِنَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد ورد في رواية أخرى للبخاري وأحمد عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «... فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخِذٌ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟» ^(٢).

ويورد الحديث التالي القصة المتواترة في فرض الصلاة، والتي كان لموسى ﷺ دور بارز فيها، إذ نصح نبينا ﷺ من واقع خبرته بطباع الأمم أن يراجع ربه في عدد الصلوات المفروضة علينا، حتى استقر الأمر على خمس صلوات بعد أن كانت خمسين، ويشير ذلك إلى الإشفاق العظيم والرحمة النبيلة التي يحملها قلب موسى ﷺ لأمة محمد، والتي تدفعه إلى أن يحث محمداً ﷺ على مراجعة ربه مرات حتى يخفف عن أمته، كما يشف عن الحياء المحمدي الذي صرف محمداً عن مراجعة ربه بعد إقرار الخمس وجعلها خمسين في الأجر.

وحين عُرضت الأمم على محمد ﷺ رأى جمعاً كبيراً يسد الأفق لكثرته، فلما سأل عنه قيل له: هذا موسى في قومه، وهذا يعني أن أمة موسى من أكثر

(١) عون المعبود (١٢/٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٨)، وأحمد (٣/٣٣).

الأمم عددًا بعد أمة محمد ﷺ.

وذكر لنا النبي ﷺ أن قبر موسى ﷺ قريب من الأرض المقدسة رمية بحجر عند الكتيب الأحمر، وأنه رآه ليلة الإسراء قائمًا يصلي في قبره.

و(هذا صريح في إثبات الحياة لموسى في قبره، فإنه وصفه بالصلاة، وأنه قائم، ومثل ذلك لا يوصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا، فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، وقال الشيخ تقي الدين السبكي في هذا الحديث: الصلاة تستدعي جسدًا حيًا، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر^(١).

وليست الحياة في القبر أمرًا خاصًا بموسى، فقد ثبت أن الأنبياء جميعًا أحياء على نحو ما عند ربهم.

قال رسول الله ﷺ: «... إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»^(٢).

وإذا كان الله تعالى قد ذكر ذلك في حق الشهداء فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء، وليس مستغربًا أنهم يكونون أحياء في قبورهم على الهيئة التي شاءها الله، وبالصفة التي يعلمها ﷻ وحده.



قوله ﷺ: «لا تخيرونني على موسى»: والمراد منه ليس مطلق النهي كما

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي (٢/١٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي في المجتبى (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (٨/٤)، وغيرهم.

أسلفت، وإنما النهي المؤدي إلى الخصومة والتنازع.

«فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق»: كلمة (الناس) فيها دلالة على العموم، والجملة الثانية تؤكد ذلك العموم، وتدفع الهمم باستثناء النبي ﷺ من الصعق، وهي ذكر للخاص بعد العام. أما الجملة الثالثة فهي التي تحدد ما اختص به النبي من كونه أول من يفيق من البشر بعد النفخة الثانية.

«فإذا موسى»: «إذا»: الفجائية، وهي تدل على أن النبي ﷺ علم مسبقاً بذلك الفضل الذي اختصه به ربه، ولذلك دهش لإفاقة موسى قبله.

قوله ﷺ: «باطش بجانب العرش»: البطش: الأخذ بقوة، وفي الكلمة دلالة على شدة الموقف وصعوبته حتى على الأنبياء.

والجملة كلها كناية عن اصطفاء موسى وعلو مكانته عنده.

«أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله؟» استفهام غرضه التعجب.

«فرض الله على أمتي خمسين صلاة»، في العبارة حذف مفهوم من السياق لإرادة الإيجاز، والمعنى: فرض الله على أمتي خمسين صلاة في اليوم والليلة.

«فرجعت بذلك حتى أمر بموسى ﷺ» في العبارة ما يدل على رضا محمد ﷺ بما فرضه الله على أمته، وانصياعه لأمر ربه، وعدم مراجعته فيما فرض، واستخدام الماضي «فرجعت» ثم المضارع «أمر» بدلاً من الماضي (مررت) يشير إلى استحضار رسول الله ﷺ للمرور على موسى، وكأنه أمر ما يزال يحدث حتى ساعة القول، وفي ذلك تأكيد على أهمية الحديث الذي كان من نتائجه التخفيف عن الأمة المحمدية، ورفع الحرج عنها.

«فقال: ما فرض ربك عليّ أمّتك؟»: هنا تتجلى خبرة موسى عليه السلام بأمر الرسالة، والتكاليف، إذ لم يسأل: (هل فرض ربك شيئاً عليّ أمّتك؟)، وإنما قال: «ما فرض ربك عليّ أمّتك؟».

فلما أجابه «فرض عليهم خمسين صلاة»، قال: «فراجع ربك ﷺ» وهو أمر غرضه الالتماس.

ويراجع محمد ﷺ ربه، فيخفف عن الأمة قدرًا، وتستمر المراجعة والتخفيف حتى يقول المولى ﷺ: «هي خمس وهي خمسون» وفي العبارة تشبيه بليغ شبه فيه الخمس بالخمسين، وفيها أيضًا حذف أبلغ من الذكر لأنه جعل الخمس بذاتها خمسين، والمراد: هي خمس في العمل، وهي خمسون في الأجر.

وحين يأمر موسى محمدًا بمراجعة ربه بعد هذا يقول له محمد: «قد استحييت من ربي»: وهي جملة توحى بكمال خلق النبي ﷺ، وعظيم أدبه الذي أدبه به ربه ﷻ فأحسن تأديبه.

«عُرِضْتُ عليّ الأمم»: هذا مثال من أمثلة عين اليقين الذي علّم الله به نبيه ﷺ، فهو يعرض عليه عيانًا الأمم السابقة ليرى حجم كل أمة ممن سبقوه، ويوقن بفضل الله ونعمته عليه إذ جعله أكثر الناس تابعًا.

«ورأيت سوادًا كثيرًا سدّ الأفق»

تشبيه شبه فيه كثرة الجمع بالسواد، وهو يوحى بكثافة العدد، وعظمة الجمع، وشدة الزحام.

«فقبل: هذا موسى في قومه»: هنا حذف للسؤال لإرادة الإيجاز، ولفهم المحذوف من السياق، فكان النبي ﷺ سأل: ما هذا السواد الكثيف؟ فجاءته الإجابة: «هذا موسى في قومه».

«فلو كنت ثم لأريتكم قبره»: أراد النبي بالعبارة أن يؤكد معرفته بمكان قبر

موسى، ولذلك عَقَّبَ بتحديد المكان: «إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر».

وقوله: «عند الكثيب الأحمر» دون إضافة أخرى يشعر بأن ذلك المكان مشهور ومعلوم.

«أُتِيت - مررت - على موسى»: «مررت» تفيد أن المجيء إلى موسى لم يكن مقصودًا، ولم يكن مرادًا أثناء الرحلة، ولم يكن محطة توقف فيها الركب، بينما تحمل رواية «أُتِيتُ» التي صُدِّرَ بها الحديث عند مسلم كثيرًا من المعاني التي نُفِيت عن الرواية السابقة.

«وهو قائم يصلي في قبره»: «وهو قائم» جملة حالية، واستخدام صفة القيام يؤكد تحقق الحياة، واسم الفاعل يفيد لزوم الصفة، والمضارع «يصلي» يعني الاستمرار، و«في قبره» تعني أن صلاة موسى كانت على هيئة مختلفة عن صلاة أحياء الدنيا، وعلى نحو لا يعلمه إلا الله جَلَّ وَعَلَا.



الرسول ﷺ مع عيسى عليه السلام

١ - «أنا أولى الناس بابن مريم»:

عن الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»^(١).



حب إلهي نبوي يجمع قلوب الأنبياء جميعًا، ويوثق الصلة بينهم، ويجعلهم أولى الناس بعضهم ببعض، ويُرسِّخ لتلك الأخوة النبيلة ذلك القول العظيم: «والأنبياء أولاد علات» أي أخوة غير أشقاء.

وزيد من وثاقة العلاقة الخاصة بين عيسى ومحمد عليهما السلام أنه لم يفصل بينهما نبي، فمنذ رفع عيسى إلى ربه رفع معه الوحي المباشر، وظلت الأرض مجدبة عطشى إلى كلمات السماء قرونًا حتى أصابها الوابل القرآني المعجز، فأشرقت بنور ربها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

يقول النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم» وقد قيل: إن ذلك يرجع (لأنه) بَشَّرَ بأنه يأتي من بعده^(٢)، أو لأنه كما ذكر في الحديث «ليس بيني وبينه نبي». والواقع أن ذلك يأتي - أيضًا - ردًا على المكذبين من النصاري الذين

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٢) كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ومسلم (٢٣٦٥) كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، وأبو داود (٤٦٧٥) كتاب السنة باب في التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٢) عون المعبود (٢٨١/١٢).

رفضوا الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، وزعموا أن عيسى لم يُبشِّر بني من بعده، وحرّفوا أناجيلهم، وحذفوا منها، وأضافوا إليها، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وهو ردُّ على الذين يؤلهون عيسى، أو يزعمون أنه ابن الله، إذ يؤكد محمد ﷺ أن عيسى نبي أرسله الله كما أرسل محمدًا، تجمعهما أبوة آدم، ورحم النبوة، ووحدة المنهج.



قال النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم»: واستخدام اسم التفضيل «أولئ» مسبوقًا بالضمير المنفصل دون أن يفصل بينهما بحرف الجر «من» يفيد الحصر والتوكيد.

وقوله: «الناس» يفيد العموم.

أما قوله: «بابن مريم» وعدم ذكره باسمه، فهو إشارة إلى معجزة الله في خلقه من أم بلا أب.

«والأنبياء أولاد علات»: تشبيه بليغ شبه فيه صلة الأنبياء بعضهم ببعض بصلة أولاد الأب الواحد من أمهات شتى.

وهو يوحي بعمق العلاقة بينهم، وشدة الترابط، ووحدة الرسالة.

«ليس بيني وبينه نبي» كناية عن الاتصال المباشر والعلاقة الخاصة التي تجمع بين النبيين الكريمين.



النبي ﷺ مع سليمان عليه السلام

«فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ»:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ عِفْرِيثًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمَكَّتَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾» (ص: ٢٥) قال رَوْحٌ: قَرَدَهُ خَاسِئًا^(١).



ما زالت المعركة بين الإنسان والشیطان محتدمة، لم يخبُ أوارها منذ أن خلق آدم، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، والمواجهة مع الأنبياء تكون أشد وأعتى، لكنها تحسم لا محالة في النهاية لصالح الأنبياء الذين أعانهم الله بقدرات خاصة لدحر هذا النوع من الأعداء المتسلطين.

ومع ذلك فقد حتمت علاقة الأخوة التي تربط الأنبياء بعضهم ببعض على النبي ﷺ أن يراعي خصوصية دعوة أخيه سليمان التي اختصه بها ربه من ملك لا ينبغي لأحد من بعده.

لقد اختص الله سليمان عليه السلام بتسخير الجن، والريح، والطير، وغيرها من مظاهر الملك العظيم، فلم يعد بإمكان الإنس بعده أن يسحرُوا الجن في

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٨) كتاب التفسير، باب: هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، ومسلم (٥٤١) كتاب المساجد، باب جَوَازِ لَعْنِ الشَّيْطَانِ فِي آثَاءِ الصَّلَاةِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ وَجَوَازِ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ فِي الصَّلَاةِ.

أعمال شاقة كذلك التي كان يسخرهم لها سليمان عليه السلام، أو يجسدهم عن الحركة، أو يمنعهم من الإيذاء، أو يروهم في صورتهم التي خلقهم الله عليها. وقد كانت تلك المنحة الخاصة من الله لسليمان استجابة لدعائه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْتَغِي لِيَ الْخَيْرَ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

يحكي لنا نبينا ﷺ أن عفريتًا تفلت عليه ذات ليلة يريد أن يكيد له ليقطع عليه صلاته، فأمكنه الله منه، فأمسك به، وأراد أن يربطه في سارية المسجد حتى يصبح الناس فينظروا إليه، وفي رواية أخرى: «... فخنقته حتى وجدت برد لسانه عليّ كفي...»^(١)، فلما تذكر دعوة أخيه سليمان أطلقه فارتد خاسئًا. (قال ابن بطال: رؤيته للعفريت هو مما خُصَّ به، كما خُصَّ برؤية الملائكة، وقد أخبر أن جبريل له ستمائة جناح، ورأى النبي الشيطان في هذه الليلة، وأقدره الله عليه لتجسمه، لأن الأجسام ممكنة القدرة عليها، ولكنه ألقى في روعه ما وهب سليمان، فلم ينفذ ما قوي عليه من حبسه رغبة عما أراد سليمان الانفراد به، وحرصًا على إجابة الله تعالى دعوته. وأما غير النبي من الناس فلا يُمكن منه، ولا يرى أحد الشيطان على صورته غيره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الاعراف: ٢٧])^(٢).



قال ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة»: والعفريت من الجن: العتي الخبيث. (قال ابن عبد البر: الجن على مراتب، فالأصل جني، فإن خالط الإنس قيل: عامر، ومن تعرض للصبيان قيل: أرواح، ومن زاد في الخبث قيل: شيطان، فإن زاد على ذلك قيل: مارد، فإن زاد على ذلك قيل: عفريت. وقال الراغب: العفريت من الجن هو العارم

(١) أخرجه ابن حبان (٢٣٤٩)، والنسائي (٥٥٠) وغيرهما.

(٢) عمدة القاري (٢٣٥/٤).

الخبيث، وإذا بولغ فيه قيل: عفريت نفريت^(١).

وقوله: «فقلت علي»: (أي تعرض لي فلتة - أي فجأة - ليغلبني على صلاتي)^(٢)، وهي توحى بأن الهجوم كان مباغتاً، واستخدام صيغة (تفعل) فيها معاني استفراغ القوة والحيلة، وهي ضرورية لأن المهاجم نبي معصوم. والبارحة: الليلة الماضية، لأن البارح الزائل. والجن يكثر طروقه للإنس ليلاً بما يتفق مع طبيعته في الخفاء.

«ليقطع علي الصلاة»: العبارة تؤكد سموّ مقام النبوة، وصعوبة نفوذ الشيطان إلى نفس صاحبها، ولذلك لم يطمع الشيطان في أكثر من قطع الصلاة على النبي ﷺ.

«فأمكنني الله منه»: كناية عن السيطرة والغلبة، والتعدي بالهمزة «أمكن» تبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وهي درجة عالية من درجات الإيمان، والتوكل الحقيقي على الله.

«فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد»: دلالة على تمام التمكّن والسيطرة.

«حتى تُصبحوا وتنظروا إليه كلكم»: فيه رغبة النبي ﷺ في بيان ضعف الشيطان وقلة حيلته لأصحابه، حتى لا ينخدعوا به، ويستسهلوا الوقوع في حبائله.

قوله ﷺ: «فذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾» (ص: ٢٥).

واستخدام لفظة «أخي» تأكيد على العلاقة الوثيقة التي تربط بين الأنبياء،

(١) فتح الباري (٦/٤٥٩).

(٢) كشف المشكل (٣/٤٨٩).

ودليل على تكامل الرسائل، ووحدة المنهج.



النبي ﷺ ينعت الأنبياء والرسل ﷺ

١ - موسى وعيسى ومالك ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى»:

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى، رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُوءَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْخُمْرَةِ وَالْيَاسِ، سَبَطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ فِي آيَاتِ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِنِّي أَهْلُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَائِهِ» [السجدة: ٢٣] قال أَنَسُ وَأَبُو بَكْرَةَ: عن النبي ﷺ: «تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١).

٢ - موسى وعيسى وإبراهيم وجبريل عليهم السلام: «عَرَضَ عَلَيَّ

الأنبياء»:

عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبُ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُوءَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُزُوءَةً بَنَ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبِكُمْ - يَغْنِي نَفْسُهُ - وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَخِيَّةً - وَفِي رِوَايَةٍ ابْنُ رُمُحٍ - دَخِيَّةً بَنَ خَلِيفَةٍ»^(٢).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ رَجُلٍ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شُوءَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبِيعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ بِهِ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٧) كتاب الإيمان، باب الإسراء، والترمذي (٣٦٤٩) كتاب المناقب،

باب في صفة النبي ﷺ.

في أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَتَيْهُمَا شَيْتٌ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»^(١).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكُعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ آدَمَ الرَّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ اللَّحْمِ، قَدْ رَجَلَهَا فِيهِ تَفْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ - أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ - يَطُوفُ بِالْيَتِيمِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطِيطٍ، أَغْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ»^(٢).

٣ - موسى ويونس عليهما السلام يُلبَّيان: «كَانِي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام هَابِطًا مِنَ السَّمَاءِ»:

عن ابن عباسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَرْزَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَرْزَقِ، قَالَ: «كَانِي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عليه السلام هَابِطًا مِنَ السَّمَاءِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى نَبِيَّةٍ هَرَشَى، فَقَالَ: «أَيُّ نَبِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: نَبِيَّةٌ هَرَشَى، قَالَ: «كَانِي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عليه السلام عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامٌ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي».



الله ﷻ الذي بعث أنبياءه برسالاته - هو الذي جمع بين قلوبهم، وعرف بعضهم ببعض، فإبراهيم وموسى وعيسى كلهم بَشَرٌ بمحمد، ومحمد عليه السلام

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان، باب الإسماء، والترمذي (٣١٣٠) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ومسلم (١٦٩) كتاب الإيمان، باب ذِكْرِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

التقى الأنبياء جميعاً في ليلة الإسراء، وصلى بهم إماماً في بيت المقدس، ثم مرّ عليهم في السماوات في طريق عروجه إلى سدره المنتهى، وكان كلّ منهم يُهرع لاستقباله، ويرحب به، ويعظم مقامه، وينصح له.

وينعت الرسول ﷺ في الأحاديث السابقة إخوانه من الأنبياء كما رآهم في رحلة الإسراء والمعراج، فيصف موسى بأنه رجل أسمر طويل جعد الشعر، أي ليس بالناعم المسترسل كأنه من رجال شنوءة، وهم (حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة، وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله)^(١) وهم معروفون بالطول والسمة.

ويصف عيسى بأنه رجل مربع ليس بالطويل ولا بالقصير، معتدل الخلقة، يعيل لونه إلى الحمرة، مسترسل الشعر غزيره يصل إلى شحمة أذنيه، نضر الوجه كأنما هو خارج لتوه من الحمام.

ولكي يقرّب النبي ﷺ شبه عيسى لأصحابه، ذكر لهم أن أقرب الناس به شبهاً هو عروة بن مسعود الثقفي.

أما إبراهيم، فأقرب الناس شبهاً به محمد ﷺ، وأما جبريل، حين يأتي في صورة بشر، فأقرب الناس شبهاً به دحية بن خليفة الكلبي.

ووصف النبي لأصحابه المسيح الدجال حتى يحذروه، فأخبر أنه رجل شديد القصر والاكتناز، أعور العين اليمنى، عينه نائمة بارزة كحبة العنب.

وفي وادي الأزرق^(٢) في طريق النبي ﷺ للحج مثل له موسى ﷺ هابطاً من الثنية، وهو يجأر إلى الله بالتلبية، وعند ثنية هَرَشَى^(٣) مثل له يونس بن

(١) فتح الباري (٦/٤٢٩).

(٢) موضع بين الحرمين سمي به لزرقته، وقيل منسوب إلى رجل بعينه (مراجعة المفاتيح: ١٠/٣٩٤).

(٣) جبل على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة (الديباج على مسلم: ١/٢١٢).

متى ﷺ، يركب ناقه حمراء مكتنزة اللحم خطامها من ليف وهو يلي، (فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات، وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل، فاعلم أن للمشايخ - فيما ظهر لنا - عن هذا أجوبة:

أحدها: أنهم كالشهداء، بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا؛ لأنهم وإن كانوا توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتى إذا فئت مدتها، وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل.

الوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَجَنَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (يونس: ١٠).

الوجه الثالث: أن تكون هذه رؤيا منام في غير ليلة الإسراء، أو في بعض ليلة الإسراء، كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما: «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة...»^(١) وذكر الحديث في قصة عيسى.

الوجه الرابع: أنه ﷺ أَرَى أحوالهم التي كانت في حياتهم، ومثلوا له في حال حياتهم، كيف كانوا؟ وكيف حجهم وتلبيتهم؟ كما قال: «كأنني أنظر إلى موسى... وكأنني أنظر إلى عيسى... وكأنني أنظر إلى يونس...» عليهم السلام.

الوجه الخامس: أن يكون أخبر عما أوحى إليه ﷺ من أمرهم، وما كان منهم، وإن لم يرههم رؤية عين^(٢).



قال ﷺ في وصف موسى: «رجلاً آدم طوالاً جعداً، كأنه من رجال شنوءة» وقوله: «فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة».

(١) أخرجه البخاري (٧٠٢٦)، ومسلم (١٧١) وغيرهما.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٨٨، ٢٨٩).

قال الزمخشري في أساس البلاغة: (فلان طُوال: لا تطوله الطوال)^(١)،
فالكلمة تعني شدة الطول، أما الجعودة فالوصف بها قد يكون ذمًا، وقد يكون
مدحًا، فإن وصف به الجسد كان ذمًا؛ لأنه يراد به القصير المتردد الخلق، أي
المتناهي في القصر وبه وصف الدجال، وإن وصف به الشَّعر كان مدحًا؛
لأنه يراد به ضد السبط، والسبوطه أكثرها في شعور العجم.

ثم شبه النبي ﷺ موسى برجال شنوء، فكانه مثلهم في الطول والسمة.
وقوله «ضرب من الرجال» أي خفيف اللحم.

ووصف النبي ﷺ عيسى فقال: «... رجلًا مربوعًا مربوع الخلق، إلى الحمرة
والبياض سَبَطَ الرأس»، «... فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود»،
«... فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس»، «... فرأيت رجلًا آدم
كأحسن ما أنت راء من آدم الرجل، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللهم، قد
رَجَّلَهَا فهي تقطر ماءً، متكئًا على رجلين يطوف بالبيت».

والمربوع: ليس بالقصير ولا بالطويل وسيط القامة، وأراد بمربوع الخلق
أنه معتدل الخلقة. وقد وَصَفَ عيسى بأنه إلى الحمرة والبياض، ووصفه بأنه
أحمر، ثم عاد ووصفه في الحديث الأخير بأنه آدم وليس في الأمر تناقض،
(فيجوز أن يُتَأَوَّلَ الأحمر على الآدم، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة
بل ما قاربها)^(٢).

وقوله: «كأنما خرج من ديماس»، و«قد رَجَّلَهَا فهي تقطر ماء» كنايةان عن
نعومة البشرة وطراوتها وحيويتها وكثرة مائها.

وقال ﷺ في وصف الدجال: «... وإذا أنا برجل جمعد قطط، أعور العين
اليمنى، كأنها عنبه طافية».

(١) أساس البلاغة (١/٣٩٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٣٢).

والجعد القَطَط: شديد الجعودة، والمراد هنا القصير المتناهي القصر.

و«كانها عنب طافية» شبه عين الدجال العوراء بالعنب الطافية؛ أي الناتئة عن حد أختها، (وقال الخطابي: العنب الطافية هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن حد أخواتها)^(١)، وهي هيئة قبيحة، قُصد من التفصيل في وصفها التنفير من شخصه، ومن ثم التنفير من سلوكه، والحذر منه واجتنابه.

وفي الحديث عن موسى ويونس استحضر رسول الله ﷺ صورتها وهما يلبيان، وسَرَدَ تفاصيل الصورة بكل دقائقها، وبكل ما تعج به من حركة ولون وصوت.

فموسى يَجِدُّ هابطاً من الثنية، ولا تشغله الحركة النشطة عن رفع الصوت بالتلبية إلى الله و«له جوار».

صورة مفعمة بالفتوة التي كانت أبرز سمات موسى ﷺ.

ويونس بن متى ﷺ يسوق ناقته الحمراء المكتنزة يلبس جبة من صوف، وهو يمسك بخطامها المجدول من الليف، ولسانه ينطلق بالتلبية.

صورة عنوانها التواضع والخشوع والإخبات لله، وتلك كانت أبرز سمات يونس ﷺ.



الفصل الثاني

الرسول ﷺ مع أهل بيته

الرسول ﷺ مع اولاده

١- مع إبراهيم ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ»:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ، امْرَأَةٍ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَيْفٍ، فَأَنْطَلَقَ يَأْتِيهِ، وَاتَّبَعْتُهُ، فَأَتَيْتُهُنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ، وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ، قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ بِالصَّبِيِّ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَمَعْتُ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «تَذْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَهْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّمَهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَذْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(٢).

عن أنس بن مالك قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل، باب رَحْمَتِهِ ﷺ الْعُيَّانَ وَالْعِيَالِ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، وأبو داود (٣١٢٦) كتاب الجنائز، باب فِي الْبَكَاءِ عَلَى الْبَيْتِ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣) كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ.

ﷺ قال: كان إبراهيمُ مُسْتَرْضِعًا له في عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ معه، فَيَدْخُلُ النَّبْتَ، وَإِنَّهُ لَيَدَّخُنْ، وَكَانَ ظِفْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ، فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ، قَالَ عَمْرُو: فَلَمَّا تُوْفِي إِبْرَاهِيمُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي النَّدْيِ، وَإِنَّ لَهُ لَظْفَرَيْنِ تُكْمَلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»^(١).



رزق النبي ﷺ إبراهيم من مارية القبطية في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة، (وكانت سلمى زوجة أبي رافع مولاة رسول الله ﷺ قَابِلَتُهُ، فَبَشَّرَ أَبُو رَافِعَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ سَابِعِهِ عَقَّ عَنْهُ بِكَبْشٍ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ، حَلَقَهُ أَبُو هَنْدٍ، وَسَمَّاهُ يَوْمُئِذٍ، وَتَصَدَّقَ بَزَنَةِ شَعْرِهِ وَرِقًا عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَدَفَنُوا شَعْرَهُ فِي الْأَرْضِ)^(٢).

ودفع الرسول ﷺ إبراهيم إلى أم سيف لترضعه، وهي امرأة حداد بالمدينة يقال له أبو سيف.

وظل إبراهيم ﷺ مسترضعًا في عوالي المدينة حتى بلغ ثمانية عشر شهرًا.

وكان رسول الله يزوره هناك بين الفينة والفينة فيأخذ الصبي، فيضمه إليه، ويقول له ما شاء الله أن يقول.

ثم مرض إبراهيم، وذهب النبي ﷺ ليعوده، فوجده يجود بنفسه، فحمله بين يديه، وتفجر سيل من المشاعر الدافقة بين جوانح النبي ﷺ وهو يرى فلذة كبده يجود بنفسه في حجره، لعله كان يود أن يستمتع به صبيًا يلهو بين يديه، أو شابًا يكبر أمام عينيه، لكن إرادة الله شاءت أن يحرم النبي من أولاده

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٦) كتاب الفضائل، باب رَحِمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضَعِهِ وَفَضْلَ ذَلِكَ.

(٢) ذخائر العقبى (١/١٥٣).

جميعاً، وأن يسبقوه إلى دار الحق، فلا يبقى له إلا فاطمة التي ما لبثت أن لحقت به بعد ستة أشهر من وفاته.

قال ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين^(١) تكملان رضاعه في الجنة».

وانهمرت دموع الرحمة من عيني النبي، وهو يرى الطفل الرضيع تتقعقع نفسه بين يديه، وعجب عبد الرحمن بن عوف لهذه الدموع الغالية التي فاضت من عيني النبي، فقال: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا ابن عوف إنها رحمة». نعم.. إنها رحمة القلب الكبير الذي وسع بين حناياه هموم الأمة جمعاء، لكنه يتفطر أماً لمشهد رضيع يلفظ أنفاسه الأخيرة.



قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب»، وقال: «إن العين تدمع والقلب يحزن»، فاستخدم في التعبير الأول الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع الدال على الاستمرار، بينما استخدم في الثاني الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بأن.

وقدّم دمع العين على حزن القلب رغم أن الأول نتيجة للثاني؛ لأن الدمع هو الأمر المشاهد المحسوس الذي يتأكد به حزن القلب وتأثره.

ثم أقسم: «والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» والقسم للتوكيد، والنداء للتحجب، وتحس فيه لوعة الحزن والفراق، واستخدام صيغة الجمع «إنا بك لمحزونون» للتعبير عن شدة الحزن وعظم المصاب، والجملة مؤكدة بأن واللام.

وقال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم ابني»: وفي قوله: «ابني» نبرة حب واعتزاز

وتحسر من أب مكلم، وقوله: «مات في الثدي» مجاز مرسل علاقته السبية.
قوله ﷺ: «وإن له لظفرين تكملان رضاعه في الجنة»: وتقديم شبه الجملة
«له» يفيد التخصيص، وفي الجملة كناية عن وفاة إبراهيم قبل تمام مدة
رضاعه.

٢- مع فاطمة رضي الله عنها: «فاطمة بضعة مني»:

عن الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ
أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(١).

عن عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
- مَقْتَلِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - لَقِيَهِ الْمُسَوِّرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ
لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ أَنْتَ مُعْطِي سَيْفَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ؟ وَابِمِ اللَّهِ، لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَا
يُخَلِّصُ إِلَيْهِ أَبَدًا حَتَّى تُبْلَغَ نَفْسِي، إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ
عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ
عَلَى مِنْبَرِهِ هَذَا، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُخْتَلِمٌ، فَقَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي، وَأَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ
فِي دِينِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ صَهْرًا لَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي مُصَاهَرَتِهِ إِيَّاهُ،
قَالَ: «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي، وَإِنِّي لَسْتُ أُحْرِمُ حَلَالًا، وَلَا أُجِلُّ
حَرَامًا، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَجْمَعُ بَنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبَدًا»^(٢).

عن الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى
الْمِنْبَرِ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٤) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٠) كتاب فرض الخمس، باب ما ذُكر من ذرع النبي ﷺ وَعَصَاهُ
وَسَيْفِهِ وَقَدَحِهِ وَخَاتَمِهِ، ومسلم (٢٤٤٩) كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة، وأبو داود
(٢٠٦٩) كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهما من النساء.

طَالِبٍ، فَلَا أَدْنُ، ثُمَّ لَا أَدْنُ، ثُمَّ لَا أَدْنُ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطْلَقَ ابْتِغَاءً، وَتَكْبَحَ ابْتِغَاءَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيدُنِي مَا أَرَاهَا، وَيُوْذِنُنِي مَا أَذَاهَا»^(١).

- عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي: أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبِي، فَأَنْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَصَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا، فَفَعَدَّ بَيْنَنَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «إِلَّا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا نَكِيرَانِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتَسْبِحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»^(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مَوْشِيًّا» فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ فَأَتَاهَا عَلِيٌّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَأْمُرْنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ، قَالَ: «تُرْسِلُ بِهِ إِلَى فُلَانٍ أَهْلِ بَيْتٍ بِهِمْ حَاجَةٌ»^(٣).

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: لما أنزل الله هذه الآية: ﴿فَتَأْتُوا نَدْعُ ابْنَهُنَا وَابْنَتَهُنَّ كُرًّا﴾ [إم عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٠) كتاب النكاح، باب ذُبَّ الرجل عن ابته في الغيرة والإحصاف، ومسلم (٢٤٤٩) كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة، وأبو داود (٢٠٧١) كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهما من النساء، والترمذي (٣٨٦٧) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، وابن ماجه (١٩٩٨) كتاب النكاح، باب الغيرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥) كتاب الفضائل، باب مناقب علي، ومسلم (٢٧٢٧) كتاب الذكر، باب النسيح أول النهار وعند النوم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦١٣) كتاب الهبة، هدية ما يكره ليه، وعند أبي داود بنحوه (٤١٤٩) كتاب اللباس، باب في اتخاذ الستور.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٩٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة آل -

توفي كل أبناء النبي ﷺ في حياته، ولم يبق إلا فاطمة التي زوجها ابن عمه علياً، لذلك احتلت في قلب النبي منزلة خاصة، وكان لا يتحمل أن يؤذيها أحد أو يغضبها. ويعبر قوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني» عن العلاقة القلبية الوثيقة التي كانت تربط النبي ﷺ بابنته فاطمة، إنها قطعة منه، يتخوف عليها مما يتخوف منه على نفسه، ويربه ما أرباهها، ويؤذيها ما آذاها، ويغضبها ما أغضبها.

إنها النفحة الباقية من عقب الزوجة الغالية خديجة التي أحبها النبي ﷺ كما لم يحب أحداً قبلها، وظل وفيّاً لذكرها حتى لقي ربه.

فلما خطب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ابنة أبي جهل، لم يأذن النبي ﷺ بإتمام ذلك الزواج؛ خوفاً من أن تفتن فاطمة في دينها حين تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله في بيت واحد.

ورغم كل هذا الحب لم يميز النبي ﷺ ابنته الأثيرة على أحد بعباء خاص، أو هبة مميزة، حتى إنها لما اشتكت أثر الرحن، وأتت النبي - وقد علمت أنه جاءه سبي - تطلب منه خادماً، لم يجبهها إلى ما طلبت، وإنما نصحها وعلياً إذا أخذاً مضجعهما أن يكبرا الله أربعاً وثلاثين، ويسبحانه ثلاثاً وثلاثين، ويحمدانه ثلاثاً وثلاثين فهو خير لهما من خادم.

لقد ظل النبي ﷺ حريصاً على أن يكون قريباً من فاطمة، كان يستقبلها في بيته فيكرمها ويجلسها إلى جانبه، ويحدثها بأطيب حديث، وكان يزورها في بيتها، فيجدها وعلياً مضطجعين، فيرفض أن يقوما، ويجلس بينهما يجدان برد قدميه على صدريهما.

ولأنها ابنة محمد، فلا بد أن تكون عالية الهمة كأبيها في الذكر، والدعاء،

والعبادة، والزهد في متاع الدنيا وزينتها، والتزود بالتقوى للأخرة.

أتى النبي ﷺ بيتها يوماً فوجد ستراً مَوْشياً فلم يدخل، وعاد من حيث أتى، وأمرها أن ترسل به إلى أهل بيت بهم حاجة.

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْ مَا لَكُمْ أَنْ تَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [ال عمران: ٦١] آية المباهلة، دعا الرسول ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وضمهم في ردائه، وقال: «اللهم هؤلاء أهلي».



قوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني»، «إن فاطمة مني»: هما كنايةتان عن عميق الصلة وشديد الحب.

وقال ﷺ عن صهر له يشي عليه: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي»، ثم قال عن فلذة كبده: «يربني ما أرباها، ويؤذيني ما آذاها»: وفي العبارات ازدواج ذو إيقاع لطيف يزيد المعنى وضوحاً.

وقوله ﷺ: «لست أحرم حلالاً، ولا أحلُّ حراماً»، و«بنت رسول الله، وبنت عدي الله» مقابلتان تبرزان المعنى وتوضحانه.

وقول النبي ﷺ: «فلا آذن ثم لا آذن، ثم لا آذن» تكرر يؤكد المعنى، وبيان لصرامة الرسول في رفضه زواج علي بن أبي طالب من ابنة أبي جهل.

قوله ﷺ: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني؟»: استفهام غرضه استشارة النفس وتشويقها.

وأمر الرسول لفاطمة وعلي بالتكبير والتسبيح والتهليل قبل النوم مائة مرة، وقوله لهما: «فهو خير لكما من خادم» يؤكد العلاقة بين الذكر وعلو الهمة، وقوة البدن ونشاطه.

قوله ﷺ: «اللهم هؤلاء أهلي»: النداء فيه للتضرع والالتماس، و«هؤلاء

أهلي» توكيد بأسلوب القصر باستخدام اسم الإشارة.

٣- مع زينب (رضي الله عنها): «فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنِّي»:

- عن أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَوَفَّيْتُ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَبَسْدِرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَأَذِنِّي» فَلَمَّا فَرَعْنَا أَذْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقَّوَهُ، فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»^(١).



عاشت زينب كبرى بنات النبي ﷺ حياة صعبة في مكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة إذ مُنعت من الهجرة إلى أبيها، وظلت مع زوجها أبي العاص ابن الربيع الذي ما فتى مشركًا، وقاتل زوجها مع قريش في بدر، ووقع في الأسر، فبعثت زينب في فدائه إلى أبيها (بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه رق لها رقة شديدة، وقال: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَطْلُقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا، فَافْعَلُوا» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها)^(٢).

ووعد أبو العاص رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب، وبعث الرسول زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار كي ينتظرا زينب في بعض الطريق، فيأتيا بها.

وما إن وصل أبو العاص إلى مكة حتى جهز زينب للرحيل إلى أبيها كما

(١) أخرجه البخاري (١٢٥٣) كتاب الجنائز، بَابُ غُسْلِ الْمَيِّتِ وَوُضُوئِهِ، ومسلم (٩٣٩) كتاب الجنائز، بَابُ فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ، وأبو داود (٣١٤٢) كتاب الجنائز، بَابُ كَيْفِ غَسْلِ الْمَيِّتِ، والنسائي في المجتبى (١٨٩٠) كتاب الجنائز، بَابُ الْكَافُورِ فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ، وابن ماجه (١٤٥٨) كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ.

(٢) عيون الأثر (١/٣٥١، ٣٥٢).

وعد، وخرج بها حموها كنانة بن الربيع نهارًا على بعير له، فلمَّا فشا الخبر في قريش، خرج بعضهم في طلبها، (فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والفهري، فردعها هبار بالرمح وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريعت طرحت ذا بطنها، وبرك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في جلة من قريش، فقال: أيها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس - إذ خرجت بابتة إليه على رؤوس الناس من بين أظهرنا - أنَّ ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثورة، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسلها سرًا، وألحقها بأبيها^(١).

فعاد بها كنانة، فأقامت ليالي، ثم خرج بها كنانة ليلاً حتى أسلمها إلى زيد ابن حارثة وصاحبه اللذين كانا ينتظرانها، فقدم بها على النبي ﷺ.

وأقامت زينب مع النبي ﷺ، وقد فرَّق الإسلام بينها وبين زوجها المشرك، وخرج أبو العاص في قافلة لقريش، فاعترضته سرية للمسلمين، فأصاب ما معه، وفرَّ هو إلى المدينة فدخل على زينب، فاستجار بها، فأجارته.

وتسامع الناس بالأمر، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح (أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟»، قالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أذنهم»، ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل على ابنته،

فقال: «أي بنية، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له»^(١).

وسعى رسول الله ﷺ في ردِّ المال الذي سلب من أبي العاص، فردّه الذين غنموه إكرامًا لرسول الله ﷺ، فحمل أبو العاص المال، وعاد به إلى قريش، وأعطى كل ذي حق حقه، ثم أعلن فيهم إسلامه، وخرج إلى النبي ﷺ مسلمًا، فرد عليه الرسول زينب.

وفي السنة الثامنة للهجرة مرضت زينب ثم ماتت، وأشرف النبي ﷺ على غسلها وتكفينها.

فأيُّ أسَى عميق كان يعتل في نفس النبي الكريم وهو يتابع غسل ابنته الكريمة زينب، فيأمر النساء بغسلها وترًا، ثلاثًا على الأقل أو خمسًا، أو أكثر من ذلك، وأن يخلطن الماء بالسدر، ويجعلن في الغسلة الأخيرة كافورًا.

ثم يأمرهن إذا فرغن أن يعلمنه، فلما أعلمنه أعطاهن إزاره، ليكون أول ما يلامس جسدها من لفائف الكفن.

إنه النبي الإنسان، الأب الذي ابتلى في أبنائه، وذاق مرارة الفقد، ووَسَدَهم جميعًا بيديه الثرى، وها هو الآن يتابع تفاصيل الغسل ودقائقه بكل اهتمام، ثم يؤثر آخر من فُقد من أبنائه في حياته بإزاره لعله ببركة مسه لجسد النبي المصطفى يحمي جسدها، ويبارك لها في ضجعتها، ويرحم ضعفها، ويؤنسها في وحشتها.



قال النبي ﷺ: «اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتهن ذلك بماء وسدر»: الأمر للإرشاد، وتعين الثلاث والخمس لبيان إرادة الوتر، لأن أحب الأعمال عند الله الوتر، كما قال النبي ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسمًا مائة

إلا واحداً، لن يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»^(١).

قال ﷺ: «واجملن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من كافور»: وفي العبارة ما يوحى بحرص النبي على تطيب جسد الميتة حتى لا ينفر الأحياء منها.

وقوله: «أشعرنها إياه»: كناية عن البدء في الكفن بحقو النبي ﷺ.

٤ - مع الحسن والحسين (عليهما السلام): «هما رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»:

- عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: اسْتَقْبَلْ - والله - الحسنُ بن عليٍّ مُعَاوِيَةَ بِكِتَابِ أَمْنَالِ الْجِبَالِ، فقال عمرو بن العاصي: إني لأرى كتاب لا تؤلِّي حتى تقتل أقرانها، فقال له مُعَاوِيَةُ - وكان والله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ -: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء، من لي بِأُمُورِ الناس؟ من لي بِنِسَائِهِمْ؟ من لي بِضِعَافِهِمْ؟ فَبَعَثَ إليه رَجُلَيْنِ من قُرَيْشٍ من بني عبد شمس: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن سُمُرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بن عَامِرِ بن كُرَيْزٍ، فقال: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَأَعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتِيَاهُ، فَدَخَلَا عَلَيْهِ، فَتَكَلَّمَا وَقَالَا لَهُ، فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فقال لَهُمَا الْحَسَنُ بن عليٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاقَتْ فِي دِمَائِنَا، قَالَا: فَإِنَّهُ يَغْرِضُ عَلَيْكَ كَذًّا وَكَذًّا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ، قَالَ فَعَنْ لِي بِهِذَا؟ قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئاً إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فقال الْحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يقول: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْغُبَرِ، وَالْحَسَنُ بن عليٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) كتاب الصلح، باب قول النبي للحسن: ابني هذا سيد، وأبو داود (٤٦٦٢) كتاب السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة.

- عن البراء رضي الله عنه، قال: رأيت النبي ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَجِبْهُ»^(١).

- عن يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبْطُ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(٢).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - وَسَأَلَهُ عَنِ الْمُخْرِمِ - قَالَ شُعْبَةُ: أَحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبَابَ، فَقَالَ: أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنِ الذُّبَابِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُمَا رِنَحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»^(٣).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(٤).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَأَنْصَرَفَ، فَأَنْصَرَفْتُ، فَقَالَ: «أَيْنَ لُكْعُ؟» ثَلَاثًا «ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ» فَقَامَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي، وَفِي عُنُقِهِ السَّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَجِبْهُ، وَأَحِبَّ مِنْ يُحِبُّهُ»، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٩) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧٥) كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنه، وابن ماجه (١٤٤) كتاب في فضائل أصحاب الرسول ﷺ، باب فضل الحسن والحسين رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين، والترمذي (٣٧٧٠) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٤٣) كتاب فضائل أصحاب الرسول ﷺ، فَضْلُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٨٤) كتاب اللباس، باب السخاب للصبيان، وبنحوه عند مسلم (٢٤٢١) كتاب الفضائل، باب فضائل الحسن والحسين.

- عن بَجِيرٍ عن خَالِدٍ قال: وَقَدْ أَلْفَقَدَامُ بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِنْ أَهْلِ قَسْرِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْمِقْدَامِ: أَعْلِمْتَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ تُوْفِي؟ فَارْجَعَ الْمِقْدَامُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَرَاهَا مُصِيبَةٌ؟ قَالَ لَهُ: وَلَمْ لَا أَرَاهَا مُصِيبَةً، وَقَدْ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَقَالَ: «هَذَا مِنِّي وَحَسْبُ مِنْ عَلِيٍّ»...^(١).



رزقت فاطمة بالحسن والحسين، فكانا ريحانتي رسول الله ﷺ، وكان وجودهما في حياة النبي ﷺ في أخريات عمره تروiche من عناء الدعوة، وعبء الجهاد، وهموم المسؤولية.

وقد درج الحسن والحسين في حجر النبي ﷺ، وشرّبًا من معين أخلاقه الصافي، وشاهدًا بأمر أعينهما مواقف عظيمة من سيرته الخالدة، تعلمًا منه، وتربيا على يديه، وكانا في حياتهما من بعده مقتديين بهديه لا يحيدان عنه قيد أنملة.

وصرح النبي ﷺ بحبه العظيم لحفيديه، بل دعا الله وهو يحمل الحسن على عاتقه فقال: «اللهم إني أحبه فأحبه».

وربط حبه بحبهما، وبغضه يبنضهما، فقال: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

ولم يكن النبي ﷺ يراها إلا هَشَّ لهما وبَشَّ، بل كان يسأل عنهما، ويستدعيهما ليلعب معهما، ويحتضنهما، ويقبلهما، ويحملهما على ظهره وهو يصلي، ويهرع إليهما وهو على المنبر فيحملهما، ويضعهما إلى جواره. وكان الحسن أشبههما بالنبي خَلْقًا، وكان الحسين أشبه بعلي؛ ولذلك

(١) أخرجه أبو داود (٤١٣١) كتاب اللباس، باب في جلود النمر والسباع.

قال ﷺ، وهو يضع الحسن في حجره: «هذا مني وحسين من علي». وتبأ النبي ﷺ بأن الحسن سيكون سيِّداً، وأن الله سوف يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين.

وقد حصل ذلك عقب استشهاد عليّ (عليه السلام)، وتنازع الحسن ومعاوية على خلافة المسلمين، إذ صالح الحسن معاوية، وتنازل عن الخلافة وهو بها أحق؛ ليحقق دماء المسلمين، ويثد الفتنة التي حصدت أرواح الكثيرين.

وتعرض الحسين (عليه السلام) لمحنة عظيمة، انتهت باستدراجه إلى العراق، وانفضاض القوم من حوله، وتركه في عدد يسير من أهله، لينال شرف الشهادة مقاتلاً مقبلاً غير مدبر.



قال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيِّد»؛ والجملة اسمية مثبتة مؤكدة بأن، ويزيدها تأكيداً اسم الإشارة، وفي قوله: «ابني» إشعار بعظيم حب النبي ﷺ للحسن، وكلمة «سيِّد» توحى برفعة المكانة، وعلو الشأن، والترفُّع عن الصغائر، والسمو عن المناصب.

وقال ﷺ: «اللهم إني أحبه فأحبه»: «اللهم» نداء غرضه الدعاء والتضرع. «إني أحبه» استخدام المضارع للدلالة على دوام الحب وبقائه. «فأحبه»: الفاء للسرعة، والفعل فعل أمر غرضه الدعاء، وبين «أحبه»، «فأحبه» ازدواج إيقاعي يقرب المعنى ويوضحه.

وقال ﷺ: «حسين مني، وأنا من حسين»: الجملتان تشيران إلى الرباط الوثيق الذي يجمع بين النبي ﷺ وبين الحسين، إذ لم يكتف النبي بقوله: «حسين مني» وإنما أضاف: «وأنا من حسين» وبين الجملتين مقابلة مؤكدة.

«أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً» جملة فعلية خبرية إنشائية المعنى، غرضها

الدعاء.

«حسين سبط من الأسباط»: وصفُ حسين بأنه سبط يوحى بعلو مكانة الحسين في الإسلام، والسبط (أي أمة من الأمم، والأسباط في أولاد إسحق بن إبراهيم الخليل، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل)^(١).

(ويحتمل إرادته هنا على معنى أنه يتشعب منهما قبيلة، ويكون من نسلهما خلق كثير، وقد كان)^(٢).

والسبط أيضًا هو ولد الولد، كأن الرسول ﷺ يؤكد أنه بعض منه.

وكان النبي ﷺ قد علم بنور الوحي (ما سيحدث بين الحسين وبين القوم، فخصه بالذكر، ويَبين أنهما كشيء واحد في وجوه المحبة، وحرمة التعرض والمحاربة)^(٣).

وقال النبي ﷺ عن الحسن والحسين: «هما ريحاناي من الدنيا»

تشبيه شبه فيه الرسول ﷺ الحسن والحسين بالريحانيتين، فالريحان يُشَمُّ، والولد يُشَمُّ ويُقبل، وفي التشبيه طيب الولد، وحب قربه.

قال رسول الله ﷺ: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»

جملتان شرطيتان بينهما مقابلة تبرز المعنى وتوضحه.

قال النبي ﷺ: «أين لكع؟»: ولكع تأتي بمعانٍ منها: الصغير، واللثيم، والعبد، والمراد هنا الأول.

وفي الحديث صورة واقعية، ومشهد حب كريم من النبي ﷺ، إذ يقول

(١) تحفة الأحوذى (١٠/١٩٠).

(٢) فيض القدير (٣/٣٨٧).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

أبو هريرة: فقال النبي بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالتزمه.

ونتخيل الجد الكريم يقول بيده هكذا، أي يمدّها، والحسن يقول بيده هكذا، أي يمدّها، وقد جاء يشتد كما في رواية أخرى^(١)، فألقى نفسه في حضن النبي ﷺ، فعانقه النبي، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من أحبه». وقال النبي ﷺ، وهو يضع الحسن في حجره: «هذا مني، وحسين من علي»، وهو يشير بقوله: «مني» هنا إلى الشبه الخلقي الشديد الذي كان بين الحسن والنبي ﷺ، ويقول: «وحسين من علي» إلى الشبه بين الحسين وعلي ﷺ.

ولا يقصد النبي تفضيل أحدهما على الآخر، فقد سبق أن قال في حديث سابق: «حسين مني وأنا من حسين».



الرسول ﷺ مع علي والعباس رضي الله عنهم

١ - مع علي رضي الله عنه: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»:

- عن مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتَخْلَفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^(١).

- عن البراء رضي الله عنه قال: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدْعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: لَا نَقْرُءُ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ: «امْحُ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أُمَحُّوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ فَكَتَبَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلَاحٌ إِلَّا فِي الْفِرَاقِ، وَأَنْ لَا يُخْرَجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا». فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَمَضَى الْأَجَلَ اتَّوَا عَلِيًّا، فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: أَخْرِجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الْأَجَلَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَجِئَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يَا عَمَّ يَا عَمَّ، فَتَنَاولَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ذُوْنِكَ ابْنَةُ عَمِّكَ أَحْمَلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٧) كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ومسلم (٢٤٠٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَىٰ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَاتِهَا، وَقَالَ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ» وَقَالَ لِعَلِيِّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» وَقَالَ لَزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا»^(١).

- قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أُعْجِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَائِكُلْفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيئًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَتْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَتَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرِّمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمُ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمِ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ^(٢).

- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان فلان بن فلان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

سُفْيَانٌ سَعْدَاءُ، فقال: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْبَّ أَبَا التَّرَابِ؟ فقال: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أَسْبُهُ، لِأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ - خَلَفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ - فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي؟» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا» فَأَتَانِي بِهِ أَرْمَدٌ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا تَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْ آلِهَتَنَا وَآلِهَتَكُمْ﴾ [١٦١] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(١).

- عَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ»^(٢).

عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ أَوْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - شَكََّ شُعْبَةَ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(٣).



رَأَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَمِّ عَيْنِهِ نَوْرَ النُّبُوَّةِ يَشْرُقُ فِي جَنَابَاتِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ،

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، والترمذي (٣٧٢٤) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٩) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، وابن ماجه (١١٩) في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل علي بن أبي طالب.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، وابن ماجه (١٢١) كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل علي بن أبي طالب.

وامتلا قلبه حباً للإسلام، وسجدت جبهته - أول ما سجدت - مع النبي وزوجه خديجة الله الواحد، أحب النبي حب الولد لوالده، وآمن به إيمان الوائق، ونافح معه عن الدعوة، وافتداه بنفسه عند الهجرة.

وأحبه النبي حب الوالد لولده، وزوجه آخر بناته، وأحبهن إلى نفسه فاطمة، وقدمه على كثير من أصحابه، وكان حريصاً على رعايته نفسياً وبدنياً، وعلى استقرار حياته مع زوجه الكريمة.

حدث بين علي وبين زوجه بعض ما يحدث بين الأزواج من خلاف، فتركها واضطجع في المسجد - فذهب إليه رسول الله ﷺ، وأيقظه من نومه، ونفض التراب عن ثيابه، وقال له يمازحه: «قم أبا تراب، قم أبا تراب» فلم يكن لقب أحب إليه أن يناديه الناس به من ذلك اللقب.

وفي يوم خير قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فتناول الصحابة، فقال: «ادعوا لي علياً»، فأتي به، وقد أصابه رمد في عينيه، فقل النبي في عينيه، ثم دفع الراية إليه، ففتح الله على يديه.

وقد استخلفه النبي على المدينة، وهو سائر إلى تبوك، فتألم علي لذلك، وقال له: أتخلّفني في الصبيان والنساء، فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي».

ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجمعهم في رداءه وقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

وليبيان مكانة علي وفضله في الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «علي مني، وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي».

وقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

قال الرسول ﷺ لعلي: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»، وهو استفهام تشويقي محفز.

وفي قوله: «بمنزلة هارون من موسى» تشبيه، شبه فيه النبي ﷺ بمنزلة علي عنده بمنزلة هارون من موسى، وهو يوحى بسمو مكانة علي.

وقوله ﷺ: «إلا أنه ليس نبي بعدي» احتراص يؤكد أن علياً كهارون في المنزلة لا في النبوة.

وقول الرسول ﷺ: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله» ثم قوله: «امح رسول الله» يوحى بتواضعه وثقته بتأييد ربه ونصره.

قال رسول الله ﷺ: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب».

و«أما» أداة شرط وتفصيل، (وقال أبو جعفر النحاس عن سيبويه: معنى أما بعد: مهما يكن من شيء، وقال أبو إسحق: إذا كان رجل في حديث وأراد أن يأتي بغيره قال: أما بعد)^(١).

وجوابها يأتي مقترناً بالفاء دائماً، وفيها تنبيه للسامع، واستنفار لحواسه ووعيه، وفصل ما بين حديث وحديث.

قوله: «ألا أيها الناس» فيه (ألا) الاستفتاحية للتنبيه، والنداء (أيها الناس) للدلالة على عموم الخطاب.

قوله: «فإنما أنا بشر» أسلوب قصر، طريقه: إنما وضمير الفصل، وغرضه الحصر والتوكيد.

«يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب» كناية عن الوفاة.

وقوله ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور،

فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

«وأنا تارك فيكم ثقلين»: «ثقلين» تشبيه شبه فيه كتاب الله وأهل بيته بشيء ثقل عظيم، وهو يوحى بعظمهما وكبر شأنهما.

«فيه الهدى والنور» كلمة النور مجاز مرسل علاقته السببية.

وقوله: «فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»: كناية عن تنفيذ أحكام الله والسير على منهجه.

قال ﷺ: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» المراد بهم الثقل الثاني، و«أذكركم الله في أهل بيتي» جملة فعلية فعلها مضارع للدلالة على استمرار الذكر، وقرنه بلفظ الجلالة ليكون أقدس وأجل، وأدعى إلى الوفاء (كما يقول الأب المشفق: الله الله في حق أولادي)^(١).

وال تكرار ثلاثاً لتوكيد أهمية الأمر.

قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»: أسلوب تشويقي يدعو إلى التطلع والتشوف والمسابقة إلى الخير، ولذلك قال الراوي في الحديث: (فتناولنا) أي تشوفنا أينما ينال هذا الشرف، ويحظى بتلك المنزلة.

وتقديم حبه لله ورسوله على حب الله ورسوله له دليل على أن حب الله ورسوله يقتضي إيماناً وإخلاصاً لا يتحقق إلا بهما، فإذا تحقق أحبه الله ورسوله.

قال رسول الله ﷺ: «عليّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ». وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وهي عبارات توحى كلها بعميق الصلة

والامتزاج، وبعظيم مكانة عليّ عند النبي إذ كلاهما من الآخر، ولا يؤدي عن النبي إلا شخصه أو عليّ، ومن كان يعدّ النبي مولى له، فعليه أن يعدّ عليّاً أيضاً مولى له.

٢ - مع عمه العباس ؓ: «يا عباس، يا عمّاه، ألا أعطيك؟»

- عن ابن عباس ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إِلَى السَّقَايَةِ، فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ، فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ: «اسْقِنِي»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قَالَ: «اسْقِنِي»، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى رَمَزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ، وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ» ثُمَّ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ حَتَّى أَصْعَ الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ» يَعْنِي - عَاتِقَهُ - وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ ^(١).

- عن أبي هريرة قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جُمَيْلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْقُمُ ابْنُ جُمَيْلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ، فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدْ اخْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ، فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ» ^(٢).

- عن ابن عباس أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنُحُكَ، أَلَا أَخْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَفَّرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ، أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا قَرَعْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ

(١) أخرجه البخاري (١٦٣٥) كتاب الحج، باب سقاية الحاج.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٣) كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، وأبو داود (١٦٢٣) كتاب الزكاة، باب في تعجيل الزكاة.

وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَزَكُّعٌ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ، فِي أَرْبَعِ رَكْعَاتٍ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِيهِ كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِيهِ كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِيهِ كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِيهِ عُمْرَكَ مَرَّةً»^(١).



لم يكن النبي ﷺ يكتُم حبه للعباس بن عبد المطلب، لقد حُرِمَ النبي ﷺ رؤية أبيه، وكان أعمامه بعد جده هم العوض عن فقدِه أباه قبل أن يولد، ظل عمه أبو طالب يذبُّ عنه، ويدفع عنه أذى قريش طيلة حياته، فلما مات دون أن يُسلم تولَّى عمه العباس هذه المهمة، وكان تقاربهما في السن أدعى إلى مزيد من الود والعلاقة الحميمة بينهما إذ لم يكن يبدو واضحًا لمن يراهما من منهما أكبر من الآخر.

رُوي عن مغيرة بن رزين أنه قال: قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله^(٢).

وكان الفارق بينهما لا يعاوزه ثلاث سنين، إذ (ولد العباس قبل الفيل بثلاث سنين)^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (١٢٩٧) كتاب الصلاة، باب صلاة التسيح، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة التسيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٩٢١)، والحاكم في المستدرک (٥٣٩٨) وغيرهما.

(٣) مجمع الزوائد (٢٧٠/٩).

وكان النبي ﷺ يجُلُّ عمه ويكرمه، ويعطيه حتى يرضى.

روى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «العباس مني وأنا منه»^(١).

وعن أبي رافع أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا الفضل، لك من الله حتى ترضى»^(٢).

وكان العباس رضي الله عنه محباً للنبي ﷺ منافحاً عنه غير أنه ظل على شركه حتى قبيل فتح مكة، فخرج إلى النبي مسلماً، فلقه النبي ﷺ في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة^(٣).

وقيل: (كان إسلام العباس رضي الله تعالى عنه قديماً، وكان يكتُم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً، فقال رسول الله ﷺ: «من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهاً» فأسرهُ أبو اليسر كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً)^(٤).

وقد شهد مع النبي ﷺ حيناً والطائف وتبوك، وحرص النبي ﷺ على الشرب من سقاية العباس، التي بين أيدي الناس قبل أن يأتي زمزم؛ ليكرم العباس، ويشد من أزر العاملين فيها، ويقول لهم: اعملوا فإنكم على عمل صالح.

وقال لعمر، وهو يتحمل عن العباس صدقته ومثلها معها: «يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه».

وكان النبي ﷺ حريصاً على أن يَهْدِي العباس إلى ما يغفر الله به ذنوبه، ويحط عنه خطاياهُ: أولها وآخرها، قديمها وحديثها، خطأها وعمدها، صغيرها

(١) المستدرک (٥٤١١) (٣/٣٦٧).

(٢) السابق (٥٤١٣) (٣/٣٦٨).

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٥٤٣/٣).

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٩٨/١١).

وكبيرها، سرها وعلايتها، فعلمه صلاة التسبيح.

ونصحه أن يصليها - إن استطاع - في كل يوم مرة، فإن لم يفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم يفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم يفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم يفعل ففي العمر مرة.



يقول النبي الكريم ﷺ لعمه العباس: «اسقني» «اسقني»: أمر صريح مكرر يؤكد به النبي ﷺ طلب الشرب من ذات الشراب الذي يشرب منه الناس، ويوحى ذلك بتواضعه وتبسطه وعدم أنفته من شرب ما يشربه الناس. ويخاطب النبي العاملين على زمزم قائلاً: «اعملوا؛ فإنكم على عمل صالح، والأمريوضح أهمية العمل في زمزم، وقديسته وصلاحه.

ويؤكد النبي ﷺ ذلك بقوله: «لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الجبل على هذه» يعني عاتقه، وقوله: «لولا أن تغلبوا» كناية عن تزامم الناس حولهم لنزول النبي، حتى يغلبوهم عن العمل. وقوله: «حتى أضع الجبل على هذه» كناية عن بذل غاية الجهد في العمل.

يقول النبي ﷺ بعد أن أعلن تحمله لزكاة عمه العباس ومثلها معها: «يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه».

وفي معنى الصنو كلام كثير، (قال أبو عبيد: معناه أن أصلهما واحد، قال: وأصل الصنو إنما هو في النخل، وروى أبو إسحق عن البراء بن عازب في قول الله ﷻ: ﴿صِنَوَانٌ وَفَيْثٌ صِنَوَانٌ﴾ [الرعد: ٤] - قال: الصنوان المجتمع، وغير الصنوان المتفرق، وقال الفراء: الصنوان النخلات أصلهن واحد)^(١).

وعلى المعنى الأخير ففي الكلام استعارة مكنية شبه فيها العم والاب

بنختلين ذواتي أصل واحد، وهي توحى بعمق الصلة وقوة القرابة.

قال النبي ﷺ لعمه: «يا عباس يا عماء، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبك». وفي كلامه ﷺ مناجاة بديعة لا تكون إلا من خل لخليله، وهو يبدأ فيناديه باسمه مجردًا لتقاربهما في السن، ولمتانة الصلة بينهما، ثم يناديه بعمومته ليتجرب إليه ويتقرب، ويؤكد مزيد استحقاقه، ثم يخاطبه بثلاث جمل متتاليات، كلها تحمل معاني العطاء السخي.

«ألا أعطيك» والعطاء معروف.

«ألا أمنحك» و(المنح أن يعطي الرجل الرجل شاة ليشرب لبنها، ثم يردها إذا ذهب دُرُّها، هذا أصله، ثم كثر استعماله حتى قيل في كل عطاء «ألا أحبك» يقال حباه كذا وبكذا؛ إذا أعطاه، والحباء العطية)^(١).

واستخدم (ألا) للتنبيه، وقد تكون الهمزة للاستفهام، وغرضه حينئذ التشويق والتحفيز للاستماع، (وقرر ألفاظًا متقاربة المعنى تقريرًا للتأكيد، وتأييدًا للتشويق، وتوطئة للاستماع إليه لتعظيم هذه الصلة)^(٢).

ثم قال النبي: «ألا أفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك»: وفي الجملة الأولى أضاف النبي فعل الخصال إلى نفسه رغم أن المراد عمه (لأنه الباعث عليها، والهادي إليها)^(٣).

والجملة الثانية شرطية، فعلاها ماضيان مثبتان للدلالة على لزوم تحقق الجواب إذا تحقق الشرط.

ثم يصف النبي ﷺ الذنب المغفور بأوصاف تفصيلية متتالية تستوعب جميع أصناف الذنوب ومراحلها وهيئاتها:

(١) عون المعبود (٤/١٢٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٣/٣٧٤).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

«أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطؤه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلايته»:
 وكل اثنين مما مضى بينهما طباق يوضح المعنى ويؤكد، ويجمعهم جميعاً
 ازدواج فيه إيقاع جميل.



مع زوجات النبي ﷺ

١ - مع خديجة (رضي الله عنها): «إني قد رزقتُ حبَّها»:

- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما غرْتُ على أَحَدٍ من نِسَاءِ النبي ﷺ ما غرْتُ على خَدِيجَةَ، وما رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْصَاءَ، ثُمَّ يَبْعُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فيقول: «إِنهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»^(١).

- عن عائشة قالت: ما غرْتُ على نِسَاءِ النبي ﷺ إِلَّا على خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أَذْرِكُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فيقول: «أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْصَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قد رَزَقْتُ حُبَّهَا»^(٢).



كَانَ حُبَّ خَدِيجَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَثَلًا رَائِعًا لِحُبِّ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ لَزَوْجِهَا الصَّالِحِ، فَقَدْ أَحَبَّهُ قَبْلَ الْبُعْثَةِ لَمَّا لَمَسَتْ فِيهِ مِنْ أَمَانَةٍ وَصَدَقَ، وَلَمْ تَجِدْ حَرْجًا فِي أَنْ تَسْعَى بِنَفْسِهَا لِلزَّوْجِ مِنْهُ، لَقَدْ شَعَرَتِ الْمَرْأَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَ يَطْمَحُ إِلَيْهَا سَادَاتُ قُرَيْشٍ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَسِيجَ وَحْدِهِ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ أَيْمًا شَأْنًا، وَلِذَلِكَ سَعَتْ إِلَيْهِ وَطَلَبَتْهُ، وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا وَحَنَانَهَا وَحُبَّهَا، وَلَمْ تَدْخَرْ جَهْدًا فِي إِسْعَادِهِ.

وَلَقَدْ صَدَّقَ ظَنُّهَا فِي الرَّجُلِ الَّذِي اخْتَارَتْهُ، فَلَمْ يَكُنْ زَوْجًا عَادِيًّا، بَلْ كَانَ

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٨) كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي خديجة وفضلها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٥) كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة.

الرجل الذي اصطفاه الله واختاره علىٰ غيره ليكون خاتم رسله إلىٰ الناس كافة، فأمنت به وآزرت، وتحملت معه صنوف الأذى التي صبتها عليه عشرينه، وظلت تنافح عنه حتىٰ اختارها الله إلىٰ جواره راضية مرضية، فسمي العام الذي توفيت فيه عام الحزن، وهو العام العاشر من المبعث.

وفقد النبي بفقدها حضناً دافئاً كان يث فيه همومه وأحزانه، ومُعِيناً مؤازراً كان يلجأ إليه في أخرج أزماته، ويستمد منه العون في أحلك أوقاته.

ولم ينس النبي ﷺ خديجة أبداً، بل كان يحن إلىٰ ذكرها، ويرق قلبه إذا رأى ما يذكره بها، ولا يأنف من الاعتراف بفضلها عليه، وعظيم مكانتها لديه، وظل النبي ﷺ وفيّاً لها بعد أن منّ الله عليه، وفُتحت عليه الدنيا، فكان يكثر من ذكرها، ويذبح الشاة، ثم يقطعها، ويبعثها إلىٰ صديقات خديجة.

وكان حبه لها يثير الغيرة في نفوس زوجاته، ولا سيما عائشة، فربما قالت له: (كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة) فيقول: «إنها كانت.. وكانت.. وكان لي منها ولد». ويقول أيضاً: «إني قد رُزقت حبها».



قال النبي ﷺ عن خديجة: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد». وفي قوله: «كانت وكانت» حذف يوحىٰ بعظيم الصفات التي أراد الرسول نسبتها إلىٰ زوجه الكريمة، إذ يوحىٰ الحذف بأنه ﷺ لا يستطيع أن يعد كريم خصالها لكثرتها وتميزها.

ثم يخص النبي ﷺ أعظم تلك الخصال بالذكر فيقول: «وكان لي منها ولد»، ذلك لأنها انفردت بهذا الفضل دون زوجاته جميعاً.

ويقول النبي ﷺ في حب خديجة: «إني رُزقت حبها». والفعل مبني للمجهول. إذ جعل النبي حب خديجة رزقاً رزقه الله إياه، فهو لا يملك

دفعه، ولا الانتقاص منه، والرزق لا يكون إلا فضلًا يُشكر عليه المتفضل، ونعمة يستمتع بها المتفضل عليه.

٢- مع عائشة: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ»:

- عن عُرْوَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ، فَقَالَ: «أَنْتِ أَخِي فِي دِينِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلَالٌ»^(١).

- عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ»^(٢)، أَرَى أَنْتِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقَالُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ^(٣)، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُضْمِرُهُ»^(٤).

- عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهُونِهَا سِتْرٌ، فَهَبْتُ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السُّرِّ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لَعِبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَصَحِّحْ حَتَّى رَأَيْتِ نَوَاجِذَهُ»^(٥).

- عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنْتِي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنْتِي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ: لَا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨١) كتاب النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار.

(٢) عند مسلم: «ثلاث ليال».

(٣) عند مسلم: «أنت هي».

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي عائشة، ومسلم

(٢٤٣٨) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات.

وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ^(١).

- قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَنتَ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمْ زَرْعٍ»^(٣).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ جَزِينٍ، فَحَزَبُ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبَ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيَهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ لَهَا، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِي، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا، أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي حَتَّى يُكَلِّمَكَ، فَدَارَ إِلَيْهَا، فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ» قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: «يَا بَنِيَّ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» قَالَتْ: بَلَى، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتَهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ، فَأَغْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٨) كتاب النكاح، باب غيرة النساءِ وَوَجِدْنِ، ومسلم (٢٤٣٩) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة.

(٢) زاد مسلم: «ولي».

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٨) كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، ومسلم (٢٤٤٨) كتاب الفضائل، باب ذكر حديث أم زرع.

تَنَاولَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ؟ قَالَ فَتَكَلَّمْتُ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَيَّ زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتَهَا، قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى آيَتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»^(٢).

- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أَحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(٣).

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ مَخْرَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: أَلَا أَحَدُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي؟ قَالَ: فَطَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَا أَحَدُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِداءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨١) كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بغض نسائه دون بغض، وعند مسلم بنحوه مختصراً (٢٤٤٢) كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة، والترمذي (٣٨٧٩) كتاب المناقب، باب فضل عائشة، والنسائي في المجتبى (٣٩٤٤) كتاب عشرة النساء، باب حب الرجل بغض نسائه أكثر من بعض.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٢) كتاب التفسير، باب «يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ ﷺ لِرَحْمَةِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنْتِي مَرْثَاتِ زَوْجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، ومسلم (١٤٧٤) كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم يتو الطلاق، وأبو داود (٣٧١٤) كتاب الأسرة، باب في شراب العسل، والنسائي في المجتبى (٣٤٢١) كتاب الطلاق، باب تأويل قوله ﷺ: «يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ ﷺ لِرَحْمَةِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الأدب، باب في الغيبة.

عِنْدَ رَجُلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَأَضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْنَمًا ظَنُّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوْنَدًا، وَانْتَعَلَ رُوْنَدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ ثُمَّ أَجَافَهُ رُوْنَدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَانْخَمَرْتُ، وَتَقَنَعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْعُ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَزَوَلُ فَهَزَوَلْتُ، فَأَخْضَرَ فَأَخْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «مَالِكُ يَا عَائِشُ حَسِبَا رَابِيَةً؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «التَّخِيرُ بِي أَوْ لِيُخِيرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «كَأَنِّي السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتَ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعْتَنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنْ جَبْرِيلُ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَتَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ يَتَابِكَ، وَظَنَنْتِ أَنْ قَدْ رَقَدْتَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْظِّكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي» فَقَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَيْعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْآحِقُونَ»^(١).

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: التَّمَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي شَعْرِهِ، فَقَالَ: «قَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ»، فَقُلْتُ: أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ؟ فَقَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهَانَنِي عَلَيْهِ فَاسْلَمْ»^(٢).

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبر والدعاء لأهلها، والنسائي في المجتبى (٢٠٣٧) كتاب الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٣٩٦٠) كتاب (عشرة النساء باب الغيرة) بَابُ (الغيرة).

ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِيَابِهِ، لَمْ يُؤَذِّنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَا أَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَّأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اغْتَرَلَهُنَّ شَهْرًا، أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴿ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴾﴾ ﴿الْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ الْأَحْزَابِ: ٢٨ - ٢٩ قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا، أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخَيِّرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتَ، قَالَ: «لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْنَعْني مُعْتًا وَلَا مُنْعَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِّرًا»^(١).



تلك صورة من صور الحب العفيف يقدمها لنا النبي الإنسان محمد ﷺ، صورة تبدد ما ينسب إلى الإسلام من جمود وتحجر، وتؤكد أنه يعلي من قيمة المشاعر الإنسانية، في إطار ما شرعه الله وأحلّه.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٨) كتاب الطلاق، باب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بَالِيَةً، والترمذي (٣٢٠٤) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، والنسائي في المجتبى (٣٤٣٩) كتاب الطلاق، باب التوقيف في الخيار، وابن ماجه (٢٠٥٣) كتاب الطلاق، باب الرجل يخبر امرأته.

لم يخفِ النبي حبه عائشة، ولم يتحرج من التصريح به في غير مرة من أحاديثه، وكانت معاملته لها نموذجاً راقياً، ومثلاً أعلى لما يمكن أن تكون عليه أخلاق الزوج المسلم.

إن ما يدعيه أعداء الإسلام على الإسلام من تحقير لشأن المرأة، وامتهان لأدميتها يتداعى حين تراءى هذه الصورة الرائعة لمكانة الزوجة المسلمة في الأحاديث السابقة.

ولقد أراد النبي ﷺ بزواجه من عائشة أن يوثق علاقته بصاحبه الأول أبي بكر، فلما عرض الرسول ﷺ الأمر على صاحبه، ظن أبو بكر أن الأخوة التي بينه وبين رسول الله ﷺ في الله تمنع هذا الزواج، فقال: إنما أنا أخوك، فقال الرسول ﷺ: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال».

وكان النبي ﷺ قد أرى عائشة في المنام مرتين، تأتي إليه ملفوفة في أجود أنواع الحرير، ويقال له: «هذه امرأتك».

وتزوج النبي ﷺ بعائشة، وكانت أحب أزواجه إليه، وأكثرهن دلاً عليه، حتى إن النبي ﷺ كان يسمح لها بأن تحتفظ بلعبها التي كانت تلعب بها في بيت أبيها لحدائث سنّها، وقرب عهداها بالطفولة.

وكان النبي ﷺ يسعد برضاها، وتحمل غضبها، يقول لها النبي ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي» فتسأله: من أين تعرف ذلك؟ فيقول: «إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عليّ غضبي، قلت: لا ورب إبراهيم» فتجيبه بأدب جم، وتلطف رقيق، وذكاء حاد: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك.

إن النبي العظيم ﷺ يتحرى كلمات الرضا من زوجه فيسرُّ بها، وكلمات الغضب فيتجنب لها، ويتعامل معها بكل حلم وسماحة.

وكان أزواج النبي ينقسمن إلى معسكرين: أحدهما يضم عائشة وحفصة

وصفية وسودة، والآخر يضم أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ. ولَمَّا كان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإنهم كانوا يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة، فيهدونها للنبي إذا كان عندها. وقد آلم ذلك معسكر أم سلمة، فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس إذا أراد أحدهم أن يهدي النبي هدية أن يهديها إليه حيث كان من بيوت أزواجه.

فكلمته أم سلمة فلم يقل لها شيئاً، فألححن عليها أن تعاوده، فألحت عليه فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتيني وأنا في ثوب امرأة منكن إلا عائشة»، فتابت إلى الله مما قالت.

لكن نساء النبي لم يأسن، فتشفعن بفاطمة عليها السلام، فكلمته، فقال: «يا بنية ألا تحبين ما أحب؟» قالت: بلى.

ثم أرسلن زينب بنت جحش، فأغلظت القول، وقالت: إن نساءك يشدُنك الله العدل في بنت أبي قحافة، ورفعت صوتها، حتى تناولت عائشة بالسب، فنظرت عائشة إلى رسول الله ﷺ تريد أن تعرف هل يريد لها أن تتصر لنفسها، فلمحت في عينيه الموافقة، فردت عائشة على زينب حتى أسكتها، فقال النبي ﷺ: «إنها بنت أبي بكر».

ويرد معسكر عائشة الصاع لمعسكر أم سلمة صاعين، فقد علمت عائشة أن النبي ﷺ يشرب عند زينب بنت جحش عسلاً، ويمكث عندها، فتحالفت مع حفصة على أن تقول أيتها دخل عليها: أكلت مغاير؟ إني أجد منك ريح مغاير، والمغاير (صمغ يسيل من شجر العرفط^(١))، غير أن رائحته

(١) العُرفط واحدته عرفطة، وهي شجرة قصيرة متدانية الأغصان، ذات شوك كثير، طولها في السماء كطول البعير باركاً، لها ورقة صغيرة، تثبت بالجال. لسان العرب (٧/ ٣٥٠).

ليست طيبة^(١).

وأفلحت الخطة، فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً».

وفي ذلك عند كثير من المفسرين نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحر: ١].

وكانت عائشة تغار من جمال صفية بنت حيي فقالت للنبي ﷺ يوماً: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة، فقال لها النبي ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».

ومن الحوادث الأخرى التي تدل على غيرة السيدة عائشة على رسول الله ﷺ أنه في إحدى الليالي التي كان النبي فيها عندها، اضطجع حتى ظن أن قد نامت، ثم قام في خفة فانتعل، وفتح الباب وخرج ثم أغلقه رويداً، فذهبت بها الظنون كل مذهب، فلبست درعها وخمارها، وتقنعت بإزارها، ثم خرجت في إثره. فأتى النبي البقيع، فأطال القيام عنده، ورفع يديه يدعو لأصحابه، ثم انقلب عائداً، فلمحها أمامه، فأسرع ليلحق بها، فأسرعت فسبقته، فدخلت، فاضطجعت في فراشها وهي تلهث، فدخل النبي واضطجع إلى جوارها ثم سألها: «مالك يا عائش؟ حشياً رابية» أي: (وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه، والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره، يقال امرأة حشياء وحشية، ورجل حشيان وحشش، قيل أصله من أصاب الربو حشاه، وقوله: «رابية» أي مرتفعة البطن)^(٢).

قالت: لا شيء، قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير» فأخبرته بما كان منها، فقال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟» قالت: نعم، فوكزها النبي

(١) لسان العرب (٥/٢٨).

(٢) شرح النووي (٧/٤٣).

ﷺ في صدرها وكزة أوجعتها، ثم قال لها: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟» ثم أخبرها أن جبريل أتاه فقال له: «إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، ولذلك خرج، وكره أن يوقظها في تلك الساعة. وفي لفته ذكية تغير السيدة عائشة الموضوع الذي أثار غضب رسول الله ﷺ، فتسأله: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فيقول لها: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْحَقَّوْنَ»

وفي ليلة أخرى - والرسول عندها - قلقّت من نومها فالتمسته في فراشه حتى أدخلت يديها في شعره، فقال لها: «وقد جاءك شيطانك»، قالت: أما لك شيطان؟ قال: «بلى، ولكن الله أعانني عليه فأسلم».

ولما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمَتَّعْتُكُمْ وَأَسْرَحْتُكُمْ سَرَكَامًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] دعا النبي ﷺ عائشة فقال لها: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا، أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك»، فقالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. ثم سأله ألا يخبر امرأة من نسائه بالذي قالته من اختيارها لله ورسوله، فرفض ذلك قائلاً: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها...»، إنه يحب عائشة حقاً، لكن حبه لها لا يدفعه إلى كتمان الحق، ولا يمنعه من بيانه.



قال النبي ﷺ لصاحبه الأثير: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال»، والجملة الأولى تؤكد مكانة أبي بكر في الإسلام، ومنزلته في نفس النبي ﷺ.

وفي الثانية يفيد تقديم شبه الجملة (لي) الاختصاص.

وقال النبي ﷺ لعائشة: «أرتك في المنام مرتين» والفعل المبني للمجهول، والرؤيا المتكررة، للدلالة على أن أمر زواج عائشة من النبي ﷺ كان مقرراً في السماء.

قوله ﷺ: «أرى أنك في سَرَقة من حرير»: استخدام المضارع (أرى) فيه استحضار للصورة، وتلك الصورة الضبابية المغلفة تناسب الرؤى، وتُشَوِّق لاكتشاف المبهم، وتُمهّد للذة التعرف على المجهول.

وقوله: «ويقال: هذه امرأتك» استمرار لاستخدام الفعل المضارع المبني للمجهول لإضفاء المزيد من الإثارة والتشويق على المشهد، ولذلك قال بعدها: «فأكشف عنها، فإذا هي أنت» وإذا للدلالة على المفاجأة، وقوله: «فإذا هي أنت» يوحي بمعرفته لها ورؤيته إياها، ولعل ذلك كان في طفولتها الغضة. أما قوله: «إن يك هذا من عند الله يمضه»: فإنه يشعر بالشك، لكنه شك في التعبير وليس في حقيقة الرؤيا، لأن رؤيا الأنبياء كما هو معلوم حق.

قال العيني: (فلها ثلاثة معان:

الأول: أن تكون الرؤيا على وجهها، فظاهرها لا يحتاج إلى تفسير وتفسير فسيمضيه الله وينجزه، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها أم تحتاج إلى تعبير وصرف عن ظاهرها.

الثاني: المراد: إن كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضه الله ﷻ، فالشك أنها هل هي زوجته في الدنيا أو في الآخرة.

الثالث: أنه لم يشك، ولكن أخبر على التحقيق، وأتى بصورة الشك، وهذا نوع من البلاغة يسمى مزج الشك باليقين^(١).

قال النبي ﷺ لعائشة، وهو يرى لُعباً لها: «ما هذا يا عائشة؟» وهو استفهام

غرضه التلطف والاستحباب.

وقوله ﷺ: «فرس له جناحان؟» استفهام محذوف الأداة، للدلالة على التعجب والدهشة.

قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي» بين العبارتين مقابلة وازدواج، وتقديم شبه الجملة فيهما (عني، عليّ) للتخصيص.

ونقل السيوطي عن ابن مالك في التعبير السابق أنه (استدل به على وقوع إذا مفعولاً، وأجاب الجمهور بأنها ظرف لمحذوف هو المفعول، أي: شأنك ونحوه)^(١).

قال النبي ﷺ لعائشة: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»: وهذا تشبيه تمثيلي شبه النبي ﷺ حبه للسيدة عائشة ورعايته لها وأداءه لحقوقها كحب أبي زرع لأم زرع، وقد جاء هذا القول في ختام حديث السيدة عائشة عن أبي زرع وأم زرع، والذي ورد فيه وصف أم زرع لكمال صفات زوجها، وحسن عشرته لها. ويرى النووي وغيره أن (كان) في العبارة زائدة، والمراد: أنا لك.

قال النووي: (قال العلماء هو تطيب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه أنا لك كأبي زرع لأم زرع، و(كان) زائدة أو للدوام كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَراً رَحِيماً﴾ أي: كان فيما مضى، وهو باق والله أعلم)^(٢).

قال النبي ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها: «لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم يأتيني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة».

وقوله: «لا تؤذيني في عائشة» نهى يوحى بمكانة عائشة في نفس النبي ﷺ، إذ عدّ إذاءها إذاءً له. وبرر ذلك بما جاء في ذيل العبارة من أن الوحي

(١) مرقاة المفاتيح (٦/٣٦١).

(٢) شرح النووي (١٥/٢٢١).

لم يأت في لحاف امرأة سواها، وفيها كناية عن قربها من ربها ورضاه عنها، (وفي) في العبارة (للتعليل كما في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (يوسف: ٣٢)، وفي الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة^(١)...) (٢).

وقال النبي ﷺ: «يا بنيّة ألا تحبين ما أحب؟» والنداء بالتصغير للتحجب والتدليل، والاستفهام غرضه التقرير.

قال رسول الله ﷺ: «إنها بنت أبي بكر»: المراد من العبارة المؤكدة أن عائشة (شريفة عاقلة عارفة كأبيها، وقيل معناه: هي أجود فهمًا وأدق نظرًا منها)^(٣). فهي كناية عن شبهها بأبيها في الحكمة والفطنة.

قال النبي ﷺ للسيدة عائشة - وقد نالت من السيدة صفية - «لقد قلبت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»: وفي العبارة كناية عن عظم ذنب الغيبة وتأثيره الفاحش، والمراد أن (هذه غيبة منتنة لو كانت مما يمزج بالبحر مع عظمه لغيرته، فكيف بغيره؟)^(٤).

ويؤكد هذا المعنى مسارعة النبي إلى إنكار هذا الأمر إذ لم يمنعه من ذلك حبه للسيدة عائشة، أو إدلالها عليه.

وقال النبي ﷺ: «ما أحب أني حكيت إنسانًا، وأن لي كذا وكذا»: وحكى وحاكى فلانًا: أي فعل مثل فعله، أو قال مثل قوله: على سبيل السخرية والاستهزاء غالبًا.

وقوله: «وأن لي كذا وكذا...» أي: ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا، وهي جملة حالية مصدرية بواو الحال، و«كذا وكذا» كناية عن الكثير من المناع

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩) وغيرهما.

(٢) عمدة القاري (١٣/١٣٧).

(٣) السابق (١٣/١٣٨).

(٤) فيض القدير (٥/٤١١).

والأموال. وفي كل ذلك ما يوحى بقبح المحاكاة لما فيها من إيغار الصدور بالغل والحقد، ونشر بذور الخلاف بين الناس.

قال النبي لعائشة وقد لاحظ تسارع أنفاسها، وهي مضطجعة إلى جواره: «ما لك يا عائش، حشياً رابية؟» وهو استفهام إنكاري، والنداء المرخم للمداعبة والتدليل.

ولما أجابت: لا شيء، قال في حزم: «لتخبريني، أو ليخبرني اللطيف الخبير»: والأمر للتهديد والوعيد. واختيار اسمي الله اللطيف الخبير مناسب للسياق: إذ من بين معاني اللطيف: العالم بخفايا الأمور ودقائقها. والخبير: العالم (الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء)^(١).

وفي العبارة قطع بأن النبي سوف يعلم حقيقة الأمر - لا محالة - منها إن أخبرته، أو من الله إن أصرت على إخفائه.

وقال النبي: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟»: وهو استفهام إنكاري، واستخدام الفعل (ظنَّ) يؤكد أن ما شعرت به عائشة رضي الله عنها لم يكن يقيناً، (وذكر الله لتعظيم الرسول، والدلالة على أن الرسول لا يمكن أن يفعل شيئاً بدون إذن من الله تعالى، فلو كان منه جور لكان بإذن الله تعالى له فيه، وهذا غير ممكن)^(٢).

قال رسول الله ﷺ لعائشة وقد أدخلت يدها في شعرها، تلتسمه في فراشه:

(١) تفسير أسماء الله الحسن للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العيد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ.

(٢) حاشية السدي على سنن النسائي (٩٣/٤).

«قد جاءك شيطانك»: كناية عن سوء ما ظنَّته؛ لأن الشيطان لا يوحى بخير.
وأجابها حين سألت: أما لك شيطان؟ فقال: «بلى؛ ولكن الله أعانني عليه فأسلم».

وقد ذهب العلماء في تأويل قول النبي السابق مذهبين:

الأول: أن الفعل (أَسْلَمَ) ماضٍ، فيكون المعنى أن الجني قد أسلم على يدي رسول الله، وهذا ليس بمستغرب، فقد أسلمت على يديه قبيلة من الجن، أو أن الجني أسلم، بمعنى انقاد ولم يتعرض لي.

والثاني: أن الفعل مضارع (أَسْلَمُ) فيكون المعنى أن النبي ﷺ يسلم من أذى الشيطان بالعصمة^(١).

قال النبي ﷺ لعائشة يخبرها: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا، أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبوك» ثم تلا عليها الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَأَعَالَيْنَ أُمَتَّكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ مَّرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

واستخدام الأفعال المضارعة (أريد - أعرض - أحب - تعجلي - تستشري) أراد بها رسول الله أن تستحضر السيدة عائشة الموقف، وأن تتأني في الرد، ولا تعجل.

وجاءت العبارة كلها تمهيدًا مشوقًا محفزًا للآية التي تضمنت التخيير.

وقال النبي ﷺ: «إن الله لم يبعني معنًا ولا متعنًا، ولكن بعني معلمًا ميسرًا»:
وبين الجملتين السابقتين مقابلة توضح المعنى وتؤكد.

وقد استخدم النبي ﷺ صيغتين أراد أن ينفي بهما عن نفسه التمتع، وهما (معنٌ)، على وزن (مُفْعَل) والثانية (متعنتٌ) على وزن (مُتَفَعِّل).

(١) انظر مرقاة المفاتيح (٦/ ٤٤٢)، وحاشية السندي على سنن النسائي (٧/ ٧٣).

والأولى (معنت) تعني أن النبي ﷺ لا يشق على غيره أو يكلفه ما لا يطيق، والثانية: (متعنت) تعني أن النبي ﷺ نفسه ليس متشدداً ولا متكلفاً.

٣- مع أم سلمة (رضي الله عنها): «إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ»:

عن أم سلمة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَ عَلَى أَهْلِكَ هَوَانٌ، إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ، وَإِنْ سَبَعْتُ لَكَ سَبَعْتُ لِنِسَائِي»^(١).



أم سلمة هي: هند بنت أبي أمية «زاد الراكب» بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد، وكان أبو سلمة صاحب رسول الله ﷺ قد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر بأهله في سبيل دينه إلى الحبشة هجرتين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، وجرح في أحد، فمكث شهرًا يداوي جراحه، ثم خرج في سرية، فانقض جرحه، ثم توفي بعدها، وترك أم سلمة امرأة ذات عيال، ليس لها أولياء يلون شأنها، أو يتكفلون بمعيشتها.

وما كان النبي ولا أصحابه يدعون امرأة كهذه بلا عائل، فأراد النبي أن يكرمها، لحسن صحبة زوجها، وعظيم بلائها في سبيل الدعوة، فتزوجها، وضمَّ عيالها إليه، ودعا الله أن يذهب عنها غيرتها، فكانت في نسائه كأنها ليست فيهن، لا تجد ما يجدن من الغيرة.

عن ابن أم سلمة أن أبا سلمة جاء إلى أم سلمة فقال: لقد سمعت من

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٠) كتاب الرضاع، باب قَذَرِ مَا تَسْتَحِقُّ الْبِكْرُ وَالْيَتِيمُ مِنْ إِقَامَةِ الزَّوْجِ عِنْدَهَا عَقَبَ الرُّفَاقِ، وأبو داود (٢١٢٢) كتاب النكاح، باب فِي الْمُقَامِ عِنْدَ الْبِكْرِ، وابن ماجه (١٩١٧) كتاب النكاح، باب الْإِقَامَةُ عَلَى الْبِكْرِ وَالْيَتِيمِ.

رسول الله ﷺ حديثاً أحبَّ إليَّ من كذا وكذا - لا أدري ما عدل به - سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصيب أحداً مصيبة، فيسترجع عند ذلك، ويقول: اللهم عندك أحسب مصيبتى هذه، اللهم اخلفني فيها خيراً منها، إلا أعطاه الله ﷻ» قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحسب مصيبتى هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيها بخير منها، ثم قالت: من خير من أبي سلمة؟ أليس أليس...، ثم قالت ذلك.

فما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثم أرسل إليها عمر يخطبها فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ، إن في خلالاً ثلاثاً: أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مُصِيبَة، وأنا امرأة ليس هاهنا أحد من أوليائي فيزوجني.

فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشدَّ مما غضب لنفسه حين رده، فأتاها عمر، فقال: أنت التي تردين رسول الله ﷺ؟ بم تردينه؟ فقالت: يا ابن الخطاب، لي كذا وكذا.

فأتاها رسول الله ﷺ، فقال: «أما ما ذكرت من غيرتك فإنني أدعو الله ﷻ أن ينهبها عنك، وأما ما ذكرت من صيبتك، فإن الله ﷻ سيكفيكم، وأما ما ذكرت من أنه ليس من أوليائك أحد شاهد، فليس من أوليائك أحد شاهد ولا غائب يكرهني، وقال لابنها: «زوج رسول الله ﷻ» فزوجه»^(١).

ولما دخل رسول الله ﷺ بأم سلمة أقام عندها ثلاثاً؛ لكونها ثيباً، ثم قال لها: «إنه ليس بك على أهلِكَ هوان، إن شئتِ سبَّعتُ لك - أي أقمْتُ عندك سبع ليالٍ - وإن سبعتُ لك سبعت لنسائي».

وكانت أم سلمة امرأةً حكيمةً فطنة، وهي صاحبة مشورة رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الصلح، وقام إلى أصحابه (فقال: «يا أيها الناس، انحروا واحلقوا»، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد

بمثلها فما قام رجل، حتى عاد بمثلها فما قام رجل. فرجع رسول الله ﷺ، فدخل على أم سلمة، فقال: «يا أم سلمة، ما شأن الناس؟» قالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمنَّ منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه، فنحره، ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون. قال: حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح^(١).



قال النبي ﷺ لأم سلمة بعد أن دخل بها، وأقام عندها ثلاث ليالٍ: «إنه ليس بك على أهلك هوان» وهو كناية عن أخذها حقها كاملاً غير منقوص. وتقديم شبه الجملة (بك) للتخصيص.

(والباء للسيبة: أي لا يلحق أهلك بسبك هوان، وقيل: أراد بالاهل نفسه ﷺ، وكل من الزوجين أهل، والباء متعلقة بهوان)^(٢).

وفي العبارة التلطف والرفق بالزوجة، وعدم إهانتها بالقول أو بالفعل.

وقال النبي ﷺ: «إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي».

وقوله: «سبعت» مشتق من العدد سبعة، وفي الكلام غاية العدل بين الزوجات، مع ترك الأمر لهن، يخترن ما شئن، على ألا يجاوزن حقوق غيرهن.

٤ - مع زينب بنت جحش رضي الله عنها: «أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً»:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي،

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٢٥)، وابن حبان (٤٨٧٢) وغيرهما.

(٢) عون المعبود (٦/١١٢).

أطولكن يداً» قالت: فكنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيُّهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قالت: فَكَانَتْ أَطْوَلُنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا، وَتَصَدَّقُ^(١).



هي زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر الأسدية أمها أمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. زوجها النبي ﷺ من مولاه زيد بن حارثة، فأخذته بلسانها، فشكاها إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، ثم طلقها زيد، فلما انقضت عدتها زوجها الله ﷺ لرسوله ﷺ.

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ لَهَا لِأَنَّهَا لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي ﷺ بذلك، فتقول: (زَوَّجَكُنَّ أَهْلَكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ)^(٢).

وفي شأنها فرض الحجاب على نساء النبي ﷺ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠)، والترمذي (٣٢١٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨)، وغيرهما.

كانت زينب من أحب زوجات النبي ﷺ إليه، فهي الصقهن به قرابة، وأقربهن إليه نسبا.

وكان النبي ﷺ يحب زيارتها، ويكثر من الجلوس لديها، حتى أثار ذلك غيرة بعض نسائه، فتحالفن لمنعه من زيارتها، وطول المكث عندها، ونجحن في ذلك بقصة المغافير التي سبقت الإشارة إليها، والتي عاتب الله ﷻ نبيه في شأنها.

وكانت أعظم نساء النبي عطاءً وتصدقاً، إذ كانت تعمل بيدها وتتصدق.

قال النبي ﷺ: «أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً». أي أكثرن صدقة.

وقد كانت زينب أول نساءه لحوقاً به، وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين هجرية.



قال النبي ﷺ: «أسرعن لحاقاً بي، أطولكن يداً»: و(أسرع) اسم تفضيل، واستخدامه على إطلاقه دون أن يسبق بحرف الجر (من) يدل على التعيين الذي قصده النبي ﷺ.

وقوله: «أطولكن يداً» كناية عن الجود وكثرة البذل والتصدق، والدليل على أن المقصود بكلام النبي هو المجاز أن نساء النبي ظننَّه حقيقة فكنَّ - كما تقول السيدة عائشة يتناولن أيتهن أطول يداً، ومعنى الحديث (أنهن ظننَّ أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. قال أهل اللغة: فلان طويل اليد، وطويل الباع إذا كان سمحاً

جواذا^(١).

و(أطولكن) مرفوع، يجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون خبرًا (أما الأول، فتقديره: أطولكن يذا أسرع بي لحوقًا، وأما الثاني: فتقديره: أسرع بي لحوقًا أطولكن يذا)^(٢).

وقال النبي ﷺ: (أطولكن)، ولم يقل: (طولاكن)، بالجمع المؤنث ل(طولى) لأن مثل هذا التعبير يجوز فيه الإفراد والمطابقة.

وفي كلمة (يذا) مجاز مرسل علاقته السببية، (فإن اليد تطلق، ويراد بها المنة والنعمة والإحسان)^(٣).

٥ - مع جويرة (رضي الله عنها): «أُوْدِي عَنْكَ كِتَابُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ»:

- عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: وَقَعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، أَوْ ابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلَاَحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قَالَتْ عَائِشَةُ (رضي الله عنها): فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كِتَابَتِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ قَرَأْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَبَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُوْدِي عَنْكَ كِتَابُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ» قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَتْ: فَتَسَامَعُ - تَغْنِي النَّاسَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الشَّيْءِ فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا أَضْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً

(١) شرح النووي (٨/١٦).

(٢) عمدة القاري (٨/٢٨١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/٣٢٦).

على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق^(١).
 - عن ابن عباس، عن جويرية، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة، حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(٢).



عندما غزا النبي بني المصطلق في العام الخامس من الهجرة وهزمهم، وأصاب نساءهم - وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها على حريتها، فذهبت إلى النبي ﷺ تسأله أن يعينها على المكاتب.

وكانت جويرية امرأة حلوة ملاحه، تأخذها العين كما قالت السيدة عائشة، وقد حركت ملاحظتها الغيرة في قلب السيدة عائشة، وكرهت أن يراها النبي ﷺ بعد وقوعها في السبي خوفاً من أن تقع في نفسه فيتخذها زوجة، وقد وقع ما كانت تخشاه السيدة عائشة، إلا أن النبي - قطعاً - لم ينظر إلى الملاحه والجمال بقدر ما نظر إلى تأليف القلوب بالمسامحة، وتوثيق الأواصر بالمصاهرة، ونشر الدين بالعمفو والبذل.

فدعاها النبي إلى ما هو خير من الإعانة على المكاتب، قال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت: «قد فعلت». وكانت بركة على قومها إذ ما أن

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣١) كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر، باب التَّيَسُّعِ أول النهار وعند النوم، وأبو داود (١٥٠٣) كتاب الصلاة باب التَّيَسُّعِ بِالْحَصَى، وابن ماجه (٣٨٠٨) كتاب الأدب، باب فَضْلِ التَّيَسُّعِ.

سمع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية حتى نظروا إلى سلوكه، واقتدوا بعفوه، فتخرجوا أن يظل في أيديهم شيء من السبي من قوم أصهر إليهم رسول الله، فأطلقوهم لله، ولم يأخذ أحد منهم فداء فيمن أعتق إكرامًا لرسول الله ﷺ، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. فأعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق.

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ سبا جويرية، فجاء أبوها فقال: إن ابنتي لا تُسبى فخلّ سبيلها، فقال: «أرأيت إن خيرتها، أليس قد أحسنت؟» قال: بلى، فأتابها أبوها، فذكر لها ذلك، فقالت: قد اخترت رسول الله ﷺ^(١).

وكانت عابدة تقية كثيرة الذكر، خرج النبي ﷺ من عندها يومًا لصلاة الفجر، وتركها في مسجدها (أي المكان الذي اتخذته مصلى لها في بيتها)، ثم رجع بعد الضحى، فوجدها ما زالت ماکثة في مسجدها.

فسألها: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها» قالت: نعم، فعلمها النبي ﷺ أن تقول أربع كلمات يعدلن كل ما قالته منذ الفجر إلى الضحى، وهن: «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته».

حدثت عن رسول الله ﷺ، وروى عنها (ابن عباس وعبيد بن السباق، ومجاهد وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي، وآخرون)^(٢).

توفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين من الهجرة، وقيل سنة خمسين، وصلى عليها مروان بن الحكم^(٣).



(١) تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٦١).

(٣) انظر التعديل والتجريح (٣/١٢٨٠)، والثقات (٣/٦٦).

قال رسول الله ﷺ لجويرية حين آتته تطلب معاونته في الكتابة: «فهل لك إلى ما هو خير منه؟»

والجملة استفهام غرضه التشويق والترغيب.

فلما سألت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أؤدي عنك كتابتك، وأتزوجك» بدأ النبي ﷺ بما يشغل بالها وهو الكتابة، فأخبرها أنه يقوم به فتصير حرة، ثم زاد من إكرامها ورفع منزلتها فقال: «وأتزوجك».

وقال النبي لجويرية: «لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن»: والمراد بقوله: «أربع كلمات» تقليل العدد، وفي الكلام مجاز في قوله: «لو وزنت»، «لوزنتهن» وهو استعارة مكنية شبه فيها الرسول ﷺ كلمات الذكر ببضاعة توزن، وترجح على ما عداها.

وفيه ما يوحى بعظمة هذا الذكر، وكبير فضله على ما سواه.

وقال ﷺ: «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»: «سبحان الله» منصوب على المصدرية، (كأنه قال: أبرئ الله من كل سوء براءة)^(١).

«عدد خلقه» (منصوب على نزع الخافض، أي بعدد كل واحد من مخلوقاته، وقال السيوطي: نصب على الظرف، أي: قدر عدد خلقه)^(٢).

«ورضا نفسه»: المقصود بالنفس ذات الله جلَّ وَعَلَا، والمراد: ابتغاء مرضاته.

«وزنة عرشه» أي بما يساوي ثقل عرش المولى ﷺ.

«ومداد كلماته» (أي مثل عددها وكثرتها، وقيل: قدر ما يوازيها في

(١) مختار الصحاح (١/١١٩).

(٢) عون المعبود (٤/٢٥٩).

الكثرة^(١).والمداد هنا مصدر مثل المدد، (وهو الزيادة والكثرة)^(٢).

وذهب الطيبي إلى أن هذه الألفاظ منصوبة على المصدرية، والتقدير (أعدت تسبيحه المقرون بحمده عدد خلقه، وأقدر مقدار ما يرضي لنفسه، وزنة عرشه، ومقدار كلماته)^(٣).

والكلام كله يراد به المبالغة في الكثرة (لأنه ذكر أولاً ما يحصره العدد الكثير من عدد الخلق، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم منه، أي ما لا يحصيه عدد كما لا تُحصى كلمات الله)^(٤).

٦- مع ام حبيبة ﷺ: «فلا تعرضن علي بناتكن، ولا أخواتكن»:

عن أم حبيبة قالت: قلت: يا رسول الله، هل لك في بنت أبي سفيان؟ قال: «فأفعل ماذا؟» قلت: تنكح، قال: «أنجبن؟» قلت: لست لك بمخلية، وأحب من شركني فيك أختي، قال: «إنها لا تحل لي» قلت: بلغني أنك تخطب، قال: «ابنة أم سلمة؟» قلت: نعم، قال: «لو لم تكن ربيتي ما حلت لي، أرصعني وأبأها نويبة، فلا تعرضن علي بناتكن، ولا أخواتكن»^(٥).

هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأمها صفية

(١) لسان العرب (٣/٣٩٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (٥/٢١٣).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) عون المعبود (٤/٢٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٠٦) كتاب النكاح، باب «ورببئيبكم التي في حُجُوركم من إسايبكم التي دخلت بهن»، ومسلم (١٤٤٩) كتاب الرضاع، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة، وأبو داود (٢٠٥٦) كتاب النكاح، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، والنسائي في المجتبى (٣٢٨٧) كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين الأختين، وابن ماجه (١٩٣٩) كتاب النكاح، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عمة عثمان بن عفان. تزوجت من عبيد الله بن جحش، فولدت له صبيّة، وكُنِّيَتْ بها.

هاجرت مع عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، غير أنه فتن في دينه، وارتد عن الإسلام إلى النصرانية، (قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إني نظرت في الدين، فلم أر دينًا خيرًا من النصرانية، وكنت قد دُنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خُير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات)^(١).

أية مشاعر ضيقة وشتات اجتاحت أم حبيبة، وهي في ديار الهجرة، بعيدة عن أهلها وديارها، وزوجها يلقي على مسامعها خبر ارتداده عن الإسلام، وتحوله إلى النصرانية، وقد أصبح محتّمًا عليها، وقد ثبتت على دينها - أن تفارقه، وأن تصبح وحيدة لا يعينها إلا جماعة المسلمين الصغيرة التي هاجرت معها، ضعيفة لا يثبتها إلا إيمانها الذي يملأ قلبها.

ورغم الإحساس باللوعة والأسى؛ إلا أن أم حبيبة لم تفتن لحظة في دينها، ولم تشك أبدًا في كونها على الحق، وكونه على الباطل.

وأحسن النبي الإنسان على رغم مئات الأميال التي تفصله عن الحبشة - بما تعانیه أم حبيبة، فكان القرار السريع الحاسم الذي هدأ بالها، وفرّج أحرانها، وصرف عنها الهم، وأبدلها بالترح فرحًا، وبالفزع أمنًا، وبالقلق سكنًا.

أرسل إلى النجاشي يخطبها إلى نفسه، (فزوجها النجاشي النبي ﷺ وأمرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن

(١) طبقات ابن سعد (٨/٩٧).

(حسنة) (١).

وعادت أم حبيبة من الحبشة معززة مكرمة لتُزف إلى خير خلق الله محمد ﷺ.

ولما خرج أبو سفيان إلى المدينة للقاء النبي ﷺ لكي يجدد عهد الحديبية، دخل على ابنته أم حبيبة (فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بني، ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني، أم رغبت بي عنه؟ قالت: هذا فراش رسول الله، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش النبي) (٢).

وبلغ أم حبيبة أن النبي ﷺ يخطب ابنة أم سلمة، فعرضت عليه أختها، تريد أن تشاركها في الخير، فأخبرها رسول الله ﷺ أن أخت الزوجة لا تحل، فلا يجوز الجمع بين الأختين، وأن ابنة أم سلمة لا تحل له أيضًا لأنها ربيته، ولأن أباهما فوق ذلك أخو النبي في الرضاة.



سأل النبي ﷺ أم حبيبة، وهي تعرض أختها عليه سؤالين: «وأفعل ماذا؟»، و«أتحبين؟» والاستفهامان ملوَّهما الدهشة والتعجب، ومثار الدهشة أن هذا العرض جاء من قبل زوجه أم المؤمنين.

وبعد أن أعلمها رسول الله ﷺ بالحرمة نهاها فقال: «فلا تعرضن عليّ بناتكن، ولا أخواتكن».

والنهي للردع والزجر، و«تعرضن» تضبط على وجهين:

الأول: «تعرضن» بفتح الأول، وسكون العين، وكسر الراء، وسكون الضاد،

(١) أخرجه أبو داود (٢١٠٧)، والنسائي في المجتبى (٣٣٥٠).

(٢) الثقات (٢/٣٨).

وفتح النون.

والثاني: «تَعْرِضَنَّ» بفتح الأول، وسكون العين، وكسر الراء والضاد، وتشديد النون.

والأول خطاب لجماعة النساء، والثاني خطاب لأم حبيبة وحدها.

وقال ابن القيم: (صُبَّط بضم الضاد في بعض الأمهات، ولا أعلم له وجهًا، لأنه إن كان الخطاب لجماعة النساء، وهو الأبين، فهو بسكون الضاد، لأنه فعل مستقبل مبني على أصله، ولو أدخلت عليه التأكيد، فشددت النون؛ لكان «تَعْرِضَنَّ»؛ لأنه تجتمع ثلاث نونات، فيفرق بينهما بألف، وإن كان الخطاب لأم حبيبة خاصة؛ فتكون الضاد مكسورة، والنون مشددة)^(١).

وفي تفسير الوجه الأول «تَعْرِضَنَّ» نقل ابن حجر عن القرطبي قوله: (جاء بلفظ الجمع، وإن كانت القصة لاثنتين، وهما أم حبيبة وأم سلمة ردعا وزجرا أن تعود واحدة منهما أو غيرهما إلى مثل ذلك)^(٢).

وتقديم الجار والمجرور (عليَّ) للتخصيص.

٧- مع صفية رضي الله عنها: «وَأَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا»:

عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزْوَرُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُحَيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ

(١) فتح الباري (٩/١٤٤).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

الشَّيْطَانُ يَنْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا^(١).



هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عبد كعب بن الخزرج من سلالة هارون ﷺ.

كان أبوها سيد بني النضير، فلما أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة ساروا إلى خيبر. وقتل أبوها مع بني قريظة.

وعندما فتحت خيبر، وجمع السبي (جاء دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، قال: «أذهب فخذ جارية»، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلا لك، قال: «ادعوه بها»، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «أخذ جارية من السبي غيرها»، وإن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوجها^(٢).

وعاشت صفية حياتها بين زوجات النبي ﷺ، وكانت جميلة، فتعرضت لما تعرض له النساء الجميلات إذا كانت لهن ضرائر، ومن ذلك ما أورده سابقاً من قول السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا.. تعني قصيرة.

ومع ذلك كانت صفية من حزب عائشة وحفصة وسودة - كما تروي السيدة عائشة - في مواجهة الحزب الآخر الذي تنزعه أم سلمة وسائر نساء

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لِحَوَائِجِهِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ومسلم (٢١٤٧) كتاب السلام، باب بَيَانُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ زَوْجَةً أَوْ مَحْرَمًا لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ فُلَانَةٌ لِيَذْفَعَ ظَنَّ الشُّوْءِ بِهِ، وأبو داود (٢٤٧٠) كتاب الصوم، باب أَيْنَ يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ، وابن ماجه (١٧٧٩) كتاب الصيام، باب فِي الْمُعْتَكِفِ يَزُورُهُ أَهْلُهُ فِي الْمَسْجِدِ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥) وغيرهما.

النبي ﷺ، ولكن لا يؤثر عنها في صحيح الأحاديث أنها شاركت مشاركة فاعلة فيما جرى بين هذين الحزين من خصومات.

ذهبت السيدة صفية تزور النبي ﷺ في معتكفه في رمضان، وظلت معه ساعة تسامره، ثم أرادت أن تعود إلى بيتها، فقام النبي معها، وبينما هما سائران مرّ رجلان من الأنصار، فلما على رسول الله ﷺ، فأسرع النبي دفعًا لسوء الظن يقول: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي».

إن النبي ليس في حاجة لأن يدفع عن نفسه أو عن زوجه الشبهة، فهو المعصوم ﷺ، لكنه يعلم أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وأصحابه ﷺ ليسوا بمعصومين، فقد يحتال الشيطان على أحدهم، فيظن برسوله ﷺ شيئًا، فتكون الهلكة وسوء العاقبة.

لقد كان ﷺ يرفق بأصحابه وبأزواجه قبل أن يرفق بنفسه، ويحبهم مواقع الزلل؛ ومواطن الشبهات.

وكرم النبي ﷺ زوجه صفية في موقف آخر حين شهد لها بالصدق في حبه أمام أزواجه جميعًا، أورد ابن سعد في طبقاته عن زيد بن أسلم (أن نبي الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزناها أزواج النبي ﷺ، وأبصرهن رسول الله ﷺ، فقال: «مضمضين»، فقلن: من أي شيء يا نبي الله؟ قال: «من تغامزكن بصاحبكن، والله إنها لصادقة»^(١).



* قال النبي ﷺ لصاحبيه: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي» وقوله:

(١) طبقات ابن سعد (٨/١٢٨)، والجامع في الحديث (٢/٦٥٥).

«على رملكما» (بكسر الراء، أي على هيتكما، وقال ابن فارس: الرسل: السير السهل)^(١).

وكانه يطلب منهما أن لا يغيرا من هيتهما في المشي؛ فلا يسرعا، ولا يتعجلا، فلم يحدث ما يدعو إلى ذلك.

قوله ﷺ: «إنما هي صفة بنت حمي»: أسلوب قصر أداته إنما، وضمير الفصل، والمراد التوكيد بشدة على أن هذه ليست امرأة غريبة عن النبي ﷺ، وإنما هي زوجة صفة.

وذكر الاسم كاملاً «صفة بنت حمي» لدفع التوهم.

وقال الرسول ﷺ لصاحبيه لما سبّحا، وكَبُرَ عليهما كلام رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا».

وقوله: «يلغ مبلغ الدم» أي كمبلغ الدم، ففي العبارة تشبيه شبه فيه النبي ﷺ شدة اتصال الشيطان بالإنسان وعدم مفارقتها له، بجريان الدم في عروقه. وفي ذلك إشارة إلى تسلط الشيطان على الإنسان، وقربه منه، وملازمته إياه. وقوله ﷺ: «إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»: استعارة مكنية شبه فيها النبي ﷺ ما يلقيه الشيطان من وساوس في القلوب بشيء يُقذف، وهي تدل على مدى ما يضره الشيطان للإنسان من عداوة.

واستخدام لفظ «يقذف» يوحي بأنها معركة حقيقة يستخدم فيها الشيطان كل أسلحته ليخرج منتصرا على الإنسان، ويورده موارد التهلكة.



الرسول ﷺ مع أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها

«قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ»:

عن أبي النضر مولى عمر بن عبّيد الله، أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب، أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تسترّه، فسلمت عليه، فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «مرحبا بأم هانئ»، فلما قرع من غسله، قام فصلى ثماني ركعات ملتجفا في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجزته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ» قالت أم هانئ: وذلك ضحى^(١).



أم هانئ: اسمها فاختة بنت أبي طالب الهاشمية، وقيل هند، أخت علي ابن أبي طالب، تزوجت في الجاهلية هبيرة بن أبي وهب، ثم أسلمت، ففرق الإسلام بينهما، فخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسه فيما رواه أبو هريرة من (أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: إني كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركن الإبل نساء قريش؛ أحناء علي ولد في صفره، وأرعاه علي زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط»)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦١٥٨) كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ومسلم (٣٣٦) كتاب صلاة المسافرين، باب استجاب صلاة الضحى، وأبو داود بنحوه (٢٧٦٣) كتاب الجهاد، باب في أمان المرأة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٢٧)، وابن حبان (٦٢٢٨)، وغيرهما.

هؤلاء هن نساء المسلمين اللاتي يزعم أعداء الإسلام أنهن مقهورات،
مسلوبات الحقوق، خاضعات لأزواجهن، مغتصابات الإرادة.

أم هانئ بنت أبي طالب، يطلبها للزواج رسول الله ﷺ إكرامًا لها، وحفظًا
لقرباتها فتعتذر إليه في رفق وأدب، فيقبل النبي ﷺ ذلك دون حرج، بل يُنِّي
فيمدح نساء قريش.

وفي عام الفتح أجارت أم هانئ رجلًا من قريش، فأراد علي بن أبي طالب
أن يقتله، فذهبت إلى النبي تشتكي أخاها، فقال لها النبي ﷺ: «قد أجرنا من
أجرت يا أم هانئ».

وجلس أم هانئ يومًا عند النبي، وكانت صائمة، فأتي بشراب، فشرب
النبي ﷺ ثم ناولها فكرهت أن ترد سؤره فشربت، ثم قالت للنبي ﷺ: (إني
أذنبت فاستغفر لي، فقال: «وما ذاك؟» قالت: كنت صائمة فأفطرت، فقال:
«أمن قضاء كنت تقضينه؟» قالت: لا، قال: «فلا يضرك»^(١).

لقد كانت أم هانئ مثالًا للمرأة المسلمة المتميزة، صاحبة الشخصية
المستقلة، والإرادة الصلبة.



قال النبي ﷺ لأم هانئ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»: استخدم النبي
الجملة الفعلية المؤكدة بقد، والفعل الماضي المتحقق الحدوث، ليقطع الطريق
على أي تناول، وليحسم مسألة الإجارة.

و(من) تفيد العموم، فيدخل في هذا الأمان، كل من أجارته أم هانئ، دون
تحديد لاسم، أو عدد.

(١) أخرجه الترمذي (٧٣١)، والنسائي في الكبرى (٣٣٠٦)، وغيرهما.

والنداء «يا أم هانئ» للتقرب، وتطبيب خاطر، وتسكين النفس.



على قبر أم النبي ﷺ

«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ اسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي»:

عن أبي هريرة قال: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ اسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ»^(١).



أم النبي هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيدة نساء قومها بني زهرة.

وقد رُوي في قصة زواجها من عبد الله بن عبد المطلب أن عبد المطلب لما قدم اليمن في رحلة الشتاء نزل على جبر من اليهود (قال: فقال لي رجل من أهل الديور - يعني أهل الكتاب -: يا عبد المطلب، أتأذن لي أن أنظر على بعضك؟ قال: نعم، إذا لم يكن عورة. قال: ففتح إحدى منخري فنظر فيه، ثم نظر في الآخر، فقال: أشهد أن في إحدى يديك ملكاً، وفي الأخرى نبوة، وأنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: هل لك من شاعة، قلت: وما الشاعة؟ قال: زوجة، قلت: أما اليوم فلا، قال: فإذا رجعت فتزوج فيهم.

فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة،

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) كتاب الجنائز، باب اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ ﷻ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، وأبو داود (٣٢٣٤) كتاب الجنائز، باب فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ، والنسائي في المجتبى (٢٠٣٤) كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك.

فولدت له حمزة وصفية، ثم تزوج عبد الله أمنة بنت وهب، فولدت رسول الله ﷺ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله بأمنة: فُلَجَ، أي فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب^(١).

وما لبث عبد الله أن مات، ومحمد ﷺ في بطن أمه، فنشأ النبي يتيم الأب، لم ير سوى أمه، (فلما بلغ ست سنين، خرجت به إلى أخواها من بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم ثم رجعت به إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت فقبرها هناك)^(٢).

ومر النبي بالأبواء حين خرج في حجة الوداع هو وأصحابه، فتمس قبر أمه حتى وجده، وجلس إليه.

لقد استأذن النبي ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

واستأذن النبي ربه في أن يزور قبر أمه فأذن له، فزاره، ودعا أصحابه إلى زيارة القبور لأنها تذكّر بالآخرة.

إن الأسى واللوعة اللذان اعتملا في قلب النبي ﷺ، وهو يزور قبر أمه - لا يحتملها بشر، فهي أمه التي حملته بين ضلوعها تسعة أشهر، فقدت الزوج في أول حملها، فتحملت مرارة الثكل، وانشغلت بجنيها عن الدنيا وما فيها، فلما وضعت أشرقت الدنيا أمام عينيها، وتدفت الأنوار بين يديها، ورأت فيوض الرحمة الإلهية تحيط بها، فاحتضنته بكل كيائها، وغذته بلبانها، وروّته بحنانها.

ثم شاء الله أن تفارقه، ولا يبقى للصبي الصغير سوى ذكريات الأيام

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٨٠)

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ٢١٦).

الحلوة التي قضاها بين أحضانها.

وها هو يعود إليها بعد سنين طويلة، فيجلس إلى قبرها، ويتذكر أيام الصبا فيناجئها طويلاً، ويتفطر فؤاده من الحزن؛ لأنه لا يملك أن يستغفر لها، فيبكي ويبكي الناس من حوله لبكائه النليل، فلم يُرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم.



قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي، فلم يأذن لي»: قال الرسول ﷺ: «استأذنت ربي»، ولم يقل: (استأذنت الله) لأن الرب هو المدير وهو صاحب الأمر والنهي ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأمر: ٥٤].

وأضاف الرب إلى نفسه ليبين شدة إيمانه بربه، وعمق اعتزازه به.

«فلم يؤذن لي»: عبارة منفية موحية بالحزن والأسى ومرارة الإحساس بالإشفاق على مصير الأم.

وقال رسول الله ﷺ: «واستأذنته في أن أزور قبرها، فأذن لي»: بدأ رسول الله ﷺ بالطلب الأعلى، وهو الاستغفار، فلما لم يُقبل انتقل إلى الأدنى وهو زيارة القبر.

و«فأذن لي» قد تكون بالبناء للمجهول، وحُذف لفظ الفاعل تعظيماً له وإجلالاً، وقد تكون «فأذن لي» بالبناء للمعلوم، وفيها ما يوحي بأن الإذن كان سريعاً ومباشراً.

وقال رسول الله ﷺ: «فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت»: والأمر للإباحة، والتذليل: «فإنها تذكركم الموت» تعليل للأمر، وبيان لأهميته.



الفصل الثالث

الرسول ﷺ مع أصحابه

الرسول ﷺ مع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١ - أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»:

- عن أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رَجُلًا^(١).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ، إِلَّا وَقَدْ كَاتَبْتَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا يَدٌ يَكَافُهُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِلَّا وَلِإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»^(٢).

- عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ هَامَرَ»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذًا خليلًا، ومسلم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٣٨٨٥) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَلَّمَهُمْ عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وابن ماجه (١٠١) كتاب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١) كتاب المناقب، مناقب أبي بكر، وابن ماجه مختصرًا (٩٤) باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل أبي بكر.

أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَالَ: أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَسَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟»، مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا^(١).

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ، فَحَاطَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ قَائِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ، التَفَتَ فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ أَمُكُثْ مَكَانَكَ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتُبْتَ إِذَا أَمَرْتُكَ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لَابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ؟ مِنْ رَأْيِهِ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التَّتَبَّعَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ»^(٢).

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَنْتَ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت منحذ خليلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٤) كتاب الجماعة والإمامة، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول فتأخر الآخر، ومسلم (٤٢١) كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفردة بالتقديم، وأبو داود (٩٤٠) كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة.

أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ، وَلَمْ أَحِذْكَ؟ كَأَنهَا تَقُولُ الْمَوْتَ، قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَحْدِثِي، فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ».

- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَذْهَبُ مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»^(١).

- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ - يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ - قَالَا: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَذِي وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمُرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَنَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: «إِنْ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنِ النَّبِيِّ وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِبَائِهِمْ وَذَرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ النَّبِيِّ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا النَّبِيِّ لَا تَرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ فَاتَلْنَاهُ، قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ»^(٢).

- عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَفَيْسَ نُعْطِي الدِّيْنَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَخْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣) كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر، وابن ماجه (٩٧) باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل أبي بكر.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٧٨) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

فقال: «يا ابن الخطأب، إني رسول الله، وَلَنْ يُصَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا»، قال: فَانْطَلَقَ عُمَرُ، فلم يَصْبِرْ مُتَعَفِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فقال: يا أبا بَكْرٍ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قال: بَلَى، قال: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قال: بَلَى، قال: فَعَلَّامٌ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا، وَتَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فقال: يا ابن الخطأب، إنه رسول الله، وَلَنْ يُصَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قال: فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فقال: يا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قال: «نعم»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ^(١).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ، التَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: لِمَ أُخْلِقَ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْجِرَائَةِ، قَالَ آمَنْتُ بِهِ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَخَذَ الذَّنْبُ شَأً، فَتَبِعَهَا الرَّاحِي، فَقَالَ الذَّنْبُ: مِنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، يَوْمَ لَا رَاكِبٍ لَهَا غَيْرِي، قَالَ: آمَنْتُ بِهِ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، قال أَبُو سَلَمَةَ: وَمَا هُمَا يَوْمَئِذٍ فِي الْقَوْمِ^(٢).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، فُؤِمُوا، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قال: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعَذِقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فقال: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَّةَ، فقال له

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٤) كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ يَأْمُرُكَ فَتَتَّ أَتَجَرَّوْا﴾، ومسلم

(١٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، باب صَلَاحِ الْحُدُودِ فِي الْحُدُودِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٤) كتاب المزارعة، باب اسْتِعْمَالِ الْبَقَرِ لِلْجِرَائَةِ.

رسول الله ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسَالَنْ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»^(١).



كان صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين حُزْمَةً مِنَ الْقِيمِ النَّبِيلَةِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي قَلَّمَا تَجْتَمِعُ فِي أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ، التَقَتْ كُلُّهَا فِي ظِلِّ قِيَادَةِ رَفِيعَةِ الْمَقَامِ، إِلَهِيَةِ الْمَصْدَرِ؛ لَتَكُونَ رَافِدًا لِمَنْ بَعْدَهَا، وَلَتَضَعُ لِبَنَاتِ حَضَارَةِ جَدِيدَةٍ مُمْتِيزَةٍ، تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَضَارَاتِ السَّابِقَةِ لَهَا، فِي أَنَّهَا وَلَدَتْ لَتَبْقَى.

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعَامِلُ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ مَعَامِلَةً وَاحِدَةً، إِنَّمَا كَانَ يَفْهَمُ نَفْسَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَيَقْدِّرُ إِمْكَانَاتِهِ وَمَلَكَاتِهِ، وَيُوجِّهُ هَذِهِ الْمَلَكَاتِ التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ، فِي الْوَقْتِ الصَّحِيحِ، وَفِي الْمَكَانِ الصَّحِيحِ، وَبِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ، وَبِالْقَدْرِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْمَوْقِفُ، وَلِذَلِكَ انْتَفَتْ حَوْلَهُ قُلُوبٌ هَوَّلَاءُ، وَأَحْبَوهُ كَمَا لَمْ يَحِبْ أَحَدٌ أَحَدًا، وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ كُلَّ جَهْدِهِمْ، وَاسْتَفْرَغُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كُلِّ طَاقَتِهِمْ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُبْرَزَ شَخْصِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الْفُذَةِ الَّتِي رَبَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَيْنِهِ، وَهُوَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، عَثْمَانُ بْنُ عَامِرِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ، يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَّةٍ)^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة، بَابِ جَوَازِ اسْتِئْثَارِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ يَتُّنَ مِنْ بِرَّضَاهُ بِذَلِكَ.

(٢) تاريخ الخلفاء (٢٧/١).

وُلِّقَ بالصدِّيق لسبقه إلى التصديق برسول الله ﷺ.

جهاده مع رسول الله ﷺ في مكة والمدينة معروف ومشهور، ومواقفه الصلبة في إعلاء دين الله غير منكورة.

كان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، وآثرهم عنده، وأحبهم إلى نفسه، بعد ابنته عائشة. وكان حب أبي بكر لرسول الله أعظم من حبه لنفسه، وكان إيمانه بما جاء به إيمانًا يقينًا، لا يخالطه شك ولا ريبة، ولذلك لم يتردد لحظة واحدة في بذل الغالي والنفيس في سبيل حماية النبي، والذود عنه، ونشر دعوته.

وما انتفع رسول الله ﷺ بمال أحد كما انتفع بمال أبي بكر، وما كان لأحد عند رسول الله ﷺ يد لا يكافئه بها إلا الله سوى أبي بكر.

حدث بينه وبين ابن الخطاب يومًا شيء، فأغلظ عليه، ثم ندم، وطلب منه أن يغفر له، فأبى عمر، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ منزعًا يشكو إليه فعل عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «يغفر الله لك يا أبا بكر»، فلما جاء عمر أبدى النبي غضبه لصاحبه، وتمعر وجهه حتى أشفق أبو بكر عليه، وجثا على ركبتيه يتوسل إليه، ويقسم أنه كان أظلم من عمر، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟».

وكان أبو بكر يصلي إمامًا بالناس يومًا، وقد ذهب رسول الله ﷺ إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فعاد رسول الله ﷺ والناس يصلون، فتخلص حتى وقف في الصف، فبه الناس أبا بكر، فلما همَّ بالتراجع للخلف، أشار إليه الرسول أن امكث مكانك، فرفع يديه يحمد الله على ما أمره به رسول الله. ثم تأخر إلى الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما أتم صلاته سأل أبا بكر: «ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟» فقال أبو بكر: ما كان لابن

أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ.

ولقد كاد النبي أن يصرح بخلافة أبي بكر من بعده، حين جاءته امرأة فسألته شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فسألته: أرايت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تعني الموت، فقال: «إن لم تجدني فأني أبا بكر».

وفي مجلس آخر حث أصحابه على الاقتداء بالأتين من بعده أبي بكر وعمر.

وكان الرسول ﷺ يستشير صاحبه فيما أهمه من أمر، ويستصوب رأيه، فبينما كان الرسول في طريقه إلى الحديبية، علم أن قريشاً قد أعدت لقتاله، وصدّه عن البيت، فاستشار أصحابه في أن يعيل عليهم ميلة واحدة فيرزأهم في عيالهم، ويشغلهم عن الخروج إلى المسلمين أو منعهم من الاعتمار.

فأشار عليه الحليم أبو بكر بأن لا يفعل، إذ إنه خرج قاصداً زيارة البيت، لا ينوي قتالاً ولا إيذاءً، فإن صدّوه وقتلوه قاتلهم.

وأخذ النبي ﷺ برأي صاحبه أبي بكر، وانطلق إلى الحديبية.

وبعد توقيع صلح الحديبية لم يرض بعض الصحابة عن بنوده التي عدّها مجحفة بالمسلمين، وأتى عمر بن الخطاب رسول الله يتساءل عما رآه تنازلات من النبي ﷺ للمشركين، فقال له رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً»، فانصرف عمر متغيظاً، وذهب إلى أبي بكر، يطرح عليه ذات التساؤل، فيجيبه أبو بكر - ولم يكن قد سمع جواب رسول الله ﷺ - بذات الجواب: (يا ابن الخطاب، إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً).

وغاب أبو بكر وعمر، ذات يوم عن مجلس رسول الله ﷺ في المسجد، وكان الرسول ﷺ يحكي لأصحابه قصة عجيبة لرجل خالف ما اعتاد الناس عليه، وركب بقرته، فالتفتت إليه البقرة وقالت له: لم أخلق لهذا، خلقت

للحرثة. وقبل أن تبلغ الدهشة مداها من أصحاب رسول الله ﷺ عقبَ قائلاً: «أمنت به أنا وأبو بكر وعمر». ثم روى لهم قصة ذئب انتزع شاة من قطيعها فأتبعه الراعي، فخلَّصها منه، فقال له الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟ ثم أردف الرسول قائلاً: «أمنت به أنا وأبو بكر وعمر».

لقد قرن الرسول ﷺ بين إيمانه وإيمان صاحبيه في إشارة قوية إلى عمق هذا الإيمان ورسوخه.

وفي مشهد لافت يشتد الجوع برسول الله ﷺ، فيخرج من بيته، فإذا هو بالصاحبين أبي بكر وعمر، فيسألهما: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» فيجيبان: الجوع يا رسول الله، فيقول الرسول ﷺ: «وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا» فانطلقوا إلى منزل رجل من الأنصار، قيل هو (منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخل والشاة)^(١)، فلما رآهم الرجل لم تسعه الفرحة بهؤلاء الأضياف الكرام، وأسرع إلى بستانه فجاء بكباسة كاملة من البلح، فوضعها أمامهم، وطلب منهم أن يأكلوا منها ريثما يعد لهم الطعام، ثم ذبح لهم شاة، وقدمها لهم، فأكلوا وشربوا حتى شبعوا ورووا، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».



سئل النبي ﷺ: «أيُّ الناس أحب إليك؟» فقال: عائشة، قيل له من الرجال، قال: «أبوها». وكلمتا: «عائشة» و«أبوها»، كلُّ منهما خبر لمبتدأ محذوف جوازاً لإرادة الاختصار، والتركيز على الخبر لأهميته.

وفي قول رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر».

كلمة «يد» مجاز مرسل علاقته السببية.

وتقديم شبه الجملة (لأحد) للتخصيص.

«فإن له عندنا يدًا يكافئه الله به يوم القيامة»: اليد مؤنثة والضمير المذكر في (به) عائد على معنى اليد، وهو المعروف.

«وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر»: (ما) الأولى نافية، والثانية مصدرية، مقدر بعدها مثل، أي: مثل ما نفعني مال أبي بكر.

وقوله ﷺ: «ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»: الاتخاذ (افتعال من الأخذ، واتخذ يتعدى إلى مفعول واحد، ويتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر، فيكون بمعنى اختار واصطفى، وهنا سكت عن أحد مفعولي، وهو الذي دخل عليه حرف الجر، فكأنه قال: لو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت منهم أبا بكر)^(١).

والخليل: الحبيب المصطفى بالود، وهو من (الخُلَّة بالضم، الصداقة والمحبة التي تخللت القلوب، فصارت خلاله أي في باطنه)^(٢).

وهي منزلة أعلى من الحب والصداقة، ولذلك لا يكون الخليل إلا واحدًا، بينما يتعدد الأحياء والأصدقاء.

وقد نفى النبي عن نفسه إمكان اتخاذ خليل من أصحابه، وأخبر بأنه لو كان متخذًا خليلًا لاصطفى أبا بكر خليلًا، وفي ذلك تكريم وخصوصية لأبي بكر لم ينلها غيره، فإن قيل: قال أبو هريرة: أوصاني خليلي، يعني النبي ﷺ، فليس في ذلك تناقض إذ (الممتنع أن يتخذ النبي غير ربه خليلًا، ولا يمتنع

(١) عمدة القاري (٤/٢٤٤).

(٢) لسان العرب (١١/٢١٧).

اتخاذ الصحابي وغيره النبي ﷺ خليلاً^(١).

قوله: «ألا وإن صاحبكم خليل الله»: «ألا» الاستفتاحية للتنبيه، و«صاحبكم» يعني نفسه، «خليل الله» أي: المصطفى من قبله، المرضي عنه، المجابة دعوته، المذكور عنده بخير.

وَرَدَ عن ابن جندب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»^(٢).

قال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن أبي بكر، وقد جاءه آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته: «أما صاحبكم فقد غامر».

والعبارة كناية عن شدة الخصومة، والمراد أنه دخل في غمرة الخصومة أي معظمها.

وقوله: «يفغر الله لك يا أبا بكر»: أسلوب خبري المبني، إنشائي المعنى، غرضه الدعاء.

أما قوله: «فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق»: فبين الجملتين مقابلة أريد بها إبراز المعنى، وبيان فضل الصديق.

وقوله: «وواساني بماله ونفسه»: «واساني» من المواساة، (وهي بلفظ المفاعلة من الجانبين، والمراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه في ماله سواء)^(٣).

«فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟»: قيل في الحديث: إنه ﷺ كرر هذه الجملة مرتين، وفي ذلك تأكيد على مكانة أبي بكر وفضله، وحرمة إيذائه.

وقوله: «تاركو» ورد هكذا بدون النون دون مسوغ ظاهر؛ إذ ليست الكلمة

(١) الدياج على مسلم (٢/٣٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) فتح الباري (٧/٢٥).

مضافة إضافة ظاهرة، ولذلك زعم بعضهم أن حذف النون من خطأ الرواة. وأوله العيني وغيره بأن الإضافة متحققة، ولكن (فصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الاختصاص، وذلك جائز كقول الشاعر:

فَرُشِّنِي بِخَيْرٍ لَا أَكُونَنَّ وَمَدَحْتَنِي كَنَاحَتِ يَوْمًا صَخْرَةً بِعَمِيلٍ^(١)

والشاهد في الشطر الثاني، إذ فصل بين المضاف (ناحت)، والمضاف إليه (صخرة) بالظرف (يومًا).

ومثله (في القرآن في قراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] بنصب أولادهم، وجر شركائهم)^(٢).

وأفضل الفصل ما كان الفاصل فيه معمولاً للمضاف، كما جاء في الأمثلة السابقة، فهو في الحديث (لي) جار ومجرور متعلق باسم الفاعل (تاركو) وفي البيت (يومًا) ظرف متعلق باسم الفاعل (ناحت)، وفي الآية (أولادهم) مفعول به للمصدر (قُتِلَ).

قال الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر، حين استأخر وترك الإمامة لرسول الله: «يا أبا بكر، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟».

والنداء للتلطف، والاستفهام غرضه التعجب.

وقوله ﷺ: «ما لي رأيتمكم أكثرتم التصفيق؟»: استفهام غرضه الإنكار.

«من رابه شيء في صلاته فليسيح»: أسلوب شرط أداته مَنْ، وفيها دلالة على العموم، و(رابه) من الريبة، وفي رواية: «من نابه» أي أصابه، و(شيء)

(١) عمدة القاري (١٦/ ١٨٠).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

نكرة دالة على العموم أيضًا، و(فليسبح) مضارع مقترن بلام الأمر، والمعنى: فليقل: سبحانه الله، وقد أشارت إلى ذلك رواية يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم نصًا.

«فإنه إذا سَبَّحَ التُّغَتِ إليه، وإنما التصفيق للنساء»: استخدم الفعل (التفت) المبني للمجهول، لأن المعنى بالالتفات قد يكون الإمام، وقد يكون غيره إن كان المصلي فذاً.

و«وإنما التصفيق للنساء»: رُوِيَ: «وإنما التصفيح للنساء»، والتصفيق والتصفيح سواء.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فافتدوا باللذين من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر.

و(ما) استفهامية (قال الطيبي: ما استفهامية، أي لا أدري مدة بقائي فيكم، أقليل أم كثير)^(١).

«فاقتدوا باللذين من بعدي»: إشارة واضحة إلى خلافتي أبي بكر وعمر من بعد رسول الله ﷺ، والأمر للوجوب.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو في طريقه إلى الحديبية، وقد علم أن قريشًا سوف تصده عن المسجد الحرام: «أشيروا أيها الناس عليّ...»

والأمر للحث، وقوله: «أيها الناس» دال على العموم، و(أميل إلى عيالهم وذرايهم هؤلاء) كناية عن القتل والسبي.

قوله ﷺ: «قطع عينا من المشركين»: وفي رواية «تكن عنقًا قطعها الله» وفي كليهما كناية عن الهزيمة الموقعة، لمكانة العين أو العنق.

و(عينًا) مجاز مرسل علاقته الجزئية.

و(إلا تركناهم محروبين) كناية عن التأثر بالهزيمة، والانشغال بآثارها.
وقوله: «امضوا على اسم الله» كناية عن طلب الاعتماد على الله، والتوكل عليه.

قال رسول الله ﷺ لعمر، وهو يرد على احتجاجه على بعض بنود صلح الحديبية:

«يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً»: وفي النداء بـ (ابن الخطاب) تذكير لعمر بالفارق بين مقامه ومقام النبوة، حتى لا يتمادى في اعتراضه على ما وافق عليه رسول الله ﷺ، ولذلك عقب على النداء بقوله ﷺ: «إني رسول الله».

وقوله: «ولن يضيعني الله أبداً» يوحي بالثقة الكاملة في نصر الله وتأييده لنبه، ويؤكد ذلك النفي بـ (لن)، ثم استخدام الظرف (أبداً).

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «بينما رجل راكب على بقرة»: استخدام حرف الجر (على) مع إمكان تعدي اسم الفاعل بنفسه للتأكيد على الركوب المتمكن.

قوله ﷺ: «التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة»: هنا صورة غنية بالمفاجآت المبهرة، وهي - مع شدة كثافتها - تثير الخيال، وتعمر بالإحياءات، رجل ركب بقرة، والرجل مجهول الهوية، مجهول الزمان والمكان، هو مجرد مثل لكل من يخالف الفطرة، ويناقض العرف، فمن غير المألوف أن يركب الناس الأبقار، ولأن هذا أمر غير مألوف، فقد وُجِهُ بأمر غير مألوف، لقد تكلمت البقرة، التفتت للرجل، وقالت ببساطة: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة.

وهنا مفاجأتان:

الأولى: كلام البقرة.

والثانية: أنها تَعْلَمُ الحكمة من خلقها، وتدرك وظيفتها في الحياة، وتأبى أن تتغير هذه الوظيفة. إن البقرة غير المكلفة تأبى أن تخالف ما هيأها الله له، بينما الإنسان العاقل المكلف لا يبالى بذلك.

إنها دعوة لعدم الخروج على سنن الفطرة، أو التعدي على طبائع المخلوقات، وكلاهما مظهر من مظاهر الفساد في الأرض.

ثم يقول رسول الله ﷺ: «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر»: والضمير في (به) يعود على هذا الأمر الخارق للعادة (كلام البقرة)، واقتران إيمان أبي بكر وعمر بإيمان النبي، ولم يكونا موجودين حين تحدث النبي بهذا الحديث - دليل على عمق صلتهما بالنبي ﷺ، وثقته العظيمة بصدق إيمانها.

واستطرد النبي ﷺ فقال: «وأخذ الذئب شاةً فبعها الراعي»: وهو أمر جليل خلق الله هذه الحيوانات المفترسة عليه، وجعله وسيلة رزقها، ومناط حياتها.

ولذلك قال الذئب: من لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟

واختلف في المراد بـ«يوم السبع»، فقيل هو: (عيد كان لأهل الجاهلية، يجتمعون فيه على اللهو، ويهملون مواشيهم، فيأكلها السبع، وقيل: السبع، بسكون الباء: الموضع الذي عنده المحشر، يريد بيومه يوم القيامة)^(١).

والمراد بالرعاية في قوله: «لا راعي لها غيري»: أنه سيكون الوحيد المعني بها في ذلك اليوم الذي سينشغل فيه الناس عن أغنامهم وماشيتهم، بما أهمهم من عظام الأمور.

سأل النبي ﷺ أبا بكر وعمر حين رأهما في الطريق في وقت لم تجر فيه العادة بالخروج: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟»، وهو استفهام

غرضه التعجب.

وعندما أجابه: الجوع، قال ﷺ: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»: واللام في (أخرجني) للتوكيد، وقوله: (الذي) دون ذكر الجوع يوحي بحياء النبي وأدبه البالغ.

وقوله: «قوموا» مع أن المخاطب اثنين جائز (فمن قال بأن أقل الجمع اثنان فظاهر، ومن قال بأن أقله ثلاثة فمجاز، يعني بأن أعطي الأكثر حكم الكل)^(١).

قال النبي ﷺ لصاحبيه بعد أن شعبوا ورووا: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة»: والقسم للتوكيد، والإشارة إلى الطعام والشراب بالنعيم تؤكد حق الحمد للمنعّم، والمراد بالسؤال هنا (سؤال تعداد النعم، وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة)^(٢).

وأضاف النبي ﷺ قائلاً: «أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»: جملة «أخرجكم» (جملة مستأنفة بيان لموجب السؤال عن النعيم، يعني: حيث كنتم محتاجين إلى الطعام مضطرين إليه، فنلتم غاية مطلوبكم من الشيع والري، يجب أن تُسألوا، ويقال لكم: هل أدبتم شكرها أم لا؟)^(٣).

٢ - عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمْ أَرِ عَبْرِيًّا فِي النَّاسِ يَضْرِي فَرِيَّهُ»:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من

(١) السابق (١٤٥/٨).

(٢) شرح السيوطي على مسلم (٨٣/٥).

(٣) تحفة الأحوذى (٣٠/٧).

الْأُمَمِ نَاسٌ مُّحَدَّثُونَ، فَإِنَّ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»، زَادَ زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي رَأْدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَالٌ يُكَلِّمُونَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»^(١).

- عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنْبِيًّا أَوْ ذَنْبَيْنِ، وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ صَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتَ بِيَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَغْرِئِي قَرِيئَةً، حَتَّى صَرَبَ النَّاسَ بِعَطَنِ»^(٢).

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ»، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدَّيْنُ»^(٣).

- عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْعِلْمُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ومسلم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، والترمذي (٣٦٩٣) كتاب المناقب، باب في مناقب عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٣) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٣٦٣٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣) كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم (٢٣٩٠) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٤) أخرجه البخاري (٨٢) كتاب العلم، باب فضل العلم، ومسلم (٢٣٩١) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، والترمذي (٣٦٨٧) كتاب المناقب، باب في مناقب عمر.

- عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُذْبِرًا» فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(١).

- عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُكَلِّمُهُنَّ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَلَيْهِ أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَحِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاحِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»، فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبَنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لِقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَبَجًا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَبَجًا غَيْرَ فَبَجِكَ»^(٢).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٢) كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم (٢٣٩٥) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، وابن ماجه (١٠٧) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٨) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين رسول الله ﷺ.

- عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَزَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِي قُرْآنٍ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِحًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرْآنٍ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] ^(١).

- عن عبد الله أن عُمَرَ رَأَى حُلَّةَ سَيِّرَاءَ تَبَاعُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ ابْتِغَيْتَهَا، فَلَبِستَهَا لِلْوَفْدِ إِذَا أَتَوْكَ وَالْجُمُعَةِ، قَالَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ»، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ حُلَّةَ سَيِّرَاءَ حَرِيرًا، كَسَاهَا إِثَابُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: كَسَوْنِيهَا، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَقُولُ فِيهَا مَا قُلْتُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِتَبِيعَهَا أَوْ تَكْسُوَهَا» ^(٢).

- عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكْفَنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُتَأَفِّقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَ: «إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ - أَوْ أَخْبَرَنِي - فَقَالَ: «أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ

(١) أخرجه البخاري (٤١٧٧) كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، والترمذي (٣٢٦٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفتح.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٤١) كتاب اللباس، باب الحرير للنساء، ومسلم بنحوه (٢٠٦٨) كتاب اللباس والزينة، باب تخريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء، وأبو داود (٤٠٤٠) كتاب اللباس، باب ما جاء في لبس الحرير.

لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿[التوبة: ٨٠]﴾ فقال: «سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ» قال: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أُنْزِلَ ﴿وَلَا تَصْلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿[التوبة: ٨٤]﴾^(١).

- عن سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: خَفَّتْ أَزْوَاجُ الْقَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ؟ فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَادَى فِي النَّاسِ فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَاجِهِمْ، فَيَسِطُ لِدَلِكِ نِطْعٌ، وَجَعَلُوهُ عَلَى النَّطْعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا، وَبَرَكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَّتِهِمْ، فَأَخْتَى النَّاسَ حَتَّى فَرَعُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»^(٢).

- عن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ عِنْدَ أُطْمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلْمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ» فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَا نَبِيَّ صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ حَبَأْتُ لَكَ لَحِيضًا» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٢) كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَصْلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، ومسلم (٢٧٧٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨٤) كتاب الشُّرْكَ، باب الشُّرْكَ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْمَرْوُضِ، ومسلم (٢٧) كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ نَظْمًا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعَانِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»^(١).

- عن ابن عَبَّاسٍ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَا اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي، قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مِمَّا كُنْتَ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتَ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَأَلْتَفْتُ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٢).



هو عمر بن الخطاب (بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي، أبو حفص القرشي العدوي الفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة)^(٣).

وكان إسلامه فارقاً بين الحق والباطل، إذ عزَّ به الإسلام وظهر.

وهو من السابقين الأولين، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أصحاب رسول الله ﷺ، وهو من كبار علماء الصحابة، ورواة الحديث عن رسول الله ﷺ.

سئل النبي ﷺ عن أحب الناس إليه بعد عائشة وأبيها، فقال: «عمر بن الخطاب». وربما كانت كلمة حب تقصر عن وصف العلاقة بين الرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٤) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ومسلم (٢٩٣٠) كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، وأبو داود (٤٣٢٩) كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائغ، والترمذي (٢٢٤٩) كتاب الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٧) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا.

(٣) تاريخ الخلفاء (١/١٠٨).

وعمر، لقد كان تلاقياً كاملاً في الرؤى والأهداف والأفكار والمشاعر.

ما كان النبي ﷺ يفكر في أمر إلا وجد عمر يعرض عليه الحل، ويقدم له المشورة، وما كان رسول الله ﷺ يهتم بفعل إلا وجد عمر إلى جواره يعينه عليه، ما تخلف عن غزوة ولا سرية غزاها رسول الله ﷺ، وكان سيفه المسلط على رقاب أعداء الدين منذ أعز الله به الإسلام، كما كان صوته الصادع بالحق مذكراً لله به بين الحق والباطل، وزلزله أفنده الكافرين والمنافقين.

وكان عمر أجراً للناس على رسول الله، وأكثرهم مراجعة له فيما يراه حقاً، وأشدّهم طاعة وخضوعاً وانصياعاً له فيما سوى ذلك.

وصفه رسول الله ﷺ بأنه (مُحدّث)، واختُلف في تأويل المحدث، ف قيل (ملهم)، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن، وهو من أُلقي في رُوعه شيء من قبل الملائكة الأُعلى، فيكون كالذي حدّثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مكلم: أي تكلمه الملائكة بغير نبوة^(١).

ورآه النبي في رؤيا يسقي الناس، فتحوّل الدلو الصغيرة في يده إلى دلو عظيمة، فيرتوي الناس وينعمون، ويهنؤون. وفي ذلك إشارة إلى خلافته الزاهرة التي استقرت فيها بلاد الإسلام، وامتدت الفتوحات، وكثر الخير، وعمّ العدل.

وعرض عمر على رسول الله ﷺ في رؤيا أخرى يلبس قميصاً يجره، في حين كان الآخرون يُعرضون وعليهم قُمصٌ قصيرة منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، فأوله رسول الله ﷺ بكمال الدين.

وفي رؤيا أخرى أتى النبي ﷺ بقدر لبن فشرب حتى ارتوى، ثم أعطى فضله لعمر، وأوله الرسول بالعلم.

(١) فتح الباري (٧/ ٥٠).

وبينما النبي نائم رأى نفسه في الجنة، ورأى امرأة تتوضأ إلى جوار قصر، فسأل عن صاحب القصر، ف قيل له: عمر، فولّى مسرعاً لما يعلم من غيرته. على أن عمر كان يحب الرسول ﷺ أكثر من نفسه، ولم يكن يخشى شيئاً أشد من غضب رسول الله ﷺ عليه، سار مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليلاً، فسأله عن شيء فلم يجبه الرسول ﷺ، ثم سأله ثانية فلم يجبه، ثم سأله ثالثة فلم يجبه، فقال عمر: (ثكلتك أمك يا عمر، نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك)، ثم انطلق بغيره أمام المسلمين، وهو يخشى أن يكون قد أغضب رسول الله ﷺ، فينزل فيه قرآن، وما لبث النبي أن دعاه فقال له: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

وكان عمر شديداً في الحق مُهاباً، استأذن على رسول الله ﷺ يوماً، وكان عنده نساء من قريش يكلمنه، ويجادلنه، ويتبسطن معه، فلما سمعن صوت عمر خفضن أصواتهن وأسرعن إلى حجابهن، فضحك النبي ﷺ، وقال له: «إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك».

وحين مات عبد الله بن أبيّ، وقام رسول الله ﷺ يصلي عليه أخذ عمر بثوبه، وقال له: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني ربي» يشير إلى قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. فقال: «سأزيده على السبعين».

وصلّى الرسول على الرجل، غير أن القرآن وافق عمر، ونزلت الآيات تنهى النبي عن الصلاة على المنافقين، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَىٰ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

وأجذب الناس حيناً وأملقوا، فجاءوا النبي، واستأذنوه في نحر إبلهم التي يركبونها، ويستقون من ألبانها، فأذن لهم، ثم لقيهم عمر فأخبروه، فأسرع إلى النبي ﷺ يقول له: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟

فأمره الرسول ﷺ أن ينادي في الناس أن يأتوا بما بقي من أزوادهم - وهو قليل - فأتى الناس بما بقي عندهم، ووضعوه على نطع، وقام النبي ﷺ فدعا عليه وبرك، ثم أمرهم أن يأتوا بأوعيتهم، ويحتوا فملاً كل منهم وعاء حتى فرغوا، فقال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله».

وخرج عمر مع رسول الله ﷺ يوماً في جماعة يتفقدون ابن صياد، وقد حدث البعض أنه الدجال، لما رأوا من تحقق بعض الآيات فيه، فوجدوه يلعب مع الصبيان، وكان قد قارب الحلم، فحاورة الرسول ﷺ ليتحقق من أمره، وكان مما اختبره به أن قال له: «إني قد خبات لك خبيثاً»، فقال ابن صياد: هو الدُّخ، أراد سورة الدخان، فهو (لم يهتد من الآية التي أضمرها النبي إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان)^(١)، فصاح به النبي ﷺ: «اخسأ فلن نعدو قدرك»، فتضاءل ابن صياد، وقام عمر يستأذن الرسول ﷺ في ضرب عنقه، فأبى عليه الرسول ذلك.

لقد كان عمر نعم الرفيق لصاحبيه في الدنيا، وكان يرجو أن يظل في صحبتهما عند الموت فلم يحرمه الله من هذه الصحبة، ودفن إلى جوارهما. قال علي بن أبي طالب، وقد وضع عمر بن الخطاب على سريره: رحمك الله، إن كنت أرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر... وفعلت وأبو بكر وعمر... وانطلقت وأبو بكر وعمر...» فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما.



قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر». تقدم الخبر شبه الجملة «فيما»، و«في أمتي» ليدلا على التخصيص، وجاء الاسم المتأخر: «ناس»، «أحد» بصيغة التنكير ليوحى بقلة عدد هؤلاء المحدثين.

في الأحاديث الثلاثة التالية ثلاث صور من صور الاستعارة التمثيلية جاءت في رؤى منامية للنبي ﷺ:

الصورة الأولى: شُبّهت فيها خلافة أبي بكر، التي لم تدم أكثر من ستين، وانشغل فيها أبو بكر بحروب الردة، ولم يقبضه الله إليه حتى تم فتح بعض بلاد فارس والشام - بسقي الناس ذنوبًا أو ذنوبين، وبنزع ضعيف، وشُبّهت خلافة عمر وما أجرى الله على يديه من خير وفير، وفتح كبير، بسقي الناس بدلو عظيمة حتى رووا، وضربوا بأعطانهم، وهي صورة حية عامرة بالحركة، مستوحاة من البيئة، موحية بالخير والبركة.

وفي الكلام كنياتان: الأولى قوله: «فلم أر عبقرًا يفري فريه» وهي كناية عن إجادة العمل وإتقانه.

و«عبقري» نسبة إلى عبقر، وهو (موضع تزعم العرب بأنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته)^(١).

و«يفري» أي يقطع، و«فَرِيَّةٌ» يروي بوجهين: (أحدهما (فَرِيَّةٌ) بإسكان الراء، وتخفيف الياء، والثانية كسر الراء، وتشديد الياء، وهما لغتان صحيحتان)^(٢).

والكناية الثانية هي قوله: «ضرب الناس بعطن» وهي كناية عن الري والراحة، والعطن هو مبرك الإبل حول الماء.

(١) مختار الصحاح (١/١٧٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٦٢).

الصورة الثانية: استعارة تمثيلية أخرى شبه فيها النبي ﷺ كمال دين عمر وتماحه بلبس قميص طويل يجرُّ على الأرض، كما شبه نقصان الدين بلبس قميص لا يجاوز الشدين أو دون ذلك، والصورة مناسبة لمجتمع المسلمين الحديث الناشئ الذي كان الحصول فيه على قميص يستر عورة المرء نعمة يغبطه الناس عليها.

الصورة الثالثة: شبه فيها العلم بقدر من لبن يشربه رسول الله ﷺ حتى الري، فذلك علمه المتكامل، ويشرب عمر فضلة رسول الله ﷺ، فيُنقل إليه علم كثير من علم رسول الله ﷺ.

وفي قوله ﷺ: «حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري» كناية عن تمام العلم وكماله، وفيه أيضاً استعارة مكنية شبه الري فيها بشيء مادي يُرى، ويخرج من الأظفار، وقوله: «أرى الري» من قبيل تراسل الحواس.

قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر: «رأيتني في الجنة» الرؤيا حقيقية لأن رؤيا الأنبياء حق، والنبي لم يشبهه، ولم يورّ، ومباشرة التعبير تدل على أنه رأى الجنة مراراً، ويعرفها حق المعرفة «فإذا امرأة تتوضأ...» إذا الفجائية، وزعم ابن قتيبة وابن بطال أن كلمة (تتوضأ) بها تصحيف، وأنها في الأصل (شوها)، أي: حسنة رائعة؛ (لأن الحور طاهرات، ولا وضوء عليهن، فكذلك كل من دخل الجنة لا يلزمه طهارة ولا عبادة) (١).

ويرد ذلك أنه وإن لم يكن أهل الجنة مكلفين، فإنه (يجوز أن يصدر عن أحد من أهل الجنة عبادة باختياره) (٢).

وفوق ذلك فإن الوضوء قد لا يكون للطهارة، وإنما لزيادة الحسن

(١) عمدة القاري (٢٠/٢١٠).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

والبهاء، وغني عن البيان أن المرأة إذا كانت تتوضأ فإنها تحتاج للستر، فقد يبدو منها ما لا ينبغي لغير محارمها رؤيته، ولعل ذلك ما دعا رسول الله ﷺ إلى أن يولِّي مدبرًا.

وذكر المرأة والقصر من لوازم نعيم الجنة ومتعها.

قال النبي ﷺ: «إيها يا ابن الخطاب:» و(إيها) اسم فعل أمر بمعنى كَفَّ، فإذا بنيت على الكسر أو نونت (إيه إيه) فهي بمعنى زد^(١).

والمراد منها التعجب من شأن عمر رضي الله عنه، ولذلك أتبعها بقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فبًا قط إلا سلك فبًا غير فبك:» وهو كناية عن هبة الشيطان لعمر، وتجنبه مواجهته.

قال النبي ﷺ لعمر: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك».

وفي الكلام حذف معلوم من الكلام السابق، وتقديره: لا يتحقق حبك، ولا يكتمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فلما قال عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحب إلي من نفسي، قال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر:» وهنا حذف أيضًا تقديره: الآن يا عمر تم إيمانك.

قال رسول الله ﷺ لعمر: «لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس:» و«مما طلعت عليه الشمس» كناية عما فوق الأرض، من متاع الدنيا وزينتها.

وقال النبي ﷺ يصف حلة حريرية: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له:» و«من لا خلاق له» أي من لا حظ ولا نصيب له من الخير في الآخرة.

ثم قال لعمر: «إنما بعثت إليك لتبيعها أو تكسوها»

وهو أسلوب قصر بإنما لإرادة الحصر والتوكيد، وتكرار القصر بإنما لدفع الشبهة والتوهم.

قال ﷺ: «إنما خبرني الله - أو: أخبرني - فقال: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٨٠]»

وعلى الروایتين (خيرني) أو (أخبرني)، فإنه أراد أن ينفي وقوع النهي، ولم يكن النهي قد تحقق بعد، ولذا قال: «سأزيده على سبعين»، وفي رواية أخرى للبخاري وغيره: «لو أعلم إنني زدت على السبعين يغفر له، لزدت عليها»^(١).

قال الرسول ﷺ لعمر: «ناد في الناس، فيأتون بفضل أزوادهم»: وقوله: «في الناس» يعني عموم مَنْ وُجد في ذلك الموقف، والفاء في «فيأتون» للسرعة. و(فضل الأزواد) ما تبقى منها.

ثم قال رسول الله ﷺ عندما حلت البركة في الأزواد القليلة:

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله»: والنطق بالشهادتين في ذلك الموضع تعبير عن شكر الله وحمده على النعمة والمعجزة التي أجراها الله على يدي رسوله.

قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «تشهد أني رسول الله»: استفهام محذوف الأداة، وهو يناسب مفاجأة النبي لابن صياد، لمحاولة التعرف على حقيقة أمره. وسأل ابن صياد رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «آمنت بالله وبرسوله» وتكرار حرف الجر (وبرسوله) للتأكيد، ولا سيما أن السؤال كان عن الرسل.

أراد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن يضرب عتق ابن صياد،

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، (٤٦٧١).

فقال له الرسول ﷺ: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله».

وهما جملتان شرطيتان بينهما مقابلة معنوية، والجواب في كل مقترن بالفاء وجوباً، والضمير في (يكنه)، و(عليه)، عائد على الدجال، وفي (قتله) عائد على ابن صياد.

قال علي بن أبي طالب: كثيراً مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر... وفعلت وأبو بكر وعمر... وانطلقت وأبو بكر وعمر...».

والعبارات توحى بمكانة أبي بكر وعمر العظيمة لدى رسول الله ﷺ، إذ يعطفهما مباشرة على نفسه الشريفة في فعل واحد، ولم ينل هذه الخطوة من الصحابة أحد غيرهما.

والقائل هو عليّ الذي زعم الرافضة أن الصحابين سلباه حقه في الخلافة، وكما ما عهد إليه به رسول الله ﷺ من الوصاية.

وأثيرت في هذه التعابير قضية عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع بلا حائل، قال ابن حجر:

(قوله: «كنت وأبو بكر وعمر» قال ابن التين: الأحسن عند النحاة أن لا يعطف على الضمير المرفوع إلا بعد تأكيده، حتى قال بعضهم: إنه قبيح، لكن يرد عليهم قوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وأجيب بأنه وقع الحائل، وهو قوله: (لا)، وتُعقَّب بأن العطف قد حصل قبل (لا)، قال: ويرد عليهم أيضاً هذا الحديث^(١).

قال ابن مالك في الفيتة:

وإن على ضمير رفع متصل عطف فالفصل بالضمير المتفصل

أو فاصل ما وبلا فصل ورد في النظم فاشياً وضعفه اعتقد وهو وإن أوجب الفصل، إلا أنه صرح بورود العطف بلا فاصل كثيراً في الشعر.

وقال ابن عقيل: (وقد ورد ذلك في الشر قليلاً، حكى سيبويه رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مررت برجل سواء والعدم، برفع العدم بالعطف على الضمير المستتر في سواء^(١)).

٣- مع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِلَّا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»:

- عن يحيى بن سعيد بن العاصي، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِي أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَوَّجَ النَّبِيَّ ﷺ، وَعُثْمَانَ - حَدَّثَاهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لَا يَسُ مِرْطَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «اجْمَعِي عَلَيْكَ يَبَابَكَ» فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَرَعْتَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا فَرَعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَتْلَعَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ»^(٢).

- عن عطاءٍ وسليمان ابني يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمن أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثْتُ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ،

(١) شرح ابن عقيل (٣/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَتْ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَتْ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «الَا أَسْتَجِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَجِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

- عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحْداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «إِنِّي أُحَدُّ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٢).



عثمان بن عفان (هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه: أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي، وأما: أم حكيم بنت عبد المطلب)^(٣).

زوجه رسول الله ﷺ ابنة رقية، فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم، فحاز بذلك فضلين، ولقب بذئ النورين.

ولد في السنة السادسة من الفيل، وكان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرة إلى الحبشة والمدينة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة (وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن)^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١) كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، وأبو داود (٤٦٥١) كتاب السنة، باب في الخلفاء، والترمذي (٣٦٩٧) كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تاريخ الطبري (٦٩٢/٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (١٤٨/١).

وهو ثالث الخلفاء الراشدين (استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون عاماً، وقيل أكثر، وقيل أقل)^(١).

كان عثمان ماضياً على سَنَنِ النبي في الحياء، وصفه النبي بالحيي، وكان إذا دخل عليه عثمان تهياً لدخوله، وأزال كل ما من شأنه أن يثير حيائه، فيمنعه من تبليغ حاجته إلى النبي ﷺ. قال النبي ﷺ: «إن عثمان رجل حيي». كما كان عثمان ذا وقار وعفاف وهيبة، جلس النبي ﷺ عند عائشة مضجعاً كاشفاً عن ساقيه فاستأذن عليه كل من أبي بكر وعمر، فأذن لهما، وهو على حاله تلك، ثم استأذن عثمان فجلس النبي ﷺ، وسوّى من ثيابه، فعجبت السيدة عائشة وسألته عن ذلك فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وكان من أهل السخاء والكرم، اشترى بئر رومة وجعلها للمسلمين، واشترى موضع خمس سوارٍ (جمع سارية، وهي عمود المسجد)، فزاده في مسجد رسول الله ﷺ، وجهز جيش العسرة في غزوة تبوك.

تنبأ النبي ﷺ له بالشهادة، إذ صعد النبي يوماً على أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».



* قال النبي ﷺ لعائشة، وهو يأذن لعثمان بالدخول عليه: «اجمعي عليك ثيابك» والعبارة كناية عن ستر العورة، واتخاذ أسباب الحشمة والتصون.

وبرر لزوجته هذا الأمر فقال: «إن عثمان رجل حيي» وهي جملة اسمية

(١) تغريب التهذيب (١/ ٣٨٥).

مثبتة مؤكدة بأن، ثم قال ﷺ: «وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته».

وفي العبارة تأكيد على فهم النبي ﷺ لنفوس أصحابه، وخلالهم، ومعاملة كل واحد منهم بما يلائمه، دون أن يميز أحدهم على الآخر.

وأجاب النبي ﷺ عائشة (رضي الله عنها) حين عجبت من حيائه من عثمان: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟».

والاستفهام غرضه التقرير، وقوله: «تستحي منه الملائكة» كناية عن التعظيم والإجلال.

وقال النبي ﷺ لجبل أحد وهو يرتجف به، وبأصحابه الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان): «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».

وعنى بالنبي نفسه، وبالصديق أبا بكر، وبالشهيدين عمر وعثمان. وقوله: «اثبت أحد» أمر حقيقي للجبل، وإن حملناه على المجاز فغرضه المناشدة، وأحد: منادى محذوف الأداة بغرض التقرب والتحبب.

«فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»: التعبير عن الواقفين على الجبل بصفاتهم لا بأسمائهم تكريم لهم، وبيان لمكانتهم، وتعليل لطيف للأمر بالثبوت.

٤ - مع الزبير بن العوام (رضي الله عنه): «وإن حوارِيَّ الزُّبَيْرُ بنُ الْعَوَّامِ»:

- عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: نَدَبَ النبي ﷺ الناس - قال صدقة: أَظُنُّهُ يومَ الْخَنْدَقِ - فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَ النَّاسَ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ بنِ الْعَوَّامِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) كتاب الجهاد والسير، باب هل يبعث الطليعة وحده؟، =

- عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جُعِلْتُ أنا وعُمَرُ بن أبي سلمة في النساء، فنظرت، فإذا أنا بالزبير على قَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إلى بني قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثًا، فلما رجعت، قلت: يا أبتِ رأيتك تَخْتَلِفُ، قال: أو هل رأيتني يا بُنَيَّ؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأت بني قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟» فَأَنْطَلَقْتُ، فلما رجعت، جَمَعَ لي رسول الله ﷺ أبويهِ، فقال: «فِدَاكَ أُمِّي وَأُمِّي»^(١).



الزبير بن العوام: هو (الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة، شهد بدرًا وما بعدها، وهاجر الهجرتين، وهو أول من سَلَ سَيْفًا في سبيل الله)^(٢).

كان مقدامًا لا يهاب الردي، ولا يخشى بريق السيوف.

روى أبو نعيم في الحلية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: (إن أول رجل سل سيفه الزبير بن العوام، سمع نفحة نفحها الشيطان: أُحِذَّ رسول الله ﷺ، فخرج الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي بأعلى مكة، فلقيه فقال: «مالك يا زبير؟» قال: أخبرت أنك أخذت، قال: فصلني عليه، ودعا له ولسيفه)^(٣).

انتدب النبي يوم الأحزاب من يأتي بأخبار بني قريظة، فاختلف إليهم الزبير مرتين أو ثلاثة، فأتاه بأخبارهم، فجمع له الرسول أبويه قائلًا: «فذاك أبي وأمي».

- ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٠) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، ومسلم

(٢٤١٦) كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير.

(٣) حلية الأولياء (١/٨٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٣/٣٧٤).

وفي يوم الجمل خرج هو وطلحة وعائشة على عليّ، فقتله عمرو بن جرموز، وهو ابن سبع أو ست وستين سنة في جمادى الأولى أو الثانية (سنة ست وثلاثين من الهجرة، وقبره بوادي السباع ناحية البصرة)^(١).

أوصى ابنه عبد الله يوم الجمل بدّينه، فكان يقول له: (يا بني إن عمجرت عن شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت، من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربه من دّينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض دّينه، فيقضيه)^(٢).



قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً، وإن حوارى الزبير بن العوام».

وتقدم شبه الجملة في الجملة الأولى: (لكل) للتخصيص، وكلمة حوارى مفرد حواريين، (وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب، وكذلك الحوارى من الدقيق سُمّي به لأنه ينقى من لباب البر، قال: وتأويله في الناس الذي قد روجع مرة بعد مرة فوجد نقياً من العيوب، قال: وأصل التحوير في اللغة من: حار يحور، وهو الرجوع، والتحوير: الترجيع)^(٣)، وقد كان يقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون؛ (لأنهم كانوا يحورون الثياب - أي يبيضونها -، هذا هو الأصل، ثم قيل لكل ناصر حوارى)^(٤).

وكلمة «حوارى» مضافة إلى ياء المتكلم (لكنهم لما استقلوا ثلاث ياءات، حذفوا ياء المتكلم، وأبدلوا من الكسرة فتحة)^(٥).

(١) السابق، الموضع نفسه.

(٢) حلية الأولياء (١/٩١).

(٣) لسان العرب (٤/٢٢٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/١١٦).

(٥) فيض القدير (٢/٥١٥).

وفي وصف الزبير رضي الله تعالى عنه بالحواري تأكيد على مكانته الرفيعة عند رسول الله ﷺ، فقد انفرد بهذا الوصف بين صحابة رسول الله ﷺ، فلم يوصف به غيره.

انتدب النبي ﷺ أصحابه فقال: «من يأت بني قريظة، فيأتينني بخبرهم؟» والاستفهام غرضه الحث والاستنهاض.

ولما ذهب الزبير، فجاء بأخبار القوم قال له الرسول ﷺ: «فذاك أبي وأمي» أي: أفتديك بأبي وأمي، وهي جملة خبرية إنشائية المعنى غرضها الدعاء، وفي الجملة تقديم للخبر (فذاك) على المبتدأ (أبي) بغرض القصر والحصر. وفيها من معاني التكريم ما فيها، إذ نادراً ما جمع الرسول أبويه لأحد على هذا النحو.

٥ - مع سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرَمَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»:

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَهْرًا، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَخْرُسُنِي اللَّيْلَةَ إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، جِئْتُ لِأَخْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ»^(١).

وزاد في رواية: حتى سمعنا غطيظه^(٢).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَدَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَرَمَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٥) كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو، ومسلم (٢٤١٠) كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣١) كتاب التمني، باب قول النبي: ليت كذا وكذا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) كتاب الجهاد والسير، باب المِجَنِّ وَمَنْ يَتَرَسُ بِتَرَسٍ صَاحِبِهِ، ومسلم (٢٤١١) كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، والترمذي =

- عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لا»، قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: «لا»، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ تَرْفَعُهَا فِي فَمِ امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ، يَتَفَعَّلُ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ»^(١).



سعد بن أبي وقاص: (واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. الأمير أبو إسحاق القرشي المكي أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا والحديية، وأحد الستة أهل الشورى)^(٢).

وكان سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ يحب النبي ﷺ حبه لنفسه، ويبذل في سبيل دينه الغالي والنفيس، كان يحس بحاجات النبي دون أن يُبلغ بها، فيأتي ليلبي ما يتمنى رسول الله ﷺ دون أن يستدعيه أحد، وكان رجل المهمات الصعبة الذي يثق فيه النبي ﷺ، ويقدر إمكاناته، ويعظم قدره.

وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، فقد روى ابن حبان وغيره عن إسماعيل بن قيس عن سعد قال: (والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، وإن كنا لنغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحَبْلَةِ، وهذا السَّمْرُ، حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط، ثم

= (٢٨٢٩) كتاب الأدب، باب ما جاء في فِذَالِكِ أَبِي وَأُمِّي.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٤) كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، وأبو داود

(٢٨٦٤) كِتَابُ الوَصَايَا باب ما جاء في ما لَا يَجُوزُ لِلْمُوصِي فِي مَالِهِ، والنسائي (٣٦٢٧)

كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث.

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٣/١).

أصبحت بنو أسد تعزرنني على الدين، لقد خبت إذاً وضل عملي^(١).

تمنى النبي ذات ليلة رجلاً من أصحابه يحرسه، ولم يكذب قوله حتى سمعوا صوت قعقة السلاح؛ ف قيل: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص، جئت أحرسك، وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] إذ لم يحرسه أحد بعدها.

وجمع النبي ﷺ لسعد أبويه يوم أحد، وهو يحثه على الرمي فقال له: «ارم، فذاك أبي وأمي» وتلك من مناقب سعد ومفاخره العظمى.

ومرض سعد بمكة، فأتاه النبي ﷺ يعودوه وظن سعد أنه لن يبرأ من مرضه ذلك، فقال للرسول ﷺ: لي مال، أوصي بمالي كله؟ فلم يأمره رسول الله بالصية بماله كله، ولا بنصفه وإنما رضي بالثلث على كثرته، وبرر ذلك بقوله: «أن تدع ورثتك أغنياء، خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس».

ثم تنبأ الرسول بأن سعداً سوف يشفى، وسوف ينتفع به ناس، ويضر به آخرون.

وتحققت نبوءة الرسول، وتعافى سعد من مرضه ذاك، وعاش حتى شارك في الفتوحات، وقاد الغزوات، وانتفع به المسلمون، وتضرر منه المشركون.



قال رسول الله ﷺ: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة»: وقوله: «رجلاً» بصيغة التنكير لإرادة العموم، وتقديم شبه الجملة «من أصحابي» ليفصل بين المنعوت ونعته، للتخصيص، وجملة «يحرسني» جملة نعت في محل نصب، «الليلة» ظرف زمان منصوب، وفيه أن الحراسة المطلوبة ليست دائمة، وإنما هي مرتبطة بتلك الليلة فحسب.

(١) أخرجه ابن حبان (٦٩٨٩).

وقال النبي لسعد، وهو يأمره بعدم الإيضاء بأكثر من الثلث: «أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم».

يجوز أن تكون «أن تدع» بفتح الهمزة، وحيث أنها المصدرية للتعليل، ويجوز أن تكون «إن تدع» بكسر الهمزة، وهي الشرطية، (وقال القرطبي: لا معنى للشرط هنا؛ لأنه يصير لا جواب له، ويبقى «خير» لا رافع له، وقال ابن الجوزي: سمعناه من رواية الحديث بالكسر، وأنكره شيخنا عبد الله بن أحمد - يعني ابن الخشاب - وقال: لا يجوز الكسر؛ لأنه لا جواب له، لخلو لفظ «خير» من الفاء^(١)، وعلق العيني على هذا الرأي فقال: (هذا كلام ساقط من رجل ضابط، وقد قلنا: إن الفاء حذفت، وتقديره (فهو خير)، وحذف الفاء من الجزاء سائق وشائع غير مختص بالضرورة)^(٢).

و«عالة» أي: فقراء، جمع عائل، و«يتكففون» أي يسألون الناس بأكفهم. فهو لك صدقة» كلمة صدقة مجاز مرسل علاقته السببية، فالمراد الثواب. «حتى اللقمة» المراد به (حتى) المبالغة.

«في في» جناس تام.

قوله ﷺ: «ينتفع بك ناس، ويضر بك آخرون» جملتان فعليتان مثبتتان، بينهما مقابلة توضح المعنى وتؤكد، كما يجمع الجملتين ازدواج يخلع عليهما إيقاعاً، يأسر القارئ، ويدفعه للتأمل.

٦ - أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «وَأِنْ أَمِينَنَا - أَيُّهَا الْأُمَّةُ - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»

- عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنْ أَمِينَنَا

(١) عمدة القاري (٣٤/١٤).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

- أَيْتُهَا الْأُمَّةُ - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ^(١).

- عن حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: «لَا بُعْثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ^(٢).



أبو عبيدة بن الجراح، هو (عامر بن عبد الله بن الجراح بن ربيعة بن هلال ابن أميب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر)^(٣) أحد العشرة المبشرين بالجنة، اصطفاها رسول الله ﷺ من بين أصحابه ليعلق على صدره وسام الشرف والعز فيجعله أمين هذه الأمة.

قال النبي ﷺ لأهل نجران: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ كلهم يرجو أن يكون هو هذا الرجل، فاختص بها النبي ﷺ أبا عبيدة.

مات النبي ﷺ وهو عنه راضٍ، وخرج في فتوح الشام في خلافة أبي بكر وعمر، وكان أحد القادة المعلمين، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ثمانين عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقول الرسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا» مقدمة تمهد للنتيجة التالية التي يريد رسول الله ﷺ أن يقررها، وهي قوله: «وإِنَّ أَمِينَنَا - أَيْتُهَا الْأُمَّةُ - أَبُو عُبَيْدَةَ ابن الجراح».

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة، ومسلم

(٢٤١٩) كتاب الفضائل، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٥٤) كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد،

ومسلم (٢٤٢٠) كتاب الفضائل، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح.

(٣) مشاهير الأمصار (٨/١).

والاعتراض بالنداء «أيها الأمة» قصد به التنبيه، والاختصاص، والتأكيد على انفراد أبي عبيدة بهذه المنزلة الرفيعة.

وقوله ﷺ لأهل نجران: «الأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين»: جاءت العبارة فيه على طريقة رسول الله ﷺ في التشويق والإثارة، عندما ذكر الصفة وحجب اسم صاحبها، واستخدم الفعل المضارع المصدر بلام القسم والمختم بنون التوكيد الثقيلة، ثم أكد الجملة أيضاً بنائب المفعول المطلق «حق».

ولذلك استشرف أصحاب رسول الله ﷺ لمعرفة صاحب هذه المكانة السامية، فكان أبا عبيدة رضي الله عنه.

٧- أسامة بن زيد رضي الله عنه: «وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمر عليهم أسامة ابن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته، فقد كُتُم تطعنون في إماره أبيه من قبل، وإنم الله، إن كان لخليفاً للإماره، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»^(١).

- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: «اللهم أجبهما فإني أجبهما»^(٢).

- عن عائشة رضي الله عنها، أن قرئنا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٠) كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٥) كتاب المناقب، باب ذكر أسامة بن زيد.

إِذَا سَرَقَ فِيهِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا^(١).



أسامة بن زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ وابن حبه، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، توفي رسول الله ﷺ وله ثماني عشرة سنة، وكان النبي قد ولاه جيشاً فيه من كبار الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب، فطعن بعض الناس في إمارته، فدافع عنه النبي ﷺ، ولام طاعنيه، وأعلن أن أباه كان خليقاً بالإمارة، وأنه خليق بها، وأن أباه كان من أحب الناس إليه، وأن أسامة كذلك من أحب الناس إليه.

ومرض النبي فظل جيش أسامة رابضاً بالجرف في انتظار أوامره، لكن رسول الله ﷺ توفي، وخلفه أبو بكر، فكان من أول أعماله أنه أنفذ بعث أسامة.

ومن أمارات حب النبي ﷺ لأسامة أن قريشاً لما سرقت امرأة من بني مخزوم، وأرادوا أن يستشفعوا فيها إلى رسول الله ﷺ - لم يجدوا من يقدموه لهذا الأمر سوى أسامة قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟

وقد أقسم رسول الله ﷺ وهو يؤكد جدارة زيد بالإمارة، فقال: «وايم الله،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) كتاب الأنبياء، حديث الفار، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، وأبو داود (٤٣٧٣) كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، والترمذي (١٤٣٠) كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، والنسائي في المجتبى (٤٨٩٩) كتاب قطع السارق، باب ذَكَرَ اخْتِلَافَ الْأَقَاظِ النَّاقِلِينَ لِيَحْبَرَ الزُّهْرِيُّ فِي الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، وابن ماجه (٢٥٤٧) كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود.

إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ: وقوله: «إيم الله» (الهمزة فيه للوصل، وهو اسم وضع للقسم، أو هو جمع يمين، وحذف منه النون، وعند الفراء وابن كيسان ألفه ألف القطع، وقال الجوهري: ربما حذفوا الياء فقالوا: أم الله، وربما أبقوا الميم مضمومة، فقالوا: أم الله)^(١).

«إِنْ كَانَ»: «إِنْ» المخففة من الثقيلة: والواضح من القسم، ومن توالي التوكيد بأن «إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ غَاضِبًا مِمَّا أَثِيرَ حَوْلَ إِمَارَةِ أَسَامَةَ، وَلِذَا جَاءَتْ لَهْجَتُهُ مُؤَكَّدَةً سَرِيعَةً حَاسِمَةً قَاطِعَةً.

وقوله ﷺ لأَسَامَةَ: «اتَّشَعْ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟»: استفهام غرضه الإنكار.

أما قوله: «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» فخصَّ الرسول ﷺ فَاطِمَةَ بِالذِّكْرِ (لأنها أعزُّ أهلِه عنده، فأراد المبالغة في تثبيت إقامة الحد على كل مكلف، وترك المحاباة في ذلك)^(٢).

٨ - بلال بن رباح رضي الله عنه: «فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفًّا نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدًا، وَلَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدًا، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِلَّيْلِ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا وَارَىٰ إِنْطُ بِلَالٍ»^(٣).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلَالُ

(١) عمدة القاري (٢٣/١٦٧).

(٢) عون المعبود (١٢/٢٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (١٥١) باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضل بلال.

حَدَّثَنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَزْجِي عِنْدِي، أَنِي لَمْ أَنْطَهِّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: دَفَّ نَعْلَيْكَ: يَغْنِي تَحْرِيكُ^(١).

- عن عبد الله الهوزني قال: لَقِيتُ بِلَالًا مُؤَدِّنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِحَلَبَ، فَقُلْتُ: يَا بِلَالُ، حَدَّثَنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ، كُنْتُ أَنَا الَّذِي أَلِي ذَلِكَ مِنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوفِيَ، وَكَانَ إِذَا آتَاهُ الْإِنْسَانُ مُسْلِمًا قَرَاهُ عَارِيًا، يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ، فَاسْتَقْرَضَ، فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ، فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ، حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: يَا بِلَالُ إِنَّ عِنْدِي سَعَةً، فَلَا تَسْتَقْرِضَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي، فَقَعَلْتُ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَوْدُنَ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا الْمُشْرِكُ قَدْ أَقْبَلَ فِي عِصَابَةٍ مِنَ التَّجَارِ، فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتِي، قَالَ: يَا حَبِشِي، قُلْتُ: يَا لَبَّاهُ، فَتَجَهَّمَنِي، وَقَالَ لِي قَوْلًا غَلِيظًا، وَقَالَ لِي: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ؟ قَالَ: قُلْتُ قَرِيبٌ، قَالَ: إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ، فَأَخَذَكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ، فَأَرَدْتُكَ تَرَعَى الْعَنَمَ كَمَا كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَخَذَ فِي نَفْسِي مَا يَأْخُذُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ، رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي كُنْتُ أَتَدَبِّينُ مِنْهُ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا يَقْضِي عَنِّي، وَلَا عِنْدِي، وَهُوَ فَاضِحِي، فَأَذِنَ لِي أَنْ أَبَى إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَاءِ الَّذِينَ قَدْ أَسْلَمُوا، حَتَّى يَرْزُقَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ مَا يَقْضِي عَنِّي، فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَجَعَلْتُ سِنْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِجَنِّي عِنْدَ رَأْسِي، حَتَّى إِذَا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَسْعَى يَدْعُو: يَا بِلَالُ، أَجِبْ

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩) أبواب التهجد، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَلِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبَ مُنَاحَاتٍ، عَلَيْهِنَّ
 أَخْمَالُهُنَّ، فَاسْتَأْذَنْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَشِّرْ فَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِقَضَائِكَ»
 ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ الرِّكَائِبَ الْمُنَاحَاتِ الْأَرْبَعَ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «إِنَّ لَكَ
 رِقَابَتَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ، فَإِنْ عَلَيْهِنَّ كِسْوَةٌ وَطَعَامًا أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمٌ فَذَكَ،
 فَأَقْبِضُهُنَّ، وَأَقْضِ دَيْنَكَ» فَفَعَلْتُ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ،
 فَلِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ مَا قَبْلَكَ»
 قُلْتُ: قَدْ قَضَى اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، قَالَ:
 «أَفْضَلَ شَيْءٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «انْظُرْ أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهُ، فَإِنِّي لَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى
 أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهُ» فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَتَمَةَ دَعَانِي فَقَالَ:
 «مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: هُوَ مَعِيَ، لَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ، فَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 فِي الْمَسْجِدِ، وَقَصَّ الْحَدِيثَ، حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ - يَعْنِي مِنَ الْغَدِ - دَعَانِي،
 قَالَ: «مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَبَّرَ
 وَحَمِدَ اللَّهَ، شَفَقًا مِنْ أَنْ يَذْرُكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ
 أَزْوَاجَهُ فَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ امْرَأَةٍ، حَتَّى أَتَى مَبِيتَهُ، فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ^(١).



بلال بن رباح، (القرشي التيمي، مولا هم المؤذن أبو عبد الله، أبو عبد الرحمن، وقيل غير ذلك في كنيته، وهو ابن حمامة، وهي أمه، أسلم قديمًا، وعُذِّبَ في الله، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وسكن دمشق)^(٢).

كان من أقرب الناس إلى النبي ﷺ، حتى إن النبي ﷺ قرنه بنفسه وهو يتحدث عن الأذى الذي لحق به، والجوع الذي عانى منه، فقال ﷺ: «ولقد

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٥٥) كتاب الخراج والامارة والفى، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين.

(٢) تهذيب التهذيب (١/٤٤١).

أنت عليّ ثالثة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارىء إبط بلال».

كان بلال يقوم على نفقة النبي ﷺ، فيقترض بأمر النبي لينفق على المحتاجين من المسلمين فيكسوهم ويطعمهم، واقترض يوماً من مشرك، فلم يمهل، وأتاه يطلب دينه، وهدده وتوعده، فاستأذن بلال رسول الله في أن يفرّ إلى بعض من أسلم من قبائل العرب حتى يأذن الله بالفرج، وبينما هو يعد العدة لمغادرة المدينة، إذ أتى مالاً إلى رسول الله ﷺ فقضى الله به هذا الدين، وأمر رسول الله بلالاً بأن يتصدق بما بقي، فلا يبيت في أبيات رسول الله ﷺ منه شيء.

سمع النبي حركة نعلي بلال في الجنة بين يديه، فسأله عن أفضل عمل عمله في الإسلام استحق به هذا الفضل، فذكر أنه ما تطهر يوماً، إلا صلى من النافلة بذلك الطهور ما شاء الله له أن يصلي.

وقول رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت في الله، وما يؤذّي أحد، ولقد أخفت في الله، وما يخاف أحد»: فيه ازدواج يصنع إيقاعاً طريفاً يساهم في توضيح المعنى، واستخدام الأفعال المبنية للمجهول يوحي بكثرة الإيذاء، وشدة، وتواصله.

وقوله ﷺ: «ولقد أنت عليّ ثالثة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما وارىء إبط بلال»: عيّن فيه بلالاً؛ لأنه هو الذي كان يلي نفقة رسول الله ﷺ، وقوله: «ذو كبد» كناية عن كل كائن حي، و«ما وارىء إبط بلال» كناية عن الشيء اليسير.

وقول الرسول ﷺ لبلال: «... فإنني سمعت دف نعليك في الجنة»: هو كناية عن سير بلال في الجنة، وكونه من أهلها، والصورة الواقعية الجميلة تحملنا إلى سهول الجنة وهضابها، فنشاهد بلالاً رَضِيَ وهو يمشي بين أشجارها وأنهارها، ونسمع خشخشة أوراق الجنة وهي تتكسر تحت قدميه، وصوت

نعليه وهما يدفان بين يدي رسول الله ﷺ.

وقول النبي ﷺ لبلال وهو يطلب منه أن يتصدق بما بقي عنده من مال: «انظر أن تريحني منه، فإني لست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منه» فيه ما يشعر بأن للمال ثقلًا على نفس رسول الله ﷺ، فهو يطلب من بلال أن يريحه منه، ويظل في المسجد لا يقرب بيوته حتى يبنه بلال بأن الله قد أراحه منه.

٩- عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذْ نَكَ عَلِيٌّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ»:

- عن عبد الله قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (المائدة: ٩٣)، قال لي رسول الله ﷺ: «قِيلَ لِي أَنْتَ مِنْهُمْ»^(١).

- عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قال: قلتَ اقْرَأْ عَلَيَّكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قال: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» قال: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ٤١] قال لي: كُفْ أَوْ أَمْسِكْ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ^(٢).

- عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْ نَكَ عَلِيٌّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْمِعَ سَوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٩) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأُمِّه رضي الله تعالى عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٥) كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، ومسلم (٨٠٠) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، وأبو داود (٣٦٦٨) كتاب العلم باب في الفصص، والترمذي (٣٠٢٥) أبواب تفسير القرآن، سورة النساء، وابن ماجه (٤١٩٤) كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٩) كتاب السلام باب جواز جعل الإذن رفع حجاب أو نحوه من

عبد الله بن مسعود (بن غافل بن حبيب بن شمع بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس أبو عبد الرحمن الهذلي، وأمه أم عبد بنت عبد بن سواء من هذيل أيضًا، لها صحبة. أسلم بمكة قديمًا، وهاجر الهجرة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله ﷺ) (١).

لما نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣] قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «قيل لي أنت منهم» أي: من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومعناه أن النبي ﷺ أوجي إليه بذلك.

وطلب رسول الله ﷺ من ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن، فسأله مندهشًا: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ فأجابه النبي ﷺ: «إني أشتهي أن أسمع من غيري»، فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال له النبي ﷺ: «كفَّ» أو: «أمسك»، فالتفت ابن مسعود إلى النبي ﷺ فوجد عينيه تهملان بالدمع.

وفي قول النبي ﷺ لابن مسعود: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» يبدو الفعل: «أشتهي» في العبارة لافتًا للنظر، إذ الشهوة تختلف عن الإرادة والهوى والحب والعشق، لأنها كما يقول أبو هلال العسكري: (تختص بنيل المستلذات) (٢)، فالكلمة توحى بأن النبي ﷺ كان يستمتع ويستلذ بسماع

= القَلَامَاتِ، وابن ماجة (١٣٩) باب في فضائل أصحاب الرسول، فضل عبد الله بن مسعود.

(١) تهذيب التهذيب (٦/٢٥).

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (١/٥٦٢).

القرآن.

وكان ابن مسعود وأمه يدخلان على رسول الله كثيراً حتى ظن بعض الصحابة أنهما من أهل بيت رسول الله، وقد أذن رسول الله لابن مسعود في أن يدخل عليه إذا رفع الحجاب، وأن يسمع كلامه الخفي إلا أن ينهيه عن ذلك، وحسب ابن مسعود ﷺ بذلك منزلة ومكانة عند رسول الله ﷺ.

١٠ - عثمان بن مظعون ﷺ: «أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَذْفِنُ إِلَيْهِ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي».

- عن عائشة أَنَّ النبي ﷺ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، أَرَزَيْتَ عَنْ سُنَّتِي؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: «فَإِنِّي أَنَا وَأَصْلِي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأُفْطِرْ، وَصَلِّ وَتَمَّ»^(١).

- عن الْمُطَّلِبِ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ أَخْرَجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، قَالَ كَثِيرٌ: قَالَ الْمُطَّلِبُ: قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَسَرَ عَنْهَا، ثُمَّ حَمَلَهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «أَتَعْلَمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَذْفِنُ إِلَيْهِ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(٢).

- عن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ - امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ بَايَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتَسَمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ،

(١) أبو داود (١٣٦٩) كتاب الصلاة باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠٦) كتاب الجنائز باب في جمع الموتى في قبرٍ والقبر يُعْلَمُ.

فَأَنْزَلْنَاهُ فِي آيَاتِنَا، فَوَجَعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوْفِي فِيهِ، فَلَمَّا تُوْفِي وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَتَوَاتِيهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهِدَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟»، فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا رَجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا^(١).



عثمان بن مظعون، هو (عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب الجمحي، أبو السائب)^(٢).

أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدر، وكان من العابدين المجتهدين حتى إنه استأذن رسول الله ﷺ في الخصاء والتبتل؛ ليتفرغ للعبادة والجهاد، فلم يأذن له.

مات ابن مظعون في دار أحد الأنصار بعد مرض قصير، فدخل رسول الله ﷺ عليه، فسمع صاحبة الدار تقول: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فأنكر رسول الله ﷺ تزكيتها له، وقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، والله إِنِّي لَا رَجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي».

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أمر رجلاً بعد دفن ابن مظعون أن يأتي بحجر فلم يستطع الرجل حمله، فقام الرسول ﷺ بنفسه، وكشف عن ذراعيه حتى رأى الراوي بياض ذراعي رسول الله، ثم حمل الحجر، ووضعته عند

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٣) كتاب الجنائز، بَاب الدُّخُولِ عَلَى النَّبِيِّ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٥٣).

رأس عثمان بن مظعون ليعلم به قبره، ويدفن إلى جواره من شاء من أهله.
(وروي من مراسيل عبيد الله بن رافع قال: أول من دفن بيقع الغرق
عثمان بن مظعون، فوضع رسول الله ﷺ عند رأسه حجرًا، وقال: «هذا قبر
فرطنا»^(١)).

وقول النبي ﷺ لعثمان بن مظعون - في الحديث - حين رغب في التبتل:
«يا عثمان، أرغبت عن ستي؟» النداء فيه للتنبيه، والاستفهام للإنكار.

وقوله ﷺ بعد وفاة عثمان بن مظعون: «أما هو فقد جاءه اليقين» اليقين
كناية عن الموت، وهي توحى بحتمية الموت وانتفاء الريبة في حدوثه.

ثم أقسم ﷺ قسمين فقال: «والله إنني لأرجو له الخير، والله ما أدري - وأنا
رسول الله ﷺ - ما يفعل بي» وتكرار القسم للتأكيد، وفي الجملة الأولى أمية
فيها معاني الدعاء، وفي الثانية تخوف يحمل معاني الرجاء.

أما قوله ﷺ حين وضع حجرًا كبيرًا عند رأس عثمان بن مظعون بعد
دفنه: «أتعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي».

فالفعل: «أتعلم» أي: أتعرف، وسمى ابن مظعون أخًا تشريفًا له وتكريمًا،
وفي العبارة نبرة حزن واضحة، يوحي بها حرصه ﷺ على تعليم القبر،
والعزم على دفن من يموت من الأهل إلى جواره.

١١ - أبي بن كعب رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَكَ الْقُرْآنَ»:

عن أنس بن مالك، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَنِي كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ
أَقْرَأَكَ الْقُرْآنَ»، قَالَ: اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ
الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ^(٢).

(١) السابق (١/١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦١) كتاب التفسير، باب سورة لم يكن، ومسلم (٧٩٩) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، استخفاف قرآنة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه.

أبي بن كعب، هو (أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضًا، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا: قيل سنة تسع عشرة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك)^(١).

قال له رسول الله ﷺ: «إن الله قد أمرني أن أقرئك القرآن» فاندھش أبي، وتساءل - وهو لا يملك نفسه من الفرحه: «الله سماني لك؟ وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، فذرفت عيناه.

والتعبير بالفعل «أمرني» يشير إلى عظم قدر أبي عند ربه الذي وصل إلى حد أن الله جلَّ وعلا يأمر نبيه ﷺ أن يقرئ أبا القرآن.

١٢ - زيد بن ثابت رضي الله عنه: «إني والله ما آمنُ يهودَ على كتابي»:

عن حَارِجَةَ - يَغْنِي ابن زَيْد بن ثَابِتٍ - قال: قال زَيْدُ بن ثَابِتٍ: أَمَرَنِي رسول الله ﷺ، فَتَعَلَّمْتُ له كِتَابَ يَهُودَ، وقال: «إني والله ما آمنُ يَهُودَ على كتابي» فَتَعَلَّمْتُهُ، فلم يَمُرْ بي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى حَدَّثْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ له إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ له إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ^(٢).



زيد بن ثابت، هو (زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو ابن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، أبو سعيد، ويقال: أبو خارجة المدني، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، وكان يكتب الوحي)^(٣).

(١) تقريب التهذيب (١/٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٥)، كتاب العلم باب: رَوَايَةُ حَدِيثِ أَهْلِ الْكِتَابِ، والترمذي (٢٧١٥) كتاب الاستئذان باب تعليم الرابانية.

(٣) نهذب التهذيب (٣/٣٤٤).

كان من الراسخين في العلم، وأصحاب الفتوى، والعلم بالفرائض.
وبلغ من فطنته، وحدة ذكائه، أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم له لغة يهود، لأنه لا يأمنهم على كُتبه، فيخاف إن أمر يهوديًا بكتابة كتاب إلى يهود، أو قراءة كتاب جاء منهم أن يحرف فيه، فتعلم زيد لغتهم في خمسة عشر يومًا، وصار يكتب لرسول الله إذا كُتِبَ، ويقرأ له إذا كُتِبَ إليه.

قال رسول الله ﷺ لزيد بن ثابت: «إني والله ما آمن يهود على كتابي». والجملة الاسمية مؤكدة بإن، وبالقسم، والمراد بالكتاب ما يرسله الرسول، وما يتلقاه من كتب، وفي الجملة ما يشير إلى أخلاق اليهود الذميمة من خيانة وفساد، وتحريف للحق وإعمال للباطل.

١٣ - انس بن مالك رضي الله عنه: «اللهم ارزقهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ»:

- عن أنس رضي الله عنه، دخل النبي ﷺ على أم سليم، فَأَتَتْهُ بِخَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «أَعِيدُوا سَنَكُمُ فِي سِقَائِهِ، وَتَمَرَكُمُ فِي وَعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ» ثُمَّ قَامَ إِلَى تَاجِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «مَا هِيَ؟» قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسُ، فَمَا تَرَكْ خَيْرَ آخِرَةٍ، وَلَا دُنْيَا، إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «اللهم ارزقهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَنِي ابْنَتِي أَمِينَةُ، أَنَّهُ دُفِنَ لِصَلْبِي مَقَدَّمُ حَجَّاجِ الْبَصْرَةِ بِضْعَ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً^(١)».

- عن أنس بن مالك، أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْعَامِ صَنَعَتْهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «قُومُوا فَاصْلَبِي لَكُمْ». قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَيْسَ، فَنَضَخْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَفَّقْتُ أَنَا وَالنِّسَاءُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٢) كتاب الصوم، باب مَنْ زَارَ قَوْمًا فَلَمْ يُغَطِّرْ عَنْهُمْ.

رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ^(١).



أنس بن مالك، هو (أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، أبو حمزة المدني، نزيل البصرة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأمه: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام. خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، مدة مقامه بالمدينة)^(٢).

دعا له النبي فقال: «اللهم ارزقه مالا وولداً، وبارك له» فأصابته دعوة النبي، فكان من أكثر الأنصار مالا وولداً.

وكان رسول الله ﷺ يكثر من الدخول على أمه وجدته، فيصلي لهم من غير المكتوبة ليبارك لهم مكانهم، ويدعو لهم بكل خير.

قال رسول الله ﷺ لأم سليم: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه؛ فإنني صائم».

وفي العبارة سجع طبيعي، وازدواج ذو إيقاع جميل، وتفصيل طريف يشير إلى أن رسول الله ﷺ يحب أن يوضع كل شيء في موضعه، إذ كان يكفيه ﷺ لو أراد أن يقول: أعيدوا سمنكم وتمركم.

١٤ - معاذ بن جبل رَضِيَ: «والله إني لأحبُّكَ»:

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠) كتاب الصلاة، باب الصَّلَاةِ عَلَى الْحَصِيرِ، ومسلم (٦٥٨) كتاب المساجد، باب جَوَازِ الْجَمَاعَةِ فِي النَّافِلَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى حَصِيرٍ وَخُمْرَةٍ وَثَوْبٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الطَّاهِرَاتِ، وأبو داود (٦١٢) كتاب الصلاة، باب إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً كَيْفَ يَقُومُونَ، والترمذي (٢٣٤) كتاب أبواب الصلاة، باب مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُصَلِّي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ، والنسائي في المجتبى (٨٠١) كتاب الإمامة، باب إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً وَامْرَأَةً.

(٢) تهذيب الكمال (٣/٣٥٣).

لَأَحِبُّكَ، والله إني لأحِبُّكَ»، فقال: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).



معاذ بن جبل، هو (معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم ابن الخزرج، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البصري، شهد العقبة شاباً أمرد، وله عدة أحاديث)^(٢).

كان أعلم الناس بالحلال والحرام، ولأه النبي اليمن في حياته، وكان يثق به ويحبه، قال له رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إني لأحِبُّكَ، وَاللَّهِ إني لأحِبُّكَ». والنداء للتلطف والتعجب، والقسم والتكرار للتوكيد؛ وهو بيان واضح لمنزلة معاذ عند رسول الله ﷺ، وفيه إشارة إلى قلب النبي ﷺ الكبير الذي يتسع لجميع أصحابه، بل يتسع لأُمَّته وللعالم بأسره. ثم أوصاه ألا يدع في دُبُرِ كل صلاة أن يقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

١٥ - ثوبان رضي الله عنه: «وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ»:

عن ثُوبَانَ قَالَ - وَكَانَ ثُوبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فَقَالَ ثُوبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا^(٣).



(١) أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، باب الاستغفار.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٤٤).

(٣) أبو داود (١٦٤٣) كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة.

ثوبان، هو (مولي رسول الله ﷺ، صحابي مشهور يقال: إنه من العرب، حكمني من حكم بن سعد حمير، وقيل من السراة، اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ، فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة، ثم حمص، ومات بها سنة أربع وخمسين^(١)).

قال رسول الله ﷺ: «من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً، وأنكفل له الجنة؟» فقال ثوبان: أنا، فعاش ثوبان حياته كلها لا يسأل أحداً شيئاً.

والاستفهام في قول الرسول ﷺ للتشويق والإثارة، و«مَنْ» تفيد العموم، والمراد بالسؤال التعرض للناس بالمسألة، وعظم المكافأة لمن يترك هذا العمل يدل على استهجان وقبحه، والتشجيع على فاعله، وقد وردت أحاديث كثيرة بذلك.

١٦ - عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»:

- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فكنُتُ على بَكْرِ صَعْبٍ لِعُمَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي، فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، فقال النبي ﷺ لِعُمَرَ: «بِغْيِيهِ»، قال: هو لك يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «بِغْيِيهِ» فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «هو لك يا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ»^(٢).

- عن قُرَعة قال: قال لي ابن عمر: هَلُمَّ أَوْدَعَكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٣).

(١) الإصابة (١/٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢١١٥) كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً فوهب من ساعته قبل أن يتفرقاً.

(٣) أبو داود (٢٦٠٠) كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع.

عبد الله بن عمر بن الخطاب (القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، أسلم قديماً مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه، وقدمه في ثقله، واستصغر يوم أحد، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، أمهما زينب بنت مطلقون أخت عثمان بن مظعون)^(١).

كان في سفر مع النبي ﷺ، وكان يركب جملاً فتياً صعباً لعمر، فكان يغلبه، ويتقدم القوم، فيزجره عمر ويرده، ثم يعود فيتقدم تارة أخرى، فيزجره عمر ويرده. فلما رأى النبي ذلك، أراد أن يُسرِّي عن ابن عمر، ويرفع عنه الحرج، فطلب من عمر أن يبيعه هذا الجميل، فقال عمر: هو لك يا رسول الله، كأنه يهبه إياه، فقال الرسول ﷺ: «بعنيه»، فباعه منه، فقال الرسول ﷺ لابن عمر: «هو لك يا عبد الله بن عمر تصنع به ما شئت».

وكان رسول الله ﷺ يودع ابن عمر إذا سافر فيقول له: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

وقوله: «أستودع» هو (طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع)^(٢). وطلب استيداع الدين في السفر (لأن السفر؛ لمشاقته وخوفه قد يصير سبباً لإهمال بعض أمور الدين)^(٣)، والأمانة فيما يمارسه المرء من أخذ وعطاء ومعاملة في السفر، وخواتيم العمل تعني أنه (إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا)^(٤).

١٧ - أبو هريرة رضي الله عنه: «بَقِيتُ اَنَا وَأَنْتَ»:

- عن مُجَاهِدٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ

(١) تهذيب الكمال (١٥/٣٣٣).

(٢) تحفة الأحوذى (٩/٢٨٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٥/٣٤٧).

(٤) تحفة الأحوذى (٩/٢٨٤).

لَأَعْتَمِدُ بِكَيْدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَمُتُ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَانِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ» وَمَضَى، فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ، فَوَجَدْتُ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مَنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَأَذْعُمُهُمْ لِي»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدًّا، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِيهِمْ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأَعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَعَدَّ فَاشْرَبَ» فَقَعَدْتُ، فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَمُوتُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ:

«فَأَرْنَبِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّيْ، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ^(١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مِسْكِينًا، أَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلٍّ بَطْنِي، فَأَحْضَرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعْيِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَنْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَيَنْسِي مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا» فَسَطَطْتُ ثِمَرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَاللَّهُ لَوْ لَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]^(٢).



أبو هريرة، هو (عبد الرحمن بن صخر، وقيل: كان عبد شمس فغير، وغير ذلك قيل، روى عنه ثمانمائة، تأخر منهم المقبري، وهمام، وموسى بن وردان، ومحمد بن زياد الجمحي. كان حافظًا متبنيًا ذكيًا مفتيًا، صاحب صيام وقيام، قال عكرمة: كان يسبح في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة، ولقي إمرة المدينة مرات، توفي سنة سبع وخمسين، وقال جماعة: تسع وخمسين)^(٣).

وكان أول إسلامه مسكينًا فقيرًا، يروي عن نفسه أنه كان يعتمد بكبده

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) كتاب الرقاق، باب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلُّفُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا، والترمذي (٢٤٧٧) كتاب صفة القيامة والرفائق والورع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٠) كتاب المزارعة، باب ما جاء في الْقُرْسِ.

(٣) الكاشف (٤٦٩/٢).

على الأرض، ويشد الحجر على بطنه من الجوع.

قعد يومًا على الطريق الذي يمر منه الناس ينتظر من يشبعه، فمر عليه أبو بكر، فسأله عن آية من كتاب الله لعله يتبته إلى حاله، فيأخذه، فيشبعه، إلا أنه لم يفعل، ثم مر عليه عمر، فلم يفعل، ثم مر عليه رسول الله ﷺ، فتبسم حين رآه، وعرف ما في نفسه، فأمره بأن يتبعه إلى أحد أبياته، فدخل النبي فوجد قدحًا فيه لبن، فسأل عنه، فعلم أنه هدية، فقال لأبي هريرة: «الحق إلى أهل الصفة، فادعهم لي».

فساء ذلك أبا هريرة، لظنه أن ذلك اللبن لا يكفي أهل الصفة، وأنه لن يبلغه منه شيء، لكنه أطاع النبي ﷺ، واستدعى أصحاب الصفة، فجلسوا، وجعل أبو هريرة يمر عليهم بقدح اللبن، فيشرب كل واحد منهم حتى يرتوي - ثم يرد إليه القدح، حتى شربوا جميعًا، فقال النبي ﷺ وهو يتبسم: «أبا هر، بقيت أنا وأنت»، ثم أمره أن يشرب حتى شبع، ولم يجد لمزيد مسلكًا، فأخذ الرسول ﷺ القدح فشرب الفضلة.

وفي الحديث قصة متكاملة الأركان، محكمة الحبكة، فهو يبدأ بوصف الجوع الذي كاد يفتك به، فيلجئه إلى التعرض للصحابة في طريقهم الذي يمرون به، والتعلل بالسؤال عن بعض آيات القرآن ليطعموه، فلا يظن له منهم أحد، ثم يمر به النبي ﷺ فيشعر به، فيأمره باللاحاق به إلى بيته، فيجد إناء لبن، ويشعر أبو هريرة أن كربه قد فرج، لكن النبي ﷺ يفاجئه بأن يأمره بدعوة أهل الصفة، فتبدد أحلامه في الشبع، ويسرع إلى أهل الصفة يدعوهم، وهو يتحسر على الأمل الضائع.

وتتصاعد الأحداث إلى قمة الإثارة (العقدة) حين يأخذ أهل الصفة مجالسهم في بيت رسول الله، ويؤمر أبو هريرة نفسه بالمرور عليهم بإناء اللبن ليسقيهم واحدًا واحدًا.

وهنا تأتي المفاجأة (الحل)، وتحقق المعجزة، فالجمع كله يشرب، ويبقى لأبي هريرة ما يسد رمقه، ويذهب جوعه، ثم تبقى بعد ذلك فضلة يشربها رسول الله ﷺ بعد أن شبع القوم جميعاً.

ومع الفارق الكبير بين القصة القصيرة الحديثة وبين حديث النبي ﷺ في الشكل والمضمون، إلا إنه يمكن القول بأن الأركان الأساسية للقصة القصيرة من حدث مكثف، وحبكة درامية، وعقدة، ونهاية تتحقق فيها انفراجة العقدة - كلها توافرت في هذا الحديث وأمثاله^(١)، قبل بزوغ فجر القصة القصيرة الحديثة في أوربا بقرون طويلة.

لقد اتهم أبو هريرة بالإكثار من الحديث، فدفع عن نفسه هذه التهمة بأن إخوته من المهاجرين والأنصار شغلهم الصخب بالأسواق عن مجالس رسول الله ﷺ، وأنه كان امرأً مسكيناً يلزم رسول الله ﷺ على شبع بطنه، وقد سمع رسول الله ﷺ يقول يوماً: «لن يسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره، فينسى من مقالتي شيئاً أبداً»، فبسط بردة من صوف ليس عليه غيرها، حتى أنهى النبي حديثه، ثم ضمها إلى صدره، فلم ينس من حديث النبي ﷺ بعد ذلك شيئاً.

١٨ - خالد بن الوليد (رضي الله عنه): «هل أنتم تاركون لي أمراًني؟»

- عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري، أن ابن عباس أخبره، أن خالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله أخبره، أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة، وهي خالته وخالة ابن عباس، فوجد عندها صبياً مخنوخاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمات الضب لرسول الله ﷺ، وكان قلماً يقدم يده لطعام حتى يحدث به، ويسمى له، فأهوى رسول الله ﷺ يده

(١) من الأمثلة الواضحة على ذلك أيضاً حديث المقداد ص ٣١٧.

إِلَى الضَّبِّ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ السَّوَةِ الْحُصُورِ: أَخْبِرَنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا قَدَّمْتَنَ لَهُ، هُوَ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَنِ الضَّبِّ، فَقَالَ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ: أَحَرَامُ الضَّبِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»، قَالَ خَالِدٌ: فَأَجْتَرَزْتُهُ فَأَكَلْتُهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ^(١).

- عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَّأْنَا، وَجَعَلَ خَالِدٌ قَتْلًا وَأَسْرًا، قَالَ: فَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ يَوْمُنَا أَمَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنَّا أَسِيرَهُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ أَحَدٌ، وَقَالَ بِشْرٌ: مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرُهُ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ صُنْعَ خَالِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيْهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»^(٢).

- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَتَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِحَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟»، قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ» فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْصَبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِيَهُ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِيَهُ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًا؟ إِنَّمَا

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩١) كتاب الأطعمة، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُسْئَلُ لَهُ فَيُعْلَمَ مَا هُوَ، ومسلم (١٩٤٥) كتاب الصيد، باب إباحة الضب، وأبو داود (٣٧٩٤) كتاب الأطعمة، باب فِي أَكْلِ الضَّبِّ، والنسائي فِي الْمَجْتَبَى (٤٢١٧) كتاب الصيد «الضب»، وابن ماجه (٣٢٤١) كتاب الصيد، باب الضب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٩) كتاب المغازي، باب بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، والنسائي فِي الْمَجْتَبَى (٥٤٠٥) كتاب آداب القضاة باب الرد على الحاكم إِذَا قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ.

مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِيْلًا أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ نَحَيْنَ سَفِيهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ، فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَذْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَذْرَهُ عَلَيْهِمْ»^(١).



خالد بن الوليد، هو (خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، سيف الله، يكنى أبا سليمان، من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردة، وغيرها من الفتوح، إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين)^(٢).

دخل خالد مع النبي ﷺ على ميمونة - وهي خالته - فوجد عندها ضباً مشوياً، فقدمته إلى النبي ﷺ، فأبى أن يأكل منه، فسأل خالد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه»، فجره خالد إليه، فأكله، والرسول ﷺ ينظر إليه.

وأرسل الرسول ﷺ خالدًا إلى بني جذيمة، يدعوهم إلى الإسلام، فخرجوا إليه يقولون: صبانًا، صبانًا، فالتبس الأمر على خالد، وظن أنهم يرفضون الإسلام، فأعمل فيهم قتلاً وأسرًا، فلما علم النبي ﷺ بما صنع خالد رفع يديه قائلاً: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد».

وفي غزوة مؤتة قتل رجل من حمير رجلاً من المشركين، فأراد أن يأخذ سلبه، لقول النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه»^(٣)، فمنعه خالد، فلما عاد الجيش أتى عوف بن مالك النبي ﷺ فشكا إليه خالدًا، فسأله النبي ﷺ: «ما منعك أن تعطيه سلبه؟»، قال: استكثرت يا رسول الله، قال: «ادفعه

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٣) كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القاتل.

(٢) تقريب التهذيب (١/١٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١)، وغيرهما.

إليه»، فلما مر خالد بعوف جرّه عوف من ردائه معنفاً، فسمعه الرسول الله عليه وسلم، فغضب، وأمر خالدًا بأن يمنع الرجل سلبه.

قال رسول الله ﷺ وهو يستنكر التعريض بخالد بن الوليد: «لا تعطه يا خالد، لا تعطه يا خالد» والنهي غرضه اللوم والتأنيب.

ثم قال ﷺ: «هل أنتم تاركون لي أمرائي؟»، وهذا استفهام غرضه البلاغي الحث والتوجيه، وفيه نبرة غضب ولوم شديدين.

ثم مثل الرسول ﷺ للأمراء والعامة، برجل استرعى إبلًا وغنمًا، ثم أوردها حوضًا، فشربت صفوه، وتركت كدره.

وهو تشبيه تمثيلي شبه فيه رسول الله ﷺ حصول العامة على صفو الأمور دون مقاساة أو معاناة، بإبل وغنم يسقيها راعيها فتحصل على صفو الماء وترك كدره، وشبه الأمراء في تحملهم الأعباء، ومقاساة الناس، وتلقي اللوم والتأنيب بمن لا يدرك صفو الماء، ولا يحصل إلا كدره.

١٩ - أبو ذر رضي الله عنه: «إني أراك ضعيفًا، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي»:

- عن أبي ذر قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فإذا رسول الله ﷺ يَمْشِي رَحْدَهُ، ليس معه إنسانٌ، قال: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْزُرُهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قال: نَجَعَلْتُ أَشْيِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَقَمْتُ قَرَأَنِي، فقال: «من هذا؟»، فقلت: أبو ذر، جَعَلَنِي الله فِدَاكَ، قال: «يا أبا ذر تَعَالَهُ»، قال: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فقال: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَفَعَّحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيَّنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا»، قال: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فقال: «اجْلِسْ هَاهُنَا» قال: فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةً، فقال لي: «اجْلِسْ هَاهُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ» قال: فَأَنْطَلَقَ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى لَا أَرَاهُ، فَلَبِثْتُ عَنِّي فَأَطَالَ

اللَّبَثُ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «وَأِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟» قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، مِنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا، قَالَ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مِنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ»^(١).

- عن الأحنف بن قيس، عن أبي ذر قال: ... قَالَ لِي خَلِيلِي، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ خَلِيلُكَ؟ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَتُبْصِرُ أَحَدًا؟» قَالَ: فَتَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَحِبُّ أَنْ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَعُهُ كُلُّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ» وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيًا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ»^(٢).

- عن أبي ذرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلِّينَ مَالَ يَتِيمٍ»^(٣).

- عن أبي ذر قال: ... ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضُ ذَاتِ نَخْلٍ، لَا أَرَاهَا إِلَّا يَتَرَبَّ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ، عَسَى اللَّهُ أَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقفلون، ومسلم (٩٤) كتاب الزكاة، باب التَّوْبِغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٠) كتاب الزكاة، باب مَا أُذِيَّ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَزٍّ، مسلم (٩٩٢) من حديث طويل للأحنف بن قيس، كتاب الزكاة، باب فِي الْكُنَّازِينَ لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦) كتاب الإمارة، باب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، وأبو داود (٢٨٦٨) كتاب الوصايا، باب مَا جَاءَ فِي الدُّخُولِ فِي الْوَصَايَا، والنسائي في المجتبى (٣٦٦٧) كتاب الوصايا، النهي عن الولاية على مال اليتيم.

يَنْفَعُهُمْ بِكَ، وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟» فَأَتَيْتُ أُتَيْسًا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمْتًا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةً عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا، حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يُؤْمِنُهُمْ إِمَاءُ بْنُ رَحْصَةَ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي، وَجَاءَتْ أَسْلَم، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَوْتَنَا نُسَلِّمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ»^(١).



أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، هُوَ (جَنْدَبُ بْنُ جَنْادَةَ بْنِ سَفْيَانَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ اسْمَ أَبِيهِ يَزِيدٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا: سَكَنَ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلَى مَكَّةَ، وَاخْتَفَى فِي أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ أَيَّامًا كَثِيرَةً لَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْعَمَ أَوْ يَشْرَبَ شَيْئًا إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ، حَتَّى رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، فَأَمَّنَ بِهِ)^(٢).

ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعُودَ إِلَى قَوْمِهِ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى يَهَاجِرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى يَثْرِبَ، فَيَهَاجِرَ إِلَيْهِ، وَعَادَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى قَوْمِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَأَخَّرَ النِّصْفَ الثَّانِي إِسْلَامَهُ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَتْ غِفَارُ كُلُّهَا، وَتَبِعَتْهَا أَسْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ».

تَبَعَ أَبُو ذَرٍّ ذَاتَ لَيْلَةٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، فَسَارَ مَعَهُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٧٣) مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ لِأَبِي ذَرٍّ فِي فَصَّةِ إِسْلَامِهِ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مُشَاهِيرُ الْأَمْصَارِ (١/١).

في ظل القمر، فقال له النبي ﷺ: «إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيرًا فنفخ فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيرًا».

أراد أن أصحاب الأموال في الدنيا هم المقلون من الثواب في الآخرة إلا من أنفق من ماله، وتصدق، وعمل خيرًا.

ثم وصل النبي ﷺ وأبو ذر وهما سائران إلى أرض واسعة مستوية حولها حجارة، فطلب النبي ﷺ من أبي ذر أن يجلس حتى يعود إليه، وانطلق الرسول حتى غاب عن أنظار أبي ذر، فمكث طويلًا، ثم عاد، فسمعه أبو ذر يقول: «وإن سرق وإن زنى»، فسأله: من تكلّم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا، فأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فبشره بأن من مات من أمته لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، فقال الرسول ﷺ: «يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟» ثلاثًا، وجبريل في كل مرة يقول: «نعم» ثم أضاف في الآخرة: «وإن شرب الخمر»، وتلك بشرى لكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وقال النبي لأبي ذر يومًا: «يا أبا ذر، أتبصر أحدًا؟» فظن أبو ذر أن الرسول ﷺ يريد أن يرسله في حاجة، لكن النبي ﷺ قال: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير».

أي أنه لو كان يملك ذهبًا في حجم جبل أحد لأنفقه كله في سبيل الله، ولم يستبق منه سوى ثلاثة دنائير لحاجة بيته أو لذئنه.

وقوله ﷺ لأبي ذر: «أتبصر أحدًا؟» هو استفهام الغرض منه التشويق والتحفيز.

أما قوله ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير»، فكلمة: «ذهبًا» تميز، وقد وقع بعد مثل، وهو قليل في اللغة، ومثاله في القرآن: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، والأسلوب أسلوب قصر طريقه

النفي والاستثناء، وأداته (ما، وإلا) وغرضه الحصر، وهو يؤكد زهد الرسول ﷺ في الدنيا، وانصرافه عن متاعها، واكتفاء منها بالضرورات الأساسية.

وقوله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم»: النداء «يا أبا ذر» للتحبيب، وقوله: «إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي»: جملتان اسميتان مؤكدتان بـ«إني»، الخبر في كل منهما مضارع للدلالة على الحالية والاستمرار.

وقد نهى رسول الله ﷺ أبا ذر عن أمرين، الأول: أن يطمع في الإمارة، ولو كانت - على سبيل المبالغة - على اثنين، والثاني: أن يتولى مال يتيم، (تأمرن) أصله (تأمرن)، وكذلك (تولين) أصله (تولين)، وحذفت التاء للتخفيف، وهو مألوف في اللغة، ومنه في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَيَمُوتُوا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي: ولا تَتَّبِعُوا.

والغرض من النهي في الجملتين هو التحذير والتنبيه على خطورة الأمرين.

٢٠- سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي»:

عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي، لَصَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفَّحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي»^(١).



سعد بن عبادَةَ، هو (سعد بن عبادَةَ بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦) كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، ومسلم (١٤٩٩) كتاب اللعان.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٠).

أحد نقيب العقبة، وكان سيدًا جوادًا، تدور جفنته مع رسول الله أينما دار، مات بحوران بالشام سنة خمس عشرة.

وكان سعد من أغير الناس، حتى حُكي أنه إذا طلق امرأة ما كان أحد من قومه يجرو أن يتزوجها من فرط غيرته.

قال سعد: (لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح) أي بحد السيف لا بصفيحته، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني».

والاستفهام في قوله ﷺ: «أتعجبون» غرضه الإنكار.

وقوله: «لأنا أغير» فيه مؤكّدان، اللام في صدر الجملة، واستخدام القصر بضمير الفصل المتكلم.

«والله أغير مني»: والمراد بغيرة الله تعالى: نهيه عن الفواحش، وتحريمه لها.

٢١- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «هُمُ يَا حَذِيفَةُ، فَأَتَيْنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»:

عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كنا عِنْدَ حَذِيفَةَ، فقال رَجُلٌ: لو أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فقال حَذِيفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ، لَقَدْ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقَرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فقال: «هُمُ يَا حَذِيفَةُ، فَأَتَيْنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ، جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أُمِشِي فِي حِمَامٍ حَتَّى

أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ» وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَارْجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ - فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ - قُرِزْتُ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»^(١).



حذيفة بن اليمان (حسل بن جابر العبي، ثم الأشهلي حليفهم، صاحب السر، منعه وأباه شهود بدر استحلاف المشركين لهما)^(٢).

في ليلة من ليالي وقعة الأحزاب، شديدة البرد والريح، دعا النبي أحد أصحابه أن يأتيه بخبر القوم ويكون جزاؤه رفقة النبي في الجنة، وكرر ذلك ثلاثاً فلم يقم أحد، فقال النبي ﷺ: «قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم» ثم حذره قائلاً: «ولا تذعروهم علي» أي لا تحركهم، فانطلق حذيفة إلى مهمته، وقد ذهب عنه البرد، ودب في جسده النشاط، فجاس بين القوم، فعرف أخبارهم، ثم عاد إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرهم، فلما انتهى رجع إليه البرد، فألبسه رسول الله ﷺ فضلاً من عباءته، فنام حتى أصبح، فأيقظه النبي ﷺ مداعباً: «قم يا نوमान».

وقوله ﷺ لأصحابه، وهم معسكرون أمام الخندق: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة» وكررها ثلاثاً.

الجملة الأولى فيه إنشائية مصدرة بـ (ألا) الاستفاحية، والمراد بها العرض والتحضيض.

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب.

(٢) الكاشف (١/٣١٥).

والجملة الثانية خبرية المبني إنشائية المعنى، والغرض منها الدعاء. والتكرار ثلاثاً لمزيد من الحث والتحضيض.

وقول رسول الله ﷺ لحذيفة: «اذهب فأنتي بخبر القوم، ولا تذعهم علي». فيه أمران ونهي، أمر بالذهاب، والإتيان بالأخبار، وقد صُدِّر الأمر الثاني بالفاء للدلالة على طلب العودة السريعة.

والنهي فيه تحذير من تفزيع القوم على الرسول ﷺ، وهو تأكيد على حكمة الرسول ﷺ، وحسن قيادته.

وقوله ﷺ: «قم يا نومان»، أمر الغرض منه: المداعبة، والنومان هو كثير النوم، (وأكثر ما يستعمل في النداء، كما استعمله هنا) ^(١).

٢٢- أبو أيوب رضي الله عنه: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»:

عن أبي أيوب، أَنَّ النبي ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَتَرَلَ النبي ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُوبَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَحَّوْا، فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النبي ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النبي ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَإِذَا جِيَءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَّبِعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النبي ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النبي ﷺ: «لَا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ»، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُهُ مَا تَكْرَهُهُ، أَوْ مَا كَرِهْتَ، قَالَ: وَكَانَ النبي ﷺ يُؤْتَى ^(٢).



(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٣) كتاب الأشربة، باب إِبَاحَةِ أَكْلِ الثُّومِ.

أبو أيوب (خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب، من كبار الصحابة، شهد بدرًا، ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازيًا الروم سنة خمسين، وقيل بعدها)^(١).

لما نزل النبي ﷺ على أبي أيوب أول مقدمه المدينة، نزل النبي ﷺ في السفل، وأبو أيوب في العلو، ثم استشعر أبو أيوب الحرج إذ كيف يمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فلجأ هو وأهله إلى جانب فباتوا فيه، ثم طلب أبو أيوب من النبي أن يتحول إلى العلو ففعل، فكان أبو أيوب يقدم للنبي الطعام، فإذا عاد الطعام من عند الرسول سأل أبو أيوب عن موضع أصابعه، فتبعها. فقدم له يومًا طعامًا فيه ثوم، فلم يأكل منه النبي ﷺ، ففزع أبو أيوب وسأل النبي: أحرام هو؟ قال: «لا، ولكني أكرهه»، فقال: فلاني أكره ما كرهت.

٢٣ - جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا أَرَاكَ مَيِّتًا مِنْ وَجَعِكَ هَذَا»:

- عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَغْيَا، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضْرَبَهُ، فَدَعَا لَهُ، فَسَارَ يَسِيرٌ لَيْسَ يَسِيرٌ مِثْلَهُ، ثُمَّ قَالَ: «بِعَيْنِهِ يَوْقِيَهُ»، قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ: «بِعَيْنِهِ يَوْقِيَهُ» فَبَغَيْتُهُ، فَاسْتَنْتَيْتُ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ، وَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِتْرِي، قَالَ: «مَا كُنْتَ لِأُخَذَ جَمَلُكَ فَمُخَذَ جَمَلُكَ فَهُوَ مَالُكَ»...^(٢).

- عن جَابِرٍ قَالَ: اسْتَكْنَيْتُ وَعِنْدِي سَبْعُ أَخَوَاتٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَفَحَّخَ فِي وَجْهِي فَأَقْفُتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَوْصِي لَأَخَوَاتِي بِالثَّلْثِ؟ قَالَ: «أَحْسِنُ»، قُلْتُ: الشَّطْرُ؟ قَالَ: «أَحْسِنُ» ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكْنِي، فَقَالَ:

(١) تقرب التهذيب (١/ ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١٨) كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع طهر الدابة إلى مكان مسمى جازًا، ومسلم (٧١٥) كتاب البيوع، باب بيع البعير واشتاء ركبوه، والنسائي في المجتبى (٤٦٣٧) كتاب البيوع، البيع يكون فيه الشرط فيبيع الشرط.

«يا جابرُ، لا أَرَاكَ مَيِّتًا من وَجَعِكَ هذا، وَإِنَّ اللهَ قد أَنْزَلَ فَبَيَّنَ الذي لِأَخَوَاتِكَ، فَجَعَلَ لَهُنَّ الثَّلَاثِينَ»، قال: فَكَانَ جَابِرٌ يَقُولُ: أَنْزَلْتَ هذه الآيةَ في ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ قُلِ اللهُ يُفَتِّيهِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴿١﴾ (النساء: ١٧٦).



جابر بن عبد الله (بن حرام بن ثعلبة بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد المدني، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه) (٢).

كان في سفر مع النبي ﷺ، وكان معه جمل قد أعيأ، فمر به النبي فضربه، ودعا له، فسار سيرًا حسنًا، ثم طلب النبي ﷺ من جابر أن يبيعه إياه، فباعه، واستثنى حملانه إلى أهله، فلما وصل المدينة، جاءه جابر بالجمل، ونقده النبي ثمنه، ثم انصرف، فأرسل إليه النبي، ورد عليه جملة.

وقال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله، وهو يرد عليه جَمَلَةً: «ما كنت لأخذ جملك، فخذ جملك، فهو لك».

واللام في «لأخذ» هي لام النفي؛ لأنها مسبوقة بكون منفي، وهي تفيد توكيد النفي.

قال ابن هشام في المغني: (ويسمى أكثرهم لام الجحود؛ لملازمتها للجحد، أي: النفي، قال النحاس: والصواب تسميتها لام النفي، لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار) (٣).

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٨٧) كتاب الفرائض، باب من كان ليس له وَلَدٌ وَلَهُ أَخَوَاتٌ.

(٢) تهذيب الكمال (٤/ ٤٤٤).

(٣) مغني اللبيب (١/ ٢٧٩).

واشكى جابر، فدخل عليه النبي ﷺ، فنفخ في وجهه فأفاق، واستشار النبي في أن يوصي لأخواته البنات فنصحه بأن يزيد على النصف، ثم بشره بأنه لن يموت من وجعه ذلك، وأن حق أخواته في تركته هو الثلثان؛ وقد أنزلت في جابر هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦).

٢٤ - أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو رأيته وأنا أسمع لقرأتكم الباردة»:

- عن أبي بردة عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعرين استحملة فقال: «والله لا أحملكم، وما عندي ما أحملكم عليه» قال: ثم لبثنا ما شاء الله أن نلبث، ثم أتى بثلاث ذود غرّ الذري، فحملنا عليها، فلما انطلقنا قلنا - أو قال بعضنا -: والله لا يبارك لنا، أتينا النبي ﷺ نستحملة، فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا، فازجعوا بنا إلى النبي ﷺ فنذكره، فأتيناه، فقال: «ما أنا بحملكم، بل الله حملكم، وإني والله - إن شاء الله - لا أخلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير، أو أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني»^(١).

- عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لو رأيته وأنا أسمع لقرأتكم الباردة، لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٣) كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي فَعَلْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، ومسلم (١٦٤٩) كتاب الأيمان، باب نذوب من حلف يميناً قرأ غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، والنسائي في المجتبى (٣٧٨٠) كتاب الأيمان والنذور، الكفارة قبل الحنث، وابن ماجه (٢١٠٧) كتاب الكفارات، باب من حلف على يمين قرأ غيرها خيراً منها.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩٣) كتاب صلاة المفجرين وقصرها، باب استحباب تحيين الصوت =

أبو موسى الأشعري، هو (عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، هاجر إلى النبي ﷺ، فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر، واستعمله النبي ﷺ مع معاذ على اليمن، ثم ولي عمر الكوفة والبصرة، وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن)^(١).

سمعه النبي ﷺ وهو يتلو القرآن، فأعجبه تلاوته، وقال له: «لقد أوتيت زمزماً من زمامر آل داود».

وقوله ﷺ: «لو رأيته يُقصد به الرجاء، كأنه أراد: لعلك رأيته».

وجملة: «وأنا أستمع» الواو للحال، والجملة حالية في محل نصب، وتبين قصد النبي ﷺ للاستماع، وتعمده له.

«لقد أوتيت زمزماً» المراد بالمزمار الصوت، وفيه استعارة تصريحية، وخص آل داود، لاشتهار داود ﷺ بحسن الصوت.

وقدم أبو موسى في رهط من قومه يطلبون منه إبلًا يركبونها ويحملون عليها، فأقسم أنه لا يحملهم، وأنه ليس عنده ما يحملهم عليه، ثم أتى النبي ﷺ بثلاث من الإبل ذوات السنام الأبيض، فوهبها لهم، فتلاوموا بينهم لأنهم أخرجوا النبي ﷺ، وقد حلف أن لا يحملهم ثم حملهم، فعادوا إليه يعتذرون، فأخبرهم أنه لم يحملهم، ولكن الله حملهم، وأعلمهم أنه لا يحلف على يمين، ثم يرى خيراً منها، إلا كفر عن يمينه، وفعل ما يراه خيراً، أو بدأ ففعل ما هو خير، ثم كفر عن يمينه.

٢٥ - سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «ألا تُبايعني يا سلمة»:

- عن إياس بن سلمة: حدثني أبي قال: غزونا فزاره، وعَلَيْنَا أبو بكر، أمره

رسول الله ﷺ عَلَيْنَا، فلما كان بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسَنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ، فَتَقَلَّ من قَتْلٍ عَلَيْهِ وَسَبَى، وَأَنْظَرُ إِلَى عُنُقٍ من الناس فِيهِمُ الدَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْقُونِي إِلَى الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فلما رَأَوْا السَّهْمَ وَفَقُّوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ من بَنِي فِزَارَةَ، عَلَيْهَا قَشْعٌ من آدَمَ - قال: الْقَشْعُ: النَّطْعُ - مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا من أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسَفَتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَفَلَّانِي أَبُو بَكْرٍ ابْتِغَاءً، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رسول الله ﷺ فِي السُّوقِ، فقال: «يا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ» فقلت: يا رَسُولَ اللهِ، والله لقد أَعْجَبَنِي، وما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رسول الله ﷺ من الْغَدِ فِي السُّوقِ، فقال لي: «يا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ، لِلَّهِ أَبُوكَ»، فقلت: هِيَ لَكَ يا رَسُولَ اللهِ، فَوَاللهِ ما كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَبَعَثَ بِهَا رسول الله ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بِهَا نَاسًا من الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسْرُوا بِمَكَّةَ^(١).

- عن إِبْرَاهِيمَ بنِ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي: قال: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مع رسول الله ﷺ، وَنَحْنُ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ مِائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهِ، قال: فَقَعَدَ رسول الله ﷺ عَلَى جَبَا الرِّكْبَةِ، فِيمَا دَعَا، وَإِمَامًا بِسِقِ فِيهَا، قال: فَجَاسَتْ، فَسَقَيْنَا، وَاسْتَقَيْنَا، قال: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قال: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ من الناس، قال: «بَايَعَ يا سَلَمَةُ»، قال: قلت: قد بَايَعْتُكَ يا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قال: «وَأَيْضًا» قال: وَرَأَيْتِي رسول الله ﷺ عَزَلًا، يُعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ، قال: فَأَعْطَانِي رسول الله ﷺ حَجَفَةً أَوْ ذَرَقَةً، ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قال: «أَلَا تُبَايِعُنِي يا سَلَمَةُ»، قال: قلت: قد بَايَعْتُكَ يا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قال: «وَأَيْضًا»، قال: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قال لي: «يا سَلَمَةُ أُبَيِّنُ

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٥) كتاب الجهاد والسير، باب التَّهْفِيلِ وَفَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارِيِّ، وأبو داود (٢٦٩٧) كتاب الجهاد، باب الرُّخْصَةِ فِي الْمُدْرِكِينَ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ.

حَجَفْتُكَ أَوْ دَرَقْتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِينِي عَمِّي عَامِرٌ عَزِيزًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: فَصَحَّحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ ابْنُغْنِي حَيًّا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي» ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ، وَاضْطَلَحْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ تَبِعًا لِبَطْلِحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَسْقَى فَرَسَهُ وَأَحْسُهُ وَأَخْدِمُهُ، وَأَكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا اضْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَكَسَخْتُ شَوْكَهَا، فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا، قَالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَقُوا سِلَاحَهُمْ، وَاضْطَجَعُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ قُلِّ ابْنِ زُنَيْمٍ، قَالَ: فَانْخَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أَوْلَيْكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَزْعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا صَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسْوَفَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ يَكْرَزُ، يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَرِثَانُهُ» فَقَعَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَمَوْأَدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآيَةُ كُلُّهَا] [النس: ٢١]، قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتَرَلْنَا مَنَزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لَحْيَانَ جَبَلٍ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ رَفَى هَذَا الْجَبَلِ اللَّيْلَةَ، كَأَنَّهُ طَلِيعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا...^(١)



سلمة بن الأكوع، هو (سلمة بن الأكوع بن عمرو بن سنان الأنصاري، وهو أحد من بايع تحت الشجرة، وكان من فرسان الصحابة، ومن علمائهم، كان يفتي بالمدينة، وله مشاهد معروفة في حياة النبي وبعده، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين)^(١).

شارك سلمة في غزو فزارة تحت إمرة أبي بكر، فلما أعطى بنو فزارة المسلمين أكتافهم، قُتل منهم من قتل وسُبي من سبي، وغنم سلمة فتاة حسناء من بني فزارة، ثم لقي رسول الله ﷺ في السوق، قال له رسول الله ﷺ: «يا سلمة، هب لي المرأة»، فقال سلمة: والله لقد أعجبني، وما كشفت لها ثوبًا، ثم لقيه الرسول من الغد في السوق فقال: «يا سلمة هب لي المرأة، لله أبوك»، فوهبها للرسول ﷺ، فافتدى بها رسول الله ﷺ ناسًا من المسلمين كانوا قد أسروا بمكة.

وقوله ﷺ لسلمة بن الأكوع: «يا سلمة، هب لي المرأة»: النداء فيه للتحجب، والأمر للرجاء.

وزيادته في الثانية: «الله أبوك» دعاء، يُقصد به الإغراء بتلبية طلب رسول الله ﷺ.

وفي الحديبية بايع سلمة رسول الله ﷺ ثلاثًا، في أول الناس، وفي أوسط الناس، وفي آخر الناس، ووهبه النبي ﷺ ثُرسًا من جلد، فأعطاه سلمة لعمه عامر، فقال له رسول الله ﷺ: «إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبًا هو أحب إلي من نفسي».

وقوله: «كالذي قال الأول» المراد: كالذي قال فيمن مضى، أو فيمن سبق، و«أبغني» يحتمل أن تكون (بهزمة وصل أمر من البغاء، أي اطلب، وبهمزة

قطع، أمر من الإبقاء، أي أعني على الطلب^(١).

وفي الكلام إشارة إلى أن سلمة أثر عمه على نفسه، وأعطاه ما هو في حاجة إليه.

ثم سرى في الناس أن واحدًا من المهاجرين قتل، فأسرع سلمة فساق أربعة من المشركين بسيفه إلى النبي، فقال النبي ﷺ: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه»، وعفا عنهم ﷺ.

وهو أمر غرضه التهديد والوعيد، وأراد بالفجور نقض العهد، و«ثناه» أي نقضه ثانية.

وقد ورد في بعض النسخ «ثنيّاه» (بضم الثاء، وبياء مثناة تحت بعد النون، ورواهما جميعاً القاضي، وذكر الثاني عن رواية ابن ماهان، والأول عن غيره، قال: وهو الصواب، أي عودة ثانية)^(٢).

وفي طريق العودة إلى المدينة، قدموا على قوم من المشركين يقال لهم: بنو لحيان، وكان بينهم وبين هؤلاء القوم جبل، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة طليعة للمسلمين، فركبه سلمة مرتين أو ثلاثاً.

٢٦ - المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أطعم من أطعمني، وأسقي من أسقاني»:

عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فتحملنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فأنطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعز، فقال النبي ﷺ: «اختلوا هذا اللبن بيننا» قال: فكنا نحتلب، فيشرب كل إنسان منا نصيبه،

(١) ليض القدير (٢/ ٥٥٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٧٧).

وَتَرَفَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيحُهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْلُمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ، فَيُصَلِّي ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيحِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيَتَحِفُّونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ، مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَّتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَذَمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَنَحَكَ مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ، فَيَدْعُو عَلَيْكَ، فَتَهْلِكُ، فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ؟ وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَتَامَا، وَلَمْ يَضَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مِنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مِنْ أَسْقَانِي»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَنَاطَلْتُ إِلَى الْأَعْزُرِ، أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أَلْقَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِحْدَى سَوَاتِكَ يَا مِقْدَادُ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلَا كُنْتَ أَذْنَتَنِي، فَتَوْقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصَيِّانِ مِنْهَا» قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا، وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ، مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، والترمذي =

المقداد بن الأسود، (وليس الأسود أباه، وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث وهو صغير، فعرف به، وإنما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي، كان المقداد أحد السابقين، شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها، ولم يثبت أن أحدًا شهد بدرًا فارسًا سواه)^(١).

في أول الهجرة عانى كثير من الصحابة من الجوع وشظف العيش، يروي المقداد أنه وصاحبان له قد ذهبت أسماعهم وأبصارهم من شدة الجوع، فعرضوا أنفسهم على أصحاب رسول الله ﷺ فلم يقبلهم أحد، ثم أتوا النبي ﷺ، فانطلق بهم إلى أهله، فوجد ثلاثة أعنز، فأمرهم أن يحتلبوا لبنها بينهم، فكانوا يحتلبون ويشرب كل نصيبه، ثم يحفظون للنبي نصيبه، فيأتي النبي وقد مضى بعض الليل، فيسلم سلامًا رقيقًا، ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب.

وذات ليلة وسوس الشيطان للمقداد أن يشرب شراب رسول الله المتبقي، فشربه، ثم ندم، وانتابته الهواجس، وظن أن رسول الله إذا أتى فلم يجد شرابه سوف يدعو عليه فيهلك، فلما جاء رسول الله ﷺ وكشف الإناء فألفاه فارغًا، رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم أطعم من أطمعني وأسق من أسقاني» ثم انصرف.

فأسرع المقداد وفي يديه المدينة إلى الأعنز ليذبح أيتها أسمن فيقدمها لرسول الله ﷺ حتى ينال دعوته، فوجدها حُفلاً باللبن، فأحضر إناءً من بيت النبي، فحلب فيه، وقدمه للنبي ﷺ، فشرب حتى روي، وعلم المقداد أن دعوة النبي أصابته فاستلقى على الأرض ضاحكًا، فقال النبي ﷺ: «إحدى سؤاتك يا مقداد»، فقصَّ المقداد على النبي ما كان من أمره، فقال له: «أفلا

= (٢٧١٩) كتاب الاستئذان، باب كَيْفَ السَّلَام.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١/١٤٥).

كنت أذنتني، فتوقظ صاحبنا فيصيان منها».

٢٧ - النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلا تُشهدني إذا، فإنني لا أشهدُ على جورٍ»:

عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهُوبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنَيْهَا، فَأَلْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ، أُعْجِبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتَ لِابْنَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَشِيرُ، أَلَمْكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكْلَهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فلا تُشهدني إذا، فإنني لا أشهدُ على جورٍ»^(١).



النعمان بن بشير (بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبة، ثم سكن الشام، ثم ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة)^(٢).

جاء به أبوه وهو غلام إلى رسول الله ﷺ ليُشهده على عطية وهبها له دون سائر أولاده، فسأله رسول الله ﷺ: «أكلهم وهبت له مثل هذا؟» فلما أجابه بالنفي، قال: «فلا تشهدني إذا، فإنني لا أشهد على جورٍ».

فكان ذلك حكماً فقهياً عاماً، لا يُذكر إلا وذكر معه النعمان بن بشير

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٠) كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جورٍ إذا أشهد، ومسلم (١٦٢٣) كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، والنسائي في المجتبى (٣٦٨٢) كتاب النحل، باب ذكر اختلاف الفقهاء في الخبر الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فِي النَّحْلِ.

(٢) تقريب التهذيب (١/٥٦٣).

رضي الله تعالى عنه.

وقوله ﷺ: «فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور»: الجملة الأولى نهي في باطنة عتاب ولوم لبشير على هذا التصرف غير العادل، أكد النبي ﷺ في الجملة التالية: «فإني لا أشهد على جور» وهي جملة مؤكدة بأن، يليها مضارع منفي بلا، ووصف للتصرف بمسماه الحقيقي «جور».

٢٨ - جرير بن عبد الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟»

عن قيس قال: قال لي جرير بن عبد الله ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» وكان بيتا فيه خنعم يسمى كعبة اليمانية، فأنطلقت في خمسين ومائة من أحسن، وكانوا أصحاب خيل، فأخبرت النبي ﷺ أنني لا أثبت على الخيل، فضرَبَ في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، فقال: «اللهم نبته وأجعلهُ هاديا مهديا» فأنطلق إليها، فكسرها، وحرقتها، فأرسل إلى النبي ﷺ يبشره، فقال رسول جرير: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئتكَ حتى تركتها كأنها جمل أجرب، فبارك على خيل أحسن ورجالها خمس مرات^(١).



جرير بن عبد الله (بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف الأمير النبيل الجميل أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله البجلي القسري، وقسر من قحطان، من أعيان الصحابة)^(٢).

قال رسول الله ﷺ لجرير يوما: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» وهو بيت صنم كان ببلاد دوس، فشكا إليه أنه لا يثبت على الخيل، فضرَبَ النبي على

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٦) كتاب الجهاد والسير، باب البشارة في الفتح.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٣١/٢).

صدره وقال: «اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًا»، فانطلق إليها في مائة وخمسين من أحسن^(١)، فدمرها وحرقتها، ورجع إلى رسول الله ﷺ فبشره بذلك، فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحسن ورجالها خمس مرات.

وقول النبي ﷺ لجبرير: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» استفهام غرضه الحث والتحريض.

وقوله ﷺ: «اللهم ثبته، واجعله هاديًا مهديًا»: «هاديًا مهديًا» (من باب التقديم والتأخير الذي في كلام العرب؛ لأنه لا يكون هاديًا لغيره إلا بعد أن يهتدي هو، ويكون مهديًا)^(٢).

وذهب ابن حجر إلى أن الترتيب ليس مقصودًا لذاته، فقال: (وليست هنا صيغة ترتيب)^(٣)، وفي موضع آخر قال: (قيل فيه تقديم وتأخير لأنه لا يكون هاديًا حتى يكون مهديًا، وقيل معناه: كاملاً مكملًا)^(٤).

ولعل الرسول ﷺ لم يرد الترتيب، بل أراد البدء بأعلى الأمور، وأعظمها ثوابًا، وأكثرها نفعًا لصاحبها وللناس.

٢٩ - حسان بن ثابت رضي الله عنه: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيْدُهُ بَرُوحِ الْقُدُسِ»:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين، قال: «كَيْفَ يَنْسِي؟» فقال حسان: لَأُسَلِّكَ مِنْهُمْ، كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ^(٥).

(١) اسم قبيلة، وهو أحسن بن غوث.

(٢) شرح ابن بطل (١٤٥/٥).

(٣) فتح الباري (١٦١/٦).

(٤) السابق (٧٣/٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٣١) كتاب المناقب، باب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لَا يُسَبَّ نَسَبُهُ.

عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ، وَحَسَّانُ يُنْشِدُ، فَقَالَ: كُنْتُ أَنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشِدْكَ بِاللهِ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَكْثَرُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» قَالَ: نَعَمْ^(١).



حسان بن ثابت (بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري أبو عبد الرحمن، ويقال أبو الوليد، ويقال أبو الحسام، المدني، شاعر رسول الله ﷺ)^(٢).

استأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين، فقال له النبي ﷺ: «كيف بنسبي؟» فقال حسان: لأسلتكم منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قيل: إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرَّ عليه وهو ينشد في المسجد، فكانه لم يرض بذلك، فقال حسان: (كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك) ثم استشهد بأبي هريرة، هل سمع رسول الله ﷺ يقول له: «أجب عني، اللهم أكثَرُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» فأجابه أبو هريرة: نعم.

والأمر «أجب عني» غرضه الحث والتحضيض، ودعاء النبي ﷺ لحسان بأن يؤيده روح القدس نحا بالشعر منحىً جديداً، وانتقل به من عالم الجن إلى عالم الملائكة، وجعله ينطق بالحق وينافح عنه، بعد أن كان الكذب والباطل مصدر إلهامه، ومقياس عذوبته.

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٢) كتاب بدء الخلق، باب ذُكِرَ الْمَلَائِكَةُ، ومسلم (٢٤٨٥) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والنسائي في المجتبى (٧١٦) كتاب المساجد، باب الرخصة في إنشاد الشعر الحسن في المسجد.

(٢) تهذيب الكمال (١٧/٦).

٣٠ - عمير بن الحُمَام رَضِيَ: « لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ »:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا، يُنْظَرُ مَا صَنَعَتْ عَيْرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي النَّبِيِّ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَذْرِي مَا اسْتَنْتَى بَعْضُ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا» فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَذْرِ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَذَنَّا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخِ بَخِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخِ بَخِ»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: قَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ^(١).



عمير بن الحُمَام (بضم المهملة وتخفيف الميم، ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، ذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد بدرًا)^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) كتاب الإمامة، باب بُيُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ.

(٢) الإصابة (٧١٥/٤).

قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، وكلمة «جنة» مجاز مرسل علاقته المسببة، أو اعتبار ما سيكون، والأمر غرضه الترغيب والتشويق.

قال عمير بن الحمام: يخ بخ، قال له النبي ﷺ: «ما يحملك على قولك: يخ بخ؟» وهو استفهام يحمل معنى التعجب والدهشة.

قال: رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، والفاء للسرعة، والجملة الإسمية مؤكدة بأن، وفيها معاني التبشير والتحفيز.

فأخرج تمرات كانت معه، فأكل منها، ثم قذف بما بقي منها، وقال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة وانطلق إلى القتال، فقاتل حتى قتل.

٣١- مخرمة رضي الله عنه: «حَبَّأْتُ هَذَا لَكَ»:

عن الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قال: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبِيَّةً، فَقَالَ لِي أَبِي مَخْرَمَةُ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَنَا مِنْهَا شَيْئًا، فَقَامَ أَبِي عَلَى الْبَابِ فَتَكَلَّمْتُ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ قَبَاءٌ، وَهُوَ يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «حَبَّأْتُ هَذَا لَكَ، حَبَّأْتُ هَذَا لَكَ»^(١).



مخرمة (بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو المسور، القرشي، الزهري، الصحابي، من الطلقاء، وكان كبير بني زهرة)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٧) كتاب الشهادات، بَابُ شَهَادَةِ الْأَعْمَى وَأَمْرِهِ، ومسلم (١٠٥٨) كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءٍ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ، وأبو داود (٤٠٢٨) كتاب اللباس، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْأَقْبِيَّةِ، والنسائي في المجتبى (٥٣٢٤) كتاب الزينة، لُبْسُ الْأَقْبِيَّةِ.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٤٣/٢).

قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ أُكْسِيهِ، فَأَمَرَ مَخْرَمَةَ ابْنَهُ الْمَسُورَ أَنْ يَصْحَبَهُ إِلَى النَّبِيِّ لَعَلَّهُ يَعْطِيهِ شَيْئًا مِنْهَا، فَلَمَّا وَصَلَا بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكَلَّمَ مَخْرَمَةَ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِقَبَاءٍ، رَاحَ يَبِينُ لَهُ مُحَاسِنَهُ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: «خَبَأْتُ لَكَ هَذَا، خَبَأْتُ لَكَ هَذَا».

والتعبير يراد به المسارعة إلى استرضاء مخرمة، وملاطفته ومداراته (لأنه كان في خلقه شدة)^(١)، والتكرار للتأكيد.

٣٢- ربيعة بن كعب الأسلمي (رضي الله عنه): «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»:

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٢).



ربيعة بن كعب الأسلمي (أسلم)، وصحب النبي ﷺ قديمًا، وكان محتاجًا من أهل الصفة، وكان يخدم رسول الله ﷺ^(٣).

يروى ربيعة أنه كان يبيت مع رسول الله ﷺ، فيأتيه بوضوئه وحاجته، فقال له النبي ﷺ: «سَلْ»، فقال: (أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ)، قال النبي ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، فقال ربيعة: هو ذاك، فطلب منه النبي ﷺ إذا أراد هذه المترلة الرفيعة مع النبي ﷺ أن يعينه على نفسه بكثرة السجود، وفي ذلك بيان بفضل

(١) تحفة الأحوذى (٨/ ٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩) كتاب الصلاة، باب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وأبو داود (١٣٢٠) كتاب الصلاة، باب وَقْتُ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، والنسائي في المجتبى (١٣٢٧) (كِتَابُ السُّجُودِ) باب (تَسْلِيمُ الْمَأْمُومِ حِينَ يُسَلِّمُ الْإِمَامُ).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٣١٣).

السجود، ومكانة المكثرين من السجود.

وقول النبي ﷺ: «أو غير ذلك؟» استفهام غرضه الاستعظام.

وفيه إشارة إلى أن مرافقته ﷺ في الجنة من الغايات العالية التي لا تنال إلا بالمواظبة على الطاعة، والإمعان في القرب.

وقوله ﷺ: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» الأمر فيه غرضه الحث والتحضيض، وكثرة السجود كناية عن الإكثار من الصلاة، وخصّ السجود؛ لأنه أعظم أركان الصلاة، وأكثرها ثواباً، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»^(١).

٣٣- عتبان بن مالك رضي الله عنه: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟»

عن مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ عِثْبَانَ بْنَ مَالِكٍ - وكان من أصحاب النبي ﷺ - مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْأَنْصَارِ - أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصْرِي، وَأَنَا أَصَلِّي لِقَوْمِي، فَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالِ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأَصَلِّيَ لَهُمْ، فَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِثْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» فَأَشْرَفْتُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَكَبَّرَ، فَصَفَّنَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ، فَثَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَشَنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قُلْنَا:

فَإِنَّا نَرَىٰ وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(١).



عُتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ (بن عمرو بن العجلان الأنصاري المدني الأعمى، وكان إمام قومه على عهد رسول الله ﷺ)^(٢).

طلب من النبي ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي بَيْتِهِ، فَيُصَلِّيَ لَهُ فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ، حَتَّى يَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَلَّى بِهِ وَبَيْنَ مَعَهُ رَكْعَتَيْنِ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَدَّمَ لِلنَّبِيِّ خَزِيرًا، وَهُوَ الْحَسَاءُ مِنَ الدَّسَمِ وَالْدَقِيقِ وَاللَّحْمِ الْمُقَطَّعِ، فَطَعَمَ الرَّسُولَ ثُمَّ انْصَرَفَ.

قال النبي ﷺ لعُتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ: «أَيْنَ تَحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» وَالِاسْتِفْهَامُ لِلْعَرْضِ، وَقَوْلُهُ: «مِنْ بَيْتِكَ»، جَاءَتْ (مِنْ) بِمَعْنَى (فِي)، وَالْحُرُوفُ تَتَنَاقَبُ الْمَعْنَى، فَيَقَعُ بَعْضُهَا مَحَلَّ بَعْضٍ، وَقَدْ جَاءَتْ (مِنْ) بِمَعْنَى (فِي) فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠، وَالْأَحْطَافُ: ٤٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَكَايُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ثُودِيَ لِلصَّلَوةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

٣٤- جَلِيلِيبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ»:

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْرَئِي لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٤٠١) كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ الْخَزِيرَةِ، وَمُسْلِمٌ (٣٣) كِتَابُ الْمَسَاجِدِ، بَابُ الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ.

(٢) التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ (٣/١٠٥٣).

من أَحَدٍ؟ قالوا: لَا، قال: «لَكِنِّي أَفْقَدُ جُلَيْبِيًّا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجِدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ، قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ، وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا^(١).



جليب، وهو غير منسوب، (روى حديثه أبو برزة الأسلمي في إنكاح رسول الله ﷺ إياه إلى رجل من الأنصار، وكانت فيه دمامة وقصر، فكان الأنصاري وامرأته كَرِهًا ذَلِكَ، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله من ذلك، فتَلَّتْ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقالت: رضيت وسلّمت لما يرضى لي به رسول الله، فدعا لها رسول الله: اللهم اصعب عليها الخير صَبًّا، ولا تجعل عيشها كَذَا^(٢)).

وكان جليبيب جُورًا مقدّمًا، فخرج مع النبي ﷺ في غزاة، فأبلى بلاءً حسنًا، وافتقده النبي بعد المعركة، فوجده في الشهداء، قتل سبعة ثم قُتل، فقال النبي ﷺ: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني، وأنا منه»، ثم رفعه بساعديه، فحفر له، ثم وضعه في قبره.

والجملة الأولى الفعلية (قتل سبعة): خبرية إنشائية المعنى، يراد بها التعجب والاستحسان لفعل جليبيب، وقوله: «هذا مني وأنا منه» (معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما، واتفقهما في طاعة الله تعالى)^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٢) كتاب الفضائل، باب من فضائل جليبيب.

(٢) الاستيعاب (١/٢٧٢، ٢٧١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٦).

٣٥- أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ليس بأحقَّ بي منكم»:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالْآخَرُ أَبُو رُفَيْهِ، إِمَّا قَالَ: فِي بَضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقْبَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقَنَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، وَكَانَ أَنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَغْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ -: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مِنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَفَضَّيْتُ، وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُطْعَمُ جَائِعُكُمْ، وَيَعْطَى جَاهِلُكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كَمَا نُؤَدِّي وَنُخَافُ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ، وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَمَا قُلْتَ لَهُ؟»، قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونَنِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ، وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ

هذا الحديث مِنِّي^(١).



أسماء بنت عميس (بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب بن مالك بن حخافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفل، وهو جماع خثعم)^(٢).

كانت من السابقات إلى الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب (ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى بن علي بن أبي طالب)^(٣).

دخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها بعد مقدمها من الحبشة، فقال عمر حين رأى أسماء: (أَلَحْشِيَّةُ هَذِهِ؟ أَلْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟)، قالت: نعم، قال: (سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ)، فغضبت أسماء وذهبت تشتكي عمر لرسول الله ﷺ، فقال لها: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان».

وقوله: «ليس بأحق» الضمير عائذ على عمر رضي الله تعالى عنه، والباء زائدة للتوكيد.

وقوله: «وله ولأصحابه هجرة واحدة» أراد النبي إرضاء أسماء وتطيب خاطرها، فقلل من نصيب عمر وأصحابه، إذ جمعهم معاً في هجرة واحدة: «له ولأصحابه» ثم قال: «ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان»، وضمير الفصل

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٠) كتاب المغازي، باب غزوة خير، ومسلم (٢٥٠٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب.

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٨٠).

(٣) الاستيعاب (٤/١٧٨٥).

«أنتم» للتوكيد والتخصيص، و«أهل السفينة» (بنصب «أهل» على الاختصاص، أو على حذف حرف النداء)^(١)، فيه تكريم لهم، وبيان لمكانتهم.

٣٦- أم سليم رضي الله عنها: «إني أرحمها، قُتِلَ أَخُوها مَعِي»:

- عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ لم يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «إني أرحمها، قُتِلَ أَخُوها مَعِي»^(٢).

- عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسٍ بِنِ مَالِكٍ»^(٣).



أم سليم (بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وهي الغميصاء، وقيل الرميضاء، واختلفوا في اسمها، فقليل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: أنيفة، تزوجها مالك بن النضر، فولدت له أنس بن مالك، ثم قتل فخطبها أبو طلحة.

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، فإن تُسَلِّم فذلك مهري، لا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة وتزوجها)^(٤).

لم يكن النبي يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فلما سئل عن ذلك قال: «إني أرحمها، قتل أخوها معي»، وأخوها هو حرام بن ملحان، وقتل ببئر معونة.

(١) عمدة القاري (١٧/٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهَّز غازيًا أو خلفه بخير.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٦) كتاب الفضائل، باب فضائل أم سليم.

(٤) صفة الصفوة (٢/٦٤، ٦٥).

وأخبر النبي ﷺ أن أم سليم من أهل الجنة، وأنه دخل الجنة فسمع خشفة (أي حركة وحساً) فسأل عنها، ف قيل له: «هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس ابن مالك».

ينقلنا رسول الله ﷺ معه إلى رحاب الجنة في صورة واقعية فريدة نرى فيها رسول الله ﷺ بين شعاب الجنة يتمشى تحت أشجارها الوارفة، فإذا به يسمع صوت أوراق الشجر تتكسر تحت أقدام شخص ما، فيسأل: «من هذا؟» وتخيّل الصحابة جلوساً حول رسول الله ﷺ، ونفوسهم متشوفة لمعرفة صاحب هذه الخشفة، هذا المحظوظ الساكن في رياض الجنة، وقلوبهم متوقفة في صدورهم شوقاً لتلك المغاني، وأبصارهم متعلقة بشفتي النبي ﷺ تنتظر أن ينطق باسم هذا السعيد، يقول النبي ﷺ: «قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك».

وقوله ﷺ: «أم أنس بن مالك» بيان لفضل الصحابي الجليل، ومكانته عنده، إذ نُسبت إليه أمه، وذكر باسمه في الملا الأعلى.



الباب الثالث

من شمائل النبوة

الفصل الأول

من أخلاق الرسول ﷺ

من أخلاق الرسول ﷺ

١ - رحمته وشفقته ﷺ:

* «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه».

- عن سليمان بن بريدة عن أبيه، أن النبي ﷺ صلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد، ومسح على خفيه، فقال له عمر: لقد صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، قال: «عمداً صنعتُهُ يا عمر»^(١).

- عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج من الخلاء، فقدم إليه طعام، فقالوا: ألا تأتيك بوضوء؟ فقال: «إنما أيزت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة»^(٢).

- عن جبير بن مطعم قال: تماروا في الغسل عند رسول الله ﷺ، فقال بغض القوم: أما أنا، فإني أغسل رأسي كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا، فإني أفيض على رأسي ثلاث أكف»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٧) كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، وأبو داود (٦٦٤) كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٦٠) كتاب الأطعمة، باب في غسل اليدين عند الطعام، والترمذي كتاب الأطعمة، باب في ترك الوضوء قبل الطعام، والنسائي في المجتبى (١٣٢) كتاب الطهارة، باب الوضوء لكل صلاة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤) كتاب الغسل، باب من أقاض على رأيه ثلاثاً، ومسلم (٣٢٧) كتاب الحيض، باب استحباب إفاضة الماء على الرأس وغيره ثلاثاً، وأبو داود (٢٣٩) كتاب الطهارة، باب الغسل من الجنابة، والنسائي في المجتبى (٢٥٠) كتاب الطهارة، باب ذكر ما يكفي جنب من إفاضة الماء على رأسه، وابن ماجه (٥٧٥) كتاب الطهارة،

- عن عطاء قال: أَعْتَمَ النبي ﷺ بِالْعِشَاءِ، فَخَرَجَ عُمَرُ فَقَالَ: الصَّلَاةُ بِأَرْسُولِ اللَّهِ، رَقَدَ النَّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ، فَخَرَجَ - وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ - يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ، وَقَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا: عَلَى أُمَّتِي - لَأَمَرْتَهُمْ بِالصَّلَاةِ هَذِهِ السَّاعَةَ»^(١).

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتَهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ^(٢) كُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

- عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه أبي قتادة، عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطَوَّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعَ بِكَاءِ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ»^(٤).

- عن جابر، ذَكَرَ قِصَّةَ مُعَاذٍ، قَالَ: وَقَالَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - لِّلْفَتَى: «كَيْفَ

= باب في الغسل من الجنابة.

(١) أخرجه البخاري (٧٢٣٩) كتاب التمني، باب ما يجوز من اللؤ، وأبو داود (٤٢٠) كتاب الصلاة، باب في وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، والنسائي في المجتبى (٥٣٢) كتاب المواقيت، باب ما يستحب من تأخير العشاء.

(٢) عند البخاري: مع.

(٣) أخرجه البخاري (٨٨٧) كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ومسلم (٦١٢) كتاب الطهارة، باب السواك، وأبو داود (٤٧) كتاب الطهارة، باب السواك، والترمذي (٢٢) كتاب أبواب الطهارة، باب ما جاء في السواك، والنسائي في المجتبى (٧) كتاب الطهارة، باب الرُّخْصَةُ فِي السَّوَاكِ بِالْعَشِيِّ لِلصَّائِمِ، وابن ماجه (٢٨٧) كتاب الطهارة، باب السواك.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٧) كتاب الصلاة، باب من أَحَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة، باب أَمْرُ الْأَيْمَةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، وأبو داود (٧٨٩) كتاب الصلاة، باب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ لِلْأَمْرِ بِخَدُّ، والترمذي (٣٧٦) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنِّي لَأَسْمَعُ بِكَاءِ الصَّبِيِّ فِي الصَّلَاةِ فَاخْفَفُ، والنسائي في المجتبى (٨٢٥) كتاب الإمامة، ما على الإمام من التخفيف، وابن ماجه (٩٨٩) كتاب إقامة الصلاة، باب الإمام يخفف الصلاة إذا حدث أمر.

تَضَعُ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا صَلَّيْتَ؟ قال: أَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَنِي لَا أَذْرِي مَا دَنَدَنْتُكَ، وَلَا دَنَدَنْتَهُ مُعَاذِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي وَمُعَاذًا حَوْلَ هَاتَيْنِ، أَوْ نَحْوِ هَذَا»^(١).

- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رضي الله عنها)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفَرِّضَ عَلَيَّكُمْ». وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ^(٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ فِي الصَّوْمِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَبْكُمْ مِنْهُ؟» إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَسْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ» كَالْتَنكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَسْتَهُوا^(٣).

- عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيهِ، وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ» فَقَالَ: لَسْتُ مِثْلًا يَا

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٢) كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، وابن ماجه (٩١٠) كتاب إقامة الصلاة، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٩) أبواب التهجد، باب تخريضي النبي ﷺ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَالْتَوَافُلِ مِنْ غَيْرِ إِيْجَابٍ، ومسلم (٧٦١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التَّزْيِيفِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، وأبو داود (١٣٧٣) كتاب الصلاة، باب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ شَهْرِ رَمَضَانَ، والنسائي في المجتبى (١٦٠٤) كتاب قِيَامِ اللَّيْلِ، باب قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٥) كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ومسلم (٢٦٢١) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم.

رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخسأكم لله، وأعلمكم بما آتاني»^(١).

- عن عمر بن أبي سلمة، أنه سأل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيَقْبَلُ الصَّائِمُ؟ فقال له رسول الله ﷺ: «سَلْ هَذِهِ» لِأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فقال له رسول الله ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ إني لَأَتَقَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَخْسَأُكُمْ لَهُ»^(٢).

- عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّاهُ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ [يَتَنَزَّهُونَ] عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ»^(٣) قَوْلَاهُ إني أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(٤).

- عن أبي قتادة: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ بْنُ الْكَافِرِ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ ﷺ يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ» أَوْ قَالَ: «لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ»، قَالَ كَيْفَ مِنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدًا؟» قَالَ: كَيْفَ مِنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: «ذَلِكَ صَوْمُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قَالَ: كَيْفَ مِنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: «وَيَدْرِي أَنِي طَوَّقْتُ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (١١١٠) كتاب الصيام، باب صحبة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، وأبو داود (٢٣٨٩) كتاب الصوم، باب فيمن أصبح جنباً في شهر رمضان.

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٨) كتاب الصوم، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة.

(٣) عند مسلم «يرغبون عما رخص لي فيه».

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٠١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يُكره من التعمق والتنازع في العلم والفكر في الدين والبدع، ومسلم (٢٣٥٦) كتاب الفضائل، باب عليه بالله تعالى وشدة خشية.

ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»^(١).

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَضْحَى بِالْمُصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ نَزَلَ مِنْ مَنِيرِهِ، وَأَتَانِي بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا عَنِّي، وَعَمَّنْ لَمْ يُصْخَرْ مِنْ أُمْنِي»^(٢).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمْرَةَ، فَقَالَتْ: صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ آيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْخُرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ» فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمَلُونَ مِنْهَا الْوَدَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَضْحَى بِالْمُصَلَّى لُحُومَ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا، وَادْخُرُوا، وَتَصَدَّقُوا»^(٣).

عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، وَأَنَا أَمُرُكُمْ بِهِنَّ، نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُزُّوهُنَّ، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكَرَةً، وَنَهَيْتُكُمْ

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس، وأبو داود (٢٤٢٥) كتاب الصوم، باب في صوم الدهر تطوعاً.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨١٠) كتاب الضحايا، باب في الشاة يضحي بها عن جماعة، والترمذي (١٥٢١) كتاب الأضاحي، باب العقيقة بشاة.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧١) كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخها وإباحة إلى متى شاء، وأبو داود (٢٨١٢) كتاب الضحايا، باب في حبس لحوم الأضاحي.

عن الأشرية أَنْ تَشْرَبُوا إِلَّا فِي ظُرُوفِ الْأَدَمِ، فَاشْرَبُوا فِي كُلِّ وَعَاءٍ، غَيْرَ أَنْ لَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكُلُوا وَاسْتَمْتِعُوا بِهَا فِي أَسْفَارِكُمْ»^(١).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَظَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتَ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَكَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: «دَرُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»^(٢).

- عن جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحَزْتُ هَا هُنَا، وَمِنِّي كُلُّهَا مَنَحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَا هُنَا، وَعَرَفْتُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَا هُنَا، وَجَمَعْتُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»^(٣).

- عن جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٩٨) كتاب الأشرية، باب في الأوعية، والناسي في المجنب (٤٤٢٩) كتاب الضحايا، الإذن في ذلك (أي الأكل من الضحايا بعد ثلاث).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، وأبو داود (١٩٣٦) كتاب المناسك، باب الصلاة بجمع.

(٤) أخرجه البخاري (١٢١) كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ومسلم (٦٥) كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وابن ماجه (٣٩٤٢) كتاب الفتن، باب لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، كلهم عن جرير، وأبو داود (٤٦٨٦) كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والناسي في المجنب (٤١٢٥) كتاب تحريم الدم، باب تحريم القتل، كلاهما عن ابن عمر، والترمذي عن ابن عباس (٢١٩٣) كتاب الفتن، باب ما

- عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ابْتَغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ»^(١).

- عن سَعْدِ بْنِ عَدِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدُ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَالِكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ عَلَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَالِكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» ثُمَّ عَلَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةً أَنْ يَكْبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٢).

- عن أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْنَّجَاءُ النَّجَاءُ، فَطَاعَهُ طَائِفَةٌ، فَأَذْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَتَجَّوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَاجْتَا حُهُمْ»^(٣).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَصْأَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ، وَيَغْلِبْنَهُ فَيَفْتَحِحْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْحَمُونَ فِيهَا»^(٤).

= جاء لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَنُصُكُم رِقَابَ بَنِي.

- (١) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤) كتاب الجهاد، باب في الإنصاف بِرُذُلِ الْخَيْلِ وَالضُّعَفَاءِ.
- (٢) أخرجه البخاري (٢٧) كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ومسلم (٦٨) كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه ليضعفه، وأبو داود (٤٦٨٥) كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.
- (٣) أخرجه البخاري (٦٤٨٢) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي.
- (٤) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل، باب شفته على أمته، والترمذي (٢٨٧٤) كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله.

- عن المِقْدَامِ الْكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ صَبْعَةً فَلِيَ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، وَأَنَا مَوْلَى مِنْ لَا مَوْلَى لَهُ، أَرِثُ مَالَهُ، وَأَكُلُ عَانَهُ، وَالْحَالُ مَوْلَى مِنْ لَا مَوْلَى لَهُ، يَرِثُ مَالَهُ، وَيَقُتُّ عَانَهُ»^(١).

- عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَجَلْتُكَ كَيْدًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَقِفَرُوا لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَمْنِي أَمْنِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: «يَا جَبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّمْهُ: مَا يُنْكِيكَ؟» فَأَنَاءَهُ جَبْرِيلُ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جَبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَرَضْنَاهُ فِي أَمْنِكَ وَلَا نَسْؤُوكَ»^(٢).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَأَرِيدُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِي دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

- عن أَبِي بَنْدٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً يَسُوءِي قِرَاءَةَ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ، دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: «إِنْ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ يَسُوءِي قِرَاءَةَ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ، فَحَسَنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ عَشَيْتَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفُضْتُ

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٠٠) كتاب الفرائض، باب في ميراث ذوي الأرحام.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان، باب دعاء النبي لأُمَّته، وبكائه شفقة عليهم.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٤) كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ومسلم (١٩٨) كتاب الإيمان، باب اختيار النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمَّته.

عَرَفَا، وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ ﷻ قَرَفَا، فَقَالَ لِي: «يَا أَبُيُّ، أُرْسِلْ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمْتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمْتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ أَقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَمْ يَكُلْ رَدَّةً رَدَدْتُكُمَا مَسْأَلَةً تَسْأَلْنِيهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمْتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمْتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ ﷺ»^(١).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ^(٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْلَافُهُ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ بِأَمْلِكِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى^(٣).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَضَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَيَّ مَسْكِينًا الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ، لَوْثُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِنْكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَفْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْرُو فَأَقْتُلُ، ثُمَّ أَغْرُو فَأَقْتُلُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٨٢٠) باب فضائل القرآن وما يتعلق به، يَبَيِّنُ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَيَبَيِّنُ مَعْنَاهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١) كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، والترمذي (١٩١٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والاخوات.

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٨٣) كتاب الزهد والرفائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، وأبو داود عن سهل (٥١٥٠) كتاب الأدب باب في من ضم اليتيم.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٧٦) كتاب الإمارة، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنُ =

- عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر قالوا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا إِجْدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] فسلمنا، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومفتسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرقت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودّع، فمأذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعصوا عليها بالتواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية فقتل، فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني، ولست منه»^(٢).

- عن عطاء بن أبي رباح، أنه سمع عائشة - زوج النبي ﷺ - تقول: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سربه، وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته فقال: «إني خشيت

= ماجة (٢٧٥٣) كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد في سبيل الله.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨) كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، والناسي في المجتبى (٤١١٤) كتاب تحريم الدم، التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية.

أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سَلَطَ عَلَى أُمَّتِي»، وَيَقُولُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ: «رَحْمَةٌ»^(١).

- عن ابن عباس، أَنَّ رَوْحَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَانِي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، إِنْ تَعَجَّبَ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ»، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ^(٢).

- عَنْ أُمِّ خَالِدِ بْنِتِ خَالِدٍ: أَنِي النَّبِيُّ ﷺ بِشِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «إِنْتَوْنِي بِأُمِّ خَالِدٍ» فَأَتِي بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَالْبَسَهَا، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلَقِي» وَكَانَ فِيهَا عِلْمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ:

«يَا أُمُّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاءٌ وَسَنَاءُ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنٌ»^(٣).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَغِيرَةٌ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَقَصَّتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أُمُّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَكَ؟»، فَقَالَتْ: مَالِي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩) كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨٣) كتاب الطلاق، باب شفاعَةِ النبي ﷺ في رَوْحِ بَرِيرَةَ، وأبو داود (٢٢٣١) كتاب الطلاق، باب في المملوكة تعتق وهي تحت حر أو عبد، والنسائي (٥٤١٧) كتاب آداب القضاة، شفاعَةُ الحاكم للخصوم قبل فصل الحكم، وابن ماجه (٢٠٧٥) كتاب الطلاق، باب خيار الأمة إذا اعتقت.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٣) كتاب اللباس، باب الخَمِيصَةِ السَّوْدَاءِ، وأبو داود (٤٠٢٤) كتاب اللباس، باب فيما يدعى لمن لبس ثوبًا جديدًا.

- «الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تُنَزَّعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ»^(١).
- عن عبد الله بن جعفر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَنَاهُمْ، فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ»، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي» فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي الْحَلَاقِ» فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا^(٢).
- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).
- عن جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَمَّا بَلْفُكُمُ أَنِي قَدْ لَعَنْتُ مِنْ وَسَمِ الْبَيْهَمَةِ فِي وَجْهِهَا، أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا» فَتَنَى عَنْ ذَلِكَ^(٤).



خلق الرحمة هو أعظم خلق زان رسول الله ﷺ، وصفه به ربه فقال:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَا رَحِمُوا مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِهِمْ لَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْتَفَ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (١٨٤٣) كتاب الجنائز، في البكاء على الميت.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٩٢) كتاب الترجل، باب في حلق الرأس.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٦) كتاب الجنائز، باب إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُغْرَسُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ، وأبو داود (٣٠٩٥) كتاب الجنائز، باب في عبادة الذمي.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٦٤) كتاب الجهاد، باب النَّهْيُ عَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ.

[آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»^(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قيل له: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعائنًا، وإنما بعثت رحمة»^(٢).

وكان إذا قام إلى الصلاة سُمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، فعن مطرف عن أبيه قال: (أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) يعني: يبيكي^(٣).

وإذا سمع القرآن من غيره ذرفت عيناه، فقد قرأ عليه ابن مسعود من سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال له: «حسبك»، فالتفت إليه ابن مسعود فإذا عيناه تذرفان^(٤).

لقد كان ﷺ بحق رحمة مهداة، ونعمة مسداة إلى الخلق جميعًا: إنهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، عاقلهم وبهمهم.

وتبدئ رحمة النبي ﷺ وشفقته بأمته، وتيسيره عليهم بصورة جليلة - في كثير من أحاديثه عن نفسه، ففيما يخص الطهارة نجد النبي ﷺ يعتمد أن يصلي يوم فتح مكة الصلوات الخمس بوضوء واحد، ويمسح على خفيه، فبلغ ذلك نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيسأل النبي ﷺ عن هذا الأمر الذي

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

(٣) أخرجه النسائي (١٢١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٥٠).

لم يره صنعه من قبل، يقول: لقد صنعتَ اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، فيجيبه النبي ﷺ: «عمداً صنعه يا عمر».

ولا شك أن تجديد الوضوء إذا كان ميسوراً أمر مستحب، وقول عمر (فيه) تصريح بأن النبي ﷺ كان يواظب على الوضوء لكل صلاة عملاً بالأفضل، وصلى الصلوات في هذا اليوم بوضوء واحد بياناً للجواز^(١).

وقدّم للنبي ﷺ طعام، وكان خارجاً من الخلاء لتوّه، فقالوا له: ألا تأتيك بوضوء؟ فقال: «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت للصلاة».

فأوضح أنه لا يجب الوضوء قبل الأكل، وإنما يُكتفى بغسل اليدين؛ لقول عائشة تصف فعل النبي ﷺ: كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه^(٢). ولا يقدح في ذلك ما روي عن النبي ﷺ بلفظ: «بركة الطعام في الوضوء قبله وبعده»^(٣) فهو حديث ضعيف^(٤)، ولا يُحمل الكلام فيه على افتراض صحته - إلا على سبيل الاستحباب.

وتمازى القوم في الغسل عند رسول الله ﷺ أي (تنازعوا فيه، فقال بعضهم صفته كذا، وقال آخرون: كذا)^(٥)، فأراد النبي ﷺ أن يبين للناس يسر الأمر وسهولته، وأن يبغضهم في التشديد والتعسير فقال: «أما أنا فأنى أبض على رأسي ثلاث أكف».

(١) عون المعبود (١/٢٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٥٤، ٦٧٣٧)، والصغرى (٢٥٦)، وابن حبان (١٢١٨)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦١)، والترمذي (١٨٤٦)، وغيرهم. وقال أبو داود: (ليس هذا بالقوي) وهو ضعيف، وقال الترمذي: (لا تعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع، وقيس بن الربيع يضعف في الحديث).

(٤) انظر الللة الضعيفة للألباني (٣٠٩/١).

(٥) شرح النووي (٩/٤).

وأخّر النبي ﷺ صلاة العشاء ذات ليل حتى رقد الناس، فخرج عمر رضي الله عنه ينادي: الصلاة يا رسول الله، رقد النساء والصبيان.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ، مغتسلًا ورأسه يقطر ماء، وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة».

وهذا يعني أن تأخير العشاء مستحب، وأن وقتها الأفضل هو حصول العتمة، وهي دخول ثلث الليل الأول، لكن النبي ﷺ كان يصليها في أول وقتها من باب الرفق بالناس، ورفع المشقة عنهم.

وعلى نفس النهج يأتي الحديث الذي يؤكد على فضل السواك، وأنه لولا حصول المشقة لأمر به النبي ﷺ عند كل صلاة، وفي رواية: «عند كل وضوء»^(١).

ويعطي النبي ﷺ درسًا بليغًا للأئمة الذين لا يراعون مقتضى حال المأمومين، فيخبرهم أنه يقوم في الصلاة يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي الذي اشتغلت عنه أمه بصلاتها، فيخفف من صلاته حتى لا يشق على أمه.

وفي ذات السياق تأتي قصة معاذ بن جبل الذي كان يصلي مع رسول الله ﷺ العشاء في مسجده، ثم يأتي مسجد قومه بني سلمة، فيصلي بهم، فيبطل في قراءته، يقرأ بالبقرة أو النساء.

قال جابر بن عبد الله: فتجوز رجل، أي: انفلت من الصلاة خلف معاذ، فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافق، فعلم الرجل بمقالة معاذ، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذًا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أنني منافق، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفتان أنت؟» ثلاثًا، «اقرأ: ﴿وَالْتَمِسْ وَحُصْنَهَا﴾»

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣١) كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم، والنسائي في الكبرى (٣٠٢٤).

[سورة النمل]، و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى] ونحوها^(١)، وفي رواية: «فلولا صليت بـ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى]، «وَالْأَشْمِيسَ وَحُصَّهَا» [سورة النمل]، «وَالْأَيْلَ إِذَا يَنْتَنَى» [سورة الليل]، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة»^(٢).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ سأل الرجل: «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟» فأخبر النبي أنه لا يقرأ سوى فاتحة الكتاب، ثم يسأل الله الجنة، ويستعذ به من النار، وأنه لا يدري ما الكلام الخفي الذي يقوله الرسول ومعاذ في صلاتهما.

فقال له الرسول ﷺ: «إني ومعاذًا حول هاتين أو نحو هذا» أي أن مجمل ما أدعوه به أنا ومعاذ لا ينفك عن هذين الأمرين: طلب الجنة، والتعوذ من النار.

وقام النبي يصلي في المسجد ذات ليلة ركعات نافلة، فاتمم به ناس، وصلوا بصلاته، وخرج في الليلة التالية فصلً، فكثر الناس من خلفه، فلما خرجوا من الثالثة والرابعة لم يخرج إليهم، وفي الصباح قال لهم: «قد رأيت الذي صنعتكم، ولم يمنني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم». ويفهم من قول الراوي في ختام الحديث: (وذلك في رمضان) أن هذه هي صلاة التراويح، وأن النبي ﷺ أشفق إن هو واظب على الخروج للقيام، وواظبوا هم على الالتزام به أن تفرض عليهم هذه الصلاة، فتكون عبئًا عليهم يضاف إلى الصلوات الخمس المفروضات؛ فيعجزوا عن أدائها، فيحاسبوا على التقصير فيها.

وقد توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر، والأمر على ذلك في صلاة التراويح، يخرج الناس فرادى، فيصلي كل منهم ما شاء الله له أن يصلي، أو يجتمع

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥).

بعضهم على قارئ، ويصلي آخرون في بيوتهم، حتى جاء عمر رضي الله عنه فجمعهم في المسجد على قارئ واحد هو أبي بن كعب رضي الله عنه؛ فلما رأهم مجتمعين يصلون بصلاة قارئهم قال: (نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله) ^(١).

وكان رسول الله ﷺ يواصل الصيام، أي يتابع الصيام يومين متالين، أو أكثر من غير إفطار بالليل، لكنه نهى الناس عن ذلك لئلا يكلفهم ما لا يطيقون، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل، قال: «وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

فلما رأهم لا يتنهون واصل بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا هلال شوال، فقال ﷺ: «لو تأخر لزدتكم» كالتمكيل لهم حين أبوا أن يتهوا.

وروى مسلم عن أنس أنه قال: «أما والله، لو تمادى لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم» ^(٢).

وجاء رجل يسأل النبي ﷺ عن حكم الإصباح جنباً في الصيام، فقال النبي ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم»، فقال الرجل: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب الرسول ﷺ، وقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي».

وقريب من ذلك هذا الرجل الذي أتى النبي ﷺ يسأله عن حكم القبلة للصائم، فأحاله إلى أم سلمة التي أخبرته أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له».

وبلغه ﷺ أن ناساً يتزهون عما يترخص هو فيه، فلأمهم على ذلك وقال:

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٤).

«فوالله إني أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية».

وأتى رجل يسأل النبي ﷺ: كيف تصوم؟ فغضب الرسول غضباً شديداً، وسب غضبه (أنه كره مسأله؛ لأن حاله لا يناسب حال النبي ﷺ في الصوم، فكان حقه أن يقول: كيف أصوم؟ ليجيبه بما هو مقتضى حاله كما أجاب غيره، وقيل: لأن فيه إظهار عمل السر)^(١).

فراح عمر يهدئ من غضب النبي قائلًا: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، وجعل يردد ذلك حتى سكن غضب النبي ﷺ، فسأله عمر عن يصوم الدهر كله، فقال ﷺ: «لا صام ولا أفطر» أي (أنه لم يحصل أجر الصوم لمخالفته، ولم يفطر لأنه أمسك)^(٢).

ثم سأل عمر رضي الله عنه عن يصوم يومين ويفطر يومًا، فقال النبي ﷺ: «ويطبق ذلك أحد؟» يستبعد أن يكون ذلك مستطاعًا.

فسأله عن يصوم يومًا ويفطر يومًا، فقال ﷺ: «ذلك صوم داود عليه السلام»، ولم يعلّق رسول الله ﷺ عليه؛ لأن سبق أن قرر أنه أفضل الصيام^(٣)، فسأل عن يصوم يومًا ويفطر يومين، فقال: «وددت أني طوّقت ذلك»، أي وددت أن كان ذلك في طاقتي.

ثم بشر النبي ﷺ أصحابه بعدد من المنح الإلهية التي يوهبون فيها الثواب والأجر من غير مشقة وبأدنى تكليف، ومنها: صيام ثلاث من كل شهر، وصيام رمضان، فهذا يعدل صوم الدهر. وصيام يوم عرفة الذي يكفر سنة قبله وسنة بعده. وصيام يوم عاشوراء، الذي يكفر سنة قبله.

(١) شرح السيوطي على مسلم (٣/٤٤٩).

(٢) فتح الباري (٤/٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٣١)، (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، وغيرهما.

ولا ينسى رسول الله ﷺ أمته أبداً، ولا سيما فقراؤهم وذوو الحاجة منهم، فيصلّي صلاة عيد الأضحى في المصلّى، ثم يخطب خطبته، وينزل عن منبره، فيؤتى له بكبش يذبحه بيديه، وهو يقول: «بسم الله والله أكبر، هذا عني، وعمّن لم يضع من أمتي».

ويُرد قوم من ضعفاء الأعراب المدينة زمن الأضحى، فيقول النبي لأصحابه: «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا» ينهاهم أن يأكلوا من لحوم الأضاحي بعد ثلاث؛ حتى يتصدقوا بها على ذوي الحاجة من أولئك الأعراب، ثم شكا له الناس بعد ذلك أنهم كانوا يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويذبيون دهنها فيدخرونه، فأخبرهم ﷺ أنه إنما نهاهم من أجل هذا الحدث العارض، ثم أباح لهم أن يأكلوا ويدخروا ويتصدقوا، ويستمتعوا بها في أسفارهم.

ونهى النبي أصحابه عن التشديد على أنفسهم بكثرة السؤال، فقد أهلك ذلك أقواماً من قبلهم، ثم قال: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»، وكان النبي قد أمرهم بالحج، فقال رجل: أكلّ عام يارسول الله؟ فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم».

وعندما حج رسول الله ﷺ حجه وقف في عرفة عند الصخرات، وأتى المزدلفة فوقف عند قَرْح، ونحر بمنى عند الجمرة الأولى التي تلي المسجد^(١).

وخشي الرسول أن يعتقد الناس أن هذه هي المواضع المشروعة فقط، وأنه لا يجوز النسك في غيرها مع ما في ذلك من تعسير على جموع الحجيج، فقال: «نحرت هاهنا، ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف، ووقفت هاهنا، وجَمَع كلها موقف».

وأمر النبي ﷺ جريراً أن يستنصت الناس، أي يأمرهم بالإنصات ليسمعوا

(١) انظر فتح الباري (٣/ ٥٥٢).

خطبته، فلما أنصتوا قال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» (وليس معنى قوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا» النهي عن الكفر الذي هو ضد الإيمان بالله ورسوله، وإنما المراد بالحديث النهي عن كفر حق المسلم الذي أمر به النبي ﷺ من التناصر والتعاقد)^(١).

وكان رسول الله ﷺ ينحاز دائماً للضعفاء، ويعمل على رعايتهم، ويتفقد أحوالهم، ويعيل فقيرهم، ويعدُّهم سبب الرزق والنصرة، لا بذواتهم، وإنما بدعائهم وصلاتهم، قال ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»^(٢).

ولم يكن رسول الله ﷺ يتوخى بعطاياه من يحب من المؤمنين، بل ربما حرم بعض هؤلاء، ووكلمهم إلى إيمانهم، وقصد بعطائه المؤلفة قلوبهم، ومن يخشى عليهم من حديثي العهد بالإسلام، وهذا هو معنى قوله ﷺ: «إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليَّ منه، خشية أن يكبه الله في النار».

وحذر الرسول ﷺ من مغبة عصيانه، وعدم الاستجابة لما يأمر به، وعدم التجاوب مع محاولاته لإنقاذ الأمة من النار، فإن ذلك أشبه بمن يتغافل عن الخطر المحدق به، وعن اليد التي تمتد إليه، ويلقي بنفسه عامداً في اللهب المحرق، وأمام ناظره سبيل النجاة المحقق.

لقد أعلن الرسول ﷺ في وضوح أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم مصداقاً لقول المولى ﷺ: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، فمن مات وعليه دين مستحق، فعلى النبي قضاؤه، ومن كانت له ذرية ضعفاء

(١) شرح ابن بطلال (١٨/١٠).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٣١٧٨).

فعلى النبي كفالتهم، ومن ترك مالا فلورثته، والنبي مولى من لا مولى له، أي حافظ وناصر من لا حافظ ولا ناصر له، ووارث من لا وارث له، يرث ماله، ويخلص أسيره.

فإن لم يوجد للميت ورثة إلا الخال فهو وارث من لا وارث له، يرث ماله، ويطلق أسيره.

وكان النبي ﷺ أول الأمر (لا يصلي على من مات وعليه دين لم يخلف له وفاة؛ لثلاً يتساهل الناس في الاستدانة ويهملوا الوفاء، فزجرهم عن ذلك بترك الصلاة عليهم، فلما فتح الله على المسلمين مبادئ الفتوح قال ﷺ: «من ترك ديناً فعلي»^(١).

تلا النبي يوماً قول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّارِ فَعَنِّي فَإِنَّهُ يَمُنُّ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عَادَكُ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ثم رفع يديه إلى السماء داعياً: «اللهم أمتي أمتي» وبكى، فقال الله لجبريل: «يا جبريل اذهب إلى محمد، وريك أعلم، فسله: ما يبكيك؟ فجاءه جبريل فسأله فأخبره بما قال، فقال الله ﷻ: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»، ولذلك اختبأ النبي ﷺ بدعوته المستجابة عند ربه، لتكون شفاعته لأمة يوم القيامة.

ذلك أن النبي ﷺ تضرع إلى ربه يوماً أن يهون على أمة قراءة القرآن، وألح على ربه، وراجعته ثلاث مرات، حتى أوحى إليه أن اقرأه على سبعة أحرف، وقال له: «فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي»، وادخر الثالثة ليشفع بها لأمة يوم القيامة.

وتوالى المبشرات والرحمات من رسول الله ﷺ، فيبلغنا أن من تكفل ببنتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة مرافقاً لرسول الله ﷺ، وأن من كفل يتيماً

كان ملاصقًا للنبي في الجنة كما صبيه السبابة والوسطى، وأن من خرج مجاهدًا في سبيل الله ييقين واستشهد، فله الجنة، ومن رجع سالمًا فله الأجر والغنيمة.

وليعظم لنا أجر الجهاد والشهادة أخبرنا ﷺ أنه ما كان يود أن يتخلف عن سرية تغزو في سبيل الله، لولا أن ذلك يشق على بعض المسلمين الذين يريدون مرافقته ولا يجد هو سعة فيحملهم، ولا يجدون هم سعة فيحملون أنفسهم، ثم أقسم: «والذي نفسي بيده، لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل».

وفي هؤلاء الفقراء المؤمنين نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِيْزُهُمْ تَفِيْضٌ مِّنَ الذَّمِّ حَزَنًا أَلَّا يَحْمِلُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢).

ومن هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه، الذي روى عن رسول الله ما يؤكد حرصه على اجتماع كلمة المسلمين، وخوفه من أن تمزقهم الفتن، فذكر أنه أوصاهم بتقوى الله، وطاعة الأمراء، وإن وُلِّي عليهم عبد حبشي، وتجنب الخلاف، ومحدثات الأمور، والتمسك بسنة النبي ﷺ، وخلفائه الراشدين.

وهو ما أكدته رواية أبي هريرة عن الرسول ﷺ أن من خلع الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن دعا لعصية فقتل، قتل قتلة جاهلية، ومن خرج على الأمة يضرب البر والفاجر، لا يتحاشى المؤمن، ولا يفى بالعهد فليس من سنة النبي في شيء، وليس النبي منه في شيء.

وكان ﷺ شديد الخشية من أن يُسلط على أمته عذاب، فإذا رأى الغيم والريح أصابه القلق، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُري عنه، وقال: «رحمة».

وبلغ من رفق النبي بأصحابه، وتبعه لأحوالهم، وتأثره بأحزانهم أنه رثى

لمغيث، وكان عبدًا متزوجًا من بريرة مولاة عائشة، فلما كاتبت بريرة على حريتها، وصارت حرة، أصبح من حقها أن تختار بين البقاء في عصمة زوجها العبد، أو أن تفارقه، فاختارت مفارقة مغيث، فحزن لذلك حزناً شديداً، وصار يتبعها في طرقات المدينة يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي لعمه العباس: «يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً» ثم دعا بريرة لمراجعته، فقالت له: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع»، فقالت: لا حاجة لي فيه.

وأتي النبي ﷺ بشياب فيها خميصة صغيرة، وهي الكساء الأسود المعلم، فقال لأصحابه: «من ترون أن نكسوه هذه؟» فلما سكتوا، قال لهم: «انتوني بأم خالد^(١)»، فأتي بها محمولة، فألبسها الكساء وقال: «أبلي وأخلفي»^(٢)، ثم نظر إلى أعلام الخميصة وقال لها: «يا أم خالد هذا سناه»، وكلمة (سناه) كلمة حبشية تعني: حسن.

وكان رسول الله ﷺ رحيماً بالأطفال، ينفطر قلبه إذا رآهم يكابدون أُمماً، فقد رُوي أن رسول الله ﷺ حمل ابنة صغيرة له وهي تحتضر، فقضت بين يديه، فبكى، وكانت أم أيمن حاضته فبكت، فقال لها: «يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله عندك؟»، قالت: لم لا أبكي ورسول الله يبكي؟ فقال ﷺ: «إني لست أبكي، ولكنها رحمة».

وسئل عن بكائه مرة أخرى قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٣).

(١) هي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص، ولدت بالحشة، ولم تزل بها حتى قدمت المدينة مع أبيها في السفيتين. انظر: طبقات ابن سعد (٢٣٤/٨)، والإصابة (٢٠٠/٨).

(٢) هو كلام معروف عند العرب معناه الدعاء بطول البقاء، قال صاحب الأفعال: (يقال: أبلي وأخلفه، أي عش فخرق ثيابك وأرقها). شرح ابن بطل (٥/٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣)، وغيرهما.

وذهب الرسول ﷺ إلى آل جعفر بن أبي طالب بعد ثلاث من وفاته، فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم» ثم دعا أولاده، فجيء له بهم كأنهم أفرخ، فأمر باستدعاء الحلاق، فحلق لهم رؤوسهم.

ولم تسع رحمة النبي ﷺ المؤمنين فحسب بل وسعت الكفار، فقد روي أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأثاء يزوره، فقال له: «أَسْلِمَ»، فنظر الغلام إلى أبيه، فأمره أبوه أن يطيع النبي ﷺ، فأسلم الفتى، فخرج النبي من عنده وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وبلغت رحمته ﷺ البهائم، فقد روى جابر أن النبي ﷺ مر على حمار وسم في وجهه، فشد في النهي عن ذلك قائلاً: «أما بلغكم أنني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها».



قال رسول الله ﷺ لعمر وهو يسأله عن أدائه الصلوات جميعاً يوم الفتح بوضوء واحد، ومسحه على الخفين: «عمداً صنعت يا عمر»

وكلمة «عمداً» تمييز، وقد قدم للتخصيص ولتقرير شرعية هاتين المسألتين: أداء الصلوات الخمس بوضوء واحد، والمسح على الخفين، والضمير في الفعل عائد عليهما.

وعرض على النبي الوضوء قبل الطعام فقال: «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة».

والأسلوب أسلوب قصر أداته (إنما) واستخدام الفعل المبني للمجهول للدلالة على أن النبي ﷺ لا يأتمر بأمر نفسه، ولا يشرع من عند نفسه، وإنما يصدر في كل أمر عن ربه.

قال رسول الله ﷺ وقد تمارى الناس عنده في الغسل: «أما أنا فأنى أفيض

على رأسي ثلاث أكف».

و(أمّا) هي التفصيلية الشرطية، وجوابها مقترن بالفاء وجوبًا، وقوله: (أفيض) يشير إلى السهولة واليسر، وقوله: (ثلاث) لإرادة التقليل.

والجملة كلها تفيد الإضراب عن كل الآراء والجذليات بالقول الفصل لرسول الله ﷺ.

صدر النبي ﷺ حديثه عن فضيلة تأخير صلاة العشاء، واستخدام السواك عند كل صلاة بعبارة: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم»، وقوله: «لولا» كلمة لربط امتناع الثانية لوجود الأولى، نحو لولا زيد لأكرمتك، أي لولا زيد موجود^(١).

و«أن أشق» مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ، وخبره محذوف وجوبًا، والتقدير لولا المشقة موجودة.

واتصال الجواب باللام يفيد التوكيد، وهو الأفضل لأن الفعل ماض مثبت.

وقوله: (لأمرتهم) توكيد لفضيلة تأخير الصلاة، واستخدام السواك الذي كاد أن يصل للأمر لولا المشقة، ورواية (مع كل صلاة) أقوى من (عند كل صلاة) في إفادة الظرفية الزمانية، لأن (مع) حين تكون مضافة تفيد (ثلاثة معان: أحدها موضع الاجتماع، ولهذا يخبر بها عن الاجتماع، والثاني: زمانه نحو جئتكم مع العصر، والثالث: مرادفة عند)^(٢).

وقال ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة»: والمراد بالقيام هنا: الدخول بدليل استخدام حرف الجر في.

«أريد أن أطول» جملة حالية.

(١) عمدة القاري (٦/ ١٨٠).

(٢) مغني اللبيب (١/ ٤٣٩).

«فأسمع بكاء الصبي» أي صوت بكاء الصبي، فالبكاء (إذا مددت أردت به الصوت الذي يكون معه، وإذا قصرت أردت خروج الدمع، وهاهنا ممدود لا محالة بقرينة (فأسمع)، إذ السماع لا يكون إلا في صوت^(١).

«فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»: والمراد بالتجوز التخفيف في القراءة، و(كراهية) مفعول لأجله منصوب، مضاف إلى المصدر المؤول. وهاهنا صورة واقعية بديعة على اختصارها، إذ نصحب فيها رسول الله ﷺ في مسجده العظيم يؤم أصحابه رجالاً ونساءً، ويقوم إلى الصلاة، فيدخل فيها ونيتة التطويل، لموافقة ذلك لمزاج أصحابه، وقد جاء في رواية عن أبي السوداء النهدي، عن ابن سابط أنه ﷺ (قرأ في الركعة الأولى بسورة نحر ستين آية، فسمع بكاء الصبي، فقرأ في الثانية بثلاث آيات)^(٢).

سمع النبي بكاء الصبي الذي فجع لانشغال أمه عنه في الصلاة، وأحس النبي بلهفتها عليه، وجزعها لبكائه، فرثى لهما معاً، وخفف من صلاته لكيلا يشق عليهما.

قال رسول الله ﷺ للفتى الذي ترك معاذاً حين أطال في قراءته، وصلى وحده، وانصرف: «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟».

والمراد بالاستفهام التلطف والتعجب، بدليل قوله ﷺ: «يا ابن أخي»، أراد التخفيف من الترويع الذي أصابه حين رماه معاذ بالنفاق.

فلما أخبره الفتى أنه لا يقرأ غير فاتحة الكتاب، ويسأل الله الجنة، ويعوذ به من النار - قال له رسول الله ﷺ:

«إني ومعاذًا حول هاتين، أو نحو هذا»: وخبر إن محذوف جوازاً، والتقدير (إني ومعاذًا ندندن حول هاتين - أي: الجنة والنار، و«حول» منصوب على

(١) عمدة القاري (٢٤٥/٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٨٠).

الظرفية، والعامل فيه الخبر المقدر، وقوله: «أو نحو هذا»، شك من الراوي^(١).

قال رسول الله ﷺ - حين نهى أصحابه عن الوصال، فقالوا له: إنك تواصل -: «وأیکم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

والاستفهام غرضه التوبيخ والاستبعاد، وقوله: «أبيت» ليس المراد به التوقيت في الليل؛ لأن الإمساك لا يكون إلا نهارًا، وإنما المراد مطلق الكون، أي أكون.

وقوله: «يطعمني ربي ويسقيني» يحتمل أنه أريد به الحقيقة، على سبيل المعجزة، ويحتمل أنه أراد (الكناية عما يخلق الله له من القوة على الصيام، التي تقوم قيام الطعام والشراب، فلا يتأذى بالوصال)^(٢). وهذا هو الراجح إذ (لو كان طعامه وشرابه من الطعام والشراب المعتادين لما كان مواصلاً، ولكان مفطراً)^(٣)، والله أعلم.

قال النبي ﷺ لمن قالوا له: لست مثلنا: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أُنقي»، وقال لمن يتنزهون عما يترخص فيه: «فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية».

والقسم للتوكيد، واستخدام أفعال التفضيل للدلالة على بلوغه أعلى الدرجات في هاتين الصفتين، والخشية إشارة إلى القوة العملية، والعلم إشارة إلى القوة العلمية، (أي هم يتوهمون أن رغبتهم عما فعلت أفضل لهم عند الله، وليس كما توهموا، إذ أنا أعلمهم بالأفضل، وأولاهم بالعمل)^(٤).

(١) شرح أبي داود للبعيني (١٥٤/٣).

(٢) المتقى شرح الموطأ (٦٠/٢).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) عمدة القاري (٣٩/٢٥).

وقال النبي ﷺ في حق من يصوم الدهر: «لا صام ولا أفطر» وقد يكون المراد النفي كقوله تعالى: ﴿فَلَا مَلَقَ وَلَا مَزَلَّ﴾ [القلم: ٣١]، أو يكون المراد الدعاء عليه، كقوله ﷺ لمن لم يأكل بيمينه: «لا استطعت».

وقوله ﷺ فيمن يصوم يومين ويفطر يوماً: «ويطيق ذلك أحد؟»، هو استفهام غرضه الاستبعاد.

أمّا قوله فيمن يصوم يوماً ويفطر يوماً: «ذاك صوم داود عليه السلام»، فهو كناية عن فضل ذلك النوع من الصوم، وعظم جزاء من يفعله.

قال ﷺ لأصحابه، وهو يبيح لهم الأكل من الضحايا والادخار والتصدق بعد أن كان نهاهم عن الادخار منها فوق ثلاث: «إنما نهيتكم من أجل الدافّة التي دفت، فكلوا، وادخروا، وتصدقوا».

والقصر في الجملة الأولى للتوكيد، والأمر: «كلوا» و«ادخروا» و«تصدقوا» للإباحة.

و«الدافّة» هم (القوم يسرون جماعة سراً ليس بالشديد، يقال: هم يدفون دفاً)^(١)، وعنى بذلك قومًا مساكين من الأعراب قدموا المدينة.

(قال الزمخشري: دفت عليهم دافّة من الأعراب: قدم عليهم جمع يدفون للنجعة وطلب الرزق)^(٢).

قال رسول الله ﷺ لجبرير بن عبد الله في حجة الوداع: «استنصت الناس»، وفيه إشارة لأهمية ما سيقوله النبي ﷺ، وتعظيم لحديثه.

وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»: المراد: لا ترجعوا بعدي كالكفار، فهو تشبيه محذوف الأداة، والفعل (يضرب): مرفوع

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٦٦/٨).

(٢) تاج العروس (٣٠٣/٢٣).

على الأرجح وقيل: إن فيه وجوهاً (أحدها: أن يكون صفة لكفار، أي: لا ترجعوا بعدي كفاراً متصفين بهذه الصفة القبيحة، يعني ضرب بعضكم رقاب الآخرين.

والثاني: أن يكون حالاً من ضمير: لا ترجعوا، أي: لا ترجعوا بعدي كفاراً حال ضرب بعضكم رقاب بعض.

والثالث: أن يكون جملة استئنافية، كأنه قيل: كيف يكون الرجوع كفاراً؟ فقال: يضرب بعضكم رقاب بعض^(١).

قال رسول الله ﷺ: «أبغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم» (أبغوني) بالوصل، أي: اطلبوا إليّ الضعفاء، وقد تكون بالقطع (أبغوني) أي: أعينوني على طلب الضعفاء.

«فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»: «فإنما ترزقون» أسلوب قصر، وبناء الفعلين للمجهول «ترزقون وتُنصرون» دلالة على التسليم الكامل بأن الرزق والنصرة بيد الله وحده.

«بضعفائكم» الباء للسببية، والمراد بالضعفاء الفقراء، والمعنى: (بسبب كونهم بين أظهركم، أو بسبب رعايتكم ذمامهم، أو ببركة دعائهم، والضعيف إذا رأى عجزه وعدم قوته تبرأ من الحول والقوة بإخلاص، واستعان بالله، فكانت له الغلبة)^(٢).

قال رسول الله ﷺ لسعد حين زكّى أمامه رجلاً بقوله: إني لأراه مؤمناً، قال: «أو مسلماً» وفي الكلام حذف تأويله: بل قل مسلماً، وهو نهي عن الحكم بواطن الأمور، ودعوة إلى الاكتفاء بالظاهر، فـ (أو) هنا للإضراب بمعنى: بل.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/١٨٧).

(٢) فيض القدير (١/٨٢).

وقيل: إنها (التي للتقسيم والتنويع، أو للشك والتشريك، ومن فَتَحَهَا أخطأ، وأحال المعنى) (١).

«إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليّ منه»: «الرجل» التعريف دال على القصد والاختيار، وجملة «وغيره أحب إليّ منه» جملة حالية.

وقوله: «أن يكبه الله في النار» إشارة إلى من يمتنع عن الإسلام إلا بالعطاء.

قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله كمثله رجل أتى قومًا»، وقال: «إنما مثلي ومثل الناس كمثله رجل استوقد نارًا»

وكلا القولين تشبيه تمثيلي: شبه النبي ﷺ في الأول نفسه وقد بعثه الله لينذر قومه، فأمن به بعض، وكفر به بعض - برجل أتى ينذر قومه من عدو يدهمهم، وأخبرهم أنه رأى الجيش بنفسه، وطلب منهم أن يسارعوا بالنجاة، فصدقه قومٌ فنجوا بأنفسهم، وكذبت طائفةٌ فاجتاحهم الجيش فقتلهم عليهم. والتشبيه يلمس واقع البيئة العربية في ذلك الزمان بشدة، ويطرق أسماع المتلقين، ويحشد أذهانهم بصور عاشوها من قبل، وأثرت فيهم وعليهم. يقول النذير: رأيت الجيش بعيني، وقوله: (بعيني) أراد به تأكيد صدقه، ومعايته للأمر بنفسه.

وقوله: «وإني أنا النذير العريان» جملة اسمية مؤكدة بأن، والأسلوب أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل، وفيه تشبيه شبه فيه النبي نفسه بالنذير العريان. وهو مثل عربي يضرب (لكل أمر تخاف مفاجأته، ولكل أمر لا شبهة فيه) (٢).

والنذير العريان، من العُري (وذلك أن الربيئة للقوم إذا كان على مكان

(١) عمدة القاري (١/١٩٤).

(٢) مجمع الأمثال (١/٤٩).

عالٍ فبصر بالعدو - نزع ثوبه، فألاح به ينذر، فيبقى عرياناً، وقال بعض أهل اللغة: عُري النذير أبلغ في الإنذار؛ لأن الجيش إذا رأوه عرياناً علموا أن الأمر عظيم، وأنشدوا:

ليس النذيرُ الذي يأتيك مؤتزرًا مثلَ النذير الذي يأتيك عُرياناً^(١)

ورُويت في مورد المثل روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى.

وقوله ﷺ: «فالنجاء النجاء»: أسلوب إغراء، وفيه مزيد من الإنذار، والتخويف من الهلكة.

قوله: «فأطاعه طائفة»، و«كذبت طائفة» بين العبارتين مقابلة مؤكدة للمعنى، وازدواج إيقاعي لطيف.

أما التشبيه التمثيلي الثاني، فيشبه النبي ﷺ فيه نفسه، وهو يحاول أن ينقذ الناس من النار، والناس وهم يصرون على اقتحامها - برجل استوقد ناراً، فلما سطع ضوءها راح الفراش والهوام يقعن فيها، والرجل يحاول أن ينزعهن، فيغلبنه ويقتحمن فيها.

ويُلَمَح بداية الاقتباس من القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿أَسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ [البقرة: ١٧].

ثم يأتي تشبيه المعرضين عن الهدى بالفراش والهوام التي تنجذب إلى النار مغترّة بالضوء، غير عابئة بالهلاك الذي ينتظرها - معبراً بقوة عن حال الكافرين الذين يرفضون ما جاء به النبي، ويصرون على ضلالهم، غارقين في شهواتهم، غير ملتفتين إلى المصير الأسود الذي ينتظرهم.

ويعلق النبي ﷺ على ذلك: ملتفتاً من الغيبة إلى الخطاب قائلاً: «فأنا آخذ بحُجُزكم عن النار، وأنتم تقحِمون فيها»:

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٤٠٨، ٤٠٩).

كلمة «أَخَذَ» رويت بوجهين:

الأول: اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال.

والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين، والأول أشهر وأكد، وكلاهما صحيحان.

«بَحُجْزُكُمْ» جمع مفردة حُجْزة، والحجزة: هي معقد السراويل والإزار.

والجملة كناية عن الإنقاذ والإبعاد.

وكلمة «النار» مجاز مرسل علاقته المسيبية.

قال ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديناً أو ضيعة فإلينا، ومن ترك مالا فلورثته» وفي العبارة أسلوباً شرطاً مُصَدَّرَانِ بـ (مَنْ) الشرطية الدالة على العموم، والمراد بالضيعة العيال، وهو (وصف لورثة الميت بالمصدر، أي: ترك أولاداً أو عيالاً ذوي ضياع، أي: لا شيء لهم)^(١).

«أفك عانه» أي: (أخلّص أسيره بالفداء عنه، وأصله: عَانِيَهُ، حذف الياء تخفيفاً)^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة»، وفي رواية: «لكل نبي دعوة مستجابة»^(٣).

وليس المراد من ذلك أن النبي له دعوة واحدة مجابة بل المقصود أن لكل نبي دعوة، أي: متيقنة الإجابة بخلاف سائر ما يدعون به، فإنه على الرجاء، وقد لا يجاب بعضه^(٤).

«أختبى دعوتي»، وماضيه اختبأ يتعدى بنفسه كما ورد هنا، وكحديث

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/٦١).

(٢) عون المعبود (٧٧/٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

(٤) الدياج على صحيح مسلم (١/٢٦٨).

عثمان: «وقد اختبأت عند الله عشرًا إني لرايع الإسلام»^(١) أي: ادخرتها.

ويتعدى بحرف، كقولي: اختبأت منه، أي استترت.

وقد مُنح النبي ثلاثًا يسأل بهن ربه، فقال في اثنتين: «اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي» ثم قال: «وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم».

وتكرار الدعاء للتوكيد، وقيل: أراد بالأولى الدعاء لأهل الكبائر، وبالثانية الدعاء لأهل الصغائر.

«وأخرت الثالثة» والثالثة هي الشفاعة الكبرى.

«ليوم يرغب إليّ الخلق» كناية عن يوم القيامة.

«حتى إبراهيم» دليل على رفعة إبراهيم بين الأنبياء، وتأکید على فضل النبي على سائر الأنبياء، وانفراده بحق الشفاعة الكبرى.

قال النبي ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه.

قوله: «من عال جاريتين» أي كَفَلَهُمَا، أفاد العموم، فلم يحدد ما إذا كانت الجاريتان ابنتي العائل، أو أختيه، أو ربيتيه، فالحديث يشمل كل ذلك.

وقوله: «جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه.

جملة حالية، والمعنى: جاء مصاحبًا لي، وهي كناية عن دخول فاعل ذلك الجنة، ورفعة منزلته بقربه من النبي ﷺ.

وقريب منه قوله عن كافل اليتيم: «أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى، وهو كناية أيضًا عن القرب الملاصق لرسول الله ﷺ في الجنة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٤/٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٠٨).

قال رسول الله ﷺ: «ما من كَلِمٍ يُكَلِّمُ في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كَلِمَ، لونه لون دم، وريحه مسك».

ينقل إلينا رسول الله ﷺ في العبارة السابقة صورة للشهداء يوم القيامة حين يحشرون إلى ربهم بجراحاتهم حية ندية كيوم كَلِمْتُ، فيُعرفون بين الخلق كلهم بهذه الأوسمة الرفيعة، ويُطَوَّقون إلى جوار ذلك تكريماً أعلى، فبينما يظل لون جراحهم لون الدم يكون ريحها ريح المسك. وكل ذلك كناية عن علو منزلة الشهيد عند ربه.

وقوله ﷺ: «لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل» كناية عن عظم أجر الشهيد، وسمو مكانته.

قال رسول الله ﷺ: «فعليكم بستي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين» و«عليكم» اسم فعل أمر بمعنى: الزموا، والأمر للحث والتحضيض. وقوله ﷺ: «عُضُّوا عليها بالنواجذ» كناية عن التمسك الشديد والالتزام الكامل، وهي توحى بأهمية السنة، وضرورة التمسك بها، والعمل بمقتضاها بعد كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رسول الله ﷺ، حين سئل عن سر قلقه حين يرى الريح والغيم: «إني خشيت أن يكون عذاباً سُلِّطَ على أمتي»، والجملة مؤكدة بأن، وهي دليل على عدم علم النبي ﷺ الغيب، إلا ما شاء الله. وجملة «سُلِّطَ على أمتي» صفة للعذاب، واستخدام الفعل المبني للمجهول للترهيب من العذاب، والتهويل من شأنه.

وقوله ﷺ حين يرى المطر: «رحمة» فيه حذف، فهو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذا رحمة، والحذف للتركيز على الخبر، وبيان أهميته.

(وفي رواية: «ويقول إذا رأى المطر: رحمة» بالنصب، أي: اجعله رحمة

لا عذاباً^(١).

وعلى الرواية الثانية تكون «رحمة» جملة طلبية فعلها محذوف تقديره: ارحم، وغرضها الدعاء والرجاء.

قال النبي ﷺ لعمة العباس: «يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً؟»: والنداء للتنبيه، والاستفهام للتعجب، وكلمتا (حب، وبغض) بينهما طباق، وهما مصدران عاملان عمل الفعل.

وقول النبي ﷺ: «لو راجعته» فيه حذف، والمعنى: لو راجعته لكان خيراً، والغرض من الجملة الشفاعة.

وقوله ﷺ: «إنما أنا أشفع» أسلوب قصر بإنما وضمير الفصل المتكلم، واستخدام المضارع للدلالة على استمرار الشفاعة وتجديدها.

قال النبي ﷺ وقد جاءته خميصة صغيرة: «اثوني بأمر خالد» واستخدام الكنية للتدليل والتحبب.

ثم قال حين ألبس الصغيرة الخميصة بيديه الشريفتين: «أبلي وأخلفي» وهو أمر غرضه الدعاء.

قال ابن بطال: (من روى: «أخلفي» بالقاف، فهو تصحيف، والمعروف من كلام العرب: أخلفي بالفاء، يقال: خلفت الثوب، إذا أخرجت باليه ولفقته، ويقال: أبل وأخلف، أي: عس فخرق ثيابك وارقعها، هذا كلام العرب، وقد روى داود، عن عمرو بن عون، عن ابن المبارك، عن الجريري، عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً، قيل له: تبلي ويخلف الله^(٢)).

(١) مرقاة المفاتيح (٣/٥٦٣).

(٢) شرح ابن بطال (٩/١١٧، ١١٨).

ولم يعده العيني تصحيحاً، وإنما اعتبرهما روايتين مقبولتين، وإن رجح الرواية بالفاء، قال العيني: (يُروى بالقاف والفاء، فالقاف من إخراج الثوب تقطيعه، وقد خلق الثوب وأخلق، وأما الفاء، فيمعنى العوض والبدل، وهو الأشبه)^(١).

وقال النبي ﷺ لأم خالد: «يا أم خالد، هذا سناه».

والنداء للتحجب، وقوله: «هذا سناه» لاستمالة قلبها، والتقرب إليها، لأنها ولدت بالحبشة، وتفهم بعض لغة أهلها.

قال رسول الله ﷺ لأم أيمن حين رآها تبكي ابنته المحتضرة: «يا أم أيمن، أتبكين ورسول الله عندك؟»

وفي النداء تنبيه، والاستفهام غرضه التعجب.

وقال رسول الله ﷺ: «إني لست أبكي، ولكنها رحمة»

وليس المراد نفي مطلق البكاء، وإنما نفي البكاء للجزع والسخط.

قال النبي ﷺ لآل جعفر بعد ثلاث من وفاته: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»

وهو نهى عن البكاء بعد ثلاث، وكلمة: «أخي» تعظيم لمكانة جعفر في نفس رسول الله ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «ادعوا لي الحلاق» فحلق للصبية رؤوسهم.

وحلّق رؤوس الصبية، ضرب من المواساة والتراحم.

قال أبو الحسن القاري: (وإنما حلق رؤوسهم مع أن إبقاء الشعر أفضل إلا بعد فراغ أحد النسكين على ما هو المعتاد على الوجه الأكمل - لما رأى من اشتغال أمهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم بما أصابها من قتل

زوجها في سبيل الله، فأشفق عليهم من الوسخ والقمل^(١).

رأى النبي ﷺ حماراً وُسم في وجهه، فقال: «أما بلغكم أنني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها»

والهمزة للاستفهام، والاستفهام غرضه اللوم والتأنيب.

واستخدم النبي ﷺ المصدر المؤول ليكون أكد من الصريح، «أنني قد لعنت» والجملة مؤكدة بـ (أن)، والفعل مؤكد بـ (قد)، والمصدر المؤول في محل رفع فاعل.

واقتران النهي باللعن (يدل على التغليظ، وكونه كبيرة؛ فإنه تعذيب بلا طائل)^(٢).

وقد نهى عن الوسم أو الضرب في الوجه لأنه قد يؤدي بعض حواس البهيمة، لكن النهي عن ضرب الآدمي في وجهه أشد؛ (لأنه مجمع الحواس، مع أنه لطيف؛ لأنه يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه، وربما أذى بعض الحواس)^(٣).

٢- طاعته ﷺ لربه وخشيته منه:

* «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ»:

عن أبي بريدة، عن الأعرس المزني - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكَيْفَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(٤).

(١) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٠٢).

(٢) فيض القدير (٢/ ١٦٤).

(٣) تحفة الأحوذى (٥/ ٣٠٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، وأبو داود (١٥١٥) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَغْمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرَوْحُوا، [وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلِيلَةِ، وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلَّغُوا]»^(٢).

- عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ السَّاعِدِيَّ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَقَدِمَتْ فَتَزَلَّتْ فِي أَجْمِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى جَاءَهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مُنْكَمَسَةٌ رَأْسُهَا، فَلَمَّا كَلَّمَهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ: «قَدْ أَعَذْتُكَ مِنِّي» فَقَالُوا لَهَا: أَتَذَرِينَ مِنْ هَذَا؟ قَالَتْ: لَا، قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ لِيَخْطُبَكَ، قَالَتْ: كُنْتُ أَنَا أَشَقَى مِنْ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي سَفِيْفَةٍ بَنَى سَاعِدَةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِنَا يَا سَهْلُ» فَخَرَجَتْ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ، فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ، فَشَرِبْنَا مِنْهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَوَهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَوَهَبَهُ لَهُ^(٣).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ، وَقَالَ لَنَا: «إِنْ لَقِيتُمْ فَلَانًا وَفَلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ» قَالَ: ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، وابن ماجه (٣٨١٥) كتاب الأدب، باب الاستغفار.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٢) كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة، باب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وابن ماجه (٤٢٠١) كتاب الزهد، باب التوقي على العمل. وما بين المعقوفين زيادة عند البخاري، ليست عند مسلم وابن ماجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٧) كتاب الأشربة، باب الشرب في الأقداح، ومسلم (٢٠٠٧) كتاب الأشربة، باب إباحة النبي الذي لم يشدد ولم يصبر منكراً.

أَتَيْنَاهُ نُوْدَعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ، فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أُمِرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فَلَانًا وَفَلَانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاغْتُلُوهُمَا»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَدِلَّةً، فَقَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا» فَلَمَّا حَوَّلَنَا اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَنَا بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]^(٢).

عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُبُولُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اغْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ» أَوْ قَالَ: «عَلَى طَهَارَةٍ»^(٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ بِهِ، وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا - فَلْيَبْغُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤).

عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ، وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَبَدْتُ رَأْسِي، وَقَلَدْتُ هَذِي، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٤) كتاب الجهاد والسير، باب التوديع، والترمذي (١٥٧١) كتاب السير.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٣٠٨٦) كتاب الجهاد، باب وُجُوبُ الْجِهَادِ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٧) كِتَابُ الطَّهَارَةِ، باب أَيُّهُ السَّلَامُ وَهُوَ يُبُولُ؟.

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٤) كتاب الزهد والرفاق، باب التبت في الحديث.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٦٦) كتاب الحج، باب التَّمَتُّعُ وَالْإِفْرَادُ بِالْحَجِّ وَفَسَخِ الْحَجِّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَذِي، ومسلم (١٢٢٩) كتاب الحج، باب بَيَانُ أَنَّ الْقَارْنَ لَا يَتَحَلَّلُ إِلَّا فِي وَقْتِ تَحَلُّلِ الْحَاجِّ الْمُفْرِدِ، وأبو داود (١٨٠٦) كتاب المناسك، باب في الإفران، والنسائي في المجتبى (٢٦٨٢) كتاب مناسك الحج، التليد عند الإحرام، =

ما بين الرجاء والخوف تتوازن علاقة المسلم بربه، يرجو رحمته، ويخشى عذابه، وهذا هو ما أشار إليه المولى جَلَّ وَعَلَا وهو يصف حال عباده: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

بل وصف الله آل زكريا ﷺ فقال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يُسَكِّرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ورسولنا ﷺ هو خاتم رسل الله، وآثرهم عنده، وأقربهم إليه خُلَّة: ولم تُغَرَّ تلك المنزلة السامقة محمداً ﷺ على التهاون في طاعة ربه، أو الأمن من مكرهه، بل ظل دائم الذكر والاستغفار والتوبة ليطهر قلبه مما قد يعتريه من حديث للنفس، أو فترة عن الذكر.

ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في طاعة الله، وإظهار العبودية له، والشكر لما أولاه، فراه ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - يستغفر الله في اليوم مائة مرة، ويتوب إليه أكثر من سبعين مرة.

وهو يطمع في جنة الله، ويخشى ناره، ويذكر لأصحابه أن لا أحد من خلق الله سينجيه عمله، حتى خير خلقه وخاتم رسله محمد ﷺ، فجميع مرتنون برحمة الله جَلَّ وَعَلَا.

دخل الرسول ﷺ على امرأة ليخطبها، فلما كلمها قالت، وهي لا تعرفه: أعوذ بالله منك، فما لبث حين سمع الاستعاذة بالله أن قال: «قد أعدتكم مني» وتركها وانصرف.

وأمر ﷺ حمزة بن عمرو الأسلمي على سرية، وأمره أن يحرق رجلين

من قریش إن وجدهما، وهما: هَبَّار بن الأسود، ونافع بن عبد قيس، وكانا قد نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ حين خرجت مهاجرة إلى المدينة، فأسقطت جينها، ومرضت من ذلك.

ثم ما لبث حين أتوه ليودعوه أن رجع عن رأيه، (ونهاهم عن قتلها حرقاً، لأن الحرق لله وحده)^(١)، وقال: «فإن أخذتموهما فاقتلوهما».

وظل النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة لا يأمر أصحابه برد أذى، أو انتقام من معتد، أو نصرة لضعيف؛ لأنه لم يؤمر بذلك.

فلما شكوا له أصحابه الذل بعد الإيمان قال لهم: «إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا»، فلما تحولوا للمدينة أذن الله لهم في القتال، فأمرهم الرسول بالقتال. وأثناء المهاجر بن قنفذ وهو يبول، فسلم عليه، فكَرَّهَ ﷺ أن يردَّ عليه، فيذكر اسم الله على غير طهارة، فتمهل حتى توضع، ثم اعتذر إليه قائلاً: «إني كرهت أن أذكر الله ﷻ إلا على طهر».

وكان النبي ﷺ حريصاً على أن لا يختلط القرآن كلام ربه بغيره من كلام البشر، ولذلك نهى عن كتابة حديثه، وأمر من كتب عنه غير القرآن أن يمحوه، ثم عاد فأذن بالكتابة حين أمن اختلاطهما.

قال السيوطي: (هذا منسوخ بالأحاديث الواردة في الإذن في الكتابة، وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن فيها، وقيل: مخصوص بكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط، فيشبهه على القارئ)^(٢).

وفي حجة الوحيدة التي حجَّها كان ﷺ ملتزماً بأداء النسك كما أمره به ربه، لا يحلُّ لنفسه ما لم يحله له الله.

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٤/١١١).

(٢) الديباج على مسلم (٦/٣٠٣).

وكان الرسول قارئاً حجته بعمره، سائقاً معه هديه، فأمر من لم يسق الهدى معه من أصحابه أن يحلَّ بعمره، ويتمتع حتى يحرم بالحج يوم التروية، وظلَّ الرسول ﷺ محرماً. فسأله السيدة حفصة (رضي الله عنها): يا رسول الله، ما شأن الناس حلُّوا بعمره، ولم تحلل أنت من عمرتك؟ فقال ﷺ: «إني لبَدَت رسي» (وتليد الشعر أن يُجعل فيه شيء من صمغ أو نحوه لينضم الشعر، ويلتصق بعضه ببعض احترازاً من تعطنه وتقمله، وإنما يفعل ذلك من يطول مكثه في الإحرام)^(١).

«وقلدت هدي» (وتقليد البدن: أن يُجعل في عنقها شعار يُعلم به أنها هدي)^{(٢)(٣)}.

«فلا أحل حتى أنحر» فدل ذلك على أن القارن من الحجيج - إذا ساق معه الهدى - لا يجوز له أن يحل حتى ينحر هديه.



قال الرسول ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي» (قال أبو عبيد: يعني أنه يتغشى القلب ما يلبسه، قال: كأنه يعني من السهو، وكذلك كل شيء يغشاها شيء حتى يلبسه فقد غين عليه، يقال: غينت السماء غَيْنًا، وهو إطباق الغيم السماء، وأنشد:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتَيْ عُقَابٍ أَصَابَ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَيْنٍ^(٣)

فالغين والغيم بمعنى واحد.

وقال ﷺ: «وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

(١) طرح الشرب في شرح التقريب (٣٩/٥).

(٢) لسان العرب (٣٦٧/٣).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٣١/٤).

وقال: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة». والجملتان مؤكدتان بـ(إن) واللام، وقد يكون العدد (مائة) مقصودًا لذاته، وقد يكون المراد الكثرة والمبالغة، ودليل ذلك قوله في العبارة الثانية: «أكثر من سبعين مرة».

قال ﷺ: «لن ينجي أحدًا عمله» النفي بـ(لن) لتوكيد النفي، وقوله: «ينجي» يحتمل أن يكون بفتح النون وتشديد الجيم «يُنَجِّي» من التنجية، أو بسكون النون وكسر الجيم من الإنجاء.

وقال ﷺ: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته».

«ولا أنا» ينفي النبي عن نفسه نفياً صريحاً أن يكون مستثنى من الحكم السابق.

«يتغمدني»: يشملني، مأخوذ من غمد السيف؛ (لأنك إذا غمدته فقد ألبسته إياه، وغشّيته به)^(١).

وقال ﷺ: «سدّدوا وقاربوا، واغدّوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»: «سدّدوا» الزموا السداد، «قاربوا» (معناه: لا تبلغوا النهاية بل تقربوا منها، يقال: رجل مقارب، بكسر الراء: وسط بين الطرفين)^(٢).

و«الدَّلْجَةُ» (الدَّلَجُ: محرّكة، والدَّلْجَة - بالضم والفتح -: السير من أول الليل، وقد أذلجوا كأخرجوا، فإن ساروا من آخره فأذلجوا بالتشديد، من باب الافتعال)^(٣).

«والقصدُ القصدُ تبلغوا» أسلوب إغراء، والقصد: الاعتدال.

وجميع هذه الألفاظ فيها دعوة إلى التوسط في العمل بين الإفراط

(١) شرح ابن بطال (١٠/١٨١).

(٢) عمدة القاري (١/٢٣٧).

(٣) تاج العروس (٥/٥٧٠).

والتفريط؛ ليدوم ولا ينقطع.

قال ﷺ للمرأة التي استعادت بالله منه: «قد أعدتُكِ مني». والعبرة كناية عن الترك والمفارقة، وفيها إحياء باستياء النبي ﷺ من خُلُق المرأة، ومواجهتها له على هذا النحو.

قال النبي ﷺ لسريّة أرسلها في بعث: «فإن أخذتموهما فاقتلوهما».

والأخذ في قوله: «أخذتموهما» كناية عن الأسر والسيطرة.

قال رسول الله ﷺ: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر».

وكلمة «كرهت» تفيد أن الذكر على غير طهارة ليس محرماً، وإنما هو خلاف الأولى، واستخدام المصدر المؤول «أن أذكر» لمزيد من التأكيد.

وتسمية السلام ذكراً مردّه احتواؤه على اسم الله صريحاً في قولنا: (ورحمة الله)، وأن رد السلام مأمور به شرعاً في الكتاب والسنة.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه». وفي العبارة نهْي تحذيري عن كتابة الحديث، ويُحمل على أوجه لسبق الإذن بالكتابة، فقد ورد عند البخاري وغيره أن رجلاً يسمي أبا شاهٍ من أهل اليمن سمع النبي يخطب يوم فتح مكة، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله - أي خطبة رسول الله - فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا لأبي شاه»^(١)، والجمع بين النهي والإذن؛ (أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والإذن في غير ذلك، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد، والإذن في تفريقهما، أو النهي متقدم، والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس، وهو أقربهما مع أنه لا ينافيها، وقيل النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك)^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥)، وغيرهما.

(٢) فتح الباري (٢٠٨/١).

قال رسول الله ﷺ: «إني لبدت رأسي، وقلدت هديي، فلا أحلُّ حتى انحِر».

قوله ﷺ: «لبدت رأسي، وقلدت هديي» كناية عن العزم على قرآن الحج بالعمرة؛ لأن من ساق الهدى معه لا يحل حتى ينحر.

وقوله: «أحل» يجوز فتح أوله على أنه ثلاثي من حلَّ (أحل)، أو ضمه على أنه رباعي من أحلَّ (أحل) (والفتح أوفق لقولها: حلَّوا)^(١)، أي لقول السيدة حفصة في بداية الحديث: ما شأن الناس حلَّوا بعمرة، ولم تحلل أنت من عمرتك؟

٣- نُبِلَ أَخْلَاقُهُ ﷺ:

* «إني لا أخيسُ بالعهد، ولا أحبسُ البرد».

- عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله اذُعْ على المُشْرِكِينَ، قال: «إني لم أبعثُ لَعْنًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢).

- عن عبد الله بن عمرو قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لم يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وقال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(٣).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا عَدُوِّي، وَلَا طَيْرَةٌ، وَيُعْجِبُنِي الْقَالُ» قالوا: وما القَالُ؟ قال: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٤).

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ على نَعْرٍ من أسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ،

(١) طرح الشريب في شرح التقريب (٣٩/٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٩) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٧٦) كتاب الطب، باب لا عدوى، ومسلم (٢٢٢٤) أبواب الطب والمرض والرقى، باب الطيرة والقَال وما يَكُونُ فيه من الشؤم، وأبو داود (٣٩١٦) كتاب الطب باب في الطيرة.

فقال النبي ﷺ: «ارْزُمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنْ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْزُمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ» قال: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فقال رسول الله ﷺ: «مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟» قالوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ فقال النبي ﷺ: «ارْزُمُوا فَإِنَّا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ»^(١).

عن عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ، قَالَتْ: مَا مَسَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ امْرَأَةٌ قَطُّ، إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا، فَإِذَا أَخَذَ عَلَيْهَا فَأَعْطَتْهُ، قَالَ: «أَذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتُكَ»^(٢).

عن ابن المُكَدِّرِ، سَمِعَ أُمِّمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَةَ تَقُولُ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَقَالَ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ مِنَّا بِمَا بَأْنَفُسِنَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْنَا، قَالَ سُفْيَانُ: تَغْنِي صَافِيحَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا قَوْلِي لِمَا تَأْمُرُؤُا كَقَوْلِي لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»^(٣).

عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي جَاءَ رَجُلٌ وَمَعَهُ حِمَارٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْكَبْ، وَتَأَخَّرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا، أَنْتَ أَحَقُّ بِصَدْرِي دَائِيكَ مِنِّي، إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ لِي» قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ لَكَ، فَرَكِبَ^(٤).

عن ابن شَهَابٍ قَالَ: وَرَعَمَ عُرْوَةُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَالْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدٌ هَوَازِنٌ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٦) كتاب الإمامة، باب كيفية بيععة النساء، وأبو داود (٢٩٤١) كتاب الخراج والفتى والإمارة، باب ما جاء في البيعة.

(٣) أخرجه الترمذي (١٥٩٧) كتاب السير، باب ما جاء في بيععة النساء، والنسائي في المجتبى (٤١٨١) كتاب البيعة، بيععة النساء.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٧٢) كتاب الجهاد، باب رُبِّ الدَّائِيَةِ أَحَقُّ بِصَدْرِيهَا، والترمذي (٢٧٧٣) كتاب الأدب، باب ما جاء أن الرجل أحق بصدر دابته.

أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبِيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَأَخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ» وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَضَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ إِخْوَانُكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُنَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيَّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ، حَتَّى تُعْطِيَهُ إِثَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ» فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَذَرِي مِنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَارْجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرْفاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا^(١).

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أَخْبَرَهُ قَالَ: بَعَثَنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلْقَيْتُ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ، وَلَا أَخِيسُ الْبُرْدَ، وَلَكِنْ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ» قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَاسْلَمْتُ^(٢).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ مُسَيْلِمَةُ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ: سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمٍ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٧) كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز، وأبو داود (٢٦٩٣) كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥٨) كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجئ به في اليهود.

الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتاب مُسَيَّلَمَةَ: «ما تقولانِ أُنثَمَا؟» قالا: نقول كما قال، قال: «أما والله، لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتلَ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»^(١).

عن العِصْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قالا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْيَةِ، حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَبَلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ» فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَرَّةِ الْجَبَشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالنَّبِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلَّ حَلٌّ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصْوَاءُ، خَلَّاتِ الْقُصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقُصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلَّتِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْلُونِي خُطَّةٌ يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيتُهُمْ إِيَّاهَا» ثُمَّ رَجَعَهَا فَوَبَّتْ^(٢).

عَنِ السَّائِبِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلُوا يُشَوِّنَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ» يَعْنِي: بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، كُنْتُ سَرِيكِي، فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتُ لَا تَذَارِي وَلَا تَمَارِي^(٣).

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، [وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ]»^(٤).

هذه جملة من القيم النبيلة التي تحلى بها رسول الله ﷺ، أولها وأجلها

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦١) كتاب الجهاد، باب في الرُّسُلِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١٣) كتاب الشروط، باب الشُّرُوطُ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةُ الشُّرُوطِ، وأبو داود (٢٧٦٥) كتاب الجهاد، باب فِي صَلَاحِ الْعُدُوِّ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٦) كتاب الأدب، باب فِي تَزَاهِيَةِ الْجَوَارِ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) كتاب المناقب، باب فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وابن ماجة (١٩٧٧) كتاب النكاح، باب حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ. وما بين المعقوفين زيادة عند الترمذي

حسن الخلق الذي بعثه الله ليفشيه بين الناس، وعفة اللسان، ورحمة الجنان، والحساسية الفائقة في التعامل مع الآخرين بحيث لا يعرج إحساساً، ولا يكسر خاطراً، ولا يدّعي ما ليس له، ولا ينتزع حقاً من مستحقه إلا بإذنهم ورضاهم.

وهو ﷺ أشد الناس تمسكاً بالعهد، وأكثرهم محافظةً على العرف، وأعظمهم حباً للسلم، وإجلالاً لشعائر الله.

وهو الشريك الذي ينعم به شريكه، فلا يرهقه بخلافات ومشاحنات، ولا يعتته بمدارة ومماراة.

وهو ﷺ أحسن الناس خلقاً مع أهله، يوطئ لهم أكتافه، ويذل لهم أعطافه، ويصبر على أذاهم، ويتحمل مكارهم، ويستوعب صفائهم، يشعرهم بحبه ورعايته، ويسبغ عليهم لطفه وعنايته.

ولم يكن حسن خلقه ﷺ مقصوراً على البشر، وإنما بدا ذلك واضحاً في تعامله مع الحيوان، فكانت تربطه بدوابه التي يركبها علاقة فريدة، فيسمي ناقته القصواء، ويتلطف في معاملتها، وينفي عنها سوء الخلق، وشراسة الطبع.

وصفه المولى ﷺ، فقال: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ووصف هو نفسه فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)، وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(٢).

ووصفت السيدة عائشة أم المؤمنين خلقه فقالت: كان خلقه القرآن^(٣).

أرسل الله إلينا لنتأسي به ونقتدي بخلقه فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الاحزاب: ٢١].

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٩١/١٠) (٢٠٥٦٩)، والبيهقي في مسنده (٨٩٤٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٥١٢/١٤)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٣/٦).

ولذلك صنعه على عينه، وأذبه فأحسن تأديبه، فكان لسانه طيباً، لا ينطق إلا بكل طيب، حتى إنه لما قيل له: ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعاناً»، (ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا متقماً لنفسه، وقد صح أنهم قالوا له: ادع على دؤس، فقال: «اللهم اهد دؤساً»^(١)، وقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٢))^(٣).

وكان أحب أصحابه إليه أحسنهم خلقاً، وأطيبهم كَلِمًا، ولذلك كان يعجبه الفأل، فلما سئل: ما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة».

ومن كريم خلقه أنه لم يكن يُظهر ميله لأحد من أصحابه دون الآخر، أو تشجيعه لفريق دون فريق.

مرَّ على نفر من أسلم يتدربون على الرمي، وقد قسموا أنفسهم فريقين، فمرَّ بذلك، وقال لهم: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً»، ولكي يحفزهم، ويشد على أيديهم قال: «ارموا وأنا مع بني فلان» يعني: فريقاً من الفريقين، فامتنع الفريق الآخر عن الرمي احتراماً لكون رسول الله ﷺ مع المنافسين، فلما أحس حرجهم قال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

وبايعة النساء على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، فاستثنى لهن ما لم يستطعن ولم يطقنه، لأن الله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وسعها، فهو أرحم بهن من أنفسهن، وأرادت النساء أن يبايعنه مصافحة باليد، فأبى ذلك.

ففي رواية أكثر تفصيلاً للنسائي وأحمد وابن حبان وغيرهم أن أئمة بنت رقيقة قالت: أتيت النبي في نسوة من الأنصار نبايعه، فقلنا: يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزن، ولا نأتي بيهتان نفتره

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، وغيرهما، وفي آخره: «وأت بهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، وأحمد (٤٤١/١)، وغيرهما.

(٣) طرح الشريب في شرح التريب (١٣/٨).

بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، قال: «فيما استطعتن وأطقتن»، قالت: قلنا: رسول الله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا، هلم نباعك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أصافح النساء، إنما قولني لمائة امرأة كقولني لامرأة واحدة، أو مثل قولني لامرأة واحدة»^(١).

ويأبى الأدب النبوي الرفيع إلا أن يضرب لنا مثالا ناصعا في أصول اللياقة، وآداب التعامل مع الناس، فبينما رسول الله ﷺ يمشي لقيه رجل يمتطي حمازا، فتأخر الرجل ليفسح لرسول الله ﷺ في صدر دابته، فأبى رسول الله ذلك، وقال للرجل: «لا، أنت أحق بصدر دابتك مني، إلا أن نجعله لي» فجعله الرجل له، فركب ﷺ.

وجاءه ﷺ وفد من هوازن مسلمين تائبين بعد أن غزاهم رسول الله ﷺ، وغنم منهم مالا وسبيًا، فطلبوا منه رد أموالهم وسباياهم، غير أن النبي ﷺ خيرهم بين أمرين: إما أن يرد لهم أموالهم، وإما أن يرد لهم سبيهم، فاختاروا رد السبي، وكان السبي قد صار إلى أيدي المسلمين، فلم يأمر النبي ﷺ أصحابه برد السبي، وإنما خيرهم بين التنازل عنه لوجه الله، أو تسليمه مع الاحتفاظ بحقوقهم فيه، حتى يعوضهم النبي عنه من أول فيء يفيء الله به على المسلمين.

فتنازلوا جميعًا عما في أيديهم طائعين، وقالوا: قد طيئنا ذلك لرسول الله ﷺ لهم، فلم يكتف النبي ﷺ بقولهم، فقد خشي أن يكون بعضهم قد أذن حرجًا منه؛ ولذا أمرهم أن يرجعوا إلى نقبائهم، فيخبر كل واحد منهم نقيبته برأيه، ثم يرجع النقباء بذلك إلى رسول الله ﷺ، حتى يعلم من أذن ممن لم يأذن، ففعلوا ما أمرهم به، ثم عاد النقباء إلى الرسول ﷺ فأخبروه أن الجميع قد أذنوا، وطابت بذلك أنفسهم.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨٠٤)، وأحمد (٣٥٧/٦)، وابن حبان (٤٥٥٣)، وغيرهم.

ويقدم الرسول ﷺ نموذجاً فذاً لاحترام الموائيق والعهود والأعراف احتراماً صارماً لا تتحكم فيه المصلحة، ولا تتغيره الظروف، فقد أتى أبو رافع^(١) رسولاً من قريش إلى النبي ﷺ، فلما رأى النبي ﷺ، ألقى في قلبه الإسلام فرفض أن يرجع إلى قريش، لكن الرسول ﷺ طلب منه ألا يفعل؛ لأنه ﷺ ليس من شيمه أن ينقض العهد، أو يحبس الرسل، وأمره أن يرجع إليهم، فإن رأى نفسه مستقرة على الإسلام، لا ترضى به بديلاً، فليعد حيثنذ إلى المسلمين، فاطاع أبو رافع رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش، ثم أتى النبي فأسلم.

وجاء رسولان من مسيلمة إلى رسول الله ﷺ بكتابه الذي خاطب فيه الرسول قائلاً: (أما بعد، فإنني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون)^(٢).

فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب قال للرسولين: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، قال: «أما والله، لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما».

ولم يكن أحد أرفق من رسول الله ﷺ بقومه، رغم عنادهم وكفرهم، فلما خرج معتمراً زمن الحديبية، علم أن خالد بن الوليد في خيل لقريش بالغميم، فأمر أصحابه بالانحراف عن طريقه؛ حتى لا تحدث مواجهة بين الفريقين. حتى إذا كان بالثنية التي يهبط منها على مكة بركت به راحلته، فكانت إذا

(١) قيل: هو أبو رافع مولى النبي ﷺ، (اسمه إبراهيم ويقال: أسلم، ويقال: ثابت، ويقال: هرمز). انظر: عون المعبود (٣١١/٧).

وقال صاحب مرقاة المفاتيح: (لم يذكره المؤلف في أسمائه، وإنما ذكر أسلم مولى النبي ﷺ، غلبت عليه كنيته، كان قبطيًا، وكان للعباس فوجه للنبي، فلما بُشِّر النبي بإسلام العباس أعتقه، وكان إسلامه قبل بدر، فلعله هو، لكن سياق الحديث يأباه، والله أعلم). مرقاة المفاتيح (٤٩١/٧).

(٢) سيرة ابن هشام (٣٠٣/٥).

حولت عن مكة قامت ومشت، وإذا وجهت إلى مكة بركت، فعلم النبي ﷺ أن حابس الفيل حبسها، (ففهمها رسول الله ﷺ من ربه، ولم يتعرض لدخول مكة، وقبل مصالحة المشركين، وحبس جيشه عن انتهاك حرمت الحرم وأهله^(١))، وقال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها».

وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس رفقة، وألطفهم عشرة، لكنه كان أبعدهم عن المراء والمداراة، وصفه السائب المخزومي^(٢) فقال: كنت شريكي فنعم الشريك، كنت لا تداري ولا تماري.

ووصف نفسه فقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (والأهل قد يخص الزوجة وأولادها، وقد يطلق على جملة الأقارب، فهم أولى من الأجانب)^(٣).

وخيرته ﷺ لأهله تعني أنه كان أكثر الناس برًا ونفعًا لأهله، ولا سيما نساؤه، كان يعتني بهن، ويهتم بتفقد أحوالهن، فكان إذا صلى العصر دار على نساءه، فدنا منهن، واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى صاحبة النوبة، وكان إذا شربت عائشة من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب، وإذا تعرفت عرقًا، وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها^(٤)، ولما أراد أن يحمل صفية بنت حيي على بعير نصب لها فخذه لتضع رجلها عليه، فوضعت ساقها عليه.

وفي تذكرة ابن عراق عن الإمام مالك: (يجب على الرجل أن يتجنب

(١) شرح ابن بطال (٩٢/٨).

(٢) هو السائب بن أبي السائب صفي بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي، كان شريك النبي قبل البعثة، ثم أسلم وصحب. [تقريب التهذيب (١/٢٢٨)].

(٣) فيض القدير (٣/٤٩٦).

(٤) معنى حديث عند مسلم برقم (٣٠٠).

إلى أهل داره حتى يكون أحب الناس إليهم^(١).



قال ﷺ: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة»
والجملتان بينهما مقابلة مؤكدة.

و«لعانًا» صيغة مبالغة، تعني: كثير اللعن (وهو الطرد، والمراد به هـ: الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالى، وإنما أتى بصيغة المبالغة؛ لأن الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين)^(٢).

قال ﷺ: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقًا» والخبر (من أحبكم) مقدم للتخصيص، و(من) للتبعض، ورأى البعض أنها زائدة، والمعنى: (أحبكم إلي أحسنكم أخلاقًا)^(٣).

وقال ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل»: و(لا) نافية للجنس، وخبرها محذوف جوازًا، وتقديره: مؤثرة، والمراد كما ذهب إليه أغلب الشراح أنه لا عدوى مؤثرة بنفسها، وفي ذلك رد الأسباب إلى مسببها الأول ﷺ، وهو لا يعارض قوله ﷺ: «لا يورذن ممرض على مصح»^(٤)، ولا قوله: «فر من المجزوم فرارك من الأسد»^(٥).

قال النووي: (قال جمهور العلماء: يجب الجمع بين هذين الحديثين^(٦)،

(١) فيض القدير (٣/٤٩٦).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٥٧).

(٣) السابق (٩/٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١)، وغيرهما.

(٥) أخرجه أحمد (٤٤٣/٢)، والبيهقي في الصغرى (٢٥١٥) (٦/٢٠٣)، وغيرهما.

(٦) أراد حديث: «لا عدوى»، وحديث: «لا يورذن ممرض على مصح».

وهما صحيحان، قالوا: وطريق الجمع أن حديث: «لا عدوى» المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقد أنه المرض والعاة تُعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى، وأما حديث: «لا يورد ممرض على مُصح» فأرشد فيه إلى مجانية ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفي في الحديث الأول العدوى بطبعها، ولم ينف حدوث الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره^(١).

وذهب البعض إلى أن (لا) ناهية، وليست نافية، (قال القاضي: واختلفوا في قوله ﷺ: «لا عدوى»، فقيل: هو نهي عن أن يقال ذلك أو يُعتقد، وقيل: هو خبر، أي: لا تقع عدوى بطبعها)^(٢).

والطيرة من الطير: ذلك (لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه)^(٣)، يشير بذلك إلى عادة زجر الطير التي كانت سائدة في الجاهلية عند العرب.

والفأل: ضد الطيرة، فبين الكلمتين طباق.

قال ﷺ حين سئل عن الفأل: «كلمة طيبة»: والكلام فيه حذف، حُذف المبتدأ جوازاً لورود الخبر جواباً لسؤال، والتقدير: الفأل كلمة طيبة، وحُذف المبتدأ لإرادة التركيز على الخبر.

قال ﷺ: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً»: والأمر للحث والاستنهاض، ونداؤهم ببني إسماعيل لاستدعاء نوازع الفخر بالأصل الكريم عندهم، لمزيد من التشجيع والحث.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٢١٣، ٢١٤).

(٢) السابق (١٤/٢١٨).

(٣) لسان العرب (٤/٥١٣).

ثم قال: «ارموا، وأنا مع بني فلان»: وجملته: «وأنا مع بني فلان» الواو فيها للحال، والجملته بعدها حالية، أراد بها إزكاء روح التنافس والغيرة المحمودة. وقال ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟» والاستفهام للتعجب والدهشة. وتكرار الفعل «ارموا» ثلاث مرات، تأكيد على إرادة النبي ﷺ في تشجيعهم على الرمي.

ولذلك قال في الأخيرة: «ارموا فأنا معكم كلكم».

قال ﷺ للنساء، وقد طلبن منه أن يبايعنه مصافحة باليد: «إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة».

والعدد «مائة امرأة» غير مقصود بعينه، وإنما المراد المبالغة، والأسلوب أسلوب قصر بـ(إنما)، والتشبيه مقلوب، فالأصل أن قوله: «لامرأة واحدة» كقوله: «لمائة امرأة»، وهو كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [التحل: ١٧]. قال ﷺ للرجل الذي تأخر عن صدر دابته له: «لا، أنت أحق بصدر دابتك: ولا، تعني: لا أركب وحدي أو في الصدر، فحذف الفعل، وقوله: (أنت أحق) تعليل له، أي: لا أركب، وأنت تأخرت؛ لأنك أحق بصدر دابتك»^(١).

واختلف في المراد من الضمير في قوله: «إلا أن تجعله لي»، و: «قد جعلته لك».

ف قيل: الحمار، أي أن الرجل نزل عن الحمار، وتركه لرسول الله ﷺ.

وقيل: بل الضمير عائد على صدر الدابة، («أن تجعله» أي الصدر، «لي» أي صريحاً، قال: قد جعلته لك، فركب: أي على صدرها)^(٢).

وقيل: الضمير عائد على التصرف في المشي كيف أراد (وهو المعنى

(١) مرقاة المفاتيح (٧/٤٢٤).

(٢) تحفة الأحوذى (٨/٤٧).

الذي لأجله كان صاحب الدابة أحق بصدرها، فإنه يستشكل قوله: «أن تجعله لي» مع كونه تأخر، وأذن له في الركوب على مقدمه، وهذا هو محله له، وينحل الإشكال بما ذكرته من أن المراد أن يجعل له أمر قيادها، بأن يتصرف في سيرها كيف يريد^(١)، والمعنى يحتمل كل ما ذكر.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو يدعوهم إلى التنازل عن سبي هوازن بعد أن جاؤوا تائبين: «فمن أراد أن يطيب بذلك فليفعل».

وقوله: «أن يطيب» يجوز أن يكون الفعل فيه من الثلاثي (طَابَ يَطِيبُ)، أو الرباعي: (أطاب يطيب)، أو بالتشديد (طَيَّبَ يُطَيِّبُ).

والمعنى على كونه من الثلاثي (أن تطيب نفسه بذلك، أي: بدفع السبي إليهم، فليفعل، وهو جواب (مَنْ) المتضمنة معنى الشرط، فلذلك حصلت فيه الفاء، والفعل هنا لازم.

وعلى كونه من باب الإفعال أو التفعيل يكون الفعل متعديًا، والمفعول محذوفًا، تقديره: (أن يُطَيَّبَ نفسه بذلك) بضم الياء وكسر الطاء وسكون الياء، و(أن يُطَيَّبَ) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الياء^(٢).

وقال ﷺ: «حتى نعطيه إياه من أول ما يُفِيء الله علينا»: والفعل (يُفِيءُ): مضارع، ماضيه الرباعي (أفَاء) من الفيء (وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، وأصل الفيء الرجوع، كأنه كان في الأصل لهم فرجع إليهم، ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق)^(٣).

قال ﷺ: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرء».

(١) طرح الشريب في شرح التقريب (٢٤٣/٧).

(٢) عمدة القاري (١٣٨/١٢).

(٣) لسان العرب (١٢٦/١).

و«أخيس» أي: أخلف، وأصله من (خاس الشيء يخيس خيسًا: تغير وفسد وأنتن)^(١).

ولذلك عده أهل اللغة من المجاز، كأنه شبه إخلاف الوعد وإبطاله بفساد الطعام وتغيره. قال الزمخشري: (ومن المجاز: خاس بوعده وبعهده، إذا نكث وأخلف وخاس بما كان عليه، قال ابن الدميني:

فيا رب إن خاست بما كان بيننا

من الود فابعث لي بما فَعَلْتُ صبراً)^(٢)

والبرد: جمع بريد (والبريد: الرسول، ومنه قول بعض العرب: الحمى بريد الموت، أي: رسوله، ثم استعمل في المسافة التي يقطعها، وهي ثنا عشر ميلاً)^(٣).

ولا يخفى ما بين الجملتين، (لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد) من ازدواج إيقاعي، وسجع عفوي.

قال النبي ﷺ لرسولَي مسيلمة: «ما تقولان أنتما؟» والمراد بالقول هنا إبداء الرأي، وفي الجملة حذف، والمعنى: ما تقولان أنتما فيما يدعيه مسيلمة؟ والحذف غرضه الإعراض عن قول مسيلمة، والاستنكاف من ترديده.

ثم يقول النبي ﷺ: «أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما:» و«أما» بالفتح والتخفيف لها في اللغة وجهان: (أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة ألا، وتكثر قبل القسم كقوله:

أما والذي أبكى وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ

(١) السابق (٦/٧٤).

(٢) أساس البلاغة (١/١٧٩).

(٣) المصباح المنير (١/٤٢).

والثاني: أن تكون بمعنى حقاً أو أحقاً^(١).

والتي في الحديث هي الأولى التي من مفتحات القسم، واستخدامها مع القسم للتنبيه والتحذير من فداحة ما يقول الرسولان.

وقوله: «لضربت أعناقكما»: إشارة إلى أنهما كانا يستحقان القتل (لأنهما قالا بحضرته: نشهد أن مسيلمة رسول الله)^(٢)، فلم يمنعه من ذلك إلا عهد الرسل وأمانهم.

قال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». وقوله: «ما خلأت القصواء»: (الخلاء بالمعجمة وبالمد للإبل كالحران للخيول، وقال ابن قتيبة: لا يكون الخلاء إلا للنوق خاصة، وقال ابن فارس: لا يقال للجمل: خلأ، لكن: ألحَّ، والقصواء بفتح القاف بعدها مهملة ومد: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وقيل: كان طرف أذنهما مقطوعاً، والقصو: قطع طرف الأذن، يقال: بعير أقصى، وناقة قصوى، وكان القياس أن يكون بالقصر، وقد وقع ذلك في بعض نسخ أبي ذر، وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق، فقيل لها القصواء؛ لأنها بلغت من السبق أقصاه)^(٣).

ونقّي النبي ﷺ عن ناقته الخلاء يشير إلى العلاقة الحميمة التي تربطه بناقته، وفهمه لطباعها، وحسن ظنه بها.

وقوله ﷺ: «حابس الفيل» كناية عن المولى ﷺ، وفيه إشارة إلى تعظيم حرمان مكة.

قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» كلمة «خيركم» في الجملة الأولى لا يراد بها الخيرية المطلقة، وإنما المعنى أنه من خيركم؛

(١) مغني اللبيب (١/٧٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٧/٤٩٢).

(٣) فتح الباري (٥/٣٣٥).

(فحذفت من، وهي مرادة، كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم، ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم)^(١).

وقوله: «وأنا خيركم لأهلي»: الخيرية مؤكدة باستخدام أسلوب القصر بالضمير المنفصل «أنا»، وهي هنا خيرية مطلقة لأنها وصف لسيد الخلق وأفضلهم محمد ﷺ.

وقوله: «وإذا مات صاحبكم فدعوه»: المراد بالصاحب هنا: أي واحد من جملة الأهل والأصحاب، و(دعوه) كناية عن ترك ذكر المساوي والعيوب، وعلاقة الجملة بصدر الكلام، أن التجاوز عن سيئات وعيوب الميت بعد موته يعد من أسباب تحقق الخيرية في الأهل.

٤- عدله ﷺ:

* «من يعدل إذا لم أعدل؟».

عن أبي سعيد الخدري: بينا النبي ﷺ يقسم ذات يوم قسماً، فقال ذو الخويصرة - رجل من بني تميم: يا رسول الله اعدل، قال: «وذلك، من يعدل إذا لم أعدل؟»^(٢).

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يُعطي صناديد أهل نجد ويدعونا، قال: «إنما أتالفهم»، فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتيئ الجبين، كئ اللحية، مخلوق، فقال: اتى الله يا محمد، فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟»

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٧٧، ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٣) كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل وتلك، وبنحوه عند مسلم عن جابر بن عبد الله (١٠٦٣) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

أَيَا مُنِّي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَلَا تَأْمُنُونِي؟» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتَلَهُ، أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ، فَمَنْعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضَنْضِي هَذَا، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا، قَوْمًا يَفْرُوُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرِّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ، لِيَنْ أَنَا أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(١).

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا عَصَّ يَدَ رَجُلٍ، فَانْتَرَعَ يَدَهُ، فَسَقَطَتْ ثِيَابُهُ أَوْ ثَنَابَاهُ، فَاسْتَعْدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَأْمُرَنِي؟ تَأْمُرَنِي أَنْ أَمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فَيْكِ، تَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ، اذْفَعْ يَدَكَ حَتَّى يَعْضَهَا ثُمَّ انْتَرِعْهَا»^(٢).

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْفَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاحُ؟» قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُؤَيِّرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا - يَا رَسُولَ اللَّهِ - ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٣).

عن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي أَتَسَوَّكَ بِسَوَاكِ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَتَاوَلْتُ السَّوَاكَ الْأَصْفَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قولِ الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَتَوْكُوا يُبَيْعُكَ مَبْرِجًا مَصرِيًّا﴾، ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، والنسائي في المجتبى (٢٥٧٨) كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٨) كتاب القسامة، باب الصائل على نفس الإنسان، والنسائي في المجتبى (٤٧٥٨) كتاب القسامة، باب الْقَوْدُ مِنَ الْعَصَةِ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥١) كتاب الشرب والمساقة، باب في الشرب، ومسلم (٢٠٣٠) كتاب الأشربة، باب استحبابِ إِدَارَةِ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ وَنَحْوِهِمَا عَنْ يَمِينِ الْمُتَبَدِّي.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٦) كتاب الوضوء، باب دفع السواك للأكبر، ومسلم (٣٠٠٣) =

عن ابن شَهَابٍ قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِذِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي» [وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ] ^(١).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعَّرَ، فَقَالَ: «بَلْ أَدْعُو» ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعَّرَ، فَقَالَ: «بَلْ اللَّهُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَإِنِّي لَا زُجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلَمَةٌ» ^(٢).

عن صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: كُنْتُ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى خَمِيصَةٍ لِي ثَمَنُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاخْتَلَسَهَا مِنِّي، فَأَخَذَ الرَّجُلُ، فَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ لِيُقَطَعَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَنْقِطْعُهُ مِنْ أَجْلِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا؟ أَنَا أَيْعُهُ وَأُنْسِيهِ ثَمَنَهَا، قَالَ: «فَهَلَّا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ» ^(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ أَبَا جَهْمَ بْنَ حُذَيْفَةَ مُصَدِّقًا، فَلَاخَهُ رَجُلٌ فِي صَدَقَتِهِ، فَضَرَبَهُ أَبُو جَهْمٍ فَشَجَّهُ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: الْقَوْدُ بَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكُمْ كَذَا وَكَذَا» فَلَمْ يَرْضَوْا، قَالَ: «لَكُمْ كَذَا وَكَذَا» فَلَمْ يَرْضَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي خَاطَبْتُ الْعَشِيَّةَ عَلَى النَّاسِ، وَمُخْبِرُهُمْ بِرِصَاكُم» قَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ اللَّيْثِيَّيْنَ أَتَوْنِي يُرِيدُونَ الْقَوْدَ، فَمَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كَذَا وَكَذَا

= كتاب الزهد والرقائق، باب مَنَاقِلَةِ الْأَكْبَرِ.

(١) أخرجه البخاري (٧١) كتاب العلم، باب مَنْ يُرِذِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة، باب كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ. وما بين المعقوفين ليس عند مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٥٠) كتاب الإجارة، باب فِي التَّشْعِيرِ، والترمذي (١٣١٤) كتاب البيوع، باب مَا جَاءَ فِي التَّشْعِيرِ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٩٤) كتاب الحدود، باب مَنْ سَرَقَ مِنْ جِرْزٍ، والنسائي في المجتبى (٤٨٨٣) كتاب قطع السارق، مَا يَكُونُ جِرْزًا وَمَا لَا يَكُونُ.

فَرَضُوا، أَرَضَيْتُمْ؟» قَالُوا: لَا، فَهَمَّ الْمُهَاجِرُونَ بِهِمْ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْفُوا عَنْهُمْ فَكَفُوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ فَرَادَهُمْ، وَقَالَ: «أَرَضَيْتُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «إِنِّي خَاطِبٌ عَلَى النَّاسِ، وَمُخِيرُهُمْ بِرِضَاكُمْ» قَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «أَرَضَيْتُمْ» قَالُوا: نَعَمْ^(١).

- عن أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما قالا: جاء أعرابي فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فقال: صَدَقَ، أَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فقال الأعرابي: إِنْ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَرَنْتِي بِأَمْرَائِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَقَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةِ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِائَةٍ وَتَغْرِبُ عَامٌ، فقال النبي ﷺ: «لَا أَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدِّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِائَةٍ وَتَغْرِبُ عَامٌ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُتَيْسُ - لِرَجُلٍ - فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَارْجُمَهَا» فَعَدَا عَلَيْهَا أُتَيْسٌ فَارْجَمَهَا^(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: ذَكَرَ الْمُتَلَاءِعَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَاصِمٌ ابْنُ عَدِيٍّ فِي ذَلِكَ قَوْلًا ثُمَّ انْصَرَفَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا ابْتُلِيتُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا لِقَوْلِي، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي وَجَدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُضْغَرًّا،

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٣٤) كتاب الديات، باب العايل يُصَابُ عَلَى يَدَيْهِ خَطَأً، والنسائي في المجتبى (٤٧٧٨) كتاب القسامة، السُّلْطَانُ يُصَابُ عَلَى يَدَيْهِ، وابن ماجه (٢٦٣٨) كتاب الديات، باب الْجَارِحِ يُقْتَلُ بِالْقَوْدِ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٥) كتاب الصلح، باب إِذَا اضْطَلَّحُوا عَلَى صُلْحٍ جَزَرَ فَالْصُّلْحُ مَرْذُودٌ، ومسلم (١٦٩٧) كتاب الحدود، باب مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزَّنى، وأبو داود (٤٤٤٥) كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي برفعها من جهينة، والترمذي (١٤٢٣) كتاب الحدود، ما جاء في الرجم على الثيب، والنسائي في المجتبى (٥٤١٠) كتاب آداب القضاة، باب صون النساء عن مجلس الحكم، وابن ماجه (٢٥٤٩) كتاب الحدود، باب حد الزنى.

قَلِيلَ اللَّحْمِ سَبَطَ الشَّعْرَ، وَكَانَ الَّذِي وَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ آدَمَ خَذَلَا كَثِيرَ اللَّحْمِ، جَعَدًا قَطَطًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَيْنَ» فَوَضَعَتْ شَبِيهَا بِالرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَ رَوْجَهَا أَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَهَا، فَلَا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَجْلِسِ: هِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيْنِهِ لَرَجَمْتُ هَذِهِ؟» فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا، تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ الشُّوَّ فِي الْإِسْلَامِ^(١).

عن أَبِي صَخْرِ الْمَدِينِيِّ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ آبَائِهِمْ، دَنِيَّةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا مِنْ ظَلَمٍ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

قال الله ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿فَلَيْذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [السورئ: ١٥].

فأمر رسوله بالعدل بين الناس، وأمره بأن يبلغ الناس أن الله أمره بذلك: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾. فكان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى في العدل في كل الأمور؛ ولذلك قال لذي الخويصرة حين أمره بالعدل: «ويلك! من يعدل إذا لم أعدل؟!».

(١) أخرجه البخاري (٥٣١٦) كتاب الطلاق، بَابُ قَوْلِ الْإِمَامِ: اللَّهُمَّ بَيْنَ، ومسلم (١٤٩٧) كتاب اللعان، والنسائي (٣٤٧٠) كتاب الطلاق، بَابُ قَوْلِ الْإِمَامِ اللَّهُمَّ بَيْنَ، وابن ماجه (٢٥٦٠) كتاب الحدود، بَابُ مَنْ أَظْهَرَ الْفَاحِشَةَ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابُ فِي تَغْيِيرِ أَهْلِ الذُّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالْتَّجَارَاتِ.

وبعث علي بن أبي طالب، وهو في اليمن إلى النبي ﷺ بذهبية (تصغير ذهب) فرأى النبي أن يقسمها بين أربعة هم: الأقرع بن حابس المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي النهاني، وعلقمة بن علاثة العامري، وكان هؤلاء الأربعة من المؤلفة قلوبهم، وكلّ منهم رئيس في قومه، فغضبت قريش والأنصار، وأنكروا أن يعطي صناديد نجد أي أسيادها، ويتركهم، فقال النبي ﷺ: «إنما أنا لفهم» (من التآلف وهو المداراة والإناس ليشتبوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال)^(١).

فأقبل رجل^(٢) يصفه الحديث بأنه غائر العينين، مشرف الوجنتين أي غليظهما، ناتئ الجبين أي مرتفع الجبين، كث اللحية، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال ﷺ: «من يطمع الله إذا عصيت، أيا مني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني» فأراد أحد الصحابة - قيل: خالد بن الوليد، وقيل: عمر ابن الخطاب - أن يقتل هذا الرجل لسوء أدبه مع رسول الله ﷺ، فأبى النبي عليه ذلك، وأخبر أصحابه أنه سيخرج من نسل هذا الرجل قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فلا يصل إلى قلوبهم، ولا يفهمونه على حقيقته، ولا يعملون به، يخرجون من الدين بسرعة وسهولة كما ينفذ السهم من رميته، يقتلون المسلمين، ويتركون الكافرين.

ثم قال النبي ﷺ يتوعد: «لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»: أي قتل استئصال وإبادة كما استؤصلت عاد.

لقد شعر بالحزن الشديد، وهو يسمع واحدًا من المنتسبين للإسلام يتهمه بالجرور، وعدم القسمة بالعدل، ومع ذلك أبى عليه سمو أخلاقه، وجميل عفوه أن يسمح لخالد بن الوليد بقتل ذلك الرجل.

(١) عمدة القاري (٢٥/ ١٢٠).

(٢) هو ذو الخويصرة.

وقد حدث ما أخبر به النبي ﷺ، وخرج الخوارج على تلك الصفات في زمن علي رضي الله عنه.

وقد بين النبي في حديث آخر أنه قاسم، وأن الله هو الذي يعطي، ومعنى أنه قاسم أنه لم يستأثر بشيء من مال الله، (وإنما أنا قاسم أقسم بينكم ما أمرني الله بقسمته، وأعطي كل إنسان ما يناسبه، والله يعطي من يشاء ما شاء، فليست قسمي كقسمة الملوك بالتشهي، فلا تنكروا التفاضل، فإنه بأمر الله^(١)).

وعض رجل يد رجل، فانزع المعضوض يده من فم العاض، فسقطت ثنيته أو ثنياه، والثنيا من الأسنان في الإنسان هي (الأربع التي في مقدم فيه: ثتان من فوق، وثنان من أسفل)^(٢).

فاستعدى العاض رسول الله على خصمه يبغي القصاص، فأنكر الرسول ﷺ عليه ذلك، وأفهمه أنه هو المعتدي، وأنه ليس من العدل أن يعتدي على صاحبه، وبعض يده، فينزع المعتدي عليه يده، فسقط ثنياه المعتدي فيجأ إلى رسول الله ﷺ بالشكوى، كأنه يطلب منه أن يأمر الرجل بأن لا ينزع يده من فم صاحبه، ويتركه يقضمها كما يقضم الفحل، ثم قال له: «ادفع يدك حتى يعضاها ثم انتزعها».

وبلغ من عدله ﷺ أنه كان لا يتجاوز صاحب حق أبداً، وإن كان طفلاً حدثاً؛ فقد روى سهل بن سعد أن النبي ﷺ أتى بقدر فشرب منه، وكان عن يمينه غلام هو أصغر القوم؛ قيل: هو الفضل بن عباس، وقيل: عبد الله أخوه وعن يساره أشياخ من كبار الصحابة، ولما كان التيامن ستة نبوية، وكان الأيمن أحق بالقدح من الأيسر، فقد استأذن النبي الغلام أن يسقي الأشياخ قبله احتراماً لسنهم ومكانتهم، لكن الغلام النبیه كان يريد أن يستأثر بالشرب

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٣٦٢).

(٢) لسان العرب (١٤/١٢٣).

خلف النبي لينال بركة سوره، فقال للنبي ﷺ: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله، فأعطاه إياه.

والنبي ﷺ حتى في رؤيا منامه لا يرى إلا عدلا وحقا، رأى نفسه يتسوك بسواك، فجاءه رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناول النبي ﷺ السواك لأصغرهما، فقيل له: كبر، أي: أعط الأكبر، فأعطاه للأكبر منهما، (قال المهلب: تقديم ذي السن أولى في كل شيء، ما لم يترتب القوم في الجلوس فالسنة تقديم الأيمن فالأيمن)^(١).

والرسول ﷺ يقول: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا»^(٢).

ولأنه ﷺ يحب العدل، ويخشى الظلم فقد رفض التسعير، جاءه رجل فطلب منه أن يسعر، والتسعير: (هو أن يأمر السلطان أو نوابه، أو كل من ولي من أمور المسلمين أمرا - أهل السوق أن لا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا، فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة)^(٣)، فقال النبي ﷺ: «بل أدعو» أي: أدعو الله ليوسع عليكم الأرزاق فلا تحتاجون للتسعير، ثم جاءه رجل آخر فقال: يا رسول الله سعر، فقال معللا لرفضه: «بل الله يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة».

ومن أعظم أركان إقامة العدل إنفاذ حدود الله، وعدم التهاون فيها إذا بلغت المحاكم، وقد كان رسول الله ﷺ صارما في هذا الأمر، لا يقبل فيه مهادنة، وقد سبق إيراد حديث المرأة المخزومية التي سرقت فتشفع فيها أسامة بن زيد، فلم يقبل رسول الله ﷺ ذلك.

(١) عمدة القاري (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩١٩)، وغيرهما.

(٣) عون المعبود (٩/ ٢٢٩).

جاء صفوان بن أمية إلى الرسول ﷺ، وقد قبض على رجل سرق منه خميسة ثمنها ثلاثون درهماً، فأمر به النبي ليقطع، فاستكثر صفوان أن يقطع الرجل في ثلاثين درهماً، وعرض على الرسول ﷺ أن يبيع الخميسة للسارق، ويؤخر قبض ثمنها منه، لكن النبي ﷺ رفض هذا العرض قائلاً: «فهلّا كان هذا قبل أن تأتيني به».

وبعث الرسول ﷺ أبا جهم مُصدّقاً، أي جامعاً للصدقات، فنازعه رجل في صدقته، فضربه أبو جهم فجرحه في رأسه ووجهه، فأتى قومه من بني ليث يطلبون القصاص، فعرض عليهم النبي عوضاً من المال، فأبوا، فزادهم مرتين حتى رُضوا ثم أخبرهم أنه سيخطب في الناس ليعلمهم برضاهم، فقالوا: نعم. فلما خطب النبي أصحابه: «إن هؤلاء الليثيين أتوني يريدون القود، فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا» ثم خاطب الليثيين قائلاً: «أرضيتم؟» ففاجؤوا النبي قائلين: لا، فهم أصحاب النبي ﷺ أن يبطشوا بهم، فأمرهم النبي أن لا يفعلوا، ثم دعا بني ليث فزادهم عطاء حتى رضوا، فخطب الناس ثانية، وقال للخصوم: «أرضيتم؟» قالوا: نعم.

ويظهر هنا حرص الرسول على إقامة العدل، وإرضاء أصحاب الحق، ونزع الإحن والعداوات.

وفي موقف آخر يحمل ذات الدلالة أنه خصمان كان ابن أحدهما أجيّراً عند الآخر فزنى بزوجته، فقال الناس لوالد الزاني: إن على ابنك الرجم، فافتدى ابنه منه بمائة من الغنم وجارية، ثم سأل أهل العلم فقالوا له: إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام، فجاء ومعه خصمه يطلب من الرسول ﷺ أن يقضي بينهما بكتاب الله.

فرد النبي ﷺ الجارية والغنم على صاحبهما، وأخبره أن على ابنه الزاني غير المحصن جلد مائة، وتغريب عام، وأن على الزوجة المحصنة الرجم،

ثم أمر أحد أصحابه أن يأتي المرأة فيسألها، فإن اعترفت رجمها، فأتاها فاعترفت، فرجمها.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه أنه وجد مع امرأته رجلاً، فلاعن الرسول ﷺ بينهما^(١)، وقال: «اللهم بين».

فوضعت المرأة شبيهاً بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجده عندها، فقال الرسول ﷺ: «لو رجمت أحداً بغير بينة لرجمت هذه»، وقيل: إنما قال هذا القول (لامرأة رميت بالزنى، ظهرت الريبة في منطقتها وهيئتها، ولم تقر، ولم تقم عليها بينة، فأفاد أن الحد لا يثبت بالاستفاضة)^(٢).

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث وأمثاله في باب ما يجوز من اللو، أي متى يجوز استخدام (لو)، و(لولا)؟

وذلك لورود حديث ينهى عن قول: (لو)، وهو قوله ﷺ: «... وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(٣).

والذي يُفهم من هذا أنه لا يجوز استخدام (لو) فيما فيه اعتراض على القدر السابق، بينما يجوز استخدامها فيما هو للاستقبال، أو فيما كان حقاً متيقناً.

ويبلغ تمسك النبي بقواعد العدل وقيمه أنه حرّم ظلم أحد من أهل الذمة المعاهدين، أو انتقاص شيء من حقوقهم، أو تكليفهم بما لا يطبقون، أو أخذ شيء منهم بغير رضا نفس، ويكل حزم وحسم أعلن أنه سيكون خصماً مغالبًا لمن يفعل ذلك يوم القيامة.

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٣٠٩).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٧٩)، وغيرهما.

ذلك هو العدل النبوي في أسمى صورته، وأنصع آياته.



يقول النبي ﷺ للرجل الذي قال له: يا رسول الله، اعدل: «ويلك! من يعدل إذا لم أعدل؟^(١)» والويل: كلمة عذاب، منصوبة بفعل مضمر تقديره: ألزمتك الله ويلًا، أي عذابًا، وهي في الحديث مضافة إلى كاف الخطاب. (وقال عطاء بن يسار: الويل واد في جهنم، لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره)^(١).

«من يعدل إذا لم أعدل؟» استفهام غرضه النفي والإنكار. وإطلاق العدل دون تحديد مجاله يدل على أن المراد هو عموم العدل، الذي هو أمر الله لنبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ﴾ [النور: ١٥].

وقال النبي ﷺ: «من يطع الله إذا عصيت؟ أيامني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟» استفهامان: الأول للنفي والإنكار، والثاني للتعجب والدهشة.

وقال النبي ﷺ يصف الخوارج: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» وهذه كناية عن عدم تغلغل الإيمان في قلوبهم.

«يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»: تشبيه تمثيلي: شبه الخروج السريع لهؤلاء من ربة الدين بمروق السهم من هدفه الذي أصابه، فالخروج سريع ومباغت، ولا سبيل إلى العودة عنه.

قال الشريف الرضي: (وفي هذا القول مجاز؛ لأنه ﷺ شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته، أو يعيقوا)^(٢) بطيته - بالسهم الذي أصاب الرمية، وهي الطريدة المرمية، ثم خرج مسرعًا من جسمها، ولم يعلق بشيء من فرثها ودمها، وذلك من صفات السهم الصائب؛

(١) مختار الصحاح (٣٠٧/١).

(٢) بلصقوا.

لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة^(١).

«يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»: مقابلة تبين التناقض الذي يعيشه هؤلاء المارقون الذين يزعمون أنهم أشد تمسكاً بالإسلام من غيرهم. «لأقتلنهم قتل عاد» كناية عن الاستئصال والإبادة.

وقال النبي ﷺ للرجل الذي عض يد صاحبه: «ما تأمرني؟ تأمرني أن آمره...» استفهامان للتعجب.

وقوله: «تقضمها كما يقضم الفحل»: القضم هو الأكل بأطراف الأسنان، وشبهه بالفحل أي الجمل لأن عضته شديدة مؤثرة.

«ادفع يدك حتى يعضها ثم انتزعها»: أمران غرضهما الإنكار على الشاكي (أي: إنك لا تدع يدك في فيه يعضها، فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك، وتطالبه بما جنى في جذبه)^(٢).

قال النبي ﷺ للغلام الذي كان على يمينه: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياء؟»: «يا غلام» النداء للتنبية.

«أتأذن لي...؟» استفهام غرضه العرض والتخيير.

قال ﷺ: «أراني أتسوك بسواك»: «أراني» فعل من أفعال القلوب، أي: أرئ نفسي، فالفاعل والمفعول عبارتان عن معبر واحد، وهذا من خصائص أفعال القلوب^(٣).

وأفعال القلوب، سميت بذلك لأنها في الغالب تتعلق بالقلب، وتنقسم إلى قسمين هما: أفعال اليقين مثل: رأى وعلم ووجد ودرى وتعلم.

وأفعال الرجحان، وهي: خال وظن وحسب، وزعم وعدّ وحجا وجعل

(١) المجازات النبوية (٣٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١١/١٦١).

(٣) سادة القاري (٣/١٨٦).

وهَبَ.

وكلا القسمين ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، ومن خصائصها: (جواز وقوع فاعلها ومفعولها ضميرين معينين وذلك بأن يكونا ضميرين متصلين متحدين في المعنى، مختلفين في النوع؛ نحو: عَلِمْتُني راعياً في مودة الأصدقاء، وَرَأَيْتُني حريصاً عليها، فالتاء والياء في المثالين ضميران متصلان، ومدلولهما شيء واحد؛ فهما للمتكلم، مع اختلاف نوعهما: فالتاء ضمير رفع فاعل، والياء ضمير نصب، مفعول به^(١)). ويجوز أن يكون الضمير الثاني مستتراً كالمثال.

واستخدم المضارع (أراني) لاستحضار الصورة، وورد الفعل في بعض النسخ بضم الهمزة، وفُسرَ بأن المعنى أظن نفسي، ونفي آخرون هذا المعنى وقالوا: (ولكن هذا من بعض الظن، إذ رؤيا الأنبياء حق، فإن ثبت بضم الهمزة، فإن الصواب أن يحمل على أنه مجهول من باب الإراءة بمعنى الإعلام)^(٢).

قال النبي ﷺ: «وإنما أنا قاسم، والله يعطي»، والجملة الأولى مؤكدة بأسلوب القصر بإنما وضمير الفصل.

وجملة: «والله يعطي» تثبت العطاء لله وحده، وتنفيه عن رسول الله ﷺ، إذ المثبت له ﷺ هو مجرد القسمة التي لا يعمل فيها إلا بأمر الله.

وصدّر الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» يوحي بأن المراد بالقسمة هنا قسمة العلم، بينما كان مورد الحديث وقت قسمة المال، والقسمة حقيقة تكون في الأموال، فما وجه المناسبة إذاً بين الأمرين؟

لقد استاء البعض من تخصيص بعض الناس بالعطاء ومنع آخرين، (فرد

(١) النحر الرافي (٢/ ٤٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٩٠).

عليهم النبي ﷺ بقوله: «من يرد الله به... إلى آخره، يعني: من أراد الله به خيراً يوفقه، ويزيد له في فهمه في أمور الشرع، ولا يتعرض لأمر ليس على وفق خاطره، إذ الأمر كله لله، وهو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يزيد وينقص، والنبي ﷺ قاسم، وليس بمعطي؛ حتى ينسب إليه الزيادة والنقصان»^(١).

قال النبي ﷺ لما قيل له: يا رسول الله، سَعُرَ: «بل أَدْعُو»: وفي الكلام حذف إذ المراد: لا أسعر بل أَدْعُو لَكُمْ، لِيُوسِعَ عَلَيْكُمُ الْأَرْزَاقَ فَلَا تَحْتَاجُونَ لِلتَّسْعِيرِ.

وقال ﷺ: «بل الله يخفض ويرفع»: و: «بل» للإضراب، و«يخفض ويرفع» طباق، والجملة جواب على سبيل تعليل الرفض، وقَدَّمَ لفظ الجلالة لِيُؤَكِّدَ أن الأمر كله لله، وأن (من حاول التسعير فقد عارض الله، ونازعه فيما يريده، ويمنع العباد حقوقهم مما أولاهم الله تعالى في الغلاء والرخص)^(٢).

قال رسول الله ﷺ: «لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بَكْتَابِ اللَّهِ»: والجملة جواب لقسم، الفعل فيها مؤكد باللام ونون التوكيد الثقيلة وأداة القسم والمقسم به مقدران.

و«كتاب الله» أي: حكمه وقضاؤه، واستعماله بهذا المعنى شائع في القرآن وفي غيره، قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِهِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢١].

وقال: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَمَا يَكْنُيُونَ﴾ [الطور: ١١] أي: يقضون.

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا مِنْ ظَلَمٍ مَعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقِهِ، أَوْ

(١) حكمة القاري (٢/ ٥١).

(٢) مرقاة المفاتيح (٦/ ٩٩).

أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس...»: و«ألا» الاستفتاحية للتنبيه، والعبارات التالية لها فيها تعداد لألوان الجور والتعدي: الظلم، انتقاص الحقوق، التكليف فوق الطاقة في الجزية أو الخراج، أخذ أي شيء بغير رضا نفس، والأخيرة تحوي تعميماً بعد تخصيص.

وقوله ﷺ: «فأنا حججه يوم القيامة» يأتي فيه استخدام ضمير الفصل المتكلم «أنا» لبيان فداحة جرم من يظلم المعاهد، والتلويح بالإندار والتهديد لمن يفعل ذلك إذ يتجرد له النبي ﷺ بذاته خصماً.

وإضافة يوم القيامة لمزيد من الترهيب من ذلك الإثم، وبيان ضلال سعي مرتكبه، وسوء عاقبه.

٥- حكمته ﷺ وبعد نظره:

* «لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكَفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ»:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكَفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، ثُمَّ لَبَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَإِنْ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ، وَجَعَلْتُ لَهُ خَلْفًا»^(١).

قال أبو سفيان: ثُمَّ دَعَا^(٢) بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، إِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمْتَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَهَلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَمَلَّؤْا إِلَيَّ كَلِمَةً سَوَّيْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ»، إِلَى قَوْلِهِ: «أَشْهَدُوا بِأَنَّا

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٥) كتاب الحج، باب فضل مكة وبُنيانها، ومسلم (١٣٣٣) كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبُنيانها، والنسائي في المجتبى (٢٩٠١) كتاب مناسك الحج، باب بناء الكعبة.

(٢) أي: هرقل عظيم الروم.

مُسْلِمُونَ ﴿[ال عمران: ٦٤]﴾^(١).



كان النبي ﷺ أكثر الناس تدبراً في الأمور كلها، ولم يكن يصدر إلا عن روية، ولا يقرر أمراً إلا بعد مشورة، وكان يحسب لكل شيء حساباً، ويتأمل قبل أن يخطو، حتى إذا عزم توكل على الله، فلم يتردد، ولم يتراجع.

ومع أنه ﷺ كان مؤيداً من ربه، واثقاً من نصره؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من الأخذ بالأسباب، والتحوط والحذر قبل اتخاذ القرار، وقياس قوى الخصوم وردود الأفعال.

لما أرادت قريش إعادة بناء الكعبة التي تفتحت عينا النبي ﷺ على بهاثها، ودرجت رجلاه وهو ما يزال صبياً في صحنها، وشارك وهو فتى في بنائها، وصلى وطاف الله الواحد في فنائها - قررت أن تجعل كل نفقة تنفقها فيها من مال طيب، وأن لا تدخل فيها مالاً حراماً من مهر بغي، أو بيع رباً، أو مظلمة من أحد من الناس. فلم تكف أموالهم الحلال لاستكمال البناء على قواعد إبراهيم، وقصرت بهم النفقة عن ذلك، فأخرجوا منها حجر إسماعيل، ورفعوا بابها عن الأرض.

وفكر الرسول ﷺ بعد فتح مكة واستقرار الأمور، في أن يهدم البيت، ويعيد بناءه على أساس إبراهيم، ويدخل ما أخرج منه، ويلزقه بالأرض، ويجعل له بابين شرقياً وغريباً.

لكنه ببعيد نظره رأى أن القوم حديثو عهد بكفر، وأنه إن فعل هذا قد يثيرهم، ويوغر صدورهم، ويؤجج بواعث الفتنة.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٣) كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَمَآٰؤُاْ إِلَىٰ حَكَمَةٍ سَلَٰمٌ مِّنَّا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَقْبُدُ إِلَىٰ ٱللَّهِ﴾، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هِرَقْل يدعوه إلى الإسلام.

ونفهم من ذلك أمورًا:

(الأول: قال ابن بطال: فيه أنه قد يُترك سير من الأمر المعروف إذا خشي منه أن يكون سببًا لفتنة قوم ينكرونه.

الثاني: فيه أن النفوس تحب أن تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض.

الثالث: قال النووي: فيه أنه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بُدئ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن رد الكعبة إلى قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن يعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، لما كانوا يرون تغييرها عظيمًا، فتركها النبي ﷺ.

الرابع: فيه فَكْرُ ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا، إلا أمور الشريعة، كأخذ الزكاة، وإقامة الحد.

الخامس: فيه تأليف قلوبهم وحسن حياتهم، وأن لا ينفروا، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه، ما لم يكن فيه أمر شرعي^(١).

ومن دلائل حكمة النبي ﷺ رسائله التي أرسلها للملوك والقيصرة والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، لقد كان يقدر لهم منازلهم رغم كفرهم، فيلقب هرقل بعظيم الروم، ثم لا يمنعه ذلك من أن يدعوهم إلى الإسلام بحزم، ويحمّله إثم مَنْ خلفه من قومه إن لم يفعل.

إن رسالته ﷺ إلى هرقل، وإلى سائر الملوك والأمراء هي رسائل الحكمة البالغة، والعزة المقتدرة، رسائل الدعوة الصادقة، والإنذار القاطع، رسائل الحب الغامر للإنسانية كلها، والرغبة الملحة في هداية الناس جميعًا،

وإنقاذهم من وهاد الشرك، وغياهب الضلال.

لم يستثن رسول الله أحدًا من الممالك المحيطة بالدولة الإسلامية الفتية آنذاك؛ فقد أرسل إلى النجاشي في الحبشة، والمقوقس في مصر، وكسرى فارس، وهرقل الروم، والمنذر بن ساوي حاكم البحرين، وهُوَذَّة بن علي صاحب اليمامة، والحارث بن أبي شمر في دمشق، وجيفر ملك عمان، واختلفت ردود أفعال هؤلاء الملوك والأمراء تجاه هذه الدعوة: فأما النجاشي فقد استقبل الكتاب بحفاوة، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب الذي كان مهاجرًا في الحبشة في ذلك الوقت.

وأما المقوقس، فقد أكرم وفادة رسول الله ﷺ، ووعد بأن ينظر في الأمر، وبعث إلى النبي ﷺ بجاريتين وكسوة وبغلة كهدية.

واستقبل كسرى كتاب رسول الله بغطرسه شديدة، ولم يلبث حين قرأه أن قام بتمزيقه، فدعا النبي عليه بأن يمزق الله ملكه.

وقرأ المنذر بن ساوي - حاكم البحرين - كتاب الرسول ﷺ على أهل البحرين فأسلم بعضهم، وأقام بعضهم على دينه من مجوسية أو يهودية، وأرسل إلى النبي بذلك.

وطلب هُوَذَّة بن علي صاحب اليمامة من النبي ﷺ أن يجعل له شيئًا من الأمر حتى يتبعه. وأجاب جيفر وأخوه عبدُ حاكمَا عمان رسولَ الله ﷺ إلى الإسلام.

ورمى الحارث بن أبي شمر كتاب رسول الله ﷺ، وعزم أن يسير إليه ليحاربه، واستأذن سادته الروم في حرب الرسول ﷺ، فمنعوه من ذلك.

أما هرقل عظيم الروم، فقد وصله رسول رسول الله ﷺ وهو بيت المقدس، فقرأ كتاب النبي ﷺ أمام عظماء قومه، وكان الكتاب مفتوحًا بالتسمية، ثم الدعوة إلى الإسلام «أسلم نسلم»، ووعد من النبي ﷺ له إن

أسلم بمضاعفة أجره عند الله، وتوعد إن أعرض بأن عليه إثم من لا يسلم من قومه، ثم اختتم الكتاب بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ صَلٰةٍ مَّوٰلِمٍ﴾ الآية (آل عمران: ٦٤).

فلما سمع قومه ذلك هاجوا وغضبوا، وارتفعت أصواتهم، وكثر لغظهم، فهدأهم، وأرسل يستدعي نفرًا من قريش كانوا تجارًا بالشام وقتها ليسألهم عن أمر رسول الله ﷺ، وكان من بينهم أبو سفيان، فقربه وسأله عن نسب النبي، وطبيعة أتباعه، وهل يزيدون أو ينقصون، وصدقه من كذبه، وقال قومه له، وبماذا يأمرهم، واضطر أبو سفيان - ولم يكن قد أسلم بعد - أن يصدّق القيصر؛ لأنه أقام فوق رأسه بعض رفاقه، وأمرهم إن كذب أن يكذبوه. ولما انتهى هرقل من سماع أبي سفيان قال: (... فإن كان ما تقول حقًا، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)^(١).

ثم صرف من كان عنده من العرب، وأجاز حامل كتاب رسول الله ﷺ بمال وكسوة.

لقد (كان طبيعيًا أن تحدث مثل هذه الدعوة دويًا عظيمًا في بلاط قيصر، بل إنها أحدثت ارتباكًا شديدًا وحيرة مصحوبتين بتفكير عميق من لدن قيصر وبطانته، خاصة وأنهم خارجون من حرب طاحنة جرت بينهم وبين كسرى، وكان النصر حليفهم فيها)^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، وغيرهما.
(٢) البيان المحمدي للأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة (١١٦).

قال رسول الله ﷺ، وهو يعلل لرغبته في إعادة بناء البيت: «... لبنته على أساس إبراهيم عليه السلام، فإن قريشاً استقصرت بناءه، وجعلت له خلفاً»؛ وقوله ﷺ: «على أساس إبراهيم» إشارة إلى البناء الذي أقامه إبراهيم عليه السلام على قواعد البيت التي كانت قائمة من قبل تنفيذاً لأمر الله جلَّ وعزَّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا إِلَهُهُمْ آلْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله ﷺ: «استقصرت بناءه» الفعل بقاء التأنيث الساكنة، والضمير عائد على قريش، وهو كناية عن عجزهم عن استكمال البناء على قواعد إبراهيم. وقوله: «وجعلت له خلفاً» التاء في الفعل للفاعل، ويعني ذلك أن الفعل معطوف على «لبنته»، والضمير عائد على رسول الله ﷺ، وخلفاً أي: باباً؛ والمراد باباً خلفياً، لوجود باب أمامي، ولدلالة رواية أخرى للبخاري جاء فيها أن النبي ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية؛ لأمرت بالبيت فهدم، فادخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له باين باباً شرقياً وباباً غربياً...»^(١).

وضبط بعضهم الفعل «جعلت» بفتح اللام وسكون التاء، قال ابن حجر: «وضبطها القابسي بفتح اللام وسكون المشاة عطفاً على استقصرت، وهو وهم؛ فإن قريشاً لم تجعل له باباً من خلف، وإنما همَّ النبي بجعله»^(٢).

قال رسول الله ﷺ: «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى»؛ وصف الرسول ﷺ هرقل بعظيم الروم؛ وليس بملك روم. ولا قبصر الروم؛ (لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولَّاه رسول الله ﷺ، أو ولَّاه من أذن له رسول الله

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٦)، والنسائي في المجتبى (٢٩٠٣).

(٢) فتح الباري (٤٤٤/٣).

ﷺ بشرط^(١).

وقوله: «سلام على من اتبع الهدى» مناسب للموقف؛ لأن الخطاب موجه لكافر لا يجوز الدعاء له بالرحمة والبركة.

وقال ﷺ: لهرقل: «أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين»: وقوله: «بدعاية الإسلام» أي (بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والباء موضع إلى)^(٢).

وقوله ﷺ: «أسلم تسلم»: (في نهاية من الاختصار، وغاية من الإيجاز والبلاغة مع ما فيه من بديع التجنيس، وشموله لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسبي والقتل وأخذ الديار والأموال، ومن عذاب الآخرة)^(٣).

وقوله: «يؤتك الله أجرك مرتين» المراد (بإيمانك بعيسى ﷺ، وإيمانك بي بعده)^(٤) والجملة خبرية يراد بها الترغيب والتحبيب.

قال ﷺ: «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين»: وهي جملة خبرية غرضها التحذير والإنذار، والأريسين جمع أريس، (وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، وقد تقلب همزته ياء، كما جاءت رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما هنا).

قال ابن سيده: الأريس: الأكار أي الفلاح)^(٥).

والمعنى: أن عليك إثم رعاياك وجنودك وأتباعك ما لم تؤمن وتتب،

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٠٨/١٢).

(٢) فتح الباري (٣٨/١).

(٣) شرح النووي (١٠٨/١٢).

(٤) شرح ابن بطال (٤٨/١).

(٥) فتح الباري (٤٩/١).

وَبُلِّغَ وَتُنْذَرُ.

٦ - شدته ﷺ في الحق:

* «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ».

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطَبٍ يُخْتَطَبُ، ثُمَّ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُؤَمِّمَ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَتَّتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»^(١).

- عن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّ عَمْرُوَ بْنَ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: «إِنَّ أَلَّ أَبِي - قَالَ عَمْرُو: فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ بَيَاضٌ - لَبَسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيَئِي اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ». زَادَ عَبْسَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ بَيَّانٍ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «وَلَكِنَّ لَهُمْ رَحِمٌ أَبْلَاهَا بِلَالُهَا» يَعْنِي أَصْلَهَا بِصِلَتِهَا^(٢).

- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدْعَ إِلَّا مُسْلِمًا»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، وبنحوه عند مسلم (٦٥١) كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، وأبو داود (٥٤٨) كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة، والترمذي (٢١٧) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء فمن يسمع النداء فلا يجيب، والنسائي في المجتبى (٨٤٨) كتاب الإمامة، التشديد في التخلف عن الجماعة، وابن ماجه (٧٩١) كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) كتاب الأدب، باب تَبَلُّ الرِّجْمِ بِبَلَالِهَا، ومسلم (٢١٥) كتاب الإيمان، باب مَوَالِئِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَقَاتِعِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٧) كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، وأبو داود =

- عن ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»^(١).

- عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: «أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؟ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مِنْ غَشٍّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

- عن أبي الزناد، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ هُرْمَزَ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَأْتِي الْإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَوُّهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي النَّمَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَوُّهُ بِأُظْلَافِهَا، وَتَنْطَحُّهُ بِقُرُونِهَا» وَقَالَ: «وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى الْمَاءِ» قَالَ: «وَلَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا

= (٣٠٣٠) كتاب الخراج والإمارة والفى، باب باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب، والترمذي (١٦٠٧) كتاب السير، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

(١) أخرجه البخاري (٢٥) كتاب الإيمان، باب «فَإِنْ قَاتَلُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ»، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كلاهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كما أخرجه أبو داود (٢٦٤٠) كتاب الجهاد، باب علام يقاتل المشركون؟، والترمذي (٢٦٠٦) كتاب الإيمان، باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، والنسائي في المجتبى (٣٠٩٠) كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، وابن ماجه (٣٩٢٧) كتاب الفتن، باب الكف عمن قال لا إله إلا الله، كلهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢) كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وأبو داود (٣٤٥٢) كتاب الإجارة، باب النهي عن الغش، والترمذي (١٣١٥) كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وابن ماجه كتاب التجارات، باب النهي عن الغش.

على رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارَ، فيقول: يا محمد، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَغْتُ، وَلَا يَأْنِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ، فيقول: يا محمد، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، قَدْ بَلَغْتُ»^(١).

— عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: أَتَانِي نَاسٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فَقَالُوا: أَذْهَبَ مَعَنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ لَنَا حَاجَةً، فَذَهَبْتُ مَعَهُمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَعِينْ بِنَا فِي عَمَلِكَ؟ قَالَ أَبُو مُوسَى: فَاعْتَذَرْتُ مِمَّا قَالُوا، وَأَخْبَرْتُ أَنِّي لَا أَذْرِي مَا حَاجَتُهُمْ، فَصَدَّقَنِي، وَعَذَرَنِي، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ فِي عَمَلِنَا بِمَنْ سَأَلْنَا»^(٢).

— عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَا: أُغْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَأَقْبَلْتُ أَمْرًا أَنَّهُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ تَصِيحُ بَرْنَةٍ، قَالَا: ثُمَّ أَفَاقَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي؟ وَكَانَ يُحَدِّثُهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»^(٣).



كان النبي ﷺ أحلم الناس على قومه، وأشد الناس شفقة على أصحابه، إلا حين يُمسُّ الحق، فإنه يغضب غضبًا شديدًا، ويحتد احتدادًا عظيمًا. وصفه ريبه هند بن أبي هالة فقال: (لا يذم ذَوَاقًا^(٤) ولا يمدحه، ولا

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢) كتاب الزكاة، باب إِنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، ومسلم (١٨٣١) كتاب الإمارة، باب إِنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، والنسائي في المجتبى (٢٤٤٨) كتاب الزكاة، باب مَنَعَ زَكَاةِ الْإِبِلِ.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٥٣٨٢) كتاب آداب القضاة، باب تَرَكِ اسْتِعْمَالَ مَنْ يَخْرِصُ عَلَى الْقَضَاءِ.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٤) كتاب الإيمان، باب تَحْرِيمِ صَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالِدُعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، والنسائي في المجتبى (١٨٦٣) كتاب الجنائز، أَلْحَلُّ، وابن ماجه (١٥٨٦) كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْ صَرْبِ الْخُدُودِ، وَشَقِّ الْجُيُوبِ.

(٤) ذَوَاقًا: مأكولًا أو مشروبًا.

تُغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا يتصر لها^(١).

ولا تناقض الشدة في الحق مع الرحمة والرفق، فإن لكل موضعاً، ولقد وصف القرآن النبي وأصحابه فقال: ﴿تَحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ^٢ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [التح: ٢٩].

وكان النبي ﷺ ألين الناس عريكة، وأكثرهم رفقاً، وهو الذي يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

عن عائشة قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُتْهَك شيء من محارم الله، فينتقم لله ﷻ)^(٣).

ذاك هو النبي ﷺ: رفق ورحمة ولين وتسامح في حق نفسه ما لم تنتهك محارم الله، أو يُتَقَصَّ دين الله، فإن حدث ذلك تحول إلى بركان غضب يقذف حمماً، ولا يهدأ حتى ينتقم لله، ويحق الحق.

لقد علم الرسول ﷺ أن بعض المسلمين يتخلفون أحياناً عن صلاة الجماعة في المسجد معه، فأعلن غضبه عليهم، وأقسم أنه أوشك أن يأمر بجلب حطب فيُجلب، ثم يأمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم يأمر رجلاً فيؤم الناس، ثم ينصرف هو إلى هؤلاء المتخلفين عن الجماعة فيُحرِّق عليهم بيوتهم.

وأقسم رسول الله ﷺ أن هؤلاء المتخلفين لو علم أحدهم أنه لو شهد العشاء مع الجماعة لظفر بنفع دينوي خسيس كأكلة لحم طيب، أو متعة اشتراك في سباق رمي - لكان أشد الناس حرصاً على عدم التخلف عنها.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٤) (١٥٦/٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، وأبو داود (٢٤٧٨)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٨)، والنسائي في الكبرى (٩١٦٤)، وغيرهما.

ولم يكن الرسول ﷺ يوالي أحداً في غير الله، وإن كان من ألصق قرابته، ولقد أعلن في وضوح: «إن آل أبي فلان - يكتني ولا يصرح، من عشرته - ليسوا من أوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين» لكنه مع ذلك يصلهم لحق الرحم، فما كان ليقطع رحماً وصلها الله جَلَّ وَعَلَا.

وفي غير مهادنة أو مداراة صرح رسول الله ﷺ في أكثر من حديث أن جزيرة العرب سوف تتطهر من الشرك والمشركين، وتصبح أرضاً مسلمة خالصة، وأنه سيجلي منها اليهود والنصارى حتى لا يدع فيها إلا مسلماً.

لقد أعلن بوضوح أنه أمر بالقتال في سبيل إعلاء دين الله، ورفع راية التوحيد، وأن من أراد أن يعصم دمه وماله فعليه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة - أما ما سوى ذلك من عمل فحسابه على الله.

إن غش المسلمين ليس مقبولاً، وإن كان في أدنى صورة، والرسول ﷺ يتبرأ من ذلك، ويقرر أن هذا الفعل خروج عن نهجه، وتجاوٍ عن سته. لقد مرَّ على رجل يبيع طعاماً أصابه المطر، فجعل ما ابتل منه أسفل، فلما أدخل الرسول ﷺ يده فيه نالت بللاً، فقال: «أفلا جعلته فوق الطعام؟ كي يراه الناس؟ من غش فليس مني».

أما مانعو الزكاة، ولا سيما زكاة الماشية، فإنهم عرضة لسخط رسول الله ﷺ، وسوف ينالون يوم القيامة حقهم من العذاب المكافئ لجرمهم، ومن ألوان العذاب التي تصيبهم أن ما منعوه من إبل أو غنم تأتي على أعظم ما تكون من السمن فطوهم وتُهينهم وتنطحهم، ويجبر أحدهم على حمل ما منع من إبل أو غنم فوق رقبته، فإذا ما أسرع ليستنجد بالنبي ﷺ، ويطلب شفاعته، يقول له النبي ﷺ: «لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغت».

ولم يستح رسول الله ﷺ رغم حبه للأشعرين من رفض طلب بعضهم

للولاية، بل قال لهم في صرامة واضحة: «إنا لانتعين في عملنا بمن سألنا»، إذ لا يكون الطالب في تلك الحالة محصناً من شبهة السعي لمآرب خاصة، أو مكاسب دنيوية.

وتبرأ النبي ﷺ ممن خلق، أي: خلقت شعرها حزناً على ميتها، وممن سلق: أي رفع صوته بالنواح عند المصيبة، وممن خرق: أي شق ثيابه تأثراً بفقد حبيب.

إن هؤلاء جميعاً يعترضون على قدر الله، ولا يتهون عما نهى عنه رسول الله ﷺ ويحرمون أنفسهم من فضل الصبر ومنزلة الصابرين.



قال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن أمر بحطب يحتطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس»: «لقد هممت» جواب للقسم مؤكد باللام وقد، وقوله: «هممت» أي عزمت أو قصدت، وهو (دليل على تأكيد الجماعة وعظيم أمرها، وقد أمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات بقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومن تمام محافظتها صلاتها في جماعة^(١).

وذكر رسول الله ﷺ لتفاصيل ما كاد يهمل بفعله يوحى باهتمامه الشديد بالأمر، وترتيبه لخطواته، وانتداب نفسه للقيام به، دون أن يكلف أحداً غيره يؤكد خطورة التخلف عن الصلاة في المسجد، وإثم فاعله.

قال رسول الله ﷺ: «ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم»: قوله: «أخالف» أي: آتيهم من خلفهم، وفي التعبير إرادة معنى المفاجأة.

وقوله: «فأحرق عليهم بيوتهم» الفعل «أحرق» بالتشديد يفيد المبالغة في الحرق، وفيه: (بيان أنه همٌّ أن يؤدب بإتلاف الأموال على سبيل الإبلاغ في

النكاية، ويحتمل أن يريد بذلك تشبيه عقوبتهم بعقوبة أهل الكفر في تحريق بيوتهم وتخريب ديارهم^(١).

قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً، أو مرماتين حستين لشهد العشاء»: العرق بفتح العين وإسكان الراء هو (العظم إذا كان عليه لحم، فإن كان العظم لا لحم عليه فهو عرق بضم العين)^(٢).

ولحم العرق من أطيب اللحوم وألذها.

والمرماتان (ثنية مِرْمَاة بكسر الميم، وهي ما بين ظلفي الشاة من اللحم، وقيل: هي الظلف، وقيل: هي سهم يُتَعَلَّم عليه الرمي، وهو أرذل السهام)^(٣).

وضرب المثل بالعرق والمرمأة لبيان أن هؤلاء لا يلتفتون لما في صلاة الجماعة من الأجر والثوبة، وأنهم لو علموا أن بها أهون نفع دنيوي لتسابقوا إليها.

قال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن قرابته من غير المؤمنين: «ولكن لهم رحمٌ أبْلُها بِلَالها»: وقوله: «أبْلُها» يعني: أصْلُها بالمعروف، (والبل هو الترطيب والتندية بالمعروف)^(٤)، وفي التعبير مجاز هو استعارة تصريحية إذ شبه الرسول ﷺ صلة الرحم بالمعروف، بترطيب الشيء اليابس حتى يلين (وذلك أن العرب تصف الرجل إذا وصفته باللؤم بجمود الكف، فتقول: ما تندئ كفه بخير، وإنه لحجر صلد، يعني: لا يرجئ نائله، ولا يطمع في معروفه، كما لا يرجئ من الحجر الصلد ما يشرب، فإذا وصل رحمه بمعروفه قالوا: بلَّ رحمه بلًّا، وبلاّلاً)^(٥).

(١) المتقى شرح الموطأ (١/٢٣٠).

(٢) طرح التريب في شرح التقريب (٢/٣١١).

(٣) عمدة القاري (٢٤/٢٨٣).

(٤) شرح ابن بطلال (٩/٢٠٧).

(٥) شرح ابن بطلال (٩/٢٠٧).

قال النبي ﷺ حين وضع يده في طعام فأصابته بللاً: «ما هذا يا صاحب الطعام؟»: والاستفهام إنكاري توبيخي.

ثم قال: «من غش فليس مني»، وقوله: «من غش» دون أن يحدد أنواع الغش أو المغشوش فيه - دال على العموم.

وتَقَيُّ أن يكون الغاش من رسول الله فيه أبلغ التنفير من الغش، إذ حسب هذا الصنف من الناس أن لا يكونوا متسبين إلى منهج رسول الله ﷺ وطريقته.

وليس المراد بقوله: «فليس مني» نفي الإسلام عنه، وإنما معناه (أنه ليس ممن اهتدى بهدينا، واقتدى بعملنا وعملنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله: لست مني، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول)^(١).

فَصَّل رسول الله ﷺ موقف مانعي الزكاة يوم القيامة في مشاهد واقعية معبرة.

فمانع حق الإبل تأتيه إبله على أسمن ما كانت في الدنيا فتدوسه بأقدامها، ومانع حق الغنم تأتيه غنمه أيضًا على أسمن ما تكون في الدنيا فتدوسه وتنطحه، وكلاهما مستلق لا يملك لها دفعًا، وفي صورة أخرى يأتي مانع زكاة الغنم والإبل وهو يحمل فوق رقبته ما منع، فيسرع إلى النبي ﷺ يستصرخه، فيجيبه النبي ﷺ: «لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغت».

صورة مخيفة منفرة مهينة تُروِّع بواقعيتها كل نفس كريمة تخشى يوم الحساب، وتردع كل نفس لثيمة تبخل بحق الله في مال الله.

قال النبي ﷺ وهو يتبرأ من الحالقة والصالقة والشاقة: «أنا بريء ممن حلق وعلق وخرق». يقال: سلق وعلق وهي سالقة، وهي صالقة، وكلاهما لغتان صحيحتان.

وإعلان براءة النبي ﷺ ممن يفعل هذه الأمور يؤكد حرمتها وبشاعتها وتناقضها مع منهج النبي ﷺ.

والكلمات الثلاث: (حلق وسلق وخرق) يجمعها جناس ناقص، يتدفق بالإيقاع، وحرف القاف الذي تنتهي به جميعاً يطرق الأسماع بقوة كأنه جرس إنذار وتنبه لمن يرتكب هذه الموبقات.

٧- حرصه ﷺ على العلم والتعليم:

* «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعَلَّمَكُمُ».

- عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ، فَأُتِبَتْ الْكَلَّا وَالْعُشْبُ الْكَثِيرُ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمَسَكَتِ الْمَاءُ، فَتَقَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَسَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

عن حُمران بن أبان، مولى عثمان بن عفان قال: رأيت عثمان بن عفان تَوَضَّأَ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثًا فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ تَمَضَّمَصَ وَاسْتَنْشَرَّ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَحْدِثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٩) كتاب العلم، باب فضل من عليم وعلم، ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٦) كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ، والنسائي المجتبى (٨٥) كتاب الطهارة، بأي اليدين يتمضمض، وابن ماجه (٢٨٥) كتاب الطهارة، باب =

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّراً، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَاتَّبَعُوا بِي، وَلْيَأْتِمَنَّ بِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ»^(١).

عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةٍ جَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «هَلْ قَرَأَ مَعِيَ أَحَدٌ مِنْكُمْ آتِفاً؟» فَقَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنِّي أَقُولُ مَا لِي أُتَارَعُ الْقُرْآنَ» قَالَ فَانْتَهَى النَّاسُ عَنِ الْقِرَاءَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا جَهَرَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقِرَاءَةِ مِنَ الصَّلَوَاتِ، حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

عن ابن عباسٍ عن النبي ﷺ قَالَ: «الشَّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ، أَوْ سَرِيَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيِّ بَنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»^(٣).

عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْكَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٤).

= ثواب الطهور.

(١) أخرجه مسلم (٤٣٨) كتاب الصلاة، بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا وَالْإِزْدِحَامَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَالْمُسَابَقَةَ إِلَيْهَا وَتَقْدِيمَ أُولَى الْفَضْلِ وَتَقْرِيْبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ، وَأَبُو دَاوُدَ (٦٨٠) كتاب الصلاة، بَابُ صِفِ النِّسَاءِ وَكَرَاهِيَةِ التَّأَخُّرِ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٨٢٦) كتاب الصلاة، بَابُ مِنْ كَرِهَةِ الْقِرَاءَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِذَا جَهَرَ الْإِمَامُ وَالتَّرْمِذِيُّ (٣١٢) كتاب أبواب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ إِذَا جَهَرَ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْمَجْتَبَى (٩١٩) كتاب الإمامة، تَرْكُ الْقِرَاءَةِ خَلْفَ الْإِمَامِ فِيمَا جَهَرَ بِهِ، وَابْنُ مَاجَةَ (٨٤٨) كتاب إقامة الصلاة، بَابُ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ فَأَنْصِتُوا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨١) كتاب الطب، بَابُ الشَّفَاءِ فِي ثَلَاثٍ، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٤٩١) كتاب الطب، بَابُ الْكَيِّ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٤) كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَجَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْسَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا، وَأَبُو دَاوُدَ (٥١٩٣) كتاب

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اخذُوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن» فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: «قل هو الله أحد» ثم دخل، فقال بعضهم لبعض: إني أرى هذا خير جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»^(١).

- عن عتبة بن عامر قال: كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر، فقال لي: «يا عتبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا فعلمني» «قل أعوذ برب الفلق» [سورة الفلق]، و«قل أعوذ برب الناس» [سورة الناس] قال: فلم يرني سررت بهما جدًّا، فلما نزل لصلاة الصبح، صلى بهما صلاة الصبح للناس، فلما قرع رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي، فقال: «يا عتبة كيف رأيت؟»^(٢).

عن عتبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أنزل أو أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط، المعوذتين»^(٣).

عن أبي سعيد بن المعلق قال: كنت أصلي، فدعاني النبي ﷺ، فلم أجه، قلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، قال: «ألم يقل الله ﴿اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٤]» ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول

= الأدب، باب في إفشاء السلام، والترمذي (٢٦٨٨) كتاب العلم، باب ما جاء في إفشاء السلام، وابن ماجه (٦٨) كتاب الإيمان، باب في الإيمان.

(١) أخرجه مسلم (٨١٢) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، والترمذي (٢٩٠٠) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٢) كتاب سجود القرآن باب في المعوذتين، والنسائي في المجتبى (٥٤٣٦) كتاب الاستعاذه.

(٣) أخرجه مسلم (٨١٤) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين، والترمذي (٣٣٦٧) كتاب: تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين، والنسائي في المجتبى (٥٤٤٠) كتاب الاستعاذه.

الله، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿التَّوْحِيدُ﴾ (سورة الفاتحة) هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ^(١).

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنْ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدَيْغٍ أَوْ مُصَابٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَنَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأَعْطِي قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّى أَذْكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهُا رُقِيَّةٌ» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ مَعَكُمْ»^(٢).

عن قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِعِمَّارٍ أَرَأَيْتُمْ صَنِعْتُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ؟ أَرَأَيْتُمْ رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شِئْنَا عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُدَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَّةٌ» ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْفِيلِ﴾ [الأمراء: ٤٠] ثَمَانِيَّةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبِيلَةَ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ^(٣).

- عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ، ثُمَّ يُكْسِلُ، هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ، فَقَالَ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٦) كتاب فضائل القرآن باب فَضْلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وأبو داود (١٤٥٨) كتاب سجود القرآن باب فاتحة الكتاب، والنسائي في المجتبى (٩١٣) كتاب الإمامة، تأويل قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، وابن ماجه (٣٧٨٥) كتاب الأدب، باب ثَوَابِ الْقُرْآنِ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠١) كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٧٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

رسول الله ﷺ: «إني لأفعل ذلك أنا وهذه، ثُمَّ تَغْسِلُ»^(١).

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الفأط، فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه» وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرمّة^(٢).

- عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ مر بسلام يسلخ شاء، فقال له: «تَسَحَّ حَتَّى أَرِيكَ، فإني لا أراك تُحْسِنُ تَسْلُخُ» قَالَ: فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا، حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «هَكَذَا يَا غُلَامُ فَاسْلُخْ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَلَمْ يَمْسَ مَاءً»^(٣).

- عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شَعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيَ»، فَأَنشَدْنَاهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» ثُمَّ أَنشَدْنَاهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» حَتَّى أَنشَدْنَاهُ مِائَةَ بَيْتٍ^(٤).

- عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُبَادِرُونِي بِرُكُوعٍ وَلَا بِسُجُودٍ، فَإِنَّهُمَا أَسْفِكُكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتَ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتَ، إني قد بَدَنْتُ»^(٥).

- عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ، إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمُ عَلَى إلقاءكم نِعَالِكُمْ؟» قالوا:

(١) أخرجه مسلم (٣٥٠) كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء.

(٢) أخرجه أبو داود (٨) كتاب الطهارة باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة.

(٣) أخرجه أبو داود (١٨٥) كتاب الطهارة باب الوضوء من مس اللحم النيء وعن علي، وابن

ماجة (٣١٧٩) كتاب الذبائح، باب السخ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٥٥) كتاب الشعر.

(٥) أخرجه أبو داود (٦١٩) كتاب الصلاة، باب ما يؤمر به المأموم من اتباع الإمام.

رَأَيْتَكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ، فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جَبْرِيلَ ﷺ أَنَانِي، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذْرًا» وقال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذْرًا أَوْ أَذَى فَلْيَمْسَحْهُ، وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»^(١).

- عن أَيُّوبَ عن نَافِعٍ عن ابنِ عُمَرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ» قال أَيُّوبُ: فَقَدْ نَالَهُ الْعَدُوُّ، وَخَاصَمُوكُمْ بِهِ^(٢).

... فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَصْعُ مِنْ دِمَانَا: دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هَذِيلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَصْعُ: رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَخْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوْنَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اخْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠) كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٦٩) كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، وأبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، جزء من حديث طويل رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

- عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنِّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةُ فَنَهَاها، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةُ فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(١).

- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً لِي، وَأَنَا أَغْزَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَنْتَعِ شَيْئًا أَرَادَهُ اللَّهُ» قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُهَا لَكَ حَمَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

- عن أَبِي جُرَيْجٍ، جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدِّرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنْ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ» قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضَرْفُ دَعْوَتِهِ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنِيهِ دَعْوَتُهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ فَقَرَاءٌ أَوْ فَلَاحٌ، فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعْوَتُهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ» قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تُسَبِّحُ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَّيْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِذَا رَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنَّ آيَةَ الْكَفِّينِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمُخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخِيلَةَ، وَإِنْ أَمْرُؤُ شَتَمَكَ وَعَبْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعِيرُهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَيَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»^(٣).

- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، يحدث عن أبيه، عن النبي ﷺ

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠) كتاب النكاح، باب النِّهْيِ عَنْ تَزْوِيجِ مَنْ لَمْ يَلِدْ مِنَ النِّسَاءِ، والنسائي في المجتبى (٣٢٢٧) كتاب النكاح، كراهية تزويج العقيم.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٣٩) كتاب النكاح، باب حكم الغزل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار.

قال: «نَصَرَ الله امرأ سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلغتها، قَرَّبَ حَامِلٌ فِئَةٍ إِلَى من هو أَقْفَهُ منه، ثَلَاثٌ لَا يَبْغُلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أُنَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِبُّ مَنْ وَرَائِهِمْ»^(١).

- عن عبد الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّخِذْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).



أَعْلَى الله جَلَّوَعَلَا من شَأْن العلم فكان أول نداء للإنسان عبر الوحي هو الدعوة إلى القراءة والتعلم: ﴿اقْرَأْ بِأَنسِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [المز: ١-٥]، وجعل الله العلماء الطائفة المختارة التي تعرف ربها وتخشاها ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ودعا المؤمنين إلى اصطفاء طائفة منهم ليتعلموا العلم، ثم ينقلوه إلى أقوامهم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٢].

والطريق إلى طلب العلم يؤدي بصاحبه إلى الجنة والمنزلة العالية، قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجة (٢٣٢٢) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، باب مَنْ بَلَّغَ عِلْمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١) كتاب الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، والترمذي (٢٦٦٩) كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل.

وافر»^(١).

ولم تكن العلاقة التي تربط النبي بأصحابه مجرد علاقة نبيِّ بمتبعيه، أو قائد بأنصاره، أو حاكم بشعبه، أو معلم بتلاميذه، وإنما كانت إلى جوار ذلك كله علاقة والد بأبنائه، يحنو عليهم، ويقوم بشؤونهم، ويقبل عثراتهم، ويوجههم إلى ما ينفعهم، ولذلك قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم». لقد كان حريصاً على تعليمهم أدق تفاصيل دينهم ودنياهم، بدءاً من عقائدهم وعباداتهم، بمعاملاتهم.

ولم يكن يرضن على أحد بنصح، ولا يخفي عن أحد علماً، ولا يمنعه حياؤه من ذكر حكم شرعي.

عن سلمان قال: قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهَى عن الروث والعظام، وقال: «لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»^(٢).

يوضح النبي لأصحابه ﷺ أن الناس في تلقي العلم ثلاثة أصناف:

صنف يتلقى العلم فينتفع به وينفع الناس.

وصنف يتلقى العلم فيحفظه ولا ينتفع به، ولكنه يلقيه للناس، فينتفعهم به.

وصنف لم ينتفعوا بالعلم، ولم يحفظوه ولم ينفعوا أحداً.

(فالتى قبلت العلم والهدى كالأرض المتعطشة إليه، فهي تنتفع به فتحيا فتنبت، فكذلك هذه القلوب البريئة من الشك والشرك، المتعطشة إلى معالم الهدى والدين، إذا وعت العلم حيَّت به، فعملت وأنبت بما تحيا به أرواق الناس المحتاجين إلى مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والترمذي (١٦)، وغيرهم.

ومن الناس من قلوبهم متهيئة لقبول العلم، لكنها ليس لها رسوخ، فهي تقبل وتمسك حتى يأتي متعطش فيروي منها، ويرد على منهل يحيا به، وتُسقى به أرض نقية فتنب وتثمر، وهذه حال من ينقل العلم ولا يعرفه ولا يفهمه.

ومنها قيعان، يعني قلوبًا تسمع الكلام، فلا تحفظه ولا تفهمه، فهي لا تنتفع به، ولا تنبت شيئًا، كالسباخ المالحه التي لا تمسك الماء، ولا تنبت كلامًا^(١).

وكان الرسول ﷺ يعطي أصحابه دروسًا عملية في العلم كأن يتوضأ أمامهم ويدعوهم إلى أن يفعلوا مثله، أو يصلي على المنبر ليقعدوا به، ويتعلموا العبادة على يديه أكمل ما تكون.

وقد رأى في أصحابه يومًا تأخرًا عن الصف الأول، فأمرهم أن يتقدموا، حتى يقتدي بهم من بعدهم، ونصحهم أن لا يتأخروا حتى لا يؤخرهم الله. وجهر يومًا بالقراءة، فقرأ معه أحد الصحابة، فنهى عن فعل ذلك، حتى لا يُشغل الإمام عن قراءته بقراءة المأمومين.

وعلم أصحابه أن الشفاء في ثلاثة: الحجامة، والعسل، والكي بالنار، ولكنه عقب بالنهي عن الكي بالنار، (وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولهذا كانت العرب تقول في أمثالها: آخر الدواء الكي)^(٢).

وليس المراد حصر الشفاء في هذه الثلاثة، وإنما أراد أنها أعظم ما يُندأوى به.

ودعا ﷺ أصحابه إلى إفشاء السلام لأنه سبيل التحاب، والتحاب سبيل الإيمان، والإيمان سبيل الجنة.

وخرج عليهم يومًا فأمرهم بأن يحتشدوا لأنه سيقراً عليهم ثلث القرآن،

(١) شرح ابن بطلان (١/١٦٤).

(٢) فتح الباري (١٠/١٣٨).

فاحتشد جمع كبير، فجاءهم فقرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] وأخبرهم أنها تعدل ثلث القرآن.

وعلم صاحب عقبة بن عامر، وكان يقود ناقته في سفر، أن خير سورتين نزلتا عليه هما: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس]، فلم يسر عقبة بذلك كثيراً لفشوهما بين الناس، وحفظ أكثرهم لهما، فلما نزل الرسول لصلاة الصبح أراد أن يؤكد لعقبة فضل السورتين، فصلى بهما صلاة الصبح للناس.

ودعا الرسول أبا سعيد بن المعلى وهو يصلي فلم يجبه، فلما فرغ من صلاته ذهب إليه فقال: إني كنت أصلي، فقال الرسول ﷺ: «الم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟» ثم عرض عليه الرسول أن يعلمه أعظم سورة في القرآن قبل خروجه من المسجد، فلما أراد الخروج سأله أبو سعيد عن تلك السورة، فقال: «﴿الْعَنَكُ يَوْمَ نُبِئَ الْفَلَسِيَّتِ﴾ [سورة الفاتحة] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وخرج بعض أصحاب النبي ﷺ في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فطلبوا منهم أن يضيّفوهم، فأبوا عليهم، فأقام الصحابة ببعض أطراف الحين، فأتوهم يطلبون راقياً لسيد الحي اللديغ، فذهب معهم أحد الصحابة فرقاه بفاتحة الكتاب، فشفاه الله، فأعطوا الصحابي قطيعاً من الغنم، فأبى أن يقبله حتى يذكر ذلك للنبي، فلما جاءه، وقص عليه الأمر، وأخبره أنه لم يرق المريض إلا بفاتحة الكتاب، أثنى النبي على فعله، وأباح لهم أخذ الأجر على الرقية، بل وطلب منهم أن يعطوه نصيباً مما أصابوا.

وكان النبي ﷺ يخبر حذيفة (رضي الله عنه) بأمر المنافقين، ويعلمه أماراتهم، ومن ذلك أنه ذكر له اثني عشر رجلاً من المنافقين ممن ينسبون لأصحابه، هم من أهل النار، ثمانية منهم تدفع شرهم عن المؤمنين الدبيلة، وهي ورم حار

(يحدث في أكتافهم، بحيث يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثلة بسراج من نار، وهو شعلة المصباح، وقد روي حذيفة أنه عرّفه إياهم، وأنهم هلكوا كما أخبره الرسول صلوات الله وسلامه عليه)^(١).

وقيل: الدبيلة: (خراج ودمل كبير تظهر في الجوف، فتقتل صاحبها غالبًا، وهي تصغير دبلة)^(٢).

وسأل رجل النبي ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم ينصرف عن ذلك ولا ينزل، هل عليهما غسل؟ فأخبره النبي أنه يفعل ذلك وعائشة، ثم يغتسلان. وعلم النبي أصحابه - كما يعلم الوالد أبناءه - إذا جاء أحدهم الغائط أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، وأن لا يستنجي يمينه، وكان يأمرهم أن يستجمروا بثلاثة أحجار، وينهاهم عن استخدام روث الماشية، والعظم البالي.

ولم يكن تعليم رسول الله ﷺ لأصحابه مقصورًا على أمور الدين، بل ربما كان يدرّبهم أحيانًا على بعض المهارات التي لا يحسنونها.

فقد مر رسول الله ﷺ بغلام يسلخ شاة، فرآه لا يحسن ذلك، فأمره أن يتحنّى، ثم أدخل يده بين الجلد واللحم بشدة وقوة، حتى توارت ذراعه إلى الإبط ثم قال للغلام: «هكذا يا غلام فاسلخ».

وكان ﷺ يسمع الشعر الجيد ويستحسنه، فقد روي عن عمرو بن الشريد عن أبيه أنه كان رديف رسول الله ﷺ يومًا، فطلب منه أن يسمعه شيئًا من شعر أمية بن الصلت، فأنشده بيتًا فييتًا فييتًا، وهو يستزيده حتى أنشده مائة بيت.

وأمر أصحابه أن لا يسارعوا بالركوع والسجود خلفه، وأن يتمهلوا حتى يتم ركوعه فيركعوا، وحتى يتم سجوده فيسجدوا.

(١) مرقاة المفاتيح (١١/٦٣).

(٢) لسان العرب (١١/٢٣٥).

وصلّى بأصحابه يوماً، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، فخلع أصحابه نعالهم، فلما أتم صلاته سألهم: «ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟» فقالوا له: رَأَيْنَاكَ أَلَقَيْتَ نَعْلَيْكَ، فَأَلَقَيْنَا نَعَالَنَا، فأخبرهم أن جبريل أتاه فأخبره أن فيهما قدراً فخلعهما، وعلمهم أنه يجب على من أتى المسجد أن يتأكد من طهارة نعليه، فإن وجد فيهما قدراً فليمسحهما، ثم ليصل فيهما.

وكان ﷺ يخشى على القرآن من بعده، فأمر أصحابه أن لا يسافروا به خارج ديار المسلمين حتى لا يناله العدو.

وهذا النهي (ليس على العموم، ولا على كل الأحوال، وإنما هو في العساكر والسرايا التي ليست مأمونة، وأما إذا كان في العساكر العظام، فيجوز حمل القرآن إلى أرض العدو)^(١).

وخطب رسول الله ﷺ الناس في حجة الوداع، فحرّم دماء المسلمين وأموالهم، ووضع دماء الجاهلية ورباها، وأمرهم بأن يتقوا الله في النساء، ويبنّ أن على النساء ألا يأذنّ لأحد من الرجال في بيوت أزواجهن، وأن لهن الرزق والكسوة بالمعروف، ثم أخبر بأن النجاة من الضلال مرهونة بالتمسك بكتاب الله، وسنة النبي ﷺ.

وحث النبي ﷺ على الزواج من الودود الولود، لكون هذا أدعى إلى إعمار الأرض، وتحقيق معنى الخلافة، وزيادة عدد المسلمين الذين يباهي بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة.

وعلم النبي أصحابه أن كل شيء يقع إنما يقع بقدر الله وإرادته، وأن الله الذي خلق الأسباب قد يعطل الأسباب لحكمة يعلمها هو وحده. جاء رجل يخبره أن عنده جارية، وأنه يعزل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إن ذلك لن يمنع شيئاً أراد الله»، ثم ما لبث الرجل أن جاءه فأخبره أن الجارية حملت، فقال

رسول الله ﷺ: «أنا عبد الله ورسوله»، أي (أن ما أقول لكم حق فاعتمدوه واستيقنوه، فإنه يأتي مثل فلق الصبح)^(١).

وسلم أبو جريّ على النبي ﷺ فقال: عليكم السلام يا رسول الله، فنهاه النبي عن هذه الصيغة من السلام؛ لأنها تحية الأموات، وعلمه أن تحية الأحياء هي: السلام عليك، وأن التوجه إلى الله بالدعاء يكشف الضر، ويجلب الغيث، ويرد الضال.

وأوصاه أن لا يسب أحدًا، ولا يحقر شيئًا من المعروف، وأن يكلم الناس بوجه طلق، ونهاه عن إسبال الإزار، وعن تعير الناس بما يعلمه فيهم.

لقد حث النبي على تبليغ العلم، ودعا بالنصرة لمن سمع قوله فوعاه وحفظه وبلغه، فقد يحمل الفقه امرؤ إلى من هو أفقه منه، ولا يدخل قلب المسلم غل أو حقد ما التزم بثلاث خصال: إخلاص العمل لله، وبذل النصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم الجماعة.

وحدث النبي ﷺ في حديث آخر على التبليغ عنه، ولو آية من كتاب الله، وأباح الحديث عن بني إسرائيل بلا حرج؛ (لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)^(٢).

ثم حذر النبي أخيرًا من الكذب عليه عمدًا، لأن فاعل ذلك مصيره إلى النار، وبش القرار.



(١) شرح النووي (١٠/١٣).

(٢) فتح الباري (٦/٤٩٨).

قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا...».

وهذا تشبيه تمثيلي بديع، شبه فيه الرسول ﷺ ما بعثه الله به من الهدى والعلم، وتأثير ذلك في الناس بغيث عظيم أصاب أرضًا، فكان منها أرض خصبة نقية أنعشها الماء وأحياها، فازدهرت بالكلاً والعشب الكثير، فهذا مثل الذي تلقى العلم فانتفع به، ونفع به الناس.

وكان من هذه الأرض أرض جرداء صلبة تحفظ الماء ولا تدعه يتسرب، فينتفع الناس به، ولا تنتفع هي بشيء منه، فهذا مثل الذي تلقى العلم فلم ينتفع به، ولم يعمل به، لكنه نفع به الناس.

وكان من هذه الأرض قيعان، وهي ما استوى من الأرض وصلب، ولم يكن فيه نبات، وهذه لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً، فهذا مثل الذي لم ينتفع بالعلم، ولم ينفع به أحداً.

وروعة هذا التشبيه تأتي من أنه على كثرة تفاصيله، وتفريعاته، جاء مطابقاً لمقتضى الحال، كما يقول البلاغيون القدماء، وناسب كل شبه به فيه المشبه، وبدا الأثر النفسي للمشبه به متوافقاً مع المشبه، ومع الغرض من التشبيه.

وتشبيه العلم بالغيث يخاطب البيئة العربية التي ترى الغيث حياتها وبقاءها، والقحط موتها وفناءها.

والأرض النقية أي الطيبة، إشارة إلى خلوصها من كل شائبة، وهي صفة للبياض الخالص.

والكلأ والعشب اسمان للنبات يختصان بالرطب، والحشيش يختص باليابس، وقيل: (العشب والكلأ مقصوراً مختصان بالرطب، والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب)^(١).

والأجاذب جمع جذب أو جديب وهي (صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع إليه النضوب، وقال الأصمعي: الأجاذب من الأرض ما لم تنبت الكلأ فهي جرداء بارزة لا يسترها النبات)^(١).

وقال قوم: (إنما هي: (أجارد)، وهي المواضع المتجردة من النبات، وقد رواه أبو سليمان البستي من طريق أبي كريب فقال: (أحارب) بالحاء والراء، وليس بشيء، وقال بعضهم: إنما هي (إخاذات) سقطت منها الألف، واحذتها إخاذاً وهي التي تمسك الماء، والرواية هي الأولى)^(٢).

وما سبق مثال للاختلاف في الرواية، في الكلمات التي تحتل التأويل، وتوجيه المعنى تبعاً لذلك.

وأخيراً فمما يلفت النظر في هذا الحديث ذلك العلم الدقيق بأنواع التربة وطبائعها، ودرجة امتصاصها للماء، ومدى انتفاعها به أو عدم انتفاعها، مما هو داخل الآن فيما يسمى علم الجيولوجيا، وهو علم لم يكن للعرب منه نصيب، فمن علمه للنبي الأمي ﷺ غير ربه؟

قال رسول الله ﷺ: «من توضع نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه».

قوله: «نحو وضوئي» ورد هكذا في روايات البخاري الثلاث، وروايتين لمسلم، وروايتين للنسائي، وورد: «مثل وضوئي» في رواية لمسلم، ورواية أبي داود، ورواية للنسائي، ورواية ابن ماجه.

ويرى النووي أن الرواية الأولى: «نحو وضوئي» أوفق للمعنى من: «مثل وضوئي» (لأن حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره)^(٣)، وردَّ عليه العيني بأن

(١) شرح السنة للبغوي (٢٨٨/١).

(٢) كشف المشكل (٤١٠/١).

(٣) شرح النووي (١٠٨/٣).

«نحو» و«مثل» من أدوات التشبيه، (والتشبيه لا عموم له، سواء قال: «نحو وضوئي هذا»، أو: «مثل وضوئي» فلا يلزم ما ذكره النووي)^(١).

وفي رأي النووي رحمه الله وجهه، إذ إن الغالب في قول القائل: (هذا نحو ذلك) أنه قريب منه، وليس مماثلاً له، والله أعلم.

وقوله: «لا يحدث فيها نفسه» (جملة نافية في محل نصب، على أنها صفة لركعتين)^(٢).

والمراد أنه لا يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا لا تتعلق بالصلاة، (ولو عرض له حديث، فأعرض عنه لمجرد عروضه عفي عنه ذلك، وحصلت له هذه الفضيلة - إن شاء الله تعالى - لأن هذا ليس من فعله، وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر)^(٣).

وقال رحمه الله وقد قرأ بعضهم معه في الصلاة: «هل قرأ معي أحد منكم آنفًا؟» والاستفهام غرضه الإنكار، وقوله: «آنفًا» أي: (قريبًا، وقيل: أول وقت كنًا فيه، وقيل: الساعة، وكله بمعنى)^(٤).

قال رحمه الله: «إني أقول ما لي أنأزع القرآن؟»، والاستفهام غرضه التعجب، و«أنأزع» أي: أجادب في القراءة، (كأن أجذبه إليّ من غيري، وغيري يجذبه إليه مني، والظاهر أنه أخبرهم بهذا المعنى نهيًا لهم عن ذلك، وإنكارًا لفعلهم)^(٥).

قال رحمه الله: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»، وقوله: «ولا تؤمنوا» بحذف النون لا مسوغ له في الإعراب، لكنها لغة، قال النووي:

(١) عمدة القاري (٧/٣).

(٢) السابق (٦/٣).

(٣) عون المعبود (١٢٢/٣).

(٤) فتح الباري لابن رجب (١٧٦/٧).

(٥) حاشية السندي على سنن النسائي (١٤٠/٢).

(هكذا هو في جميع الأصول والروايات: «ولا تؤمنوا» بحذف النون من آخره، وهو لغة معروفة صحيحة)^(١).

وليس المراد نفي الإيمان، بل المراد نفي كمال الإيمان.

وقال ﷺ: «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»، والاستفهام في الجملة الأولى غرضه العرض والتشويق، و«أفشوا السلام» أمر غرضه الحث، و«أفشوا» (بقطع الهمزة المفتوحة من الإفشاء، وهو الإظهار، وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف)^(٢).

وسياق الحديث متوازن، وترتيبه منطقي، فرغم أنه يهدف إلى بيان فضل إفشاء السلام إلا أنه لم يبدأ بذلك بل بدأ بالحديث عن دخول الجنة؛ لأنها غاية كل مسلم، ثم بين أن دخولها مرهون بالإيمان، ثم ذكر أن من دلالات الإيمان الحب، وانتهى بأن الطريق إلى الحب يمر عبر إفشاء السلام.

قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، والأمر للحث والتحضيض، والجملة الثانية أريد بها التشويق والإثارة التي تنتهي بخروج النبي ﷺ، وقراءته ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

ثم يعود النبي ﷺ فيقول: «ألا إنها تعدل ثلث القرآن»، و«ألا» للاستفتاح والتنيب، والضمير في «إنها» يرجع إلى سورة الإخلاص، وهي تعدل ثلث القرآن في ثواب قارئها وحافظها لما تحويه من معاني التوحيد، وتلك منحة ربانية أكرم الله بها عباده المؤمنين، وقال بعضهم: (معنى قوله: «إنها تعدل ثلث القرآن» أن الله جعل القرآن ثلاثة أجزاء:

أحدها: القصص والعبر والأمثال.

(١) شرح النووي (٣٦/٢).

(٢) تحفة الأحوزي (٣٨٣/٧).

والثاني: الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

والثالث: التوحيد والإخلاص.

وتضمنت هذه السورة صفة توحيده وتنزيهه عن صاحبة والوالد والولد، فجعل لقرارها من الثواب كثواب من قرأ ثلث القرآن^(١).

قال رسول الله ﷺ لعقبة بن عامر يعلمه: «يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس].
والنداء للإنسان، و«ألا» الاستفتاحية للتنبيه والتحضيض.

وجملة «قرئتا» جملة فعلية في محل جر صفة لسورتين.

قال رسول الله ﷺ لعقبة بعد أن فرغ من ركعتي الصبح، وكان قد قرأ فيهما المعوذتين: «يا عقبة، كيف رأيت؟»

وقوله: «كيف رأيت؟» استفهام غرضه التنبيه والترغيب.

ووصف سور معينة أو آيات معينة بالخيرية، أو بأنها أعظم أو أفضل محل خلاف بين العلماء؛ (لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضل، وليس في كلام الله نقص، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل، وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره، وقالوا: وهو راجع إلى عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه)^(٢).

قال رسول الله ﷺ لحذيفة: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية ﴿وَلَا يَتَخَوَّنُ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ١٠]»

وقوله: «في أصحابي» وليس: من أصحابي؛ لأنه لا يعدهم من أصحابه، بل ينسبون إليهم (وذلك مثل قولنا: إبليس كان في الملائكة، أي في زمريتهم،

(١) شرح ابن بطلال (١٠/٢٥١).

(٢) عون المعبود (٤/٢٣٦).

ولا يصح أن يقال: كان من الملائكة، فإن الله ﷻ يقول: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (الكهف: ٥٠) (١).

وقوله: «فيهم ثمانية» ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْفِيلِ﴾ (الامران: ١٠) إشارة إلى أن هؤلاء الثمانية مقطوع بكفرهم ودخولهم النار.

وقوله: «ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة» نبوءة أخبر بها رسول الله، وتحققت كما أشار حذيفة، فهلك هؤلاء جميعًا بهذا المرض.

قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم»، «إنما أنا لكم» تأكيد وحصر بالقصر بإنما، وبضمير الفصل المتكلم.

«بمنزلة الوالد» أي: (في الشفقة والحنو، لا في الرتبة والعلو، وفي تعليم ما لا بد منه، فكما يعلم الأب ولده الأدب، فأنا أعلمكم ما لكم وعليكم) (٢).

وقوله: «ولا يستطب بيمينه»: أي لا يستنجي بيمينه، (وسمي الاستنجااء الاستطابة؛ لما فيه من إزالة النجاسة، وتطهير موضعها من البدن، يقال: استطاب الرجل إذا استنجد، فهو مستطيب، وأطاب فهو مطيب، ومعنى الطيب هاهنا الطهارة) (٣).

وفي هذا المعنى إشارة إلى اهتمام الإسلام بالطهارة، وجعلها من أولويات المسلم.

قال النبي ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وتشبيه حرمة الدماء والأموال بحرمة اليوم والشهر والبلد تأكيد للتحريم وتشديد عليه.

وقوله ﷺ: «الاكل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»، (في هذه

(١) مرقاة المفاتيح (١١/٦٢).

(٢) فيض القدير (٢/٥٧٠).

(٣) عون المعبود (١/١٦).

الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وأن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف، أو ينهى عن منكر، ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله، فهو أقرب إلى قبول قوله، وإلى طيب نفس مَنْ قَرَّبَ عَهْدَهُ بِالْإِسْلَامِ^(١).

قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود»، ذكر النبي ﷺ هنا أعظم صفتين يتحقق بهما الهدف من الزواج، فالود: هو الذي يؤدي إلى حسن العشرة ودوام السكن، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

والولادة هي التي تحقق التناسل والتكاثر الذي تقوم به الحياة على وجه الأرض، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَثْقَالًا رَكْبًا أَلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا﴾ [النساء: ١].

وقوله ﷺ: «فإني مكاتر بكم الأمم» (تعلييل للترغيب في نكاح الولود، وإن لم تكن جميلة، وتجنب العقيم، وإن كانت في نهاية الجمال)^(٢).

حيا أبو جُرَيِّ رسول الله ﷺ قائلاً: عليك السلام، فأجابه الرسول ﷺ قائلاً: «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك»، ونهى ﷺ عن قوله: عليك السلام، نهي تنزيه، وقد قيل في الغرض من البدء بالسلام كثير، منه (أن إحدى فوائد السلام أن يُسْمَعَ الْمُسَلِّمُ الْمُسَلِّمَ عليه ابتداء لفظ السلام؛ ليحصل الأمن من قبل قلبه، فإذا بدأ بعليك لم يأمن حتى يُلْحَقَ به السلام، بل يستوحش ويتوهم أنه يدعو عليه، فأمر بالمسارعة إلى إناس الأخ المسلم بتقديم السلام، وهذا المعنى غير مطلوب في الميت)^(٣).

(١) شرح النووي (٨/١٢٨).

(٢) فيض القدير (٢/١٨٧).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/٣٥٨).

وعندما سأل أبو جُرَيْجٍ رسول الله ﷺ: أنت رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة، فضلت راحلتك فدعوته ردّها عليك».

وقوله: «أنا رسول الله» أسلوب قصر باستخدام ضمير الفصل، واسم الموصول: «الذي» صفة للفظ الجلالة «الله»، وليس صفة للرسول ﷺ؛ لأن كل ما جاء بعد ذلك من أمور هي بيد الله وحده، لا بيد أحد من البشر فهو ﷺ الذي يكشف الضر، وينزل الغيث، ويرد الضالة.

قال رسول الله ﷺ: «نُضِّرُ الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقوله ﷺ: «نُضِّرُ الله امرأً» جملة خبرية إنشائية المعنى، والغرض منها الدعاء، والمراد: (ألبيه الله النضرة، وهي الحُسن وخلوص اللون، أي: جمّله وزيّنه، وأوصله الله إلى نضرة الجنة، أي نعيمها ونضارتها، قال ابن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لهذا الحديث)^(١).

قوله: «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، و«رُبَّ» للتقليل، (لكنه كثر في الاستعمال للتكثير بحيث غلب حتى صارت كأنها حقيقة فيه، وهي حرف؛ خلافاً للكوفيين في دعوى اسميته)^(٢).

وحامل فقه: أي علم، واستخدام كلمة حامل تعني أنه قد لا يكون ناقل الحديث عالماً، بل ربما يكون فاهماً فحسب، أو حافظاً فحسب، وفي ذلك دلالة على أن حامل السنة (يجوز أن يؤخذ عنه، وإن كان جاهلاً بمعناها، فهو مأجور على نقلها وإن لم يفهمها)^(٣).

(١) حاشية السدي على سنن ابن ماجه (١/١٠٢).

(٢) عمدة القاري (٢/٣٥).

(٣) فيض القدير (٦/٢٨٤).

وفي الحديث حث على نقل السنة وتبليغها ونشرها بين الناس.
وفي ذات السياق يأتي قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»، والأمر فيه للوجوب، وقوله: «ولو آية» المراد: التقليل، والآية في اللغة لها ثلاثة معان: (العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة)^(١).

والمراد بالآية في الحديث (آية واحدة من القرآن، وخصها؛ لأنها أقل ما يفيد في التبليغ، ولم يقل ولو حديثاً؛ لأن حاجة القرآن إلى التبليغ أشد)^(٢).
وفي الأمر بالتبليغ ما يفيد (إباحة الكتب والتقييد؛ لأن النسيان من طبع أكثر البشر، ومن اعتمد على حفظه لا يؤمن عنه الغلط، فترك التقييد يؤدي إلى سقوط أكثر الحديث، وتعذر التبليغ، وحرمان آخر الأمة من معظم العلم. روي عن عمر أنه قال: قيدوا العلم بالكتابة)^(٣).

٨ - حبه ﷺ للعبادة والذكر:

• «وَجْعَلْ قُرْءَةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»:

عن الْمُغِيرَةَ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٤).
عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ

(١) فتح الباري (٦/٤٩٨).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٣٥).

(٣) شرح السنة (١/٢٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٣٦) كتاب التفسير، باب قوله «يَعْفِرُكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبَرَّ نَفْسَهُ عَلَيْكَ وَوَدَّكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي (٤١٢) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، والنسائي في المجتبى (١٦٤٤) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الاختلاف على عائشة في إحياء الليل وابن ماجه (١٤١٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في طول القيام في الصلوات.

لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(١).
 عن عائشة، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي شَأْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ:
 «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»^(٢).

عن أَبِي زِيَادَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ الْكِنْدِيِّ، عَنْ بِلَالٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ لِيُؤْذِنَهُ بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَسَقَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِبِلَالٍ بِأَمْرِ سَأَلَتْهُ عَنْهُ، حَتَّى
 فَضَحَهُ الصُّبْحُ، فَأَصْبَحَ جِدًّا، قَالَ فَقَامَ بِلَالٌ فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فَلَمْ
 يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ سَقَلَتْهُ بِأَمْرِ
 سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحَ جِدًّا، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ، فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ رَكْعَتُ
 رَكْعَتِي الْفَجْرِ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا، قَالَ: «لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ
 مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكْعَتُهُمَا، وَأَخَسَّتُهُمَا، وَأَجْمَلْتُهُمَا»^(٣).

عن كُرَيْبٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَالْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعًا، وَسَلِّمْهَا
 عَنْ الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّا أَخْبَرْنَا أَنَّكَ تُصَلِّيْنَهُمَا، وَقَدْ بَلَّغْنَا
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ
 الْخَطَّابِ عَنْهَا، فَقَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي،
 فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِنَّ، فَأَخْبَرْتَهُنَّ بِقَوْلِهَا، فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ
 سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ
 يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ
 بَنِي حَرَامٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَّةَ، فَقُلْتُ قَوْمِي بِجَنِّهِ، قَوْلِي لَهُ:
 تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء،
 والترمذي (٣٥٩٧) كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية.

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٢٥٧) كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما (أي ركعتي الفجر).

فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَخْرِجِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، فَهَمَّا هَاتَانِ»^(١).

عن شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، سَمِعْتُ بَنِي أَبِي لَيْلَى قَالَ: أُحِيلَتِ الصَّلَاةُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ أَعْجَبَنِي أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ قَالَ الْمُؤْمِنِينَ - وَاحِدَةً، حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبُتَّ رِجَالًا فِي الدُّورِ يُتَادُونَ النَّاسَ بِحِينَ الصَّلَاةِ، وَحَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ رِجَالًا يَقُومُونَ عَلَى الْأَطَامِ، يُتَادُونَ الْمُسْلِمِينَ بِحِينَ الصَّلَاةِ، حَتَّى تَقُؤُوا، أَوْ كَادُوا أَنْ يَنْقُؤُوا...»^(٢).

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مِنْ صَلَّيَ عَلَيَّ صَلَاةٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٣).

عن عبد الله بن السائب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: «أَنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُحِبُّ أَنْ

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٣) كتاب الصلاة، باب إذا كُلِّمَ وهو يُصَلِّي فَأَشَارَ بِيَدِهِ وَاسْتَمَعَ، ومسلم (٨٣٤) كتاب الصلاة، باب مَعْرِفَةُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ يُصَلِّيهِمَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الْعَصْرِ، أبو داود (١٢٧٣) كتاب الصلاة، باب الصَّلَاةُ بَعْدَ الْعَصْرِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦) جزء من حديث كتاب الصلاة، باب كيف الأذان.

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، وأبو داود (٥٢٣) كتاب الصلاة باب ما يقول إذا سمع المؤذِّنَ، والترمذي (٣٦١٤) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، والنسائي في المعجبين (٦٧٨) كتاب الأذان، الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان.

يُضَعِّدُ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»^(١).

عن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَكْفُرُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَزِيدُ بِهِ فِي الْحَسَنَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ»^(٣).



أي حب غامر لله ملأ هذه النفس العظيمة، نفس محمد ﷺ؟
أي عشق للطاعة، وإغراق في العبادة، وتغافؤ في الذكر شغلها عن الدنيا وما فيها؟
لقد كانت حياة محمد ﷺ كلها ذكراً.

كل حركة أو سكونة كانت مشفوعة بتسبيحة أو تهليلة أو تحميدة أو تكبيرة.
في النوم واليقظة، في البيت والمسجد، في الخلوة والملا، في الراحة والشغل، في السر والعلن، كان ذكر الله يملأ قلبه، وينساب على لسانه.
ولأنه كان يحب أمته، ويخشى عليها من الانجراف وراء متاع الدنيا الزائل، ونسيان حق الله على عباده - فقد علمنا كيف نذكر الله، وكيف نتبتل إليه، وكيف نخلص العبادة له وحده جُلَّ وَعَلَا، وكيف يكون الله ماثلاً في وجداننا، ورقياً على حركاتنا وسكناتنا.

علمنا أن لكل عمل ذكراً يسبقه وذكرًا يتلوّه، سواء أكان عملاً خالصاً لله،

(١) أخرجه الترمذي (٤٧٨) كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء في الصَّلَاةِ عِنْدَ الزَّوَالِ.

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٣٩٣٩) كتاب عَشْرَةِ النِّسَاءِ، باب حُبِّ النِّسَاءِ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧) كتاب الطهارة وسننها، بابُ مَا جَاءَ فِي إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ.

أم عملاً دنيوياً يحقق به العبد مراد الله في الأرض؟

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(١).

ذكر أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فلما قيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وبلغ من حبه لركعتي الفجر أنه قال في شأنهما: «لهما أحب إلي من الدنيا جميعاً».

وأبطأ يوماً على أصحابه في الخروج لصلاة الفجر حتى أصبح جذاً، فلما خرج أخبر بلالاً أنه كان يؤدي ركعتي الفجر ويحسنهما ويجملهما.

وشغله ناس من عبد القيس عن صلاة الركعتين اللتين بعد الظهر، فصلاًهما بعد العصر، رغم أنه نهي عن النافلة بعد العصر.

واهتم بأمر دعوة الناس إلى الصلاة، فقد أحب أن يجتمع المسلمون للصلاة في وقت واحد، وبلغ من اهتمامه بهذا الأمر أنه كاد أن ينشر رجالاً في دور المسلمين ينادونهم بوقت الصلاة، وهم أن يأمر رجالاً يقومون على المباني المرتفعات لينبهوا الناس للصلاة، بل كاد الناس أن يدقوا ناقوس النصرى للدعوة إلى الصلاة، حتى أراد الله بالمسلمين خيراً، ورأى بعضهم في منامه رجلاً يردد كلمات الأذان فوق المسجد، فوعاها حتى أصبح، فأخبر رسول الله ﷺ بها، فقال: «لقد أراد الله خيراً، فمر بلالاً فليؤذن».

وأمرنا الرسول ﷺ إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثلما يقول، ثم نختم

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وغيرهما.

بالصلاة على النبي، ونسأل الله له الوسيلة حتى ننال شفاعته يوم القيامة.

وكان ﷺ يكثر من أداء النوافل في كل وقت، ولا سيما قبل الصلوات المفروضة، وفي أدبارها، ومن ذلك أنه كان يصلي قبل الظهر أربعاً، ويقول: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأحبُّ أن يصعد لي فيها عمل صالح».

ولم يحب النبي ﷺ من الدنيا إلا قليلاً: حُبَّ إليه منها النساء والطيب، لكن قرّة عينه، وطمأنينة نفسه جعلت في الصلاة.

ولقد دلّنا من الضلال إلى النور ﷺ على سبيل النجاة من النار ومحو الخطايا ورفع الدرجات فأخبر أنها في ثلاثة:

أولها: إسباغ الوضوء بتطويل الغرة، والتلث والدلك رغم المشقة (كبرد الماء، وألم الجسم، والاشتغال بالوضوء مع ترك أمر الدنيا، وقيل: منها الجد في طلب الماء، وشرائها بالثمن الغالي)^(١).

وثانيها: كثرة الخطأ إلى المساجد بعيد الدار، وكثرة التردد.

وثالثها: انتظار الصلاة بعد الصلاة (بالجلوس لها في المسجد أو تعلق القلب بها، والتأهب لها)^(٢).

فذلك كله هو الرباط، أي: ربط النفس والجسم بالطاعات.



قال النبي ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»، والهمزة للاستفهام والغرض منه التعجب. وقيل: إن العبارة حذفاً، والتقدير: (أأترك صلاتي لأجل مغفرته فلا أكون عبداً شكوراً، فالفاء عاطفة على مقدر بعد الهمزة)^(٣).

(١) حاشية السدي على سنن النسائي (١/ ٩٠).

(٢) السابق الموضع نفسه.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٦٣١).

وقال ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر - أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»

«لأن أقول»: اللام لام الابتداء، واستخدام المصدر المؤول للتوكيد.

و«سبحان» مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبًا.

وقوله: «أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس» قيل فيه: إن أفعل ليست للمفاضلة، لأن من شرط المفاضلة (استواء الشيئين في أصل المعنى، ثم يزيد أحدهما على الآخر)^(١).

وهو غير متحقق في الحديث إذ لا مفاضلة بين قول هذه الكلمات، وبين ما طلعت عليه الشمس.

ولذا ذهب الكثيرون إلى أن المراد بأفعل أصل الفعل لا المفاضلة.

وقال رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن فضل ركعتي الفجر: «لو أصبحت أكثر مما أصبحت، لركعتهما، وأحستهما، وأكملتتهما». وقوله: «لركعتهما» بدل على أنها لا تترك، وأنها سنة مؤكدة. وقوله: «وأحستهما»: إحصائهما كناية عن تكميل أركانها وفروضها. وإجمالهما: كناية عن ترتيب أفعالها وأقوالها^(٢).

وقد قال ﷺ: «أحستهما» ولم يقل: حستهما، والإحسان تُشدان الكمال في الحسن.

قال ﷺ: «لقد هممت أن أبث رجالاً في الدور ينادون الناس بحين الصلاة» والعبارة مؤكدة باللام وقد، والمصدر المؤول.

و«هممت» (أي: لقد أردت؛ من هممت بالشيء أهتم همًا، إذا أردته.

(١) مرقاة المفاتيح (٢٠٩/٥).

(٢) شرح أبي داود للعيني (١٤٥/٥).

ومعنى أبث: أفرق؛ من البث وهو النشر، وأن: مصدرية، والتقدير: لقد هممت ببث رجال، في الدور: أي: القبائل^(١).

وقوله: «هممت أن أبث رجالاً» كناية عن شدة الاهتمام بأمر الدعوة إلى الصلاة.

قال ﷺ: «ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

طلب النبي ﷺ من أمته الدعاء له بنيل الوسيلة (افتقاراً إلى الله تعالى، وهضمًا لنفسه، أو لينفع أمته، ويثاب به، أو يكون إرشادًا لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له)^(٢).

والوسيلة كما وصفها النبي ﷺ أعلى منازل الجنة وأرفعها، وأقربها إلى العرش.

وقوله: «لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله» أراد بالعبد نفسه الشريفة، وفي ذلك من التواضع ما فيه.

وقوله: «وأرجو أن أكون أنا هو» (أي أنا ذلك العبد، وذكره على طريق الترجي تأدبًا وتشريعًا؛ لأنه إذا كان أفضل الأنام، فلمن يكون ذلك المقام)^(٣).

وقيل في جملة: «أنا هو»: (هو خبر أكون، وُضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون (أنا) للتأكيد، بل مبتدأ، و(هو) خبر، والجملة خبر (أكون)، ويمكن أن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك العبد)^(٤).

وقوله: «حلت عليه الشفاعة»، المراد غشيته الشفاعة فاستحقها، (ولا

(١) السابق (٢/٤٣٩).

(٢) تحفة الأحوذى (١٠/٥٨).

(٣) فيض القدير (١/٣٨٤).

(٤) السابق، الموضع نفسه.

يجوز أن تكون حلت من الحِلِّ؛ لأنها لم تكن من قبل محرمة^(١).

قال ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ من الدنيا: النساء، والطيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة»، قدم حُبَّ النساء ليؤكد على موافقة طبيعة النبي البشرية للفترة التي خلق الله الناس عليها، وفيه دلالة على رقة قلب النبي ﷺ، وانحيازه للضعفاء، فهو الذي كان يوصي دائماً: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم»^(٢).

وحُبَّ إليه الطيب (لكونه يناجي الملائكة، وهم يحبون الطيب، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج، وكمال الخلقة، وهو ﷺ أشد اعتدالاً من حيث المزاج، وأكمل خلقة)^(٣).

وخص الصلاة دون النساء والطيب بأنها جعلت قرّة عينه لما فيها من مناجاة لله تعالى، وأخر ذكرها (للتدرج التعليمي من الأدنى إلى الأعلى، وقدم الطيب على النساء لتقدم حظ النفس على حظ البدن في الشرف)^(٤).

قال النبي ﷺ لأصحابه: «ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا، ويزيد به في الحسنات؟»

والاستفهام للإثارة والتشويق، وبين قوله: «يكفر الله به الخطايا»، وقوله: «ويزيد به في الحسنات» مقابلة مؤكدة للمعنى تزيد من الترفع والتعظيم فيما سيعرض.

فلما قالوا: بلى، قال ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

وكون هذه الثلاثة تخص عبادة الصلاة، يدل على سمو مكانتها بين أركان

(١) عون المعبود (٢/ ١٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١)، وغيرهما.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي (٦١/ ٧).

(٤) شرح السيوطي لسنن النسائي (٦٣/ ٧).

الإسلام، وعظيم ثوابها.

و«إسباغ الوضوء على المكاره» كناية عن إبلاغه مواضعه، وإيفاء كل عضو حقه.

و«كثرة الخطا إلى المساجد» كناية عن كثرة التردد على المسجد لأداء الصلاة في جماعة، أو كناية عن بعد الدار عن المسجد.

و«انتظار الصلاة بعد الصلاة» كناية عن تعلق القلب بالمسجد وحب المكوث فيه.

٩- شجاعته ﷺ وإقدامه:

* «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»:

- عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع، قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليفة تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فأخترطه، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني، قال: «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك»، قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلقه، قال: فنودي بالصلاة، فصلّى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتان^(١).

- عن أبي إسحاق، قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أقررتُم عن رسول الله ﷺ يوم حنين، قال: لكن رسول الله لم يفر، إن هوازن كانوا قوماً رماةً، وإنّا لما لقيناهم حملنا عليهم فأنهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر، فلقد رأيته، وإنه لعلي بغلته البيضاء، وإنّ أبا سفيان أخذ بلجاميها، والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي

(١) أخرجه مسلم (٨٤٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف.

لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»^(١).

هذا القلب الذي غُسل بماء الحكمة، وتجرد من الزيف والبهتان، وخلا من الضعف والخور، وامتلأ عزمًا وإيمانًا - لم يعرف الخوف قط، ولم تستطع جحافل الكفر أن توهم من صلابته.

لم يكن أحد يتوقع أن هذا الطفل اليتيم، ثم الشاب الفقير، ثم الكهل المتواضع - يمكن أن يواجه بتلك البسالة أساطين الكفر من سادة قريش وفرسانها، أولئك الذين كانت تخشى بأسهم العرب جميعًا.

لم يفت في عضده انصراف الناس عنه، وسخريتهم منه، وتكذيبهم له، وإيذاؤهم إياه.

واجههم في شجاعة، وأنذرهم في صلابة، وعدهم وتوعدهم، لم يأبه لتهديداتهم، ولم يُعزْ أذناً لعروضهم الكاسدة، ظل ثابتًا وشامخًا حتى اجتمع حوله الأصفياء، ولاذ بجناحه الضعفاء.

خاض معاركه دائمًا في قلة قليلة، لكنه كان يتقدمهم في بسالة، ويضرب لهم المثل في الجسارة، فيلوذون به إذا حمى الوطيس، ويترسون وراءه إذا دهمهم الخطر، فيكتب الله لهم النصر، ويكبت أعداءهم، ويمكن لهم في الأرض.

لم يكن النبي ﷺ يومًا خوارًا أو مترددًا، ولا يصلح أن يكون ذلك من أخلاق الأنبياء، لأن الدعوة الفريدة تواجه دائمًا من أعدائها بشتى صنوف الإيذاء، وتُشهر في وجهها جميع أسلحة البطش، فتحتم أن يكون النبي شجاعًا مقدامًا، غير هباب ولا متردد.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤) كتاب الجهاد والسير، باب الرُّكُوبِ عَلَى الدَّابَّةِ الصَّغْبَةِ وَالْفُحُولَةِ مِنَ الْخَيْلِ، ومسلم (١٧٦٦) كتاب الجهاد والسير، باب فِي غَزْوَةِ حُتَيْنَ، والترمذي (١٦٨٨) كتاب الجهاد، باب مَا جَاءَ فِي الثَّبَاتِ عِنْدَ الْقِتَالِ.

وهكذا كان محمد ﷺ، كان يتقدم حين يتراجع الأبطال، ويثبت حين يتزعزع الأطواد، ويكر حين يفر الشجعان.

عَلِمَ النبي ﷺ أن أنمارًا وثعلبة قد جمعوا للمسلمين الجموع، فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان، ومضى إلى ديارهم بجبل يسمى ذات الرقاع، فلم يجد في محالهم أحدًا إلا النسوة فأخذهن، وكانت الأعراب قد هربت إلى رؤوس الجبال، فعسكر المسلمون بسفح الجبل، وأوى رسول الله ﷺ إلى شجرة ظليلة، فعلق سيفه واضطجع، فجاء رجل من المشركين في غفلة من أصحاب النبي ﷺ، فانتزع سيف رسول الله ﷺ، وسله من غمده، وتهدد به رسول الله ﷺ، قال له: أتخافني؟ قال النبي ﷺ: «لا»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال ﷺ: «الله يمنعني منك» ودهش الأعرابي من جسارة النبي فشلت حركته، حتى فطن الصحابة إلى ما يحدث فأسرعوا إلى الأعرابي، وقبضوا عليه، وصلى رسول الله ﷺ بالمسلمين حيثئذ صلاة الخوف.

وفي غزوة حنين انهزم المشركون أمام المسلمين في الكرة الأولى، فظن المسلمون أن المعركة انتهت، وانفضوا من حول النبي ﷺ إلا قليلًا منهم، وانشغلوا بجمع الغنائم والأسلاب.

لكن هوازن وغطفان سرعان ما أعادوا تنظيم صفوفهم، وهجموا على صفوف المسلمين المختلة، ورشقوهم بنبال لا تخطئ، فانكشف المسلمون، وتركوا النبي في نفر قليل من أصحابه، وكان النبي راکبًا بغلته، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجامها، فراح النبي ﷺ يركض البغلة نحو الكفار وهو يرتجز.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأثار إقدام النبي ﷺ جموع المنهزمين من أصحابه، فعادوا إلى الميدان، وتجمعوا حول نبيهم واستعادوا زمام المبادرة، فمنحهم القوم أكتافهم، وكان نصر الله.

قال النبي ﷺ للأعرابي الذي هدده بسيفه: «الله يمنعي منك»، وفي ذلك إشارة إلى ثقة النبي ﷺ في ربه، الذي خاطبه في القرآن قائلاً: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وفيه أيضًا ذلك الثبات المذهل، والشجاعة الفائقة، والتوازن النفسي في تلقي المفاجأة، والتعامل معها بهدوء كامل، ينعكس سلبًا على الخصم فيربكه، ويفقده اتزانه.

وقال النبي ﷺ، وهو يندفع نحو الأعداء في حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهو بإسكان الباء، ورواه بعضهم بفتح الباء في قوله: «كذب» وبكسرهما في «عبد المطلب» ليسقط به الروي، فيخرج بالنبي ﷺ عن قول الشعر. وقد سبق أن نوقشت هذه القضية في الباب الأول، فليرجع إليه هناك.

وارتجاز النبي ﷺ على هذا النحو دليل على إقدامه وبسالته، وهو من الاختيال المحمود، (فاختيال الرجل عند القتال، أي المقاتلة مع أعداء الله، بأن يتقدم فيها بنشاط وجراءة، وإظهار شجاعة، وتبخر في المعركة، واستهانة بالعدو وجلادة)^(١).

وقوله: «لا كذب». يعني: حقًا، فلا ينبغي أن أفر؛ لأنني متيقن من نصر الله. ونسبته نفسه لعبد المطلب لأنه الأشهر بين الناس لموت عبد الله شابًا.

١٠- تواضعه ﷺ وزهده:

* «أَذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأَثُونِي بِأَثْبَجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ».

- عن ابن عباس، سمع عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمُبَرِّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

يقول: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

- عن ابن عباس قال: بَعَثَ بَنُو سَعْدٍ بَنَ بَكْرٍ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» قَالَ: يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَسَاقِ الْحَدِيثَ^(٢).

- قال أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ» وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ^(٣).

- عن عَلِيٍّ بْنِ الْأَقْمَرِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَكُلُ مُتَكِنًا»^(٤).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(٥).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قُصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى، أَتَى بِتِلْكَ الْقُصْعَةِ، يَغْنِي وَفَدَ تُرِدَ فِيهَا، فَالْتَفَتُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جِثَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) أحاديث الأنبياء، باب «وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧) كتاب الصلاة باب ما جاء في المشرِكِ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤٨) كتاب العتق، باب الْعَبْدُ إِذَا أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ سَيِّدَهُ، ومسلم (١٦٦٥) كتاب الأيمان، باب ثَوَابِ الْعَبْدِ وَأَجْرُهُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٩٨) كتاب النفقات، باب الْأَكْلُ مُتَكِنًا، وأبو داود (٣٧٦٩) كتاب الاطعمة، باب ما جاء في الْأَكْلِ مُتَكِنًا، والترمذي (١٨٣٠) كتاب الاطعمة، باب ما جاء فِي كَرَاهِيَةِ الْأَكْلِ مُتَكِنًا، وابن ماجة (٣٢٦٢) كتاب الاطعمة، باب الْأَكْلُ مُتَكِنًا.

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٦٨) كتاب الهبة، باب الْقَلِيلِ مِنَ الْهَبَةِ.

الجلِسة؟ قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّوا مِنْ حَوَالِيهَا، وَدَعُوا ذُرْوَهَا يَتَّارَكَ فِيهَا»^(١).

- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا أَرْكَبُ الْأَرْجُونَ، وَلَا أَلْبَسُ الْمُعْضَفَرَّ، وَلَا أَلْبَسُ الْقَمِيصَ الْمُكَفَّفَ بِالْحَرِيرِ» قَالَ: وَأَوْمَأَ الْحَسَنُ إِلَى جَنِبِ قَمِيصِهِ، قَالَ: وَقَالَ: «لَا وَطِيبُ الرِّجَالِ رِيحٌ لَا لَوْنٌ لَهُ، أَلَا وَطِيبُ النِّسَاءِ لَوْنٌ لَا رِيحَ لَهُ»^(٢).

- عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٣).

- عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزَعَ النَّاسَ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ رَبِّي عِنْدَنَا، فَكِرِهْتُ أَنْ يَخْسِفَنِي، فَأَمَرْتُ بِقَسَمَتِهِ»^(٤).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ قَالَ: «هَلْ جِئْتُكُمْ طَعَامًا؟» فَإِذَا قُلْنَا: لَا، قَالَ: «إِنِّي صَائِمٌ» زَادَ وَكَيْعٌ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْسٌ، فَحَبَسَنَاهُ لَكَ، فَقَالَ: «أَذْنِيهِ» قَالَ طَلْحَةُ: فَأَضْبَحَ صَائِمًا وَأَفْطَرَ^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصَّحْفَةِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٤٨) كتاب اللباس، باب من كَرِهَهُ (أي الحرير).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٩٥) كتاب الأدب، باب في التَّوَضُّعِ، وابن ماجه (٤١٧٩) كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع.

(٤) أخرجه البخاري (٨٥١) كتاب الأذان، باب من صلى بالنَّاسِ فذكر حَاجَةً فَتَخَطَّاهُمْ، والنسائي في المجتبى (١٣٦٥) كتاب الإمامة، باب الرُّخْصَةِ لِلْإِمَامِ فِي تَخَطِّي رِقَابِ النَّاسِ.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٤٥٥) كتاب الصوم، باب النِّيَّةِ فِي الصَّيَامِ والنسائي في المجتبى (٢٣٢٨) كتاب الصيام، النية في الصيام.

- عن عائشة أَنَّ النبي ﷺ صلى في حَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ، فَتَنَزَّلَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: «اذْهَبُوا بِحَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأَتُونِي بِأَنْبِجَانِيَةِ أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّمَا أَلْهَنِي أَنْفًا عَنْ صَلَاتِي» وقال هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَنتُ أَنْظُرُ إِلَى عِلْمِهَا، وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي»^(١).

- عن أَنَسٍ: كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكَ هَذَا، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِرُهُ تَعْرِضُ فِي صَلَاتِي»^(٢).

- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَانِ قَطْرِيَّانِ عَلِيَّطَانِ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرَقَ ثَقْلًا عَلَيْهِ، فَقَدِمَ بَرٌّ مِنَ الشَّامِ لِفُلَانٍ الْيَهُودِيِّ فَقُلْتُ: لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَأَشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ، إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي أَوْ بِدَرَاهِمِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَّبَ، قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَأَدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ»^(٣).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَرُ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(٤).



كان النبي ﷺ على سمو منزلته أعظم الناس تواضعًا وإخباتًا، وقد نهى

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣) كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى عليمها. ومسلم (٥٥٦) كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، وأبو داود (٤٠٥٢) كتاب اللباس، باب من كره لبس الحرير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤) كتاب الصلاة، باب إن صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته وما ينهى عن ذلك.

(٣) أخرجه الترمذي (١٢١٣) كتاب البيوع باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، والنسائي في المجتبى (٤٦٢٨) كتاب البيوع، البيع إلى أجل المعلوم.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) كتاب الزهد.

بنفسه الناس عن إطرائه، حتى لا يقعوا فيما وقع فيه النصارى، حين غالوا في المسيح فنسبوه إلى الله، ثم زعموا أنه هو الله.

ولم يكن تواضعه ﷺ تكلفاً يتكلفه، وإنما كان طبعاً يصدر عن نفس عظيمة لا تعرف التعالي والغرور، نفس صنعها الله الذي وصف صاحبها فقال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

وعن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل، فكلمه، فجعل ترعد فرائضه، فقال له: «هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»^(١).
ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يثبت لنفسه صفة العبودية لله قبل صفة الرسالة، فقال:

«فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».

«من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم»^(٢).

«الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله»^(٣).

«أنا عبد الله ورسوله»^(٤)، وهذا الإلحاح على تقرير تلك الصفة كان سمة غالبية ليس في كلام النبي ﷺ فحسب، وإنما في أفعاله أيضاً.

إن تاريخ البشر لم يعرف رجلاً مثل محمد ﷺ تأتبه الدنيا راغمة فيعرض عنها، وتعرض على قلبه الشهوات فينفر منها، وتدين له الجزيرة العربية وما حولها، فلا يغير من طبيعة حياته، ولا من هيئة ثيابه، ولا من أثاث بيوته؟

تصاغرت أمام هذه النفس العالية الهمة كل مغريات الدنيا، بل بعض

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرک (٣٧٣٣)، وغيرهما.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١)، وغيرهما.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩)، وغيرهما.

ضرورتها حتى صار اتخاذُ ثوبٍ جيدٍ يتطلب قرصًا إلى ميسرة، ووضعُ فراشٍ فوق الحَصِيرِ لونا من الترف، واستخدامُ قرامٍ فيه تصاوير مدعاةً للفتنة.

أرسل بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن يعرفه، فدخل المسجد يسأل عنه قائلًا: أيكم ابن عبد المطلب؟ فلم يشعر النبي بالاستياء، ولم يغضبه ذلك النداء على فجأته، وإنما أجاب قائلًا: «أنا ابن عبد المطلب».

وروى أبو جحيفة أن النبي ﷺ قال: «لا أكل متكًا» ولم يفعل ذلك إلا تواضعًا وتذللًا لله، (وقد بين ذلك أبو أيوب في حديثه عن الزهري، أن النبي ﷺ أتاه ملك لم يأتَه قبل تلك المرة ولا بعدها، فقال: إن ربك يخبرك بين أن تكون عبدًا نبيًا، أو ملكًا نبيًا، قال: فنظر إلى جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أن يتواضع، فقال: «بل عبدًا نبيًا»، فما أكل متكًا^(١))^(٢).

وكان ربما جثا على ركبتيه عند الطعام إذا ضاق المكان توسعة على الإخوان، فقد أتى بقصعته الغراء يومًا بعد صلاة الضحى يحملها أربعة رجال، مملوءة ثريدًا، فالتف النبي ﷺ ومن معه حولها، فلما كثر عددهم جثا الرسول ﷺ على ركبتيه، فتعجب أعرابي من الحاضرين قائلًا: ما هذه الجلسة؟ كأنه استحقرها، فقال النبي ﷺ: «إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا».

ومن تواضعه لأصحابه أنه كان يقبل الدعوة إلى الطعام، ويقبل الهدية ولو كانت أقل القليل؛ (لأن القصد من قبول الهدية، وإجابة الدعوة تأليف الداعي، وإحكام التحاب، وبالرد يحدث النفور والعداوة)^(٣).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٧٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٨/٧)، وغيرهما.

(٢) شرح ابن بطلان (٤٧٤/٩).

(٣) فيض القدير (٣١٤/٥).

وَتَزَنَّهُ ﷺ عن الجلوس على الحرير، ولو كان وسادة توضع على السرج، وعن لبس الثوب المعصفر: أي المصبوغ بالعصفر، وعن لبس القميص المكفف بالحرير (أي الذي على ذيله وأكمامه وجيبه كفاف من حرير)^(١).

وكل ذلك من باب التواضع والزهد في متاع الدنيا.

ولقد أوحى الله إليه آمراً إياه وأمنه بالتواضع حتى لا يطفئ أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد.

ولم يكن لزهده يبقي في بيته شيئاً من مال دون أن يقسمه، وقد صلى وراءه الناس بالمدينة يوماً العصر، فسلم ثم أسرع يتخطى رقاب الناس إلى حجرة من حجرات نسائه، حتى فزع الناس من سرعته، فلما عاد إليهم، ورأى أنهم قد عجبوا من سرعته أخبرهم أنه تذكر شيئاً من تبر - وهو قطع الذهب قبل أن يضرب - في بعض حجر نسائه، فكره أن يبقيه عنده، فأمر بقسمته.

وكان إذا دخل على نسائه سأل: «هل عندكم طعام؟» فإن قالوا: لا، قال: «إني صائم».

وصلى يوماً في ثوب معلّم، فنظر إلى أعلامه نظرة فأسرع عقب الصلاة يخلعه، ويرسل به إلى أبي جهم^(٢)، ويأمره أن يرسل إليه بإنبجانيته^(٣). ودخل على السيدة عائشة فوجد عندها سترًا فيه تصاوير ونقوش، فأمرها بأن تزيله؛ لأن تصاويره تعرض له في صلاته.

وحكت السيدة عائشة أنه ﷺ كان له ثوبان غليظان من صوف، وكان إذا أطال الجلوس فيهما عرق فتقلا عليه، فأتى أحد اليهود بثياب كتان وقطن من

(١) عون المعبود (١١/٦٥).

(٢) أبو جهم: هو عامر بن حذيفة العدوي القرشي المدني الصحابي، وقيل: اسمه عبيد، أسلم يوم الفتح، وكان معظماً في قريش، وعالماً بالنسب. عمدة القاري (٤/٩٣).

(٣) الأنبجانية: كساء غليظ من صوف وقطن.

الشام، فعرضت عليه أن يشتري منه ثوبين إلى ميسرة، فأبى اليهودي زاعماً أن النبي يريد أكل ماله، فقال ﷺ: «كذب، قد علم أنني من أتقاهم لله، وآداهم للأمانة».

ونام رسول الله على حصير فأثر في جنبه، فقال له أصحابه: لو اتخذنا لك وطاء؛ أي فراشاً.

فأخبرهم أنه ليس له أرب في الدنيا، وأن حاله مع الدنيا كمسافر لجأ إلى شجرة، فاستظل بها من عناء السفر سويعات، ثم راح وتركها.



قال ﷺ: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم»، والإطراء: (المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً: مدحته، فأفطرت في مدحه)^(١).

والمراد بإطراء النصارى ابن مريم ادعاؤهم أنه ولد الله، واتخاذهم إلهاً، وقوله ﷺ: «ابن مريم» إشارة إلى كونه بشراً مولوداً.

قال ﷺ: «للعبد المملوك الصالح أجران»، ووصف العبد بالمملوك؛ هو من باب ذكر الخاص بعد العام لعموم كلمة العبد إذ تشمل من هو مملوك، ومن ليس بمملوك، فالناس كلهم عبيد الله، وأراد بوصفه بالصالح صلاحه بعبادة ربه وخدمة سيده.

وله أجران (لقيامه بالحقين، ولانكساره بالرق، قال بعضهم: وليس الأجران متساويين؛ لأن طاعة الله أوجب من طاعة المخلوقين، قلت: طاعة المخلوق المأمور بها هي من طاعة الله، وذلك كطاعة أولي الأمر، وطاعة الزوج والمالك والوالد، وقال ابن عبد البر: فيه أن العبد المؤدي لحق الله وحق سيده أفضل من الحر، ويعضد هذا ما روي عن المسيح عليه السلام أنه قال:

مُرَّ الدُّنْيَا حُلُوًّا الْآخِرَةَ، وَحُلُوًّا الدُّنْيَا مُرًّا الْآخِرَةَ^(١).

وبقية الحديث من «والذي نفسي بيده...» إلى آخره، هو من كلام أبي هريرة، وليس من كلام النبي؛ (لأنه قال فيه: «وَبُرُّ أُمِّي»، ولم يكن للنبي ﷺ حينئذ أم يَبْرُها)^(٢).

فهو من قبيل الحديث المدرج، وهو (ما كان فيه زيادة ليست منه في الإسناد أو المتن)^(٣).

ودليل ذلك أيضًا رواية مسلم وغيره للحديث الذي قال فيها: «للعبد المملوك الصالح أجران» والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد... إلخ^(٤). وقال ﷺ: «لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت».

ضرب المثل في قبول الدعوة والهدية بأقل القليل صغيرًا كان أو حقيقًا، والذراع معروف، والكراع من البقر والغنم (بمتزلة الوظيف من الخيل والإبل والحمير، وهو مستدق الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث، والجمع أكرع ثم أكارع، وفي المثل: أُعْطِيَ الْعَبْدُ كِرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعًا؛ لأن الذراع في اليد، وهو أفضل من الكراع في الرجل)^(٥). واللام في أجبت وقبلت للتوكيد.

قال رسول الله ﷺ: «لا أركب الأرجوان، ولا ألبس المعصفر، ولا ألبس القميص المكفف بالحريز»، وقوله: «لا أركب الأزجوان» (بضم الهمزة

(١) طرح الشرب في شرح التقريب (٦/٢٢٥).

(٢) عمدة القاري (١٣/١٠٩).

(٣) الفصل للوصل المدرج في النقل (١/٢٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٦٥)، وأحمد (٢/٤٠٢)، وغيرهما.

(٥) لسان العرب (٨/٣٠٧).

والجيم بينهما راء ساكنة: وسادة صغيرة حمراء تتخذ من حرير، توضع على السرج، والمعنى: لا أركب دابة على سرجها الأرجوان^(١).

والجمل الثلاث كل منها كناية عن الزهد في متاع الدنيا، والأرجوان مجاز مرسل علاقته المحلية.

قال ﷺ: «ذكرت شيئاً من تبر عندنا، فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته»، وقوله: «شيئاً من تبر» التنكير في (شيئاً وتبر) إشارة إلى قلة التبر؛ وانشغال النبي ﷺ بهذا الأمر، وهو في الصلاة، وإسراعه في الخروج عقب التسليم، وتخطي الرقاب دليل على شدة الرغبة في التخلص من هذا المال، وعدم حبسه عنده، بما يحمله من معاني النزاهة والزهد والعدل.

قال ﷺ: «أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وأتوني بأنبجانية أبي جهم»: الأمر «أذهبوا» و«أتوني» يشير إلى انزعاج النبي ﷺ الشديد مما أصابه من بعض الانشغال حين نظر إلى أعلام الخميصة التي أهداها إليه أبو جهم، وحرصه على الخشوع الكامل في الصلاة.

وطلب أنبجانية أبي جهم درس في الأدب النبوي إذ لم يشأ النبي ﷺ أن يتأذى أبو جهم من رد الخميصة، فطلب بدلاً منها أنبجانيته حتى لا يظن أنه يستخف به أو بهديته.

قال ﷺ: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»، «ما لي وللدنيا»، «ما» قد تكون نافية، أي (ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا، ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها، وأنبسط عليها، وأجمع ما فيها ولذتها)^(٢).

وقد تكون «ما» استفهامية بمعنى (أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا، أو أي

(١) مرقاة المفاتيح (٨/٢٢٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩/٣٨٣).

شيء لي مع الميل إلى الدنيا، أو ميلها إليّ، فإنني طالب الآخرة، وهي ضررتها المضادة لها^(١).

وقوله: «ما أنا في الدنيا إلا كراكب»: في العبارة تشبيه تمثيلي شبه النبي ﷺ حاله مع الدنيا بحال راكب مسافر في رحلة طويلة استظل تحت شجرة لسويغات، ثم تركها ورحل، فالدنيا هي هذه السويغات القليلة، ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث.

وفيه بيان لحقيقة الدنيا، وأنها عرض زائل، وزينة خادعة، وأنها ليست الأصل، ولا الجوهر، وإنما هي مجرد ممر للدار الآخرة الباقية التي ينبغي أن يطمح إليها كل عاقل فطن.

١١- كرمه ﷺ:

* «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»:

- عن مُحَمَّد بن جُبَيْر قال: أخبرني جُبَيْر بن مُطْعِم أَنَّهُ بَيْنَمَا يَسِيرُ هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوا إِلَى سُمْرَةٍ، فَخَطِطَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَحْدُونِي بِخَيْلٍ وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»^(٢).

عن سَلْمَانَ بن رَبِيعَةَ قال: قال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَغَيْرِ هَؤُلَاءِ كَانَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: «إِنَّهُمْ خَبَرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ، أَوْ يُيْخَلُونِي فَلَسْتُ بِأَخِلٍّ»^(٣).

(١) السابق الموضع نفسه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٦) كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

- عن همام بن منبه، أخيه وهب بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال لي أنفق أنفق عليك»^(٢).



لم يحل زهد النبي ﷺ في متاع الدنيا دون كونه أكرم الناس جميعاً، وأسرع المبادرين بالعطاء، والمانحين بسخاء، بل لعل هذا الزهد كان أحد الأسباب التي جعلته لا يدخر لنفسه، ولا لآل بيته شيئاً، ولا يستعظم عطاء ولا يخشى فقراً.

وهو المعنى الذي ذكره رجل أتى النبي ﷺ فسأله غنماً بين جبلين، فأعطاهما إياه، فعاد إلى قومه يقول لهم: أي قوم، أسلموا؛ فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر^(٣).

إن نفس رسول الله ﷺ - أعلى نفوس البشر همّة - تستكف من البخل، وفطرته التي جبلت على العطاء والمنح تتسق مع الكرم والبذل، فما من مرة سُئل فيها إلا أعطى، وإن كان قميصه الذي على بدنه، ولا استعين إلا أعان،

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، باب فضل التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ، والترمذي (٢٠٢٤) كتاب ما جاء في الصبر، والنسائي في المجتبى (٢٥٨٨) كتاب الزكاة، الاستعفاف عن المسألة.

(٢) أخرجه مسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى التَّقْوَى وَتَنْبِيهِ الْمُتَّقِينَ بِالْخَلْفِ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢)، وأحمد (٢٨٤/٣)، وغيرهما.

وإن كان بأخص حاجات بيته.

تتحقق سعادته الغامرة حين يرى أمارات الرضا والسرور في عيون أصحابه، وهو يعطيهم مما أعطاه الله، ويتفجر حزنه النبيل حين يرى أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، وهو لا يملك ما يعينهم به.

روى مسلم وغيره عن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ صدر النهار فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتايي النمارِ أو العباءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ من مُضَرَّ بَلِّ كلهم من مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول الله ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ من الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّكُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ١]، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَتَتَذَكَّرَ فِي نَفْسِهَا مِنْ يَوْمٍ مُنْذَرٍ» [الحشر: ١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرٍّ، مِنْ صَاعِ تَمْرٍ، حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلٌّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسول الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

حين قفل النبي من حنين بعد أن أفاء الله على المسلمين مغامٍ كثيرة، تراحم الناس عليه يسألونه العطاء حتى ألجؤوه إلى سُمرة، فَعَلِقَ رِداؤَهُ بِهَا، فَطَلَبَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَعْطُوهُ رِداً، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ عِدَّةُ شُوكِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَنْعَامًا لَقَسَمَهُ فِيهِمْ، فَهُوَ لَا يَطْمَعُ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ، فَمَا هُوَ

(١) مجتايي النمار: يلبسون ثياباً مقطعة من صوف.

بالبخيل ولا بالكذوب ولا بالجبان.

وأعطى النبي ﷺ ناسًا من المؤلفة قلوبهم فرأى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن غير هؤلاء كانوا أحق بالعطاء، فأخبره النبي ﷺ أَنه كان بين أمرين إما أَن يعطيهم فيتنجب إلحاحهم وفحشهم، وإما أَن يمنعهم فيتهموه بالبخل، وهو من البخل براء.

وسأله ناس من الأنصار عطاءً فأعطاهم، ثم سألوه ثانية فأعطاهم، حتى لم يعد عنده شيء فواساهم بأنه لن يدخر عنهم خيرًا أبدًا، ثم دعاهم إلى الاستعفاف والاستغناء والتصبر حتى يعفهم الله ويغنيهم ويصبرهم، فما أُعْطِيَ أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إِن الله قال لي: أَتَفِقُ أَتَفِقُ عَلَيْكَ»، وهو (معنى قوله ﷺ): «وَمَا أَتَفَقْتُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلَفُ» [أ: ٣٩]، فيتضمن الحث على الإنفاق في وجود الخير، والتبشير بالخلف^(١).

ولذلك ما خشي ﷺ الإنفاق أبدًا؛ لإيمانه بأن ما عند الله لا ينفد، وأن ما في يمينه ﷻ لا يغيض أبدًا، ولا ينقصه كُرُّ الليل والنهار، أو سعة الأرض والسماء.

قال النبي ﷺ لأصحابه الذين تجمعوا حوله يسألون العطاء حتى نُزِعَ عنه رداؤه: «أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاء نَعَمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا».

وقوله: «أعطوني ردائي» يشعر باستياء النبي ﷺ لتزاحم الناس حوله، وعلوق رداءه بالسمر، مع كونه لم يرد أَن يمنعهم شيئًا أفاءه الله عليه.

وقوله: «لو كان لي عدد هذه العضاء نَعَمًا»، كناية عن الكثرة التي يصعب

إحصاؤها، والعضاة من الشجر (كل شجر عَظُم له شوك، الواحدة: عَصَة بالتاء، وأصلها عضهة)^(١).

والتَّعَم: (الإبل، لما فيه من الخير والتعمة، قال الفراء: النعم ذكر لا يؤنث، فيقولون: هذا نعم وارد، وتجمع أنعامًا)^(٢).
و(نعمًا) منصوبة على التمييز.

«ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا»، أي: إذا رأيتم كيف أعطيكُم بسخاء فستعلمون إنني لست ذا بخل، ولا كذب، ولا جبن.
و(بخيل) و(كذوب) صيغتا مبالغة، و(جبان) صفة مشبهة. وليس المراد بالطبع نفي المبالغة، وإنما المراد نفي الوصف من أصله^(٣).

قال رسول الله ﷺ عن الذين ألحوا في مسأله:
«إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يخلوني فليست بياخل»، وقوله:
«يسألوني بالفحش» أراد السؤال بغلظة وجفاء.
و«يخلوني» أي ينسبوني للبخل.

«فليست بياخل» الباء للتوكيد، واستخدام اسم الفاعل، للدلالة على نفي أقل البخل عن نفسه الشريفة.

قال ﷺ: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم» أي: لن أحبسَه عنكم ولن أنمكموه.

و«من يستعفف يعفُّه الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يتصبر يصبره الله»، قوله: «يستعفف»، و«يستغن» أي يطلب العفة، ويطلب الاستغناء، و«يتصبر»

(١) لسان العرب (١٣/٥١٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٤٦).

(٣) انظر شرح الزرقاني (٣/٣٨).

يعالج الصبر، أي يتكلفه.

والجواب في كل جملة بفعل من جنس فعل الشرط يوحى بالتحقق السريع للجزاء، وهو أيضًا من باب التجانس اللغوي الذي يبدو فيه الإيقاع مبهراً للسامع.

وقوله: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» فيه تشبيه للصبر بالعطاء المادي المعني عن السؤال، وهو تأكيد على أن الصبر رزق يعطاه العبد من ربه إذا ارتفعت منزلته عنده، ورضي عنه واصطفاه.

قال ﷺ: «إن الله قال لي: أنفق أنفق عليك»، وقوله: «أنفق أنفق» الأولى بفتح أوله وسكون القاف بصيغة الأمر، والثانية بضم أوله وسكون القاف على أنه جواب للأمر بصيغة المضارع، وفي استخدام الصيغتين متاليتين على هذا النحو إحياء بسرعة تحقق الجواب، مع جرس إيقاعي ملفت.

١٢- غيرته ﷺ:

* «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ»:

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ تَزْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَغْلَمُ لَصَحَحْتُكُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»^(١).

- عن سهل بن سعدٍ، أَنَّ رَجُلًا أَطْلَعَ مِنْ جُحْرِ فِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَحْكُ رَأْسَهُ بِالْمَدْرَى، فَقَالَ: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الْأَبْصَارِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢١) كتاب النكاح، باب الغيرة، والنسائي في المجتبى (١٥٠٠) في جزء من حديث من كتاب الكسوف، باب كَيْفَ الْخَطِيَةِ فِي الْكُسُوفِ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢٤) كتاب اللباس، باب الامتشاط، ومسلم (٢١٥٦) كتاب =

عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: واللّه ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة» فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند بن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا خللت فأذنيني» قالت: فلما خللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية، فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: «أنكحي أسامة» فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت^(١).



الغيرة خلق محمود، وغيرة فطرية، وضعها الله في خلقه كي تصان الأعراس، ولا تختلط الأنساب، وكان خير خلق الله محمد أغير الناس، لا على حريمه فحسب، بل على حرّامات أمته جميعاً.

ولذلك أمر بغض البصر فقال لابن عمه علي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^(٢).

ورأى ابن عمه الفضل بن العباس ينظر إلى شابة كانت قد أتت رسول الله ﷺ تستفتيه في أمر، فراح يلوي عنقه كي لا ينظر، فلما قال له عمه العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك، قال: «رأيت شاباً وشابة، فلم آمن

= الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، والترمذي (٢٧٠٩) كتاب الاستئذان، باب من أطلع في دار قوم يغير إذهم.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠) كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، وأبو داود (٢٢٨٤) كتاب الطلاق، باب في نفقة المبتوتة، والنسائي في المعجم (٣٢٤٥) كتاب النكاح، باب إذا استشارت المرأة رجلاً فيمن يخطبها هل يخبرها بما يعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وغيرهما.

الشیطان علیهما»^(١).

جلس صحابة النبي ﷺ يوماً فذكروا الغيرة فقال سعد بن عباد: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأننا أغير منه، والله أغير منا».

لقد أخبر النبي أصحابه أنه ما من أحد أغير من الله حين يرى محارمه تنتهك «ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني».

واطلع رجل من فتحة في دار النبي ﷺ، وكان النبي ساعته يحك رأسه بالمدري، (وهي شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه، يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لا مشط له)^(٢).

فقال له النبي ﷺ: «لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك».

وحين جاءته فاطمة بنت قيس، وقد طلقها زوجها طلاقاً بائناً، أمرها النبي ﷺ أن تعتد في بيت أم شريك، ثم تذكر أن أصحابه يكثرون من زيارة أم شريك والتردد عليها لصلاحها، فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم؛ لأنه رجل أعمى، فلا يراها حين تضع بعض ثيابها.

قال ﷺ: «يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني»، النداء بقوله: «يا أمة محمد» للتنبيه، ونسبة الأمة إلى نفسه دليل على حبه لها، واعتزازه بها.

و«ما أحد أغير» ما النافية التي تعمل عمل ليس، واسمها وخبرها نكرتين، وهما دالان على عموم النفي.

«أن يرى عبده أو أمته تزني» والتعبير بالعبد والأمة مع نسبتها لله يشير

(١) أخرجه الترمذي (٨٨٥)، وأحمد (٧٥/١)، وغيرهما.

(٢) النهاية في غريب الأثر (١١٥/٢).

إلى استهجان الذنب واستهواله، إذ كيف يليق بعبد أو أمة لله وهما خاضعان لملكوت الله أن يقعا فيما حرمه الله.

قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»، وقوله: «لو تعلمون ما أعلم»: (أي: من شؤم الزنى ووخامة عاقبته، أو ما أعلم من أحوال الآخرة وأهوالها)^(١).

و(ما) الموصولة تفيد التضخيم والتهويل.

وقوله: «لضحكتكم قليلاً، ولبكيتم كثيراً» مقابلة مؤكدة للمعنى، و(قليلاً)، و(كثيراً) نائبان عن المفعول المطلق، أي: ضحكاً قليلاً، وضحكاً كثيراً، ويحتمل أن تكون كل منهما نائباً عن الظرف بمعنى: زماناً قليلاً أو كثيراً. والعبارة كناية عن الخشية والخوف من سوء العاقبة.

قال ﷺ للرجل الذي اطلع من جحر في داره: «لو علمت أنك تنظر لطغت بها في عينك»، وفيه تشديد على حرمة النظر في بيوت الآخرين، أو تتبع عوراتهم، وأن من فعل ذلك متعمداً ففقاً صاحب البيت عينه فعينه هدر. وقال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللت فأذنبني».

والإشارة (تلك) لأم شريك، و«يغشاها أصحابي» كناية عن كثرة التردد. وقوله: «اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللت فأذنبني»

قوله: «اعتدي» أي: اقضي عدتك، وفيه سعي النبي لرفع الحرج عن فاطمة، وابن أم مكتوم هو عبدالله بن قيس القرشي العامري، (وإنما خص ابن أم مكتوم بذلك؛ لأنه لا يدري ما ينكشف منها، ألا ترى قوله: «تضعين ثيابك»)^(٢).

(٢) شرح الزرقاني (٣/٢٦٨).

(١) عمدة القاري (٢٠/٢٠٦).

وقوله: «فإذا حللت فأذيني»: «فإذا حللت» انقضت عدة طلاقك من زوجك السابق.

«فأذيني» أي أخبرني. وفيه تعريض بالخطبة، وهو جائز، والمنهي عنه هو التصريح بها قبل انتهاء العدة، وكان النبي يعرض بالخطبة لأسامة بن زيد، لا لنفسه.

١٢- تاليفه ﷺ للقلوب:

* «إني أعطي قوماً أخاف ظلمهم وجزعهم»:

- عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُتَيْنَ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَانَهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنتُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُحْيُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: حَسْبًا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّأِ وَالْبُعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتْ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِنَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُمَّةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(١).

- عن عمرو بن تغلب قال: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَانَهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إني أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَمَهُمْ وَجَزَعَهُمْ، وَأَكِيلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْغِنَاءِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ».

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠) كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ومسلم (١٠٦١) كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصير من قوِي إيمانه.

فقال عمرو بن تغلب: ما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم^(١).



لم تكن تستعصي على النبي ﷺ إلا النفوس التي كتب الله شقاءها، وطبع على مغاليقها، وقضى عليها بسوء الخاتمة وبؤس العاقبة، أما النفوس التي بها أثاره من خير فقد أدرك النبي ﷺ أسرارها، وملك مفاتيحها، فكان يعالج كل نفس بما يناسبها، ويطببها بالدواء الذي يجتث داءها، ولم يكن يستعجل الثمرة قبل أوان قطافها، وإنما يمهل ويمهل، ويسمح ويسامح، حتى تأتيه القلوب النافرة راضية مطمئنة، وتسلس له قيادها، وتعلن له ولاءها وحبها، وتخلص لدعوته وتنافح عنها، وتبذل في سبيلها النفس والنفس.

لما فتح النبي ﷺ مكة، هرب صفوان بن أمية وآخرون خوفاً من النبي ﷺ، ثم رجع صفوان بعد أن استأمن له عمير بن وهب، وشهد مع النبي ﷺ الطائف وحنين وهو كافر، (واستعاره رسول الله ﷺ سلاحاً، فقال: طوعاً أو كرهاً؟ فقال: «بل طوعاً، عارية مضمونة»، فأعاره، وأعطاه رسول الله من الغنائم فأكثر، فقال صفوان: أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي)^(٢).

وروى ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: (لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إلي)^(٣).

قسم رسول الله ﷺ يوم حنين في الناس من المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فوجد بعضهم في نفسه فأرسل إليهم، وذكرهم بفضل الله

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٥) كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٢٠/٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٤٩/٥).

ورسوله عليهم، ثم قال لهم: «أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟».

ثم مدحهم وأثنى عليهم ودعاهم إلى الصبر من بعده حتى يلقوه على الحوض، فبكوا حتى أخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه يعطي أقواماً يخاف انحرافهم، وضعف يقينهم، ومرض قلوبهم، ويترك آخرين لما وهبهم الله من الإيمان والعفاف، ذكر منهم بالاسم عمرو بن تغلب. يقول عمرو بن تغلب متحدثاً عن أثر تعيين رسول الله له بالاسم، وعده من أهل الإيمان والغناء، وكيف أنه لا يعدل بهذه الكلمة أفضل أموال الدنيا: (ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم).



قال رسول الله ﷺ للأنصار: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً، فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟»، قوله: «ضلّالاً» بضم أوله وتشديد اللام جمع ضالّ، وعالة جمع عائل وهو الفقير، (وقد رتب رسول الله ﷺ ما من الله به على يديه من النعم ترتيباً بالغاً، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة المال، لأن الأموال تبذل في تحصيلها، وقد لا تحصل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاتث وغيرها)^(١)، ثم ختم بنعمة المال والغنى، وهي أدنى الثلاثة.

والاستفهام غرضه التقرير.

قال رسول الله ﷺ: «أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون

بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟»، الاستفهام للإثارة والتوبيخ، والشاة والبعير اسما جنس، وهما إشارة إلى الأموال ومتاع الدنيا، وبين العبارتين مقابلة هدفها تأكيد ربحهم وعظيم فوزهم بالنسبة لما حصله غيرهم من عرض الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً لسلكت وادي الأنصار وشعبها»، وفي الكلام كناية عن حبه للأنصار، وتقديره لفضلهم، وأنه (لا فضيلة أعلى من النصرة بعد الهجرة، وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغاً لولا أنه من المهاجرين لعدّ نفسه من الأنصار)^(١).

وقال ﷺ: «الأنصار شعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، وقوله: «الأنصار شعار، والناس دثار» الشعار هو الثوب الذي يلي الجلد من الجسد، والدثار هو الثوب الذي فوق الشعار، والجملتان تشبيه بليغ، وأراد بتشبيه الأنصار بالشعار (أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم)^(٢).

وقوله: «أثرة» بضم الهمزة وسكون الثاء، وبفتحها أيضاً، هو الاستئثار، أي: يُستأثر عليكم بأمور الدنيا، ويفضل عليكم غيركم.

أراد ﷺ أن يبين لهم أن الابتلاء الحقيقي لهم لم يقع بعد، وإنما سوف يقع بعده، ودعاهم إلى الصبر حتى لقاؤه على الحوض، وفي ذلك إشارة إلى أنهم ناجون وشاربون من حوض رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «إني أعطي قوماً أخاف ظلهم وجزعهم، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب»

وقوله: «أخاف ظلهم وجزعهم» الظلع: (بفتح الظاء المعجمة واللام

(١) عمدة القاري (١٦/٢٥٥).

(٢) السابق (١٧/٣٠٧).

وبالعين المهملة، وهو الاعوجاج، وأصل الظلع: الميل^(١).

والعبارة كناية عن ضعف الإيمان ونقص اليقين. وبين العبارتين: «إني أعطي أقوامًا»، و«أأكل أقوامًا» مقابلة.

وقوله: «منهم عمرو بن تغلب» إشارة إلى حسن تقدير الرسول لأصحابه، وفهمه لمعادن الرجال، وتمييزه بين طوائفهم، ومعالجته لكل طائفة بما يصلحهم.

١٤ - بشرته ﷺ:

* «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنَسَى كَمَا تَنسَوْنَ»:

عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةَ بَيْتِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخُصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبْ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا»^(٢).

- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَرْحِمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أَنْبِئُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»^(٣).

(١) عمدة القاري (٧١/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٨) كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يظلمه، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأفضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، وأبو داود (٣٥٨٣) كتاب الأفضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ، والترمذي (١٣٣٩) كتاب الأحكام، باب ما جاء في التشديد على من يقضى له شيء ليس له أن يأخذه، والنسائي في المجتبى (٥٤٠١) كتاب آداب القضاء، الحكم بالظاهر، وابن ماجه (٢٣١٧) كتاب الأحكام، باب قضية الحاكم لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالًا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٨) كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، ومسلم (٧٨٨).

- عن المُسَوِّرِ بْنِ يَزِيدَ الْمَالِكِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ يَحْيَى وَرُبَّمَا قَالَ - شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَرَكَ شَيْئًا لَمْ يَقْرَأْهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَرَكْتَ آيَةً كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَا أَذْكَرْتَنِيهَا»^(١).

- عن عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَا أَذْري رَأَى أَوْ نَقَصَ - فَلَمَّا سَلَّمَ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَشَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبِّأَكُم بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَلَذَكُّوْنِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَحْزَرْ الصَّوَابَ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيَسْلَمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ»^(٢).

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشِيِّ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي الْعَصْرَ - رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدِّمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَهَابَا أَنْ يَكْلَمَاهُ، وَخَرَجَ سَرْعَانَ النَّاسِ فَقَالُوا: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ؟ وَرَجُلٌ يَدْعُوهُ النَّبِيُّ ﷺ دُوَ الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: أُنْسِيتُ أَمْ قَصُرْتُ؟ فَقَالَ: «لَمْ أُنْسَ، وَلَمْ تُقْصِرْ» قَالَ: بَلَى، قَدْ نَسِيتُ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ

- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضائل القرآن، وأبو داود (١٣٣١) كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقرآن في صلاة الليل.

(١) أخرجه أبو داود (٩٠٧) كتاب الصلاة، باب الفتح على الإمام في الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١) كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة، ومسلم (٥٧٢) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة، وأبو داود (١٠٢٠) كتاب الصلاة، باب إذا صلى خمسا، والنسائي (١٤٤٢) كتاب الإمامة، باب التحري، وابن ماجه (١٢١٢) كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن شك في صلاته فتحزى الصواب.

وَكَبَّرُ^(١).

- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي رَمَضَانَ الْعَشَرَ الَّتِي فِي وَسْطِ الشَّهْرِ، فَإِذَا كَانَ حِينَ يُمِيسِي مِنْ عَشْرِينَ لَيْلَةً تَمُضُ، وَيَسْتَقْبِلُ إِحْدَى وَعَشْرِينَ رَجَعَ إِلَى مَنْسَكَيْهِ، وَرَجَعَ مِنْ كَانَ يُجَاوِرُ مَعَهُ، وَأَنَّهُ أَقَامَ فِي شَهْرِ جَاوَرَ فِيهِ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهَا، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَمَرَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «كُنْتُ أَجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ أَجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الْآخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِيَ فَلْيَبُثْ فِي مُعْتَكِفِهِ، وَقَدْ أَرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أَنْسَيْتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» فَاسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَأَمْطَرَتْ، فَوَكَّفَ الْمَسْجِدُ فِي مِصْلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً إِحْدَى وَعَشْرِينَ، فَبَصُرَتْ عَيْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ انْصَرَفَ مِنَ الصُّبْحِ وَوَجْهُهُ مُمْتَلِئٌ طِينًا وَمَاءً^(٢).

- عن يزيد بن هارون، أخبرنا حمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بِإِسْنَادِهِ وَمَعْنَاهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ: فَكَبَّرُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّي كُنْتُ جُبًّا»^(٣).

- عن عمرو بن أبي قرة أن سلمان قال: ... ولقد علمت أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَيْتُهُ سَبَّةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي عَضْبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَفْضُبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَنَتْنِي رَحْمَةُ لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلُهَا عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه البخاري (١٢٢٩) كتاب الصلاة، باب من يُكَبِّرُ فِي سَجْدَتِي السُّهُوِ، وأبو داود

(١٠٠٨) كتاب الصلاة، باب السُّهُوِ فِي السَّجْدَتَيْنِ، والنسائي في المجتبى (١٢٢٤)

كتاب الإمامة، ما يفعل من سلم من ركعتين ناسياً وتكلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٨) كتاب صلاة التراويح، باب تَحَرِّيَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنْ

الْعَشْرِ الْآخِرِ فِيهِ عَنْ عُبَادَةَ، ومسلم (١١٦٦) كتاب الصيام، باب فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

وَالْحَثُّ عَلَى طَلَبِهَا وَبَيَانِ مَحَلِّهَا وَأَرْجَى أَوْقَاتِ طَلَبِهَا، وأبو داود (١٣٨٢) كتاب الصلاة،

باب فيمن قال ليلة إحدى وعشرين، والنسائي في المجتبى (١٣٥٦) كتاب الإمامة، باب

ترك مسح الجبهة بعد التسليم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٤) كتاب الطهارة، باب فِي الْجُبْنِ يَصْلِي بِالْقُرْمِ وَهُوَ نَاسٍ.

صَلَاةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١)

- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَلَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَغْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

كانت بشرية النبي ﷺ، ومن قبله أنبياء الله جميعًا - أحد الأسباب التي جعلت كثيرًا من الجاهلين لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٣) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿[الإسراء: ٩٤-٩٥].

لكن الله ﷻ أمر نبيه أن يؤكد للناس بشريته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ذلك لأن هذه البشرية هي إحدى دلائل الإعجاز النبوي، فهو ﷺ بشر مثل سائر الناس يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويتزوج ويرزق بالولد، ويمشي في الأسواق، ويفرح ويحزن، ويرضى ويغضب، ويتذكر

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٤٦٥٩) كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، والنسائي في المجتبى (٣٢١٧) كتاب النكاح، بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّبْلِ.

وينسى، لكنه مع كل ذلك قد اختص بالرسالة، وأكرم بالوحي، وأُيد بالمعجزات، واتصلت بسببه الأرض بالسماء، فلو كان ملكاً لا بشراً، لما كان للمعجزات معنى، ولما وقع الابتلاء، ولما تحققت الأسوة.

ولو لم يكن رسول الله ﷺ بشراً، فمن أين كنا نستقي المثل العليا للنماذج الإنسانية السامية التي تحققت في شخص الرسول ﷺ؟

أين كنا نجد المثل الأعلى للأب الرحيم الحاني على أولاده، الرفيق بهم، القائم على شؤونهم، الذي يسر لسرورهم، ويستدر دمعهُ أذى يصيبهم. وأين كنا نلتمس المثل الأعلى للزوج الشفيق البار المحب لأزواجه، الذي يؤدي حقوقهن، ويعدل بينهن، ويتحمل هَنَاتهن، ويعاشرهن بالمعروف، يمزح معهن إن كان الوقت ملائماً للمزاح، ويحزم معهن إن استدعى الأمر الحزم، يتحمل معهن شظف العيش في أوقات العسر، ويوسع عليهن بما يتيسر له في أوقات اليسر.

وكيف كان يتحقق المثل الأعلى للحاكم المسلم الذي يتحرى العدل في رعيته، ويسوسهم بالحب لا بالبطش، وبالحق لا بالحيف، يحوطهم برعايته، فيعتني بشاهدتهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويشهد جنازتهم، يقود المعارك معهم فيكون في أول الصفوف، فإذا حمى الوطيس لاذوا به، وتمترسوا خلفه. إذا كانت له الكرة لا يتقم، ولا يجحف بالخصوم، وإذا كانت عليه لا يئأس، ولا يفقد المبادرة.

لو لم يكن رسول الله ﷺ بشراً، فبشخص من كنا تتأسى ونقتدي؟ وبسيرة من كنا نتعلم ونهتدي؟

ولأنه بشر، فقد يأتيه الخصمان للاقتضاء، ويكون أحدهما ألسن وأبلغ من الآخر، فيحسب النبي أنه صادق فيقضي له، فمن رضي أن يأخذ حق أخيه، فكأنما أخذ قطعة من النار.

وربما أنسي بعض آيات من القرآن فيسمعها من قارئ في سبحات الليل الآخر، فيتذكرها، ويدعو له: «يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيها من سورة كذا وكذا».

وربما أنسي بعض آيات في الصلاة فتركها، فلما انصرف من الصلاة، قال له رجل: يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا، فقال: «هلا أذكرتها».

وصلى بالناس يومًا فزاد في الصلاة أو نقص، فظن الناس أنه قد تغير في الصلاة شيء، فلما نهوه استقبل القبلة، وسجد سجدتين ثم سلم، ثم أقبل على أصحابه فأخبرهم أنه بشر مثلهم، وأنه ينسى كما ينسون، ودعاهم إذا نسي أن يذكره.

وئبأ بليلة القدر، ثم يُنساها، فيأمرنا أن نلتمسها في العشر الأواخر في الوتر منها.

ويصلي بالناس ذات يوم، ثم يتذكر أنه كان جنبًا، فيستمهل أصحابه حتى يغتسل ثم يعود، فيقول لأصحابه: «إنما أنا بشر، وإنني كنت جنبًا».

ويخطب يومًا فينبه أصحابه إلى أنه من ولد آدم يغضب كما يغضبون، فربما سب أحدًا أو لعنه في غضبه فمن ناله شيء من ذلك فهو رحمة له وظهور يوم القيامة.

وسأل نفر في بيوت رسول الله ﷺ عن عبادته، فأخبروا بها، فظنوا أنها قليلة، وزعموا أن النبي لا يحتاج إلى كثير عبادة؛ لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقرر أحدهم أن يقوم الليل كله، وعزم آخر أن يصوم الدهر فلا يفطر، ونوى الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا.

فلما علم الرسول ﷺ بأمرهم أنكر ذلك، وأقسم أنه أخشى الناس لله وأنقاهم له، وأنه مع ذلك يصوم ويفطر، ويصلي وينام، ويتزوج النساء، ثم قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

قال رسول الله ﷺ: «فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها»

قوله: «قطعة من النار»: (تمثيل يفهم منه شدة التعذيب، وهو من مجاز التشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠٠])^(١).

وقوله: «فليأخذها أو فليتركها»: أمر غرضه التهديد والوعيد.

وقال رسول الله ﷺ: «يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

قوله: «يرحمه الله» خبر إنشائي غرضه الدعاء.

وقوله: «أذكرني» و: «أنسيتها» تأكيد على بشرية الرسول، وأنه يجري عليه ما يجري على البشر من نسيان وتذكر (قال العلماء: ويجوز النسيان على رسول الله ﷺ فيما ليس طريقه البلاغ والتعليم)^(٢).

ومن الأدب النبوي هنا أن المرء يجوز له أن يقول: «أنسيتُ الآيات» أو نُسِيَتْها، ويكره له أن يقول: نَسَيْتُها، لما في هذا القول من التساهل والتغافل، وقد قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ لِمِا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِي﴾ [طه: ١٢٦].

عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «بش ما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسي»^(٣).

وقال ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني».

وقوله: «إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون».

(أثبت العلة قبل الحكم، وقيد الحكم بقوله: «إنما أنا بشر»، ولم يكتف

(١) عمدة القاري (٢٤/٢٥٧).

(٢) عون المعبود (٤/١١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٩)، ومسلم (٧٩٠)، وغيرهما.

بإثبات وصف النسيان، حتى دفع قول من عساه يقول: ليس نسيانه كنسياننا، فقال: «كما تنسون»^(١).

وقوله: «إِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي» يحمل إشكالاً، إذ كيف يقول: «نَسِيتُ» وقد نهى قبل ذلك عن قول (نَسِيتُ).

والجواب: (أن النهي في الحديث عن إضافة (نَسِيتُ) إلى الآية الكريمة؛ لأنه يقيح بالمؤمن أن يضيف إلى نفسه نسيان كلام الله تعالى، ولا يلزم من هذا النهي الخاص النهي عن إضافته إلى كل شيء)^(٢).

وقوله: «فَذَكِّرُونِي» تأكيد آخر على طبعته البشرية ﷺ في أنه ينسى فَيُذَكَّرُ. قال ﷺ يتحدث عن ليلة القدر: «وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيْتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءِ وَطِينٍ». قوله: «وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ» وكذلك قوله: «ثُمَّ أُنْسِيْتُهَا» بالبناء للمجهول، إشارة إلى أن أمر الإراءة والإنساء موكول لله جَلَّ وَتَلَا.

وقوله: «فَابْتَغُوهَا»، «وَابْتَغُوهَا» أمر للحث والتحضيض.

وقوله: «وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءِ وَطِينٍ»: «رَأَيْتُنِي»: اجتمع فيه الفاعل والمفعول، وهما ضميران لشيء واحد، وهذا من خصائص أفعال القلوب، كما قدمت من قبل، والرؤية رؤيا منام، و«أَسْجُدُ فِي مَاءِ وَطِينٍ» كناية عن سقوط المطر وامتلاء أرض المسجد به، وقد تحققت الرؤيا في ذات الليلة، وانهمر المطر، فسجد النبي ﷺ في ماء وطين.

قال ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَيْتُهُ سَبَةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبٍ»: وقوله: «أَيُّمَا رَجُلٍ» دال على العموم، وحُصِّصَ بقوله: «مِنْ أُمَّتِي».

وفي قوله: «سَبَيْتُهُ سَبَةً، أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً» دلالة على القلة، فلم يكن السب أو

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/١٠١).

(٢) عمدة القاري (٤/٢٦٦).

اللعن من خلق النبي ﷺ، وشبه الجملة: «في غضبي» يؤكد على بشرية النبي ﷺ.

قال ﷺ: «فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة».

وقوله: «فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون» اجتمع فيه القصر بإنما وضمير الفصل للحصر والتوكيد، والعبارة تنضح بالتواضع ولين الجانب ودماثة الخلق.

وقوله: «وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة».

«إنما بعثني رحمة للعالمين» اقتباس من القرآن الكريم، من قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقوله: «فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة»: يحتمل أن يكون الفعل «فاجعلها» فعل أمر، أي: فاجعلها يارب، ويكون المراد منه الدعاء، أو يكون فعلاً مضارعاً «فاجعلها» أنا، «عليهم» أي: على هؤلاء الذين سيبتهم، «صلاة» أي: رحمة.

قال ﷺ للنفر الذين تقالوا عبادته: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا» والعبارة فيها نبرة لوم عالية، وإنكار واضح لأقوال هؤلاء النفر.

وقوله: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد» طباق مؤكد للمعنى، وقوله: «واتزوج النساء» مع الجملتين السابقتين تقرير لمنهج الوسطية الذي جاء به الإسلام، ووضع لبناته نبي الإسلام محمد ﷺ، وقوامه أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأنه لن يشأ هذا الدين أحداً إلا غلبه، وأنه لا إفراط ولا تفريط ولكن مقاربة وتسييد.

قوله: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»

تهديد ووعد لكل من يحيد عن سنة النبي ﷺ، ويتبع غير سبيل المؤمنين.

وقوله: «فليس مني» لا يعني أنه خارج عن الملة، بل يعني أنه ليس على نهجي وطريقتي.



الفصل الثاني

من خصوصيات الرسول ﷺ

من خصوصيات الرسول ﷺ

١- وجوب محبته ﷺ وطاعته والتاسي به:

«من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»:

- عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^(١).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»^(٢).

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمي يَدْخُلُونَ الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٣).

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا

(١) أخرجه البخاري (١٥) كتاب الإيمان، باب حُبِّ الرُّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ، ومسلم (٤٤) كتاب الإيمان، باب وَجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ عَلَى مَنْ لَمْ يُحِبَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧) كتاب الأحكام، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْكُمْ»، ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمامة باب وَجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَقْصِدٍ وَتَخْرِيبِهَا فِي الْمَقْصِدِ، والنسائي في المعجمين (٤١٩٣) كتاب البيعة، التَّزْيِيبُ فِي طَاعَةِ الْأَمَامِ، وابن ماجه (٣) باب اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الْإِفْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَأَطِيعُوا أَمْرًا».

أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرِ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١).

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ، فَقَالَ: أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بَبْهَتَانِ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ فِي مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَاخَذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَطَهْوَرٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»^(٢).

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضَبَانُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ؟ قَالَ: «أَوْ مَا شَعَرْتَ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرِ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ، قَالَ الْحَكَمُ: كَانَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ - وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَذْبَرْتُ مَا سَفَتُ الْهَذْيَ مَعِيَ حَتَّى أَشْتَرِيَهُ ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا»^(٣).

- عَنْ أَبِي سَلِيمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^(٤).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ وَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّا

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الافتداء بِسُري رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلتَّقْوَى إِمَامًا﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٠١) كتاب الحدود، باب توبة السارق، والناسي في المحنة (٤١٧٨) كتاب البيعة، البيعة على لراق المشرك.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١١) كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٠٨) كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم.

مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ رِبْعَةٍ، وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذَهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: «أَمُرْكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانَ بِاللَّهِ» ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْتَهَى عَنِ الدُّبَاةِ، وَالْحَتَمِ، وَالْمُقَرِّ، وَالنَّقِيرِ»^(١).

- عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ: يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَفْرَدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ». فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»^(٣).



حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ طاقة خلاقة تفهر الصعاب، وتذل العقبات، وتحقق

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣) كتاب مواقيت الصلاة، باب قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مُبِينٌ إِلَيْهِمْ وَأَنْفَعُهُمْ وَأَقْبَلُ إِلَيْهِمْ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتْرِكِينَ﴾، ومسلم (١٧) كتاب الإيمان، باب الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَنْ لَمْ يَنْلُغْهُ، وأبو داود (٣٦٩٢) كتاب الأشربة، باب فِي الْأَوْعِيَةِ، وَالنَّسَانِي فِي الْمَجْتَبَى (٥٠٣١) كتاب الإيمان وشرائع، أَدَاءُ الْخُمْسِ.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان، باب وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد.

الغايات، وقد تبين هذا واضحًا في سلوك أصحاب النبي ﷺ.

أخرج البخاري وغيره عن عروة بن الزبير والمصور بن مخزومة يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه من حديث طويل حول صلح الحديبية، أنه لما رجع عروة بن مسعود إلى قريش بعد أن فاوض النبي ﷺ قال: (أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدًا، والله إن تَنَحَّمْ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدِّثون إليه النظر تعظيمًا له)^(١).

وكان أصحابه ﷺ لا يحبونه فحسب، وإنما يحبون ما يحب، ويكرهون ما يكره.

فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحب الدُّبَاءَ لا شيء إلا لحب رسول الله ﷺ له.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (إن خِيَاطًا دعا رسول الله ﷺ ل طعام صنعته، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، ف قرب على رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دُبَاءٌ وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدُّبَاءَ من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدُّبَاءَ من يومئذ)^(٢).

وهذا أبو أيوب رضي الله عنه يكره الثوم، لا شيء إلا لكرهية رسول الله ﷺ له.

بهذا الحب تحول هؤلاء الصحابة من أعراب غلاظ جفاة إلى رجال تسيل قلوبهم رقة ورحمة، ومن تابعين خانعين إلى سادة ملكوا البلاد وقهروا الأمم، ونشروا دين الله في ربوع العالم بأخلاقهم لا بسيفهم.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ - ٢٧٣٢)، والطبراني في الكبير (١٣) (٩/٢٠)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١)، وغيرهما.

ولم يقتصر حب النبي على صحابته، وإنما أحبه كل المخلوقات، فهذا جمل يحنُّ إليه ويشكو إليه سوء خلق صاحبه، وذلك حجر يسلم عليه بمكة قبل أن يبعث، وهاتان شجرتان تنقادان إليه طائعتين بإذن الله، لقد أحبه ربُّه فأحبه الملائكة، وأحبه الكون كله.

ومن أعظم خصوصيات الرسول ﷺ أن الله جَلَّوَعَلَا جعل حبه أمراً واجباً لا يكمل إيمان المسلم إلا به، بل وصم من يقدم شيئاً من متاع الدنيا على حبه ﷺ وحب رسوله بالفسق الموجب لغضب الله ونقمته. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ونفى النبي ﷺ الإيمان الكامل عمن قدم محبة الناس على محبة رسول الله، فروى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

واستخدام المضارع المنفي (لا يؤمن)، والمضارع المثبت (أكون) ليفيد الاستمرار في كل، فالإيمان يظل منفياً حتى يكون الحب.

وقدم الوالد على الولد لمكانة الوالد وعظيم حقه، وقد قدم القرآن الوالد على الولد في الحب، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

وأمر المولى ﷺ بطاعة الرسول ﷺ، وقرن ذلك في أكثر من موضع في كتاب الله بطاعته جَلَّوَعَلَا قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ١٣٢].

وقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَسَتَقِعْ فَاُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ١٥٢].

الخ.

ودعانا ﷺ إلى اتباع سنته والتأسي بهديه، فقال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَآلِیَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِیرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].
وحذر النبي ﷺ من عصيانه أو عصيان أمرائه وذكر أن من فعل ذلك عصى الله ﷻ.

وبشّرنا ﷺ بأن كل أمته يدخلون الجنة إلا من يأبى، فلما تعجب الصحابة وسألوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»، فكانه بعصيانه أعرض عن الجنة ورفض دخولها.

وقوله: «إلا من أبى» ذكر للخاص بعد العام، (وظاهره أن العموم مستمر لأن كلاً منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا: ومن يأبى؟ فبين لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنته، وهو عصيان الرسول)^(١).

وفضّل أبو الحسن الهروي في المرقاة المسألة فقال: («إلا من أبى»: أي امتنع عن قبول ما جئت به، قال ابن الملك: إن أريد من الأمة أمة الإجابة فلاستثناء منقطع، وإن أريد أمة الدعوة فلاستثناء متصل، وقال الطيبي: المراد إما أمة الدعوة، فالأبى هو الكافر، أو أمة الإجابة، فالأبى هو العاصي استثناء زجرًا وتغليظًا)^(٢).

وقوله: «أبى» كناية عن معصية الرسول.

وفي التعبير استخدام لعنصر المفاجأة الذي يصدّم السامع بما لا يتوقعه، فيسارع إلى الاستفهام، إذ لا يُتصور أن يأبى أحد دخول الجنة، ولذلك بادر الصحابة إلى الاستفهام الإنكاري: ومن يأبى؟

(١) فتح الباري (١٣/٢٥٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (١/٣٣٩).

والإجابة فيها إطناب وتفصيل، (وحق الجواب اختصارًا أن يقول: من عصاني، فعدل عنه إلى ما سيأتي لإرادة التفصيل، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» تنبيهًا على أنهم ما عرفوا هذا ولا ذاك^(١)).

وأمر ﷺ أصحابه أن لا يلحوا عليه في السؤال عما لم يبينه لهم حتى لا يهلكوا كما هلك من كان قبلهم بكثرة السؤال والاختلاف على أنبيائهم، وأوجب عليهم أن يكتفوا بالانتهاء عما نهاهم عنه، والالتزام بما أمرهم به في حدود استطاعتهم.

وروى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ بايعه ورهط معه من الأنصار على أن لا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، كما بايعهم على أن لا يعصوه في معروف، وبشرهم أن من وفى ببيعته منهم فإن أجره على الله يكافئه وحده بوفائه، ومن ارتكب موبقة من هذه فأقيم عليه الحد في الدنيا فهو كفارة له وطهور، ومن ستره الله وكل أمره إلى الله إن شاء عذبه به، وإن شاء غفر له.

قال رسول الله ﷺ: «أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم»

وقوله: «ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ [السجدة: ١٧]، والبهتان: الكذب الذي يدesh سامعه لفظاعته، ويقال: بهته بيهته إذا رماه في وجهه أو من ورائه بما لم يكن.

(قال الخطابي: بهت الرجل صاحبه بيهت بهتًا وبهتانًا، وهو أن يكذب عليه الكذب يُبهت من شدة نكره، ويتحير فيه فيبقى مبهوتًا، والمراد منه

(١) مرقاة المفاتيح (٣٣٩/٩).

قذف أهل الإحصان، ويدخل فيه رمي الناس بالعظائم، وما يلحق به العار والفضيحة^(١).

وقد ورد هذا في بيعة النساء لرسول الله، ومعناه: أن لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، (قالوا: كانت المرأة يكون لها الزوج ذا المال، وليس له ولد، فتخاف على ماله بعد موته، فتلتقط ولدًا، وتقول ولدته، فقوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ إشارة إلى الولادة)^(٢).

وورود ذلك في بيعة الرجال عجيب؛ لأن ذلك لا يكون في حق الرجال (والجواب: أن هذا من باب نسبة الفعل إذا صدر من الواحد إلى الجماعة، كقوله تعالى: ﴿وَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا﴾ [طه: ١٢] فإن الرجال لا يلبسون الحلية)^(٣).

وقيل: إن معنى هذه العبارة في الحديث يحتمل وجهين اثنين:

الأول - (لا تبهتوا الناس افتراءً واختلافًا بما لم تعلموه منهم فتجنوا عليهم من قبل أيديكم وأرجلكم - أي: قبل أنفسكم - جناية تفضحونهم بها، وهم براء، واليد والرجل كناية عن الذات).

والوجه الآخر - أن لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاخًا يشاهد بعضهم بعضًا كما يقال: فعلت هذا بين يديك، أي: بحضرتك، وهذا النوع أشد ما يكون من البهت)^(٤).

وفي حجة الوداع أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدى معه من أصحابه أن يحل، وأن يجعلها عمرة، فكان بعضهم تردد في طاعة رسول الله ﷺ، فساء

(١) شرح السنة للبغوي (١/٦٢).

(٢) شرح السيوطي على سنن النسائي (٧/١٤٢).

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) شرح السنة (١/٦٠).

ذلك رسول الله ﷺ، فدخل على السيدة عائشة غضبان، وأخبرها بأنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما ساق معه الهدى، حتى يحل كما أحلوا.

وأقام مالك بن الحويرث مع عدد من رفاقه الشباب المتقاربين في السن عند رسول الله ﷺ عشرين ليلة يفقههم في أمور دينهم، ثم أحس الرسول ﷺ أنهم اشتاقوا أهلهم فأمرهم بأن يرجعوا إلى أهليهم، ويعلموهم، وأمرهم بأن يتأسوا برسول الله ﷺ فيصلوا كما رأوه يصلي، فإذا حضرت الصلاة أذن واحد منهم، وأتهم أكبرهم، والمراد بأكبرهم: أفضلهم، أو أسنهم لأنهم كانوا متقاربين في السن كما صرح بذلك مالك، وكانوا في العلم الذي تلقوه عن رسول الله ﷺ سواء.

وقدم إلى رسول الله ﷺ وفد عبد القيس فأمرهم بأربع:

أولها: الإيمان بالله؛ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وثانيها: إقام الصلاة.

وثالثها: إيتاء الزكاة.

ورابعها: أداء خمس الغنائم إلى رسول الله ﷺ.

ونهاهم عن أربع: الدُّبَاء (وهو الیقطين الیابس)، والحتَم (وهي الجرار الخضراء المائلة إلى الإحمرار)، والمُقَيَّر (وهو الإناء المطلي بالقار)، والنَّقِير (وهو جذع يُنقر وسطه، وينبذ فيه).

والنهي عن هذه الأربع ليس نهياً عنها بذواتها وإنما هو (نهي عن الانتباز فيها، وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلوا ونشرب، وإنما خصت هذه بالنهي؛ لأنه يسرع إليه الإسكار فيها، فيصير حراماً نجساً، وتبطل ماليته، فنهى عنه لما فيه من إتلاف المال، ولأنه ربما شربه بعد إسكاره من لم يطلع عليه، ولم ينه عن الانتباز في أسقية الأدم، بل

أذن فيها؛ لأنها لرقتها لا يخفى فيها المسكر، بل إذا صار مسكرًا شقها غالبًا، ثم إن هذا النهي كان في أول الأمر، ثم نسخ بحديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن الانتباز إلا في الأسقية، فانتبذوا في كل وعاء، ولا تشربوا مسكرًا»^(١) رواه مسلم في الصحيح^(٢).

إن اتباع محمد ﷺ، والإيمان بما جاء به فرض واجب على كل من سمع به من الأمة، وبلغته الدعوة، سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا، فإن أعرض بعضهم ولم يؤمن، ومات على ذلك كان من أصحاب النار بنص حديث رسول الله ﷺ.

ومن بلغ به الإعراض عن محمد ﷺ، والكيد لدعوته أن يعاديه ويحاربه ويؤذيه - كما فعل كفار قريش في أحد - فإن الله جلَّوَعَلَّ يغضب عليه غضبًا شديدًا، ويرزقه بخاتمة سيئة يكون فيها عبرة لغيره من السفهاء.

حدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (أن الذي رمى رسول الله ﷺ بأحد فجرحه في وجهه قال: خذها مني وأنا ابن قمئة، فقال: «أقمأك الله»، قال: فانصرف إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها، فشد عليه تيسها، فنطحه نطحة أرداه من شاطئ الجبل فتقطع)^(٣).

واشتد غضب الله أيضًا في الدنيا والآخرة على رجل تمادى في العداء لرسول الله ﷺ، وتعرض له بالأذى القولي والفعل، وحاول قتله، حتى اضطر رسول الله ﷺ إلى أن يقتله بيده، كما حدث من أبي بن خلف الجمحي، (وقد حلف ليقتلن محمدًا، فقال ﷺ: «بل أنا أقتله»، فقال: «يا كذاب، أين

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) ونصه: «نهيتكم عن النبذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرًا»، وأبو داود (٣٦٩٨) وغيرهما.

(٢) شرح النووي (١/١٨٥).

(٣) فتح الباري (٧/٣٧٣).

تفر؟» فحمل عليه فطعنه في جيب الدرع، فوقع يخور خوار الثور، فاحتملوه، فلم يلبث إلا بعض يوم حتى راحت روحه إلى الهاوية^(١).

وعلى الجانب الآخر يعدُّ رسول الله ﷺ من دافع عنه، وردَّ عدوه بالجنة، أو برفقته في الجنة، وعد بذلك يوم أحد أصحابه حين أُفرد في سبعة من الأنصار ورجل من قريش - كما روى أنس - فتقدم رجل من الأنصار السبعة فقاتل الفئة الباغية حتى قتل، ثم تقدم الثاني فقتل، فما زالوا يتقدمون حتى قتلوا جميعًا في سبيل الله ورسوله.

وكان رسول الله ﷺ ينادي في كل مرة: «من يردهم عنا وله الجنة - أو: هو رفيقي في الجنة؟»

وهواستفهام غرضه التشويق والترغيب.

وقوله: «رفيقي في الجنة» إشارة إلى جزيل المكافأة، وعظيم المنزلة. وبعد أن قُتل بين يدي رسول الله ﷺ سبعة من الأنصار قال: «ما أنصفنا أصحابنا».

وعلى كون الرواية بسكون الفاء «أنصفنا»، و«أصحابنا» مفعول به منصوب، يكون المراد أن قريشًا لم تنصف الأنصار، إذ خرج الأنصار السبعة واحدًا تلو الآخر حتى قُتلوا كلهم، ولم يخرج القرشيان الآخران اللذان كانا في صحبة النبي في ذلك الموقف.

وروى البعض «أنصفنا» بفتح الفاء، و«أصحابنا» بضم الباء، فاعل مرفوع، أي: الذين فروا من القتال، وتركوا رفاقهم فرادى حول النبي ﷺ حين أُفرد يوم أحد في تسعة من أصحابه.

(فربما أشكل هذا على بعض الناس، فقال: كيف يأمرهم بالقتال، ثم

يقول: «ما أنصفنا أصحابنا؟ وهل عنده غير الإنصاف؟!

فالجواب: أنه يجب على الناس أن يقولوا رسول الله بأنفسهم، فلما قال: «من يردهم عنا؟» كان ينبغي للكل أن يبادر، فتأخر بعضهم ليس بإنصاف»^(١).

٢ - رؤيته ﷺ ربه :

«نُورَ أَنَّى أَرَاهُ».

- عن أبي ذرٍّ قال سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢).

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - قَالَ: أَخْبَهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَذَرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْ - أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَذَرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكُفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْتَبَةُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيِ عَلَى الْأَفْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاطِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتُ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتُ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَأَقْبِضْني إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالذَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(٣).



(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان، باب في قَوْلِهِ ﷺ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ وفي قَوْلِهِ رَأَيْتَ نُورًا، والترمذي (٣٢٨٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة والنجم.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣) أبواب تفسير القرآن، باب: وَمِنْ سُورَةِ ص.

دار جدل كبير وخلاف طويل حول قول النبي ﷺ حين سئل عن رؤية ربه: «نور أنى أراه»، هل رأى النبي ربه حقًا، أو أن هذه الرؤية مستحيلة على البشر في الدنيا؟

والراجع أنه ﷺ حين عُرج به إلى السماوات العلى، ورفي إلى سدره المتهى اختصه ربه بما لم يُتَح لغيره، وكلَّم ربه، وكلَّمه ربه، ورأى نورًا، والنور هو حجاب ربنا ﷻ، وهو ما أشار إليه الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله بخمس كلمات، فقال: «إن الله لا ينام، ولا يبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور»^(١).

وعلى هذا يكون معنى «نور أنى أراه»: حجابه النور فكيف أراه؟ أو أنه حيشما رأى رأى نورًا، وهو ما تؤكدُه الرواية الأخرى لمسلم: «رأيت نورًا»^(٢).

واختلف في ضبط «نور أنى أراه» فقليل: هي بفتح الهمزة وتشديد النون في «أنى»، وبفتح الهمزة في «أراه»، والضمير فيه عائد على الله ﷻ، (ومعناه: أن النور منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه)^(٣)، والاستفهام غرضه الإنكار والنفي.

وفي رواية - شكك فيها القاضي عياض -: «نُورَاني أراه» بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء، فيكون من صفات الأفعال، أي خالق النور المانع من رؤيته.

ورأى الطيبي أن «أنى» بمعنى حيث لا بمعنى كيف، قال: (أراد ليس الاستفهام على معنى الإنكار المستفيد للنفي، بل للتقرير المستلزم للإيجاب،

(١) أخرجه مسلم (١٧٩)، وابن حبان (٢٦٦)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨)، وابن حبان (٥٨)، وغيرهما.

(٣) شرح النووي (١٢/٣).

أي: نور حيث أراه^(١).

وفي حديث اختصاص الملائكة الأعلیٰ قال ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة».

وقوله: «الليلة» يشير إلى أن ذلك كان في رؤيا، ويؤكد قول الراوي: «أحسبه في المنام».

قال المباركفوري: (ويدل على ذلك أيضًا حديث معاذ بن جبل الآتي في الفصل الثالث، فإن فيه: «فنعست في صلاتي حتى استقلت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة»^(٢))، قال الحافظ ابن كثير بعد نقله عن مسند أحمد: وهو حديث المنام المشهور، ومن جعله بقظة غلط^(٣).

وكونه رؤيا ينفي الإشكال (إذ الرائي قد يرى غير المتشكل متشكلاً، والمتشكل بغير شكله، ثم لم يعد ذلك بخلل في الرؤيا، ولا في خلد الرائي، بل له أسباب آخر تذكر في علم المنام، أي التعبير، ولولا تلك الأسباب لم تفتقر رؤيا الأنبياء عليهم السلام إلى تعبير)^(٤).

وفي هذا الحديث وهب الله ﷻ رسوله علم ما في السماوات والأرض، ثم سأله: هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلیٰ؟ فأجاب النبي ﷺ: «نعم في الكفارات»، وأراد بالكفارات: كفارات الذنوب كالمكث في المسجد، والمشى للجماعات، وإسباغ الوضوء، ثم أمره ربه ﷻ إذا صلى أن يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون».

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/٣٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٥/٢٤٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (٢/٤٣٤).

(٤) مرقاة المفاتيح (٢/٣٩٩).

٢- النبي ﷺ لا يورث:

* «إنا معشر الأنبياء لا نورث»:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَفْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا، مَا تَرَكَتْ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَوْوَنَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١).



ويشارك النبي ﷺ في هذه الخصيصة الأنبياء جميعًا لقوله ﷺ فيما رواه عمر رضي الله عنه: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة»^(٢).

وذكر في الحكمة من ذلك كلام كثير أنفُسُهُ أنهم (لعظم شأنهم لا تكون نعم الله عليهم إلا عائدة على أخراهم، ولا يُسلبون منفعة ما أنعم به عليهم، ولو وُرثوا لُسلبوا منفعة ما ورثوه، وكان الانتفاع به إنما هو لورثتهم لا لهم، ولهذا قال عليه السلام: «أبيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟»^(٣)، وقال أبو بكر: إنما المال الآن للوارث)^(٤).

والواقع أن النبي ﷺ لم يترك عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة، فقد كان ﷺ ينفق كل ما يأتيه على المسلمين، ولا يُبقي في بيته شيئًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٩) كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: «لَا نُورِثُ مَا تَرَكَتْنَا صَدَقَةٌ»، ومسلم (١٧٦٠) كتاب الجهاد والسير، باب باب قول النبي ﷺ: «لَا نُورِثُ مَا تَرَكَتْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، وأبو داود (٢٩٧٤) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في صفات رسول الله ﷺ مِنَ الْأَمْوَالِ.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٦٣٠٩)، وأحمد (٤٦٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٢)، والنسائي في الصغير (٣٦١٢)، وغيرهما.

وتماه: قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخر».

(٤) طرح الشريب (٢٠٦/٦).

وقوله ﷺ: «لا يقسم ورثتي دينارًا»: «لا» فيه نافية وليست ناهية، (لأنه لم يترك ﷺ دينارًا ولا درهمًا يقسم؛ لأنه مات ودرعه مرهونة بوسق من شعير، ولا يجوز النهي عما لا سبيل إلى فعله، وإنما ينهي المرء عما يمكن وقوعه منه، ومعنى الخبر أنه ليس تقسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، لأنني لا أخلفهما بعده»^(١).

ويحتمل أن تكون لا ناهية، ويكون المعنى حينئذ أنه ﷺ ينهاهم إن خلف شيئًا أن يقسموه من بعده، ولا تعارض بين المعنيين.

وقال: «ورثتي» وليس له ورثة بالفعل، وإنما هم ورثة بالقوة، يعني: لو كنت ممن يورث، ولو خلّفت شيئًا يورث - ولم يخلف ذهبًا ولا فضة - فإنه لا يقسم بطريق الإرث، بل تُقسم منافعه.

وذكر الدينار لأنه أقل ما يمكن قسمته.

٤- ياكل الهدية، ولا ياكل الصدقة؛

«هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ»:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَغْرَةً مِنْ تَغْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ كَيْفٌ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا شَعَرْتُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»^(٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَا تَغْلِبُ إِلَيَّ أَهْلِي، فَأَجِدُ الثَّمَرَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً،

(١) شرح ابن بطلال (٥/٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩١) كتاب الزكاة، بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الصَّدَقَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ، ومسلم (١٠٦٩) كتاب الزكاة، بَابُ تَحْرِيمِ الرِّكَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

فَأَقْبَاهَا^(١).

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَوْفَلِ الْهَاشِمِيِّ، أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ ابْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَا: لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَلِلْفَضْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، اثْنَيْمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَى الْحَدِيثَ يَنْخُو حَدِيثَ مَالِكٍ، وَقَالَ فِيهِ: فَالْقَى عَلَيَّ رِذَاءَهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَنَا أَبُو حَسَنِ الْقُرْمِ، وَاللَّهِ، لَا أَرِيمُ مَكَانِي حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكُمَا ابْنَاكُمَا، بِخَوَرٍ مَا بَعَثْتُمَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: ثُمَّ قَالَ لَنَا «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاحُ النَّاسِ، وَإِنهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ»^(٢).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِلَحْمٍ، فَقِيلَ: تُصَدِّقُ عَلَى بَرِيرَةَ، قَالَ: «هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ»^(٣).



التقط الحسن سبط رسول الله ﷺ ثمرة من تمر الصدقة، فوضعها في فيه، فأسرع إليه النبي ﷺ يقول له: «كخ كخ» يحثه على طرحها، وهي كلمة بالفارسية يُزجر بها الصبيان ليدعوا المستقذرات، ثم قال له ﷺ: «أما شعرت

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٢) كتاب اللفظة، باب إذا وجد ثمرة في الطريق، ومسلم (١٠٧٠) كتاب الزكاة، باب تحريم الصدقة على رسول الله ﷺ وآله.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧٢) كتاب الزكاة، باب ترك استيعمال آل النبي على الصدقة، وأبو داود (٢٩٨٥) كتاب الخراج والإمارة والقيء، باب في بيان مَوَاضِعِ قِسْمِ الْخُمْسِ، وسنن أبي القُرَيْنِ، والنسائي (٢٦٠٩) كتاب الزكاة، باب استيعمال آل النبي ﷺ على الصدقة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٧٧) كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية، ومسلم (١٠٧٤) كتاب الزكاة، باب إتاحة الهدية للنبي ﷺ ولآلِهِ هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وأبو داود (١٦٥٥) كتاب الزكاة، باب الفقير يهدي للغنَى من الصدقة، والنسائي في المجتبى (٣٧٦٠) كتاب العمري، عطية المرأة بغير إذن زوجها.

أنا لا نأكل الصدقة؟

وقوله: «أما شعرت»: (هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه، وإن لم يكن المخاطب عالماً به، أي: كيف خفي عليكم مع ظهور تحريمه، وهذا أبلغ في الزجر عنه بقوله: لا تفعله^(١)). والاستفهام للإنكار.

وروى أحمد وغيره أن أبا الحوراء قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: أذكر أنني أخذت ثمرة من تمر الصدقة، فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله ﷺ، فألقاها في التمر، فقال له رجل: ما عليك لو أكل هذه الثمرة؟ قال: «إنا لا نأكل الصدقة»^(٢).

وبلغ من تحرز رسول الله ﷺ من أكل الصدقة أنه كان يجد الثمرة ساقطة على فراشه، فيرفعها ليأكلها، ثم يراجع لخشيته أن تكون صدقة، فيلقها.

وعزم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب على إرسال ابنيهما: عبد المطلب بن ربيعة، والفضل بن العباس إلى رسول الله ﷺ ليطلبا منه أن يستعملهما على الصدقات لعلهما يصيبان منها ما يعينهما على الزواج، وكان عليّ رضي الله عنه قد علم بمسعاهما فحذرهما من ذلك، وأخبرهما أن النبي ﷺ قال: «والله لا يُستعمل أحد منكم على الصدقة»، يعني: من آل محمد وآل عبد المطلب، لكنهما لم يستجيبا لنصحه، وأصرا على إرسال ولديهما إلى رسول الله ﷺ، فألقى عليّ رداءه على الأرض، واضطجع فوقه وهو يقول: أنا أبو حسن القرم - أي: الفحل - ثم أقسم لا يغادر مكانه حتى يرجع عبد المطلب والفضل بجواب ما بُعثا به، وانطلق عبد المطلب والفضل إلى رسول الله ﷺ، فوافقا صلاة الظهر، فصليا مع الناس، ثم استأذنا على النبي ﷺ وكان في حجرة زينب بنت جحش، فأذن لهما، فكلما في الأمر،

(١) عمدة القاري (٨٦/٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠/١)، وابن خزيمة (٤٣٤٨)، وغيرهما.

فكت ساعة ثم خفض رأسه، وقال: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد»، ثم أمر النبي ﷺ باستدعاء نوفل بن الحارث، ومحمية بن جزء، فقال للأول: «أنكح عبد المطلب»، وقال للثاني: «أنكح الفضل»، وأصدق عنهما من الخمس.

ومعنى قوله: «إنما هي أوساخ الناس»: (أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فهي كغَسَّالة الأوساخ^(١).

وهو تشبيه بليغ شبه فيه النبي ﷺ الصدقات بالأوساخ لكون الناس تتطهر من الذنوب بها، وهذا بيان لعلة التحريم.

أما الهدية، فقد قبلها النبي ﷺ، وأكل منها، قال ﷺ: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت»^(٢).

وفي حديث الباب أن النبي ﷺ أتى بلحم، ولما كان أهل بيته يعلمون أنه لا يأكل الصدقة، فقد أخبروه قبل أن يأكل منه أن هذا اللحم تُصدق به على بريرة جارية السيدة عائشة (رضي الله عنها)، فقربه إليه وقال: «هو لها صدقة، ولنا هدية».

٥- لا يقبل هدايا المشركين:

* «إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَيْدِ الْمُشْرِكِينَ»:

عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: «أَسْلَمَتْ؟»، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَيْدِ الْمُشْرِكِينَ»^(٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٩/٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٥٧) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين، والترمذي (١٥٧٧) كتاب أبواب السير، باب في كراهية هدايا المشركين.

وفي تلك الخصيصة خلاف إذ من الثابت أن المقوقس أهدى إلي النبي ﷺ فقبل منه، وأهدى إليه النجاشي فقبل منه، وأهدى له أكيدر دومة الجندل فقبل منه، فذهب بعضهم إلى أن الحديث منسوخ، وقال الخطابي: (وفي رده هديته وجهان:

أحدهما - أن يغظه برد الهدية فيمتعض منه، فيحمله ذلك على الإسلام. والآخر - أن للهدية موضعاً من القلب، وقد روي: «تهادوا تحابوا»^(١)، ولا يجوز عليه ﷺ أن يميل بقلبه إلى مشرك، فرد الهدية قطعاً لسبب الميل)^(٢). وقال آخرون: (الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والموالاة، والقبول في حق من يُرجى بذلك تانيسه وتأليفه على الإسلام)^(٣).
والخلاصة: أن الأصل هو المنع؛ إلا إذا كان ثمة مصلحة في القبول، فيدور المنع والقبول مع ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.
والزُّبد في قوله ﷺ: «إني نهيت عن زُبد المشركين» بسكون الباء: الرد والعطاء والهدية (يقال: زبدتُ فلاناً، أزبده بالكسر زبداً: إذا أعطيته)^(٤).
فإذا قلت: فلان يزُبد فلاناً بضم الباء، كان معناها: يطعمه الزُّبد.

٦ - تأييد ربه له بالمعجزات الباهرة:

* الجماد ياتمر بأمره: «انقضى عليَّ بإذن الله»:

- عن جابر قال: سِرْنَا مع رسول الله ﷺ حتى نَزَلْنَا وَاِدِيَا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رسول الله ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِذَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَظَنَرُ رسول الله ﷺ فلم

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٦٩/٦) (١١٧٢٦)، والطبراني في الأوسط (١٩٠/٧) (٧٢٤٠)، وغيرهما.

(٢) معالم السنن (٤١/٣).

(٣) فتح الباري (٢٣١/٥).

(٤) لسان العرب (١٩٣/٣).

يَر شَيْئًا يَسْتَرُّ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بَعْضُ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَأَنْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدُهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بَعْضُ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَأَنْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَأَمْ بَيْنَهُمَا، يَغْنِي جَمْعُهَا، فَقَالَ: «النَّشِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَالْتَأَمَّتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أَخْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي، فَيَتَبَعَدُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَدُ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفَتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ وَقَفَةً، فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَقْبَلَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ، قَالَ: «يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْطَلِقُ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ، فَأَقْطَعُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلُ بِهِمَا، حَتَّى إِذَا قُمْتُ مَقَامِي فَأَرْسِلُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ، وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ» قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجْرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ، فَأَنْذَلَقَ لِي، فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجْرُهُمَا، حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذِّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ»^(١).

* الماء ينبع من بين أصابعه: «خُذْ يَا جَابِرُ، فَصُبَّ عَلَيَّ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ»:

- قال جابر: فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ نَادِ بِوَضُوءٍ» فَقُلْتُ: أَلَا وَضُوءٌ، أَلَا وَضُوءٌ، أَلَا وَضُوءٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٢) كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

وَجَدْتُ فِي الرَّكْبِ مِنْ قَطْرَةٍ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبْرِدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ فِي أَشْجَابٍ لَهُ عَلَى حِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «انْطَلِقْ إِلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ، فَتَنَظَّرْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجِبَ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبْتُ يَابِسُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قَطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجِبَ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبْتُ يَابِسُهُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِ» فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَذْرِي مَا هُوَ، وَيَغْمِزُهُ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ» فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةُ الرَّكْبِ، فَأَتَيْتُ بِهَا تُحْمَلُ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا، فَبَسَطَهَا، وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ الْجَفْنَةِ، وَقَالَ: «خُذْ يَا جَابِرُ، قُصْبَ عَلِيٍّ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ» فَصَبَّيْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ بِاسْمِ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فَارَتْ الْجَفْنَةُ، وَذَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءٍ» قَالَ: فَأَتَى النَّاسَ، فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوَوْا، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَרَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَى^(١).

* بركته ﷺ تحل في الطعام: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التُّنُورِ حَتَّى آتِيَ»:

عن عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضْتُ كُذْبَةً شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: هَذِهِ كُذْبَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَغْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبَسْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ، فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٣) كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي البر.

ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقُ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِي قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْصَجَ، فَقُلْتُ: طُعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «كَبِيرٌ طَيِّبٌ» قَالَ: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي» فَقَالَ: «قُومُوا» فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، قَالَ: وَيَحَاكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَعْرِفُ حَتَّى سَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»^(١).

* بيت المقدس امام عينيه: «فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ»:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحَجَرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ»^(٢).

* حماية الله له في مكة: «لَوْ دَنَا مِنِّي، لَأَخْطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ

عُضُوءًا عُضُوءًا»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ،

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٦) كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء، ومسلم (١٧٠) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، والترمذي (٣١٣٣) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل.

لَأُطَانَّ عَلَى رَقَبَتِي، أَوْ لأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، رَعِمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِي، قَالَ: فَمَا فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَيَنْتَفِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوَلاً وَأَجْنَحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي، لاختطفته الملائكة عَضُوا عَضُوا». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ، لَا تُدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ سَمِعْتُ بَلْعَةً ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (١) أَنْ رَدَّاهُ اسْتَفْعَى (٢) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعُ (٣) أَوْ بَتَ الْوَيْ يَنْفَعُ عَبْدًا إِذَا صَلَّى (٤) أَوْ بَتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهَدْيِ (٥) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى (٦) أَوْ بَتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٧) - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٨) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (٩) نَاصِيَكُو كَذِبُو خَاطِفُو (١٠) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١١) سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ (١٢) كَلَّا لَا تَطْلَعُ ﴿[المعن: ١٩-٦] (١).

* الَمَدِّ الْمَلَائِكِي فِي بَدْرِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي»:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ، آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَذْ فِي الْأَرْضِ». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَنَاءَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَذَلِكَ مُتَاسِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا تَسَافَعَتِ رِجْلُكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَوَى مُيُودُكُمْ بِأَنْفٍ مِنْ أَلَمِكُمْ مَرْوِفَةٍ﴾ فَاَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو رُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَسْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (٢) أَنْ رَدَّاهُ اسْتَفْعَى.

أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ صَرْبَةَ بِالسَّوِطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمَ حَبِزُومَ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَحَرَ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهُهُ كَصَرْبَةِ السَّوِطِ، فَانْخَضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ^(١).

*** يرى من وراء ظهره: «إني لأراكم من بعد ظهري»:**

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّبِعُوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ بِيَدِي، إِنْ لَأَرَأَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي إِذَا مَا رَكَعْتُمْ، وَإِذَا مَا سَجَدْتُمْ»^(٢).

*** تسليم الحجر عليه: «إني لأعرف حجرا بمكة»:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الْآنَ»^(٣).

*** فهمه شكوى البهائم: «فإنه شكا إلي أنك تجيعة وتؤذبه»:**

عن عبد الله بن جعفر قال: أَرَدْتُ فَنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسْرَ إِلَى حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَرَبَّ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ تَخُلُّ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ،

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، والترمذي (٣٧٨١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٤) كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ومسلم (٤٢٥) كتاب الصلاة، باب الأمر بتحيين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُذَيِّبُهُ»^(١).

* كَشَفَ بَعْضَ الْغَيْبِ لَهُ: «أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُحْدِثُ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا»:

عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْقَبْرِ يُوصِي الْحَاوِرَ: «أَوْسِعْ مِنْ قَبْلِ رَجُلَيْهِ، أَوْسِعْ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ»، فَلَمَّا رَجَعَ اسْتَقْبَلَهُ ذَاعِي امْرَأَةٍ فَجَاءَ، وَجِيءَ بِالطَّعَامِ فَوَضَعَ يَدَهُ، ثُمَّ وَضَعَ الْقَوْمُ، فَأَكَلُوا، فَتَنَظَّرَ آبَاؤُنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلُوكَ لُقْمَةً فِي فَمِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَجِدُ لَحْمَ شَاةٍ أُحْدِثُ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهَا»، فَأَرْسَلَتِ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرْسَلْتُ إِلَى الْبَيْعِ يَشْتَرِي لِي شَاةً، فَلَمْ أَجِدْ فَأَرْسَلْتُ إِلَى جَارٍ لِي قَدْ اشْتَرَى شَاةً، أَنْ أُرْسِلَ إِلَيَّ بِهَا يَشْتَرِيهَا، فَلَمْ يُوَجِدْ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيَّ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطِيعِيهِ الْأَسَارَى»^(٢).

* ائْتَمَارُ الْجَمَادِ بِأَمْرِهِ:

رَوَى جَابِرٌ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَزَلُّوا وَادِيًا وَاسِعًا مَنَفْسَحًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعَهُ جَابِرٌ بِالْمَاءِ، وَبَحَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ يَسْتَرُ بِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا شَجَرَتَيْنِ بِجَانِبِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَامْسَكَ بِغَضَنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا وَقَالَ لَهَا، انْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنُّ اللَّهِ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الَّذِي وَضَعَ فِي أَنْفِهِ الْخِشَاشَ: (وَهُوَ عُودٌ يَجْعَلُ فِي

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدوابِّ والبَهَائِمِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٣٢) كتاب البيوع، باب في اجْتِنَابِ الشُّهَاتِ.

أنف البعير إذا كان صعباً، ويشد فيه حبل ليزل وينقاد، وقد يتمنع لصعوبته، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً^(١).

ثم أتى الشجرة الثانية، فأمسك بغصن من أغصانها وأمرها بالانقياد، فانقادت له، حتى إذا كان في نصف المسافة بينهما جمع بينهما فالتأمتا مظللتين عليه حتى قضى حاجته، فأسرع جابر يعدو حتى لا يحس رسول الله ﷺ بمقامه، ثم حانت منه التفاتة، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً، والشجرتان قد افترقتا، حتى قامت كل واحدة منهما على ساقها في مكانها الأول.

* الماء ينبع من بين أصابعه:

وأقبل رسول الله ﷺ على العسكر فطلب الرضوء، فلم يجد مع أحد قطرة ماء إلا رجلاً من الأنصار كان يبرّد الماء لرسول الله ﷺ في سقاء له على أعواد من جريد، ولم يكن قد تبقى معه سوى قطرات يسيرة من الماء، فأتى بها جابر رسول الله ﷺ، فقرأ عليها رسول الله ﷺ شيئاً، وغمز السقاء بيده، ثم أعطاه جابراً، ونادى بجفنة كبيرة فوضعت أمامه، فبسط يده في قعرها، وفرّق بين أصابعه، وأمر جابراً أن يسمّي، ويصب عليه تلك القطرات، يقول جابر: فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت.

وجاء الناس جميعاً فاستقوا حتى رروا، ولم يبق بأحد حاجة للماء، فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة، وهي ملأى.

* بركته تحل في الطعام:

وروى جابر أيضاً أنهم كانوا يوم الخندق يحفرون، فعرضت لهم صخرة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول، فاشتكوا ذلك للنبي ﷺ، فنزل وبطنه

(١) شرح النووي (١٨/١٤٣).

معصوب بحجر من شدة الجوع، وكان القوم قد مرت عليهم ثلاثة أيام لم يأكلوا فيها شيئاً، فضرب النبي ﷺ الصخرة فصارت رملاً مفتتاً، واستأذن جابر رسول الله ﷺ إلى بيته، فذهب إلى امرأته، فشكا لها ما برسول الله من جوع، وطلب منها أن تعد شيئاً من طعام، وكان عندها شعير وعناق، وهي أنثى الماعز، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، وأعدت العجين، ووضع اللحم في القدر، ثم وضعت على النار، وعاد جابر إلى رسول الله ﷺ، فدعاه وبعض أصحابه، فأمره رسول الله ﷺ أن لا ينزع القدر من على النار، ولا الخبز من التنور حتى يأتي، ثم قال الرسول ﷺ لأصحابه جميعاً من المهاجرين والأنصار: «قوموا»، فقاموا جميعاً، وأسرع جابر إلى زوجته مرتاعاً، فقال لها: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار، وأقبل القوم - وكانوا في رواية ألفاً - فدخلوا وراح الرسول ﷺ يكسر لهم الخبز، ويجعل عليه اللحم، ثم يغطي القدر والتنور إذا أخذ منه، فلم يزل يفعل ذلك حتى شبعوا، وبقيت بقية من الطعام، فقال النبي ﷺ لامرأة جابر: «كُلي هذا وأهدي، فإن الناس قد أصابتهم مجاعة».

✽ بيت المقدس أمام عينيه:

لما عاد النبي ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج، دعا قريشاً فأخبرهم برحلته، فكذبوه واستهجنوا قوله، وطلبوا منه أن ينعت لهم بيت المقدس، وهم يعلمون أنه لم يزره قط، يريدون بذلك تعجيزه وتكذيبه، فراح يصفه لهم كما رآه، فسألوه عن أشياء لم يثبتها، فكرب كرباً شديداً، فرفعه الله له ينظر إليه، فما سألوه عن شيء إلا أنبأهم به.

ومن ذلك (أنهم قالوا له: كم للمسجد من باب؟ قال: «ولم أكن عدتها، فجعلت أنظر إليه، وأعدها باباً باباً، وأخبرتهم عن عيرات لهم في الطريق

وعلامات، فوجدوا ذلك كما أخبرتهم»^(١).

* حماية الله له في مكة:

أقسم أبو جهل لئن رأى محمدًا ﷺ يسجد بين أظهرهم ليدوسن على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، وأراد أن ينفذ وعيده، والكفار ينظرون، إلا أنهم فوجئوا به ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، ويفرّ مذعورًا، فضحكوا منه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقًا من نار وهو لا وأجنحة، فقال النبي ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا».

وقول الرسول ﷺ: «لو دنا مني» يشير إلى حماية الله التامة لرسوله حتى إن أبا جهل كان سيعاقب لمجرد الدنو.

وقوله: «لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»: تشديد في النكال بأبي جهل لعظيم عداوته للنبي ﷺ وفداحة جرمه في التهديد بوطء عنق سيد الرسل، والمبالغة في إيذائه ﷺ.

* المدد الملائكي في بدر:

ألح الله على نبيه بالدعاء أن ينجز له وعده بالنصر في بدر، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فأمد الله بالملائكة الذين أعانوا المسلمين وثبتهم وقاتلوا معهم.

وفر رجل من المشركين يومئذ، فتبعه مسلم أنصاري يريد قتله أو أسره، فبينما هو يشد في أثره سمع صوت ضربة بالسوط في السماء، وفارس يقول: أقدم حيزوم، وحيزوم اسم فرسه، فإذا المشرك يخر صريعًا أمامه، فلما نظر إليه وجد أنفه ووجهه قد أصيب بما يشبه ضربة السوط، فاخضر

(١) الخصائص الكبرى (١/٢٩٦).

ذلك الموضع منه، أي: أسودَّ، فالحضرة تستعمل عند العرب بمعنى السواد، فأسرع الصحابي إلى رسول الله ﷺ يخبره بما سمع وما رأى، فقال ﷺ: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة».

وعاد أبو سفيان بن الحارث من بدر بعد الهزيمة القاسية، فلقه أبو لهب - وكان قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص بن هشام مقابل دين كان له عليه - فاستقبل أبو لهب أبا سفيان مرحباً قائلاً: هلم إلي يا بن أخي، ثم سأله: كيف كان أمر الناس؟ قال أبو سفيان: (لا شيء، فوالله إن لقيناهم فمحنناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، وبأسرونا كيف شاؤوا، وأيم الله، ما لمت الناس. قال: ولم؟ قال: رأيت رجالاً بيضاً على خيل بلق، لا والله ما تليق شيئاً (أي لا تبقى)، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة، فقلت: والله تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي، وثاورته، فاحتملني، فضرب بي الأرض، حتى برك على صدري، فقامت أم الفضل، فاحتجرت، ورفعت عموداً من عمد الحجرة، فضربت به، ففلقت في رأسه شجرة منكرة، وقالت: يا عدو الله، استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه، فقام ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله^(١).

* يرى من وراء ظهره:

أمر النبي أصحابه بإتمام الركوع والسجود، أي حسن أدائهما على الوجه الأكمل، ومتابعة النبي فيهما، وعدم سبقه أو الانصراف عنه، وأقسم لهم أنه يراهم من خلف ظهره كما يراهم من أمامه.

قال المناوي في فيض القدير: (يعني بخلق حاسة باصرة فيه، وقد انخرقت له العادة بأعظم من ذلك، فلا مانع له من جهة العقل، وقد ورد به

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٤٠٣) (٣/٣٦٣)، والطبراني في الكبير (٩١٢) (١/

الشرع، فوجب قبوله^(١).

* تسليم الحجر عليه:

كانت تلك إحدى الإرهاصات التي سبقت البعثة، وفهم النبي ﷺ من خلالها أنه ليس إنساناً عادياً، وأن الله ﷻ اختصه بكرامات خارقة تدل على العناية الإلهية بشخصه الكريم. قال النووي: (فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿وَلَئِنْ مِنْهَا لَمَّا يَحِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْبِئُ﴾ [يس: ٤٤] ^(٢).

وقوله ﷺ: «حَجَرًا» بالتنكير، لإرادة التعيين والتعظيم، وفيه ما يدل على تمايز الجمادات كما يتميز البشر، وعبرة «قبل أن أبعث» يشير إلى أن ذلك كان من إرهاصات النبوة.

(فإن قيل: ما حكمة إلقاء هذا الحديث بصورة التأكيد بـ«إن» والجملة الاسمية، وليس المقام مقام إنكار - قلنا: قد يكون عَلِمَ منهم الغفلة عن مثل هذا في ذلك الوقت، فأراد التنبيه عليه، بتنزيلهم منزلة الغافلين عنه، كما يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ لِنُكْرَ بَعْدَ ذَلِكَ لَعْنَتُونَ﴾ [المومن: ١٥]، ولم ينكر أحد الموت، ولكن لما غلبت الغفلة عنه حَسَنَ، أو بالنظر إلى غيرهم؛ لأنه أمر مستغرب، فهو في مظنة الإنكار) ^(٣).

* فهمه شكوى البهائم:

دخل النبي ﷺ بستاناً لرجل من الأنصار، فوجد فيه جملاً، فلما رأى

(١) فيض القدير (٢/ ٧٧).

(٢) شرح النووي (١٥/ ٣٦).

(٣) فيض القدير (٣/ ١٩).

الجمالُ النبي ﷺ حن إليه، وانهمرت دموعه، فاتجه النبي ﷺ إليه، فمسح مؤخر رأسه وما تحت أذنيه، فسكن، فسأل النبي ﷺ عن صاحب الجمال، فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، فأمره النبي ﷺ أن يتقي الله في هذه البهيمة، وأخبره أن الجمال شكاً إليه أن صاحبه يجيعه، ويشق عليه في العمل.

قال رسول الله ﷺ: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكاً إلي أنك تجيعه وتدبّه» والاستفهام للحث والتحريض. وقوله: «ملكك الله إياها» تذكير بنعمة الله في تسخير هذه البهائم وتمليكها للإنسان.

أما قوله: «فإنه شكاً لي أنك تجيعه وتدبّه»، فهو على سبيل الحقيقة لا المجاز، وهو من معجزات رسول الله ﷺ التي لها مثيلات كثيرة. وقوله: «تدبّه» مضارع (أدب)، (والدُّوب المبالغة في السير، وأدب الرجل الدابة إداباً إذا أتعبها، والفعل اللازم: دأبت الدابة تدأب دؤوباً) (١).

* كشف بعض الغيب له:

لم يكن النبي ﷺ يعلم الغيب علماً مطلقاً، وقد نفى ربه عنه ذلك فقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَعَكُمُ الْكَيْدُ مِنَ الْغَيْبِ وَمَا مَسَى السَّوْءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٨].

لكن المولى ﷺ كشف بعضاً من الغيب لنبه في مواقف معينة لعلل ومقاصد شرعية. ومنها أنه ﷺ شهد جنازة ثم عاد منها، فاستقبله رسول امرأة المتوفى يدعوهُ إلى طعام، فأجاب النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه، فلما وُضع

الطعام بين أيديهم، لآك النبي لقمة في فمه، ثم قال: «أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها». فأرسل إلى المرأة، فجاءت فأخبرته أنها أرسلت إلى البقيع؛ لتشتري شاة فلم تجد، ثم سعت لشراء شاة من جاراها فلم تجد، فأرسلت إلى امرأته، فأرسلت إليها بها دون إذن زوجها. فأمسك النبي وأصحابه عن الطعام، وقال لها: «أطعميه الأسارى» أي: الفقراء المساكين.

٧ - خمس لم يعطهن نبي قبله:

* «أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي»:

- عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نَصَرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَذْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأَجَلْتُ لِي الْمَغَانِمَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأَعْطَيْتُ الشَّقَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»^(١).

وهذه خمس مُيز النبي ﷺ بها عن الناس، وعن الأنبياء من قبله:

اولها: أنه نصر بالربع مسيرة شهر:

ومعناه أن الله يقذف في قلوب أعدائه الخوف قبل أن يأتيهم بمسافة شهر، فلا يستطيعون قتالاً ولا صموداً، فيكون ذلك أكبر عون على النصر والفتح، (قال المهلب: قوله: «نصرت بالربع» هو شيء خصَّه الله وفَضَّله به، لم يؤته أحداً غيره، ورأينا ذلك عياناً، أخبرنا أبو محمد الأصيلي قال: افتتحنا

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) كتاب التيمم، ومسلم (٥٢١) كتاب المساجد ومَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، والنسائي في المجتبى (٤٣٢) كتاب الغسل والتيمم باب التيمم بالصعيد، وفي إحياء الفوائد له. روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدُّلَّةُ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي». أخرجه البخاري (٣٣٦/٢) كتاب الجهاد والسير، باب مَا قِيلَ فِي الرَّمَاكِ.

برشلونة مع ابن أبي عامر، ثم صح عندنا بعد ذلك عمن أتى من القسطنطينية أنه لما اتصل بأهلها افتاحتنا برشلونة بلغ بهم الرعب إلى أن غلّقوا أبواب القسطنطينية ساعة بلوغهم الخبر بها نهارًا، وصاروا على صورها (أي نخيلها)، وهي على أكثر من شهرين^(١).

وقوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» مثل الرعب هنا جنديًا من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، وقيل إن التحديد بمسيرة الشهر؛ لأنه لم يكن بينه وبين الممالك التي حوله أكثر من شهر.

وثانيها: أن الله قد جعل له الأرض كلها مسجدًا وطهورًا:

وتفسيره ورد في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وعليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك؛ إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم»^(٢).

وقوله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» أي: أرضها مسجدًا، وترباها طهورًا، والمراد به التيمم، وفي كلمة الأرض مجاز مرسل عبر فيه بالكل وأراد الجزء.

وثالثها: أحلت له المغانم:

ولم تكن حلالًا للأمم السابقة، فقد كانوا إذا غنموا من أعدائهم أموالًا جمعوها في مكان، ثم أنزل الله من السماء نارًا فأحرقتها، فلا يستفيد منها المقاتلون.

والمغانم جمع مغنم أي غنيمة، (يقال: غنم القوم غنيمة يغنمونها غنمًا،

(١) شرح ابن بطال (١٤٢/٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٠٠) (٢٢٢/١)، وغيرهما.

والغُنىم عند العرب ضد العُرم، والأصل في الغنىم الربح والفضل، وللغنيمة عند العرب أسماء شتى منها: الخباسة، والهباله، والغنامي، والجدافاء. يقال: اختبست خباسة، واهتبلت هباله، واغتنمت غنيمة^(١).

ويُفرَّق بين الغنيمة والفِيء بأن الغنيمة ما أخذ من العدو بعد قتال، والفِيء: ما رجع إلى المسلمين من عدوهم من غير قتال.

ورابعها: أنه أعطي الشفاعة:

وليست هذه الشفاعة في خروج العصاة من النار، (فإن هذه الشفاعة يشارك فيها الأنبياء والمؤمنون أيضًا كما تواترت بذلك النصوص، وإنما الشفاعة التي يختص بها محمد ﷺ من دون الأنبياء أربعة أنواع:

أحدها: شفاعته للخلق في فصل القضاء.

والثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة.

والثالث: شفاعته في أهل الكبائر من أهل النار، فقد قيل: إن هذه يختص هو بها.

والرابع: كثرة من يشفع له من أمته، فإنه وفرَّ شفاعته وادخرها إلى يوم القيامة.

وقد ورد التصريح بأن هذه الشفاعة هي المرادة في هذا الحديث، ففي الحديث الذي خرَّجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن نبيٌّ كان قبلي...» فذكر الحديث، إلى أن قال: «... والخامسة: هي ما هي: قيل لي: سل؛ فإن كل نبي سأل، فأخَّرت مسألتي إلى يوم القيامة، فهي لكم، ولمن شهد أن لا إله

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (١/ ٢٨٠).

إلا الله»^(١) (٢).

والشفاعة من الفعل شفع: (وشفع لي يشفع شفاعة، وتشفع: طلب، والشفيع: الشافع، والجمع: شفعاء، واستشفع بفلان على فلان، وتشفع له إليه فشّعه فيه)^(٣).

والألف واللام (قد ترد للعهد، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَعْنَ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [الزمل: ١٦]، وترد للعموم، نحو قوله ﷺ: «المسلمون متكافؤ دماؤهم»^(٤)، وترد لتعريف الحقيقة كقولهم: الرجل خير من المرأة، والفرس خير من الحمار. إذا ثبت هذا، فنقول: الأقرب أنها في قوله ﷺ: «وأعطيت الشفاعة» للعهد، وهو ما بينه ﷺ من شفاعته العظمى)^(٥).

وخامسها: أنه بعث للناس عامة:

وكان كل نبي قبله يبعث إلى قومه خاصة، وتلك خصيصة لبنينا، ولرسالة العامة الشاملة التي خُتمت بها كافة الرسالات، وصار واجبا على كل من سمع بها من الجن والإنس؛ يهودا أو نصارى أو مجوسا أو وثنيين - أن يؤمنوا بها وينشروها في بقاع الأرض.

فالألف واللام في قوله: «كان النبي» هي للاستغراق بدليل قوله في رواية

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٢١٥).

(٣) لسان العرب (٨/ ١٨٤).

(٤) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، وغيرهم.

وتمامه: «يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يردُّ مُشِدِّهم على مُضعفهم، ومتسريهم على قاعدتهم، لا يُقتل مؤمن بكاfer، ولا ذو عهد في عهده».

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٥٥).

أخرى: «وكان كل نبي»^(١)، واستشكل بآدم فإنه بعث لجميع بنيهِ، وكذا نوح بعد خروجه من السفينة، وأجيب بأجوبة أوضحها أن المراد بالبعثة إلى الأصناف والأقوام وأهل الملل المختلفة، وآدم ونوح ليسا كذلك؛ لأن بني آدم لم يكونوا عند الإرسال إلا قومه^(٢).

وكلمة: «عامة» يجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف، أي: بعثت بعثة عامة، أو حالاً منصوبة^(٣).

٨- أعطيت مفاتيح الأرض؛

* «وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ»:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»^(٤).



ومعناها أن الله ﷻ فتح له ولأمته من بعده الفتوح، ومكن لها في الأرض، وجبى إليها خيراتها، واستخرج لها مكنوناتها، فصارت مفاتيح خزائنها بيدها، وأصبحت أغنى أمم الأرض.

وقوله ﷺ: «وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ» كناية عن فتح البلاد

(١) أخرجه مسلم (٥٢١)، والبيهقي في الكبرى (٣٦١٢).

(٢) فيض القدير (١/٥٦٨).

(٣) انظر المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٤٤) كتاب الجنائز، باب الصَّلَاةِ عَلَى الشَّهِيدِ، ومسلم (٢٢٦٩)

كتاب الفضائل، باب إِبْنَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصَفَاتِهِ.

وامتلاكها والتحكم في خيراتها.

وخزائن جمع خزانة، وهي الموضع الذي يخزن فيه.

٩ - إجلال مكة له ساعة من نهار؛

* «أَلَا وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُرَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَخَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ، وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ، وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ، «وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّمَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّمَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُحْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُعْصَدُ شَجَرُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُسْنِدٍ، فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْمَنِ، فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «اكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ، إِلَّا الْإِذْخِرَ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يُقَالُ: يُقَادُ بِالْقَافِ، فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ؟ قَالَ: كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ^(١).



لم تحل مكة - منذ أن حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض - لأحد سوى لمحمد ﷺ، وإنما حلت له ساعة واحدة من نهار حين دخلها، فَفَتَحَتْ له أبوابها، وسلمت له نفسها، لتدول دولة الشرك فيها للأبد، وترتفع راية التوحيد،

(١) أخرجه البخاري (١١٢) كتاب العلم، باب كتابة العلم، ومسلم (١٣٥٥) كتاب الحج، باب تحريم مكة.

ثم عادت مكة بعد هذه الساعة حراماً إلى الأبد، لا يجزُّ شوكتها، ولا يقطع شجرها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرّف يُظهر أمرها، فمن قُتل له فيها قتيل فهو مخير بين قبول الدية وبين القصاص، واستثنى رسول الله ﷺ من النبات الذي لا يجوز قطعه في مكة الإذخر، وهو حشيشة معروفة طيبة الريح توجد بالحجاز، يستخدمه أهل مكة لقبورهم وبيوتهم وصاغتهم.

قال رسول الله ﷺ: «وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلئ شوكتها، ولا يعصد شجرها».

وقوله: «لا يختلئ» أي: (لا يجزُّ ولا يقطع، قال الجوهري: تقول: خلئت الخلا واختليته، أي: جززته وقطعته فاختلئ، والمخلئ: ما يجتز به الخلا، والمخللة: ما يجعل فيه الخلاء)^(١).

أما (يُعَصَّدُ) فهو المبني للمجهول من يَعْصِدُ، وماضيه عَصَدَ، تقول: عضدت الشجرة أعصدها عضداً، إذا قطعت أغصانها، والذي يقطع به: مِعَصَدٌ، وكل ما قطعت منها فهو عَصَدٌ وعَصِيدٌ ومِعْصُودٌ^(٢).

١٠- تعظيم اليمين عند منبره ﷺ:

* «لا يحلف أحدٌ عند منبري هذا، على يمينٍ آئمةٍ»:

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف أحدٌ عند منبري هذا، على يمينٍ آئمةٍ، ولو على سواك أخضر، إلا تبوأ مفعده من النار - أو وجبت له النار»^(٣).



(١) عمدة القاري (٢/١٦٤).

(٢) جمهرة اللغة (٢/٦٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٤٦) كتاب الإيمان والنذور، باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي، وابن ماجه (٢٣٢٥) كتاب الأحكام، باب اليمين عند مقاطع الحقوق.

اليمين الغموس تودي بصاحبها في النار، ولكنها تكون أشد إثمًا، وأعظم فحشًا إذا وقعت عند منبر رسول الله ﷺ، كما جاء في الحديث، (قال ابن الملك: فَيَدُ الحلف بكونه عند المنبر تغليظًا لشأن اليمين وتعظيمه وشرفه، وإلا فاليمين الآثمة موجهة للسخط حيث وقعت، لكن في الموضع الشريف أكثر إثمًا)^(١).

(قال الشوكاني: وقد استدل به على جواز التغليظ على الحالف بمكان معين كالحرم والمسجد ومنبره ﷺ، وبالزمان كبعد العصر ويوم الجمعة، ونحو ذلك)^(٢).

وقوله ﷺ: «عند منبري هذا» شاهد على أن تعظيم الإثم مردّه إلى قدسية المكان.

وقوله: «على يمين آثمة» تسمية لليمين بوصف صاحبها، أي: ذات إثم. وقوله: «ولو على سواك أخضر» المراد به التحقير لتفاهة المحلوف عليه. وقوله: «إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار» (شك من الراوي، أو للتنوع بأن يكون الأول وعيدًا للفاجر، والثاني للكافر)^(٣).

١١ - تنام عيناه ولا ينام قلبه:

* «إِنْ عَيْنَيَّ نَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ

(١) مرقاة المفاتيح (٧/٣١٣).

(٢) عون المعبود (٩/٥٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (٧/٣١٣).

حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُؤْتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»^(١).



القلب النبوي الكبير لا يشبه قلوب البشر، إنه قلب طهره الله وزكاه، وملاّه حكمة وعلمًا، ورحمةً وعدلاً.

لذلك تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكيف ينام قلب تحمّل هموم الناس، ونفّسه إغراض الجاحدين، وساءه مكر الكافرين، وأقلقه كيد المنافقين.

يروى أنس بن مالك: (ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه، ففصله من ماء زمزم بيده، فحشا به صدره ولغاديده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا)^(٢).

كانت السيدة عائشة تتحدث عن صلاة الرسول ﷺ في رمضان، فذكرت

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧) كتاب التهجد، باب قيام النبي في رمضان وغيره، ومسلم (٧٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الليل وَعَدَدَ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ - في الليل، وأبو داود (١٣٤١) كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل، والترمذي (٤٣٩) كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ، والنسائي في المجتبى (١٦٩٧) كتاب المساجد، باب كيف الوتر بثلاث.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، والبيهقي في الكبرى (٦٢/٧)، وغيرهما.

أنه لم يكن يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً، ثم أربعاً، ثم ثلاثاً، ثم ينام، فسأله: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ قال: «إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي»، قيل: (لأن النوم آفة، ولو حلت الآفة قلبه لجاز أن تحله سائر الآفات، من نسيان وحي، وتوهم فيه، وغفلة عنه، وسامة منه، وفزع يمنعه عن واجب)^(١).

وقوله: «إن عيني تنامان» في كلمة: «عيني» مجاز مرسل عبر فيه بالجزء وأراد الكل.

وفي قوله: «ولا ينام قلبي» كناية عن الوعي التام بما يبدر منه، وما يدور حوله رغم سكون جسده الظاهر.

وهذه الخصيصة يشترك فيها كل الأنبياء، قال الزرقاني في تعليل ذلك: (لأن القلب إذا قويت حياته لا ينام إذا نام البدن، ولا يكون ذلك إلا للأنبياء، كما قال ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا»^(٢)، ولذا قال ابن عباس وغيره من العلماء: رؤيا الأنبياء وحي، ولو سُلط النوم على قلوبهم كانت رؤياهم كرويا من سواهم، ولذا كان ينام حتى ينفخ، ويُسمع غطيظه، ثم يصلي ولا يتوضأ؛ لأن الوضوء إنما يجب بغلبة النوم على القلب لا على العين)^(٣).

١٢ - **يَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي، وَيَرَى مَا لَا نَرَى؛**

*** «كُلُّ، فَإِنِّي أَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»:**

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا

(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (١/٣٠١).

(٢) طبقات ابن سعد (١/١٧١)، وعند البخاري (٣٥٧٠) عن أنس: «... وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم».

(٣) شرح الزرقاني (١/٣٥٢).

فَلْيَعْتَرِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَرِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»، وَإِنَّهُ أَتَى بِبَذَرٍ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَغْنِي طَبَقًا، فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «قَرَّبُوهَا»، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أَنَا جِي مَنْ لَا تُنَاجِي»^(١).

- عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةَ وَثَلَاكِينَ مَلَكًا يَتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»^(٢).

- عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَتَى بِدَابَّةٍ وَهُوَ مَعَ الْجَنَازَةِ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى بِدَابَّةٍ قَرِيبَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي، فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا رَكِبْتُ»^(٣).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةَ لِيُوضُوهُ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «ابْغِضِي أَخْبَارًا أَسْتَنْفِضُ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْتَةٍ» فَاتَّيَتْهُ بِأَخْبَارٍ أَحْمَلَهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتَ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، حَتَّى إِذَا قَرَعَ مَسَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْتَةِ؟ قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجَنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدُّ جُنَّ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٩) كتاب الاعتصام بالسنة، باب الأحكام تعرف بالدلائل، ومسلم (٥٦٤) كتاب الصلاة، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كُرْثًا أو نحوهما، وأبو داود (٣٨٢٢) كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم.

(٢) أخرجه البخاري عن رافع بن رفاع (٧٩٩) كتاب صفة الصلاة، باب فضل اللهم ربَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ومسلم (٦٠٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُقَالُ بَيْنَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالْقِرَاءَةِ، وأبو داود (٧٦٣) كتاب الصلاة، باب مَا يُسْتَنْعَجُ بِهِ الصَّلَاةُ مِنَ الدُّعَاءِ، والنسائي في المعجبين (٩٠١) كتاب الافتتاح، نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ التَّكْبِيرِ، كلهم عن أنس رضي الله تعالى عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٧٧) كتاب الجنائز، باب الرُّكُوبِ فِي الْجَنَازَةِ.

نَعِيبِينَ، وَنِعْمَ الْحَرْنُ، فَسَأَلُونِي الرَّادَّ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظَمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»^(١).

- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عن رسول الله ﷺ قال: «رُضُوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَخَاضُوا بِالْأَغْنَاقِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهُا الْحَذَفُ»^(٢).

- عن حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، كَأَنَّهُا تَذْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَغْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يَذْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَغْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدَيَّ مَعَ يَدِهَا»^(٣).



كان رسول الله ﷺ لا يأكل الثوم والبصل والكراث، لا لأنها حرام، ولكن لأن جبريل كان يأتيه، والملائكة تتأذى من الروائح الكريهة كما يتأذى منها بنو آدم.

وقد ورد في قصة نزول الرسول ﷺ على أبي أيوب أنه كان يصنع للنبي ﷺ طعامًا، فإذا جاء به إليه بعد أن يأكل منه الرسول ﷺ سأل عن موضع

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٠) كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الحن.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٧) كتاب الصلاة، تفريع أبواب الصُّفُوفِ، باب تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، والنسائي في المجتبى (٨١٥) كتاب الإمامة، حث الإمام على رص الصفوف والمقاربة بينها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٧) كتاب الأشربة، باب آداب الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهَا.

أصابع النبي، فأكل منه، فأعيد إليه الطعام مرة كما هو لم يأكل منه رسول الله ﷺ، ففزع أبو أيوب، ثم علم أنه ﷺ لم يأكل منه لأن فيه ثومًا، فسأله: أحرام هو؟ قال: «لا، ولكني أكرهه من أجل ريحه»، قال: فإني أكره ما كرهت^(١).

وصلى رجل خلف رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، فقال الرجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فرأى النبي ﷺ بضعة وثلاثين ملكًا يتسابقون إليها أيهم يكتبها قبل الآخر. والمقصود بالكتابة هو قول القائل: «ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه».

وقد قيل في مناسبة هذا العدد (بضعة وثلاثين): (أن هذه الكلمات المقولة تبلغ حروفها بضعة وثلاثين حرفًا، فكأن الملائكة ازدحموا على كتابتها، ورؤسوا بأن يكتب كل واحد منهم حرفًا منها، وفي هذا نظر؛ فإنه ليس في الحديث ما يدل على أنهم توزعوا كتابتها)^(٢).

وقوله ﷺ: «يتدرونها أيهم يكتبها أول» دليل على عظيم ثوابها ورفعة درجة صاحبها.

وقوله: «أول» روي على وجهين (بضم اللام وفتحها، فالضم على أنه صفة لأي، وقد سبق نحوه في قول النبي ﷺ لأبي هريرة: «لقد ظننت أن لا يسألني أحد أول منك»^(٣))^(٤).

والفتح على أنها حال صاحبها الضمير المستتر في يكتبها.

ويرجع العيني - رحمه الله - في شرحه لسنن أبي داود أن «أول» ظرف مبني

(١) صحيح مسلم (٢٠٥٣)، والترمذي (١٨٠٧)، وغيرهما.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢٠٢/٧).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥٨٤٢)، وغيرهما.

(٤) فتح الباري لابن رجب (٢٠١/٧).

لانقطاعه عن الإضافة يقول: (قوله: «أول» بالضم من الظروف كما تقول: أبدا بهذا الفعل أول شيء، ثم تحذف المضاف إليه، وينبئ أول على الضم)^(١).

و أتى النبي ﷺ وهو في جنازة بدابة ليركبها فأبى، ثم أتى بها إليه وهو منصرف منها فركب، فلما سئل عن ذلك قال: «إن الملائكة كانت تمشي، فلم أكن لأركب وهم يمشون، فلما ذهبوا ركب».

وأتاه وفد جن نصيبين، وهم الذين ورد ذكرهم في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وفصل الله ﷻ قصتهم في سورة الجن، فلما آمنوا أرسلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم، وكانوا قد سألوا رسول الله ﷺ الزاد، فدعا الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروثة.

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه أن يرصوا صفوفهم، ويقاربوا بينها، ويحاذوا بالأعناق أي بالأكتاف حتى لا يدعوا فرجة للشيطان يدخل من خلالها، فقد كان ﷺ يرى الشيطان يدخل من بين خلل الصفوف كأنه غنم سود صغار.

قال ﷺ: «إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف».

و(الحذف) جمع مفردة (حذفة)، وهي غنم سود صغار أكثر ما تكون باليمن، (وقيل: هي صغار جرد ليس لها آذان ولا أذنان، يجاء بها من جُرَش اليمن، وقيل: هي غنم صغار حجازية)^(٢).

وهو تشبيه بديع شبه فيه رسول الله ﷺ الشياطين بالغنم، وهي تحاول اختراق الصفوف، فتصاغر كالحذف، وهذا أدعى للحذر، والاهتمام بضم الصفوف وسد الفرج، واختار الغنم السود، لأن السواد أليق بالشياطين،

(١) شرح أبي داود لليعني (٣/٣٧٨، ٣٧٩).

(٢) السابق (٣/٢١٨).

وأنت في قوله: «كانها» باعتبار الجمع، أو باعتبار الخبر.

ووضع طعام بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يكن أحد منهم يضع يده قبل أن يضع رسول الله ﷺ يده، فجاءت فتاة صغيرة مسرعة كأنها مدفوعة لتضع يدها في الطعام، فأخذ الرسول ﷺ بيدها، ومنعها، ثم جاء أعرابي مندفعاً فأراد وضع يده في الطعام دون أن يسمي، فأخذ الرسول بيده ومنعه. ثم أخبر الرسول أصحابه أن الشيطان يستحل الطعام بعدم ذكر اسم الله عليه، وأنه دفع بهذه الجارية ليستحل بها الطعام، فأدركها رسول الله ﷺ وأخذ بيدها، فعاد وجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، وأقسم رسول الله ﷺ أن يد الشيطان كانت في يده مع يد الصغيرة.

١٢- له خمسة أسماء:

* «إِنِّي أَسْمَاءُ»:

عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لِي أَسْمَاءُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»^(١).



اختص رسول الله ﷺ بعدد من الأسماء، أشهرها خمسة: قال: «أنا محمد» (قدمه؛ لأنه أشرفها، «وأنا أحمد» أي: أحمد الحامدين لربه، «فأما محمد، فمن باب التفعيل للمبالغة، وأما أحمد فمن باب التفضيل، وقيل: سمي أحمد؛ لأنه علم منقول من صفة، وهي أفعّل التفضيل، ومعناه: أحمد

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٦) كتاب التفسير، باب «بَيِّنَاتٍ مِنْ بَيِّنَاتِ أَسْمَاءِ أَحْمَدَ»، ومسلم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل، باب في أَسْمَائِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٢٨٤٠) كتاب أبواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحامدين^(١).

«وأنا الحاشر» أي: ذو الحشر، «الذي يحشر الناس على قدمي» بخفة الياء على الأفراد، وبشدّها على التثنية: أي على أثر نوبتي، أي: زمنها، أي ليس بعده نبيّ، وهو (من الإسناد المجازي؛ لأنه سبب في حشر الناس، لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر)^(٢).

«وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر» أي: يزيل أهله من جزيرة العرب، أو من أكثر البلاد، و(قد يراد المحو العام بمعنى: ظهور الحجة والغلبة، ليظهره على الدين كله)^(٣).

«وأنا العاقب» زاده مسلم: (الذي ليس بعده أحد)^(٤). أو (الذي يخلف في الخير من كان قبله، ومنه يقال عَقِبَ الرجل لولده)^(٥).

١٤ - التسمي باسمه، وعدم التكني بكنيته؛

* «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنْيَتِي»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنْيَتِي»^(٦).



(١) تحفة الأحوذى (١٠٥/٨).

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) فيض القدير (٥١٨/٢).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (٦٩٥/١).

(٥) مرقاة المفاتيح (٤٥٧/١٠).

(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٠) كتاب البيوع، باب ما ذكّر في الأسواق، ومسلم (٢١٣١) كتاب الآداب، باب النهي عن التكنّي بأبي القاسم، ويأتي ما يُستحب من الأسماء، وابن ماجه (٣٧٣٧) كتاب الآداب، باب الجمع بين اسم النبي ﷺ وكُنْيَتِهِ.

فمن خصائصه ﷺ جواز التسمي باسمه، وعدم جواز التكني بكنيته، وذلك مرتبط على الراجح بحياته ﷺ، (وإنما نهى عن الكنية في حياته، ولم ينه عن الاسم؛ لأنه لم يكن يقع الاشتباه بالاسم؛ لأن الله ﷻ نهى أن يُدعى رسول الله ﷺ باسمه، فيقال: يا محمد، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فكان المسلمون لا يسمونه باسمه داعيًا، فإذا سمع من ينادي: يا محمد، يعلم ﷺ أن المدعو غيره، فلا يلتفت ولا يجيب؛ لعلمه بأنه ليس المدعو، ولم يرد النهي عن الكنية، فكان يجوز أن يقال: يا أبا القاسم، فإذا سمع من ينادي: يا أبا القاسم التفت، ولم يكن هو المدعو، فيكون فيه أذاه؛ لأنه ﷺ كان لا يلتفت إذا مشى، فإذا التفت لا لمعنى كان في ذلك أذاه، وليس للمؤمنين أن يؤذوه، فعلى هذا يجوز التكني بأبي القاسم بعده^(١).

وقوله: «وَلَا تُكْنُوا بِكُنْيَتِي» يُحتمل فيه وجهان:

الأول: أن يضبط «تُكْنُوا» فيكون مضارعًا محذوف التاء تخفيفًا، وأصله تَكْنُوا، وهو كثير مألوف، وماضيه الخماسي: تَكْنَى؛ أي لا تتكنوا أنتم.
والثاني: أن يضبط «تُكْنُوا» فيكون مضارعًا من الماضي الرباعي: كُنَى؛ أي لا تُكْنُوا أولادكم.



١٥- الشيطان لا يتمثل به:

* «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَّخِذُ بِي»:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (١/ ٣٦٩).

الشَّيْطَانُ لَا يَخَيَّلُ بِي، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ^(١).



هذه من أجلى خصوصيات النبي في حياته، وبعد وفاته، فمن رآه في المنام، فقد رآه حقاً؛ لأن الشيطان لا يتصور في صورته، (لثلاً يتدرع بالكذب على لسانه في النوم، وكما خرق الله تعالى العادة للأنبياء بالمعجزة دليلاً على صحة حالهم، وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، إذ لو وقع لاشبه الحق بالباطل، ولم يوثق بما جاء في جهة النبوة مخالفة من هذا التصور، فحماها الله من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيدته على الأنبياء، وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم، ورؤيا غير النبي للنبي عن تمثل الشيطان بذلك؛ لتصح رؤياه في الوجهين، ويكون طريقاً إلى علم صحيح لا ريب فيه)^(٢).

وقوله: «يتخيل» أي: يتمثل أو يتصور، ومادته الأصلية: خيل، جاء في لسان العرب: (خَالَ الشيءَ يَخَالُ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلَةً وَخَيْلًا وَخَيْلَانًا وَمَخَالَةً وَمَخِيلَةً وَخَيْلُولَةً - ظَنَّهُ، وفي المثل: من يسمع يخل أي يظن)^(٣).

ثم قال: (وتخيل الشيء له: تشبه وتخيل له أنه كذا: أي تشبه وتخيل، يقال: تخيلته فتخيل لي، كما تقول تصوّرتَه فتصوّر، وتبيّنته فتبيّن، وتحققته فتحقّق، والخيال والخيالة ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة)^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٤) كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ومسلم (٢٢٦٦) كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ من رأى في المنام فقد رأى، والترمذي (٢٢٧٦) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى»، وابن ماجه (٣٩٠٠) كتاب تفسير الرؤيا، باب رؤيّة النبي ﷺ في المنام.

(٢) الدياج على مسلم (٢٨٦/٥).

(٣) لسان العرب (٢٢٦/١١).

(٤) السابق (٢٣٠/١١).

فالتخيل هو التمثل أو التشبه، وقد وردت روايات للحديث بكلا اللفظين: «بتمثل بي»^(١)، و«يتشبه بي»^(٢).

١٦ - سيد ولد آدم

* «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُسَمِّعٍ»^(٣).



مع أن الرسول ﷺ سيد الناس في الدنيا والآخرة بلا شك، إلا أنه ﷺ قيّد قوله: «أنا سيد ولد آدم» بقوله: «يوم القيامة»، وسبب التقييد (أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة.

قال العلماء: وقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» لم يقله فخراً، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وإنما قاله لوجهين:

(١) أخرجه مسلم (٢٢٦٦)، والترمذي (٢٢٧٦)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٦٨)، وابن حبان (٦٠٥٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) كتاب الفضائل، باب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وأبو داود (٤٦٧٣) كتاب السنة، باب فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كلاهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٣٦١٥) كتاب المناقب، باب فِي فَضْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وابن ماجه (٤٣٠٨) كتاب الزهد، باب ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ، كلاهما عن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْقِمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].
والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته، كما أمرهم الله تعالى^(١).
فهو ﷺ يوم الحشر أول من ينشق عنه القبر، فلا يجد أحدًا سوى موسى مسكًا بقوائم العرش، فلا يدري هل أفاق قبله، أو أنه جوزي بصعقة الطور؟
وهو ﷺ يوم العرض أول من يشفع في الناس وفي أمته، وأول من تقبل شفاعته من رب العزة جَلَّوَعَلَا.

والسيد هو (الذي فاق غيره بالعقل والمال، والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد، وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه، وقال قتادة: هو العابد الورع الحليم، وقال أبو خيرة: سُمِّي سيدًا لأنه يسود سواد الناس أي عظمهم)^(٢).

وكلها صفات تمتع بها، وبأكرم منها سيد الخلق محمد ﷺ.



١٧- اصطفاؤه الله له :

* «وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» :

عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَائِلَةَ بِنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٣).

(١) شرح النووي (٣٧/١٥).

(٢) لسان العرب (٢٢٨/٣، ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قبل النبوة، والترمذي (٣٦٠٦) كتاب المناقب، في فضل النبي ﷺ.

لقد اصطفى الله هذا النبي الكريم من خير سلالات البشر أجمعين، فهو خيار من خيار، اصطفى الله ولد إسماعيل من ولد إبراهيم، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى محمداً ﷺ من بني هاشم.

واصطفى، أي: (اختار وانتخب ورفع وفَضَّل) ^(١)، ومادته (صفو)، (وصفا صفواً من باب قعد، إذا خلص من الكدر، فهو صاف، وصفته من القذى تصفية: أزلته عنه) ^(٢).

ولأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فالاصطفاء زيادة في الانتقاء والاستخلاص ورفع الدرجة.

ثم إن اصطفاء النبي ﷺ مر بمراحل من الفرز والتمييز والتجنيب منذ اصطفاء كنانة من ولد إسماعيل، ثم قريش من كنانة، ثم بني هاشم من قريش، ثم محمد ﷺ من بني هاشم، فكانه الخلاصة الخالية من كل شائبة، والمعدن المصفى من كل دخيل.

١٨- بُعِثَ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ

* «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قُرْنَا فَقُرْنَا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» ^(٣).



قال ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ^(٤).

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٢٩٦/١).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣٤٣/١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٥٧) كتاب المناقب، بابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وغيرهما.

والقرن هو أهل كل زمان، وهو مقدار متوسط أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الافتران، أي المقدار الذي يقترن فيه أهل زمان في أعمارهم وأحوالهم، ويقدر الآن بمائة سنة.

وقد بعث رسول الله ﷺ في خير القرون قاطبة منذ خلق الله آدم إلى مبعث رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: «بعث من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا».

وقوله: «قرنًا فقرنًا» الفاء فيه للترتيب، وهو حال كما قيل للتفضيل، وهي مؤولة بالمشتق، أي: قرنًا فقرنًا متفاضلين أو مترتين. وال حال الجامدة تؤول بالمشتقة في ثلاث أحوال:

(إحداها: أن تدل على تشبيه نحو: كَرَّ زيد أسدًا، وبدت الجارية قمرًا، وتشت غصنًا، أي: شجاعًا ومضيئةً ومعتدلةً. وقالوا: وقع المصطرعان عدلي غير، أي: مصطحبين اصطحاب عدلي حمار حين سقوطهما.

الثانية: أن تدل على مفاعلة نحو: بعته يدًا بيد، أي متقايضين، وكلمته فاءٌ إلى في، أي: متشافهين.

الثالثة: أن تدل على ترتيب ك: ادخلوا رجلًا رجلًا، أي: مترتين^(١).

وقول الرسول ﷺ: «قرنًا فقرنًا» من النوع الثالث.

١٩- لا نبي بعده:

* «وإنه لا نبي بعدي»:

عن أبي حازم قال: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٢/٢٩٩).

نَبِيٍّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «قُوا بَيْعَةَ الْأَوَّلِ فَلَا أَوَّلَ، أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»^(١).



ومن خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين أجمعين، فلا نبي ولا رسول بعده، ومن زعم أنه نبي أو رسول بعده فهو دجال كذاب.

وقد صُرح بذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠].

وأخبر الرسول أنه سيأتي من بعده كذابون يدعون النبوة، وأن هذا سوف يكون من علامات الساعة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يقتل فستان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»^(٢).

و«هلك» في قوله ﷺ: «كلما هلك نبي خلفه نبي». تعني: مات، و«الهاء واللام والكاف يدل على كسر وسقوط، منه: الهلاك: السقوط، ولذلك يقال للميت: هلك»^(٣).

وكثيراً ما تستخدم في القرآن للتعبير عن إيقاع العقاب بالاقوام المذنبين؛ لما يحتويه معناها من شدة وسقوط، كقوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكَ آدَا الْأَوَّلَ﴾ [النجم: ٥٠].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن نبي إسرائيل، ومسلم (١٨٤٢) كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، وابن ماجه (٢٨٧١) كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (١٥٧)، وغيرهما.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/٦٢).

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَلَمَّْا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر ١١]، وقوله: ﴿وَكُرَّ أَمْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ [مريم ١٧٤].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذَكِّرٍ﴾ [القدر ٥١]، ومع ذلك ورد التعبير بالهلاك في مواضع أخرى غير هذه، منها قوله في حق يوسف عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقًّا إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [يوسف: ٣٤].

ولعل استخدام (هلك) هنا راجع إلى كون يوسف عُمر طويلاً، والله أعلم.

٢٠ - اتخاذه خاتماً عليه نقش اسمه

* «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ، وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَلَا يَنْقُشَنَّ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ»^(١).



اتخذ الرسول خاتماً من فضة، وجعل نقشه (محمد رسول الله) وعرف أصحابه ذلك، ونهاهم أن ينقشوا مثل نقشه، ولقد ظل هذا الخاتم في يد رسول الله ﷺ حتى توفاه الله، فلبسه أبو بكر رضي الله عنه، ثم مات أبو بكر فلبسه عمر، ومات عمر فلبسه عثمان، وظل مع عثمان حتى سقط منه في بئر أريس.

وقوله: «فلا ينقشن أحد على نقشه»: نهى فعله مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة،

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٧) كتاب اللباس، باب قول النبي ﷺ لا ينقش على نقش خاتمي، ومسلم (٢٠٩٢) كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي ﷺ خاتماً من ورق نقشه محمد رسول الله ولبس الخلفاء له من بعده.

والنهي عن النقش (لأن فيه اسمه وصفته، وإنما نهى أن ينقش أحد على نقشه؛ لأن فيه اسمه وصفته، وإنما صنع فيه ذلك ليختم به، فيكون علامة تختص به، وتتميز عن غيره، فلو جاز أن ينقش أحد نظير نقشه لفات المقصود)^(١).

٢١- له نهر في الجنة:

* «فإنه نهر وعديني ربي ﷺ»:

عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آية سورة» فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شأئك هو الأبر» ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعديني ربي ﷺ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أخذت بعدك»^(٢).



هذا من أعظم ما اختص به نبينا ﷺ، نهر في الجنة اسمه الكوثر، حافته باب الدر المجوف، طينه مسك ذكي، هو الحوض الذي ترد عليه أمته ﷺ، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا، وقدره كما بين أيلة، وهي بلد

(١) فتح الباري (١٠/٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٠) كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، وأبو داود (٤٧٤٧) كتاب السنة، باب في الحوض، والسنائي في المجتبى (٩٠٤) كتاب الافتتاح، قراءة: «ونسب الله الرحمن الرحيم».

بين مصر والشام، وصنعاء من اليمن، وفيه من الأباريق كعدد نجوم السماء. وسوف يزداد بعض من أمة محمد ﷺ عن هذا الحوض، فيقول الرسول ﷺ: «رب إنه من أمني»، فيقال له: «ما تدري ما أحدثت بعدك».

قال ﷺ يصف هذا الكوثر: «هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آتيه عدد النجوم، فيختلج العبد منهم»

وَوَصَفُ الحَوْضِ بِأَن آتَيْتَهُ عِدَد النُّجُومِ قَدْ يَكُونُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَجَازًا الْمُرَادُ مِنْهُ بَيَانُ كَثَرَةِ عِدَدِ الْآتِيَةِ، وَقَوْلُهُ: «يُخْتَلِجُ» أَي: يُقْتَطِعُ وَيُسْتَرْعِ، وَأَصْلُهُ: خَلَجَ أَيِ اضْطَرَبَ، مِنْ اخْتِلَاجِ الْأَعْضَاءِ؛ (وَأَصْلُ الْاِخْتِلَاجِ الْحَرَكَةُ وَالاضْطِرَابُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَدْ سُئِلَتْ عَنْ لَحْمِ الصَّيْدِ الْمَحْرَمِ، فَقَالَتْ: إِنْ يَخْتَلِجُ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعِهِ^(١))^(٢)).

٢٢ - لَا يَنْقُصُ أَجْرُ صَلَاتِهِ :

* «وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا يَصِفُ الصَّلَاةَ». قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِسًا فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو؟ قُلْتُ: حَدَّثْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قُلْتَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلَاةِ». وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا قَالَ: «أَجَلْ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ»^(٣).



(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٩٧٢٠)، ومالك في الموطأ (٧٨٧)، وغيرهما.

(٢) تاج العروس (٥/٥٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٧٣٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جَوَازِ النَّافِلَةِ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَفِعْلُ بَعْضِ الرُّكْعَةِ قَائِمًا وَبَعْضُهَا قَاعِدًا، وأبو داود (٩٥٠) كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد.

إذا كان للمتفل قاعدًا بلا عذر نصف أجر الصلاة كما أخبر الرسول ﷺ في قوله: «صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة»، فإن الرسول ﷺ اختص بأن ثواب صلاته لا ينقص على أي وجه كان قائمًا أو قاعدًا أو مضجعًا أو نائمًا، وهذا معنى قوله ﷺ: «ولكني لست كأحد منكم».

٢٢ - سرعة إجابة الله دعاءه ﷺ:

* «أشهد أن الله على كل شيء قديرٌ، وأني عبد الله ورسوله»:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ فُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ قُوضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷺ وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَذَبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتَحَارَ الْمَطَرُ عَنْ إِيَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ اللَّهُ ﷻ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدْتُكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ» ثُمَّ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ② تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ ③ [الفاتحة: ٢-٤] لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ» ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَأَ يَبَاضُ إِبْطِيهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ، وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِجْلَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَلَّ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السُّيُوفُ، فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «أشهد أن الله على كل شيء قديرٌ، وأني عبد الله ورسوله»^(١).



كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعاء، لا يرفع يديه لربه داعيًا فيردهما

(١) أخرجه أبو داود (١١٧٣) كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء.

خائبتين، تشهد بذلك سيرته ﷺ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها حين شكا الناس إلى رسول الله ﷺ القحط فأمر بوضع منبر له في الخلاء، وخرج أول ما بدت الشمس، فاعتلى المنبر، وكبر وحمد الله، وخطب الناس، ودعا الله، وألح عليه، ورفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه، وقلب رداءه أو حوله، ثم نزل فصلّى ركعتين بالناس، وسرعان ما استجاب الله لنيه، فأنشأ سحابة ما لبث أن رعدت وبرقت ثم أمطرت حتى أسالت السيول، فأسرع الناس إلى الاستار من المطر، فلما رأى النبي ذلك ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ﷺ: «أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله».

وقول الراوي: (ضحك حتى بدت نواجذه) كناية عن السرور العظيم باستجابة الدعاء، والنواجذ: أقصى الأضراس (قال الأصمعي: للإنسان من فوق ثنتان، ورباعيتان مخففة، ونابان وضاحكان، وست أرحاء^(١) ثلاث من كل جانب، وناجذان، ومنه الحديث: ضحك حتى بدت نواجذه، يراد انفتح فوه من شدة الضحك حتى رأى آخر أضراسه من استقبله)^(٢).

وقوله ﷺ عقب إجابة الدعاء: «أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله»

هو ثناء على الله بدأ بالتسليم بقدرته ﷻ على التدبير والتصريف، والتحكم في مقاليد السماوات والأرض، ثم ثنى بالتأكيد على إعلان عبوديته لله وصدق رسالته المؤيدة من ربه ﷻ بسرعة الإجابة.

٢٤ - لا يبلى جسده

* «فَإِنْ صَلَاتُكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»:

عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ

(١) الأرحاء: الأضراس، جمع، مفردة: رحن. مختار الصحاح (١/ ١٠٠).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤١٦).

الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبُضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعَرِّضُ صَلَاتِنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ - يَقُولُونَ: بَلَيْتَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).



هذه خصيصة يشترك مع النبي فيها كل الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وهي أن الله حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَهُمْ، فتظل سالمة من البلى إلى يوم القيامة.

حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ﷻ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، أَيْ نَفْخَةُ الصُّورِ، النَّفْخَةُ الْأُولَى، الَّتِي عَلَى إِثَرِهَا يَمُوتُ النَّاسُ جَمِيعًا، وَالَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الْأُصْوَارِ فَصِيقَ مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

«وَفِيهِ الصَّعْقَةُ» (أي الصيحة، والمراد بها الصوت الهائل الذي يموت الإنسان من هوله، وهي النفخة الأولى، فالتكرار باعتبار تباين الوصفين)^(٢).

وقيل إنها ثلاث نفخات، (فالنَّفْخَةُ الْأُولَى هي نفخة الجمع، كما يجمع الجيش بالنفخ في البوق، وتليها النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق أي الموت، والنفخة الثالثة: هي نفخة البعث والحشر)^(٣).

ثم دعا النبي ﷺ أَصْحَابَهُ إِلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، باب تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْجُمُعَةِ بِأَبِ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَالنَّاسِ فِي الْمَجْتَمَعِ (١٣٧٤) كتاب الجمعة، إِكْثَارُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَابْنُ مَاجَةَ (١٠٨٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤٠٩/٣).

(٣) انظر شرح أبي داود للعيني (٣٦٦/٤).

اليوم أي الجمعة؛ لعظيم ما ذكر من فضله، ولأن صلاتهم تعرض عليه بعد وفاته، فتعجب الصحابة من ذلك، وسألوا رسول الله ﷺ: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أومت؟ أي بليت، فقال: «إن الله ﷻ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء»، وفي رواية: «أن تأكل أجساد الأنبياء»^(١).

وقد يكون في الكلام مجاز أنزلت فيه الأرض منزلة العقلاء المكلفين، وقد يحمل على الحقيقة كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [نمل: ١١].

٢٥ - صلاتنا عليه تبلفه

* «وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا يَتُونَكُم قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٢).



ينهى النبي ﷺ عن ترك البيوت مقفرة من الذكر والعبادة، فتصير موحشة كالقبور، وينهى عن جعل قبره عيدًا، (ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع المشقة، أو كراهة أن يتجاوز واحد التعظيم، وقيل: العيد ما يعاد إليه، أي لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليّ، وظاهره ينهى عن المعاودة، والمراد: المنع عما يوجبه، وهو ظنهم أن دعاء الغائب لا يصل إليه)^(٣).

ولذا أعقبه بقوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صَلَّاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، أي: (لا

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) كتاب المناسك، باب زيارة القبور.

(٣) فيض القدير (١٩٩/٤).

تتكلفوا المعاودة إلى قبري، فقد استغنيتم عنها بالصلاة عليّ حيث كنتم^(١). وهذا تأكيد لما قرره الحديث السابق من أن الصلاة على النبي ﷺ تعرض عليه.

وقوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عبداً» الجملة الأولى فيه كناية عن خلو البيوت من الذكر والقيام، والجملة الثانية كناية عن النهي عن الزيارة المجمععة لقبره ﷺ.

٢٦ - عِظَمُ فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ

* «من صلى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صلى الله عليه عَشْرًا»

- عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «من صلى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صلى الله عليه عَشْرًا»^(٢).

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(٣).



الصلاة على النبي تعني: طلب دوام التشريف والتعظيم لمقامه عند ربه، وهي من أفضل أنواع الذكر، وأعظمها أجرًا، فمن صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه عَشْرًا، أي رحمه وضاعف أجره عشر مرات، كقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

(١) مرقاة المفاتيح (١١/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٨) كتاب الصلاة، باب الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، وأبو داود (١٥٣٠) كتاب الصلاة، باب فِي الْإِسْتِغْفَارِ، والترمذي (٤٨٥) كتاب الوتر، باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، والنسائي في المجتبى (١٢٩٦) كتاب الصلاة، باب الْفَضْلُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

ومن نسي الصلاة عليه - أي: تركها؛ لأن الناسي حقيقة غير مكلف - ضل سعيه، وخاب رجاءه، ولم يصل إلى مبتغاه، وخطئ طريق الجنة، (قال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه؛ لدلالة ذلك على نصوع العقيدة، وخلص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ) (١).

وقوله: «خطئ طريق الجنة» إشارة إلى الخسارة الفادحة التي تنال من ترك الصلاة على النبي ﷺ.

٢٧ - صلاته على الميت رحمة؛

* «فَإِنَّ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ»:

عَنْ خَارِجَةَ بِنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَى قَبْرًا جَدِيدًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: هَذِهِ فَلَانَةُ مَوْلَاةٍ لِبَنِي فُلَانٍ، فَعَرَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَاتَتْ ظَهْرًا، وَأَنْتَ نَائِمٌ قَائِلٌ، فَلَمْ نُحِبَّ أَنْ نُوقِظَكَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، ثُمَّ قَالَ: «لَا يَمُوتُ فِيكُمْ مَيِّتٌ مَا دُمْتُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ إِلَّا أَذْنَتُمُونِي بِهِ، فَإِنَّ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ» (٢).



ومن خصائصه ﷺ أن صلاته على من مات من أصحابه رحمة، فقد خرج رسول الله ﷺ مع أصحابه يومًا فرأى قبرًا جديدًا، فسأل: «ما هذا؟» قالوا: هذه فلانة مولاة بني فلان، فأنكر عليهم أنهم لم يؤذنه بموتها ليصلي عليها، فأخبروه أنها ماتت ظهرًا وهو نائم، فكرهوا أن يوقظوه، فيفسدوا قيلولته،

(١) فتح الباري (١١/١٦٨).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٢٠٢٢) كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر.

فقام رسول الله ﷺ على قبرها، وَصَفَ النَّاسَ خَلْفَهُ، وَصَلَّى عَلَيْهَا صَلَاةَ الْجَنَازَةِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَدْعُوا مَيْتًا يَمُوتُ فِيهِمْ إِلَّا أَعْلَمُوهُ بِهِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَإِنْ صَلَاتُهُ عَلَى الْمَيِّتِ رَحْمَةٌ.

٢٨ - لَيْسَتْ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ؛

* «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»؛

- عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَاهُمْ... وَابْنُ أَبِي سَرْجٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْجٍ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْفَقَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَايَعَ عَبْدُ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْتِي فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعِهِ فَيَقْتُلُهُ؟» فَقَالُوا: مَا نَذَرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَا عُثْمَانَ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَفْبَةَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَضَرَبَهُ عُثْمَانُ الْحَدَّ إِذْ شَرِبَ الْخَمْرَ^(١).

- عَنْ نَافِعِ أَبِي غَالِبٍ قَالَ... قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ: بَا أبا حَمْزَةَ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، غَزَوْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا، فَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ فَحَمَلُوا عَلَيْنَا، حَتَّى رَأَيْنَا خَيْلَنَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيْنَا فَيَدُقُّنَا، وَيَخْطُمُنَا، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، وَجَعَلَ يُجَاءُ بِهِمْ فَيَبَايَعُونَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا: إِنْ جَاءَ اللَّهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مِنْذُ الْيَوْمِ يَخْطُمُنَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجِيءَ بِالرَّجُلِ، فَلَمَّا رَأَى

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يُغرض عليه الإسلام.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُبْتُ إِلَى اللَّهِ، فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَا يُبَايِعُهُ، لِيَقْبِي الْآخِرُ بِنَذْرِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَمْرِهِ بِقَتْلِهِ، وَجَعَلَ يَهَابُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَا يَضْنَعُ شَيْئًا بَايِعَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَذْرِي؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أُمِصْ عَنْهُ مِنْذُ الْيَوْمِ إِلَّا لِتُوفِي بِنَذْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَوْمَضْتَ إِلَيَّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ أَنْ يَوْمِضَ»^(١).



كان رسول الله ﷺ قائماً على سبيل الحق لا تحيد عنه خطاه، لا يماري ولا يداري، ولا يضمّر بقلبه غير ما يظهره للناس.

إذا كره شيئاً أو أحداً أظهر كرهه له، وصرح ولم يُكِنِّ، وأعرض ولم يُقبل. فإذا بايع امرأ، أو قبل توبة تائب، لم يكن له أن يشير بعينه إلى خلاف ذلك، وإن كان يتمناه ويهواه، فليس لنبي أن تكون له خائنة الأعين. وخائنة الأعين تعني: (أن يضمّر بقلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كفّ بلسانه، وأوماً بعينه إلى خلاف ذلك فقد خان، وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينيه، فسميت خائنة الأعين)^(٢).

وفي قوله «خائنة الأعين» استعارة مكنية إذ أضاف الخيانة إلى الأعين. واختصاص الأعين بهذا دون غيرها؛ لأنها سبيل البصر، ولنظراتها وإيماءاتها لغة تفوق فصاحة اللسان، وبها تقتحم العورات، وتستباح الحرمات. وقد نزه الله أنبياءه عن هذا الفعل، فهو لا يليق بسمو أخلاقهم ولا بقيم الرسالات التي أرسلهم ربهم بها.

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩٤) كتاب الجنائز، بَابُ أَيْنَ يَقُومُ الْإِمَامُ مِنَ الْمَيِّتِ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ.

(٢) معالم السنن (٢/٢٨٧).

لما فتح الله مكة للمسلمين أمّن الرسول ﷺ كل الناس إلا أربعة نفر وامرأتين والنفر الأربعة هم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، ولم أعثر على مرجع يذكر اسمي المرأتين.

أما عبد الله بن خطل، فقد أدرك (وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عمارًا، وكان أشد الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابه، فأدركه الناس بالسوق فقتلوه.

وأما عكرمة بن أبي جهل فركب البحر، فأصابهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا، فإن ألّهتكم لا تغني عنكم هاهنا شيئًا، فقال عكرمة: واللّه لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عليّ عهدًا إن أنت أنجيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا ﷺ، ثم أضع يدي في يده، فلا جدنه عفوًا كريمًا، فنجأ فأسلم^(١).

وأما عبد الله بن أبي السرح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان أخيه من الرضاة، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس للبيعة جاء به عثمان حتى أوقفه على النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، وهو يأبى أن يبايعه، ثم بايعه بعد ثلاث. فلما انصرف أقبل النبي ﷺ على أصحابه فقال لهم يلومهم: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

وفي غزوة حنين حمل المشركون على المسلمين، فزحزحوهم عن مواقعهم، واخترقوا صفوفهم، وراح رجل من المشركين يصول ويجول بين المسلمين يقتل ويجرح ويكسر، فنذر أحد أصحاب النبي ﷺ لئن أظفره الله بهذا

الرجل ليضربن عنقه، ثم هزم الله المشركين، وأسر هذا الرجل المشرك، فأتى رسول الله ﷺ، وجلس بين يديه، وقال: يا رسول الله، تبت إلى الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ لا يبايعه ليدع صاحب النذر في بني بذره، وجعل صاحب النذر يعرض نفسه أمام رسول الله ﷺ ليأمره بقتله، وهو يخشى أن يقتله في حضرة رسول الله ﷺ دون إذنه، فلما رأى الرسول ﷺ ذلك بايع الرجل، فصاح صاحب النذر: يا رسول الله، نذري؟ فقال: «إني لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي بنذر» فقال: يا رسول الله، ألا أومضت إلي - أي غمزت لي بعينك - فقال النبي ﷺ: «إنه ليس لنبي أن يومض».

٢٩ - لا ينطق إلا حقاً،

* «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَتَهْتِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرَّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبُعِهِ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَالَ: «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»^(١).

✽ ✽ ✽

وصف الله ﷺ نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-١].

وكان عبد الله بن عمرو يكتب عن رسول الله ﷺ كل شيء يسمعه، يريد بذلك حفظه، فنهاه عن ذلك نفر من قريش، وقالوا له: إن رسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، وهم يتوهمون بذلك أن رسول الله ﷺ حين

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦) كتاب العلم، باب في كتاب العلم.

يغضب قد يحمله غضبه على النطق بغير الحق، فأمسك عبد الله عن الكتابة، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأشار بإصبعه إلى فيه وقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه - أي من فيه - إلا حق».

٢٠ - أوتي الكتاب ومثله معه :

* «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ» :

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتَيْهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنَ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَمْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقْطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلَّا أَنْ يَسْتَفْخِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاءَةِ»^(١).



قال الله ﷻ على لسان نبيه إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وخاطب الله آل النبي فقال: ﴿وَأَذْكُرَكَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الاحزاب: ٣٤].

والمراد من الحكمة في الآيتين - على الراجح من كلام أئمة التفسير - هو: سنة النبي ﷺ، وما تضمنته من أقوال وأفعال وتقريرات.

وهذه السنة هي القسم الثاني من الشريعة، لا تتم الشريعة إلا بها، وينهدم إيمان المرء إذا أنكرها.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) كتاب السنة، باب في لزوم السنة.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أوتي الكتاب، ومعه مثله من العلم، وأنه سيأتي زمان يُعرض فيه البعض عن سنة النبي ﷺ، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بالقرآن، فما وجدوا فيه حلالاً حَلَّلُوهُ، وما وجدوا فيه حراماً حَرَمُوهُ، لا يزيدون عن ذلك ولا ينقصون، ومعنى ذلك أنهم يضربون عُرْض الحائِط بالأحكام التي قررها رسول الله ﷺ، ولم ترد في كتاب الله، وهي كثيرة عَرَضَ الحديث لأمثلة منها:

١ - تحريم لحم الحمار الأهلي.

٢ - تحريم لحم كل ذي ناب من السبع.

٣ - تحريم لُقْطَةِ المعاهد.

٤ - إلزام المسلمين بِقَرَى الأضياف.

وقوله ﷺ: «ومثله معه» في عبارة: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»:

كناية عن السنة النبوية: قولها وفعلها وتقريرها.

وقوله ﷺ: «رجل شعبان على أريكته» كناية عن البلادة، وسوء الفهم،

وغمط الحق والاستهانة به.

٢١ - بعثته وموته ﷺ من علامات الساعة:

* «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا»:

- عَنْ سَهْلِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» وَيُشِيرُ

بِأُصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٣) كتاب الرقاق، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ،

ومسلم (٢٩٥٠) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قُرْبِ السَّاعَةِ، كلاهما عن سهل بن

سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والترمذي (٢٢١٤) كتاب الفتن، باب ما جاء في قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ

بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنسائي في المجتبى (١٥٧٨) كتاب صلاة =

- عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قَبِيٍّ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْذُرْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانَا بِأَخْذِ فَيْكُمُ كَقُعَاصِ الْفَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيُظَلَّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْنَ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»^(١).



في الحديث الأول رفع الرسول ﷺ إصبعيه السبابة والوسطى يمدُّ بهما، وهو يقول: «بعثت أنا والساعة هكذا»، كأن بعثه والساعة مقترنان كالإصبعين، أو أن ما بينهما من تفاوت كنسبة التفاوت بين الإصبعين لا تزيد.

وقوله: «والساعة»: الواو للجمعية، والساعة مفعول معه، وفي ذلك دلالة على شدة اقتراب البعثة مع قيام الساعة، تؤيدها ألفاظ أخرى للحديث، مثل: «إن كادت لتسبقني»^(٢)، أي الساعة.

وإشارته ﷺ بإصبعيه تؤكد هذا.

وفي الحديث الثاني عدَّ الرسول لعوف بن مالك ستًّا من علامات الساعة:

أولاهها: موته ﷺ.

وثانيتهما: فتح بيت المقدس.

وثالثتها: وباء يحصد الأرواح حصداً.

= العيدين، كَيْفَ الْخُطْبَةُ، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن ماجه (٤٠٤٠) كتاب الفتن، باب أَسْرَاطُ السَّاعَةِ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦) كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، وابن ماجه (٤٠٤٢) كتاب الفتن، باب أَسْرَاطُ السَّاعَةِ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥)، والطبراني في الكبير (٣٢٦)، وغيرهما.

ورابعتها: كثرة المال واستفاضة.

وخامستها: فتنة تعم العرب جميعاً.

وسادستها: هدنة بين المسلمين والروم، يغدر الروم فيها جمون المسلمين بشمانين جيشاً، لكل جيش راية، وتحت كل راية اثنا عشر ألفاً من الجنود.

ويرى كثير من العلماء أن هذه العلامات تحققت كلها إلا السادسة، فقد مات رسول الله ﷺ، وفتح بيت المقدس في عهد عمر، وكان الوباء الذي حصد الأرواح في طاعون عمواس في خلافة عمر أيضاً، (ثم استفاضة المال أي كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان، واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجئ بعد)^(١).

وفي المسألة اجتهادات كثيرة.

وقوله ﷺ: «موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم»، تشبيه شبه فيه كثرة الموت بوباء القعاص الذي يصيب الغنم، وفيه ما يوحى بشدة الوباء، وتفشي الموت وسرعته، كما تصاب الغنم، فينتشر فيها، ويقتل القطيع جميعاً.

وقوله ﷺ: «حتى يُعطى الرجل فيظل ساخطاً».

كناية عن فقدان المال لقيمته، حتى يُستقل الكثير منه ويُحقر.



الفصل الثالث

من نبوءات الرسول ﷺ

من نبوءات الرسول ﷺ

١- نبوءات تحققت في حياة الرسول:

* الهجرة والابتلاء والفتح: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِي أَهَاجِرُ»:

عَنْ أَبِي مُوسَى أَرَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَدَهَبَ وَهَلِيَ إِلَيَّ أَنِهَا الْبَيْمَاءَةُ أَوْ مَجَرٌّ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَتَرَّبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْحَبِيرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحَبِيرِ وَتَوَابِ الصَّدِّيقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»^(١).

* الرفعة واكتمال الدين: «وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَمِينًا يَرَى النَّاسَ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأَتَيْنَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»^(٢).

* رجل من أهل النار: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٢) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٢٧٢) كتاب

الروايات، باب رؤيا النبي ﷺ، وابن ماجه (٣٩٢١) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٠) كتاب الروايات، باب رؤيا النبي ﷺ، وأبو داود (٥٠٢٥) كتاب

الأدب، باب ما جاء في الرؤيا.

يَدْعِي الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ»، قَالَ: فَكَادَ بَغْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيَّنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنْ بِهِ جِرَاحٌ شَدِيدٌ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِأَلَا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»^(١).

* «إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ»:

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ عَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ - ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»^(٢).

* رِيحٌ لَا يَقُومُ لَهَا أَحَدٌ: «إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ»

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ فَأَتَيْنَا وَادِي الْقُرَى عَلَى حَذِيقَةٍ لِمَرْأَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْرُصُوهَا» فَخَرَصْنَاهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، ومسلم (١١١) كتاب الإيمان، غلط تحريم قتل الإنسان.

(٢) أخرجه مسلم (١١٤) كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، والترمذي (١٥٧٤) كتاب السير، باب ما جاء في الغلول.

وَحَرَّصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، وَقَالَ: «أَخْصِيهَا حَتَّى تَرْجَعَ إِلَيْكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» وَأَنْطَلَقْنَا، حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَهْبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَتَمُّ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيُسَدِّ عَقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْنِ طَيِّبَيْنِ، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعُلَمَاءِ، صَاحِبِ أَيْلَةٍ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً يَبِضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِي الْقُرَى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ عَنْ حَدِيثَيْهَا: «كَمْ بَلَغَ ثَمَرُهَا؟» فَقَالَتْ: عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي مُسْرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُنْ» فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أَحَدٌ وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورٍ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلْنَا آخِرًا فَأَذْرَكَ سَعْدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَتِ دُورِ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: «أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ»^(١).



تترواح مشاعر النبي ﷺ في أحاديث النبوءات بين التفاؤل والتبشير بالفتوحات والتمكين، إلى الخوف والإشفاق على الأمة مما سوف يصيبها من بعده ﷺ من فتن، إلى التحذير من الأثرة والأمور المنكرة، والتنفير من الفرقة والاختلاف والكذب والخيانة، إلى التهيب من فتنة الدجال، إلى ترغيب الصابرين المعتمسين بالله من الفتن بعظيم الأجر، وعلو الدرجات.

إن الأمة سوف تعيش من بعده ﷺ سنين من العز والغلبة والاستقرار في

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٢) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ.

ظل الخلافة الراشدة ثم تأتي بعد ذلك سنين من الفرقة والتمزق والفتن والخلافات، تغذيها الأثرة وانتشار البدع وتفشي الكذب.

ولم يخش النبي ﷺ على أمته شيئاً مثلما خشي عليها من الترف وانفتاح الدنيا والتنافس فيها، والإغراق في ملذاتها حتى يفشو الكذب والنفاق، وتُرفع الأمانة، ويستمرئ الناس الخيانة.

لقد أحب النبي أمته كلها، مَنْ حظي بصحبته من أصحابه، ومن تبعهم، ومن أتى بعدهم إلى قيام الساعة.

وكما أحب الرسول أمته، أحبه أصحابه، وأحبه نفر من أمته يأتون من بعده أشد الحب، وتمنّوا أن يرؤوا رسولهم محمداً ﷺ، ولو دفعوا مقابل ذلك كل أموالهم، وقدموا في سبيل ذلك جميع أهلهم.

رأى النبي ﷺ في منامه أنه يهاجر من مكة إلى أرض ذات نخل، فذهب ظنّه إلى أنها اليمامة أو هَجَرَ، واليمامة (أكثر نخيلاً من سائر الحجاز، وبها تنبأ مسيلمة الكذاب، وهي دون المدينة في وسط الشرق من مكة، على ست عشرة مرحلة من البصرة، وعن الكوفة نحوها)^(١).

أما (هَجَرَ) فقد كانت مدينة عظيمة تمثل قاعدة بلاد البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب^(٢).

وهجر هذه (غير هجر المذكورة في حديث: «إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر»^(٣)) تلك قرية من قرى المدينة، كانت القلال تصنع بها^(٤).

وتحققت رؤيا النبي ﷺ، لكن هجرته لم تكن إلى اليمامة أو هجر، وإنما

(١) مرقاة المفاتيح (١٠١/٥).

(٢) معجم البلدان (٣٩٣/٥).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١١٧٢)، والشافعي في مسنده (١٦٥/١).

(٤) شرح النووي على مسلم (٦٩/٣).

تشرفت به المدينة يثرب.

وقوله ﷺ: «فذهب وهلي» من الفعل (وَهَلَ)، (وَهَلَ إِلَى الشَّيْءِ بِالْفَتْحِ، يَهْلُ بِالْكَسْرِ، وَهَلًا بِالسُّكُونِ، وَيَوْهَلُ: إِذَا ذَهَبَ وَهَمُهُ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَهَلَ ابْنُ عَمْرٍ»^(١)، أَي: ذَهَبَ وَهَمُهُ إِلَى ذَلِكَ)^(٢).

و(إِذَا) فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَإِذَا هِيَ يَثْرِبُ» هِيَ: الْفَجَائِيَّةُ، وَتَسْمِيَتُهُ لِلْمَدِينَةِ يَثْرِبُ رَغْمَ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ^(٣)؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَسْمِيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلِكِرَاهَةِ لَفْظِ الثَّرِيبِ الَّذِي يَعْنِي اللُّومَ وَالتَّقْبِيحَ، قِيلَ: (يَحْتَمِلُ أَنْ هَذَا كَانَ قَبْلَ النَّهْيِ، وَقِيلَ: لِبَيَانِ الْجَوَازِ، وَأَنَّ النَّهْيَ لِلتَّنْزِيهِ لَا لِلتَّحْرِيمِ، وَقِيلَ: خُوِطِبَ بِهِ مَنْ يَعْرِفُهَا بِهِ، وَلِهَذَا جُمِعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِهَا الشَّرْعِيِّ، فَقَالَ: الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ)^(٤).

ورأى النبي ﷺ في ذات الرؤيا أنه يهز سيفاً فانقطع من وسطه، ورأى بقرًا تنحر، فكان تأويله ما أصاب الرسول والمسلمين من ابتلاء في أحد، إذ شُجَّ وجهه ﷺ، وكسرت رباعيته، واستشهد حمزة ومصعب وجمع من صحابة رسول الله ﷺ.

ثم رأى نفسه يهز السيف أخرى فعاد أحسن مما كان، فكان تأويله ما جاء للمسلمين من خير وثواب صدق وفتح بعد يوم بدر.

ورأى النبي في منامه كأنه هو وأصحابه في دار عقبة بن رافع الأنصاري، وأنهم أُنُوا برطب من رطب ابن طاب، فأولَّه بالرفعة في الدنيا (رافع)، والعاقبة الحسنة في الآخرة (عقبة)، وأن الإسلام تَمَّ واكتمل واستقرت أحكامه وأتى ثماره (رطب ابن طاب).

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٨)، والنسائي في الصغرى (٢٠٧٦)، والكبرى (٢٢٠٣).

(٢) لسان العرب (٧٣٧/١١).

(٣) والنهي فيما رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة...»، والحديث سبق تخريجه.

(٤) شرح النووي (٣١/١٥، ٣٢).

ورطب ابن طاب هو (نوع من الرطب معروف يقال له رطب ابن طاب، وتمر ابن طاب، وعذق ابن طاب، وعرجون ابن طاب، وهو مضاف إلى ابن طاب، رجل من أهل المدينة)^(١).

وتنبأ رسول الله ﷺ بالعاقبة السيئة لرجل ممن كانوا يدعون الإسلام، ويقاتلون مع المسلمين، والرجل على الراجح هو قزمان، والمعركة كانت أحدًا، وفي رواية أخرى خير. وقد قاتل الرجل قتالًا شديدًا، (وكرث به الجراح، فقال النبي ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك، إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهمًا، فانتحر بها، فاشتد رجال إلى رسول الله ﷺ فقالوا: صدق الله حديثك، قد انتحر فلان، وقتل نفسه، فقال النبي ﷺ: «قم يا بلال فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»)^(٢).

وفي غزوة خير، وبعد أن انهزم اليهود، وراح المسلمون يتفقدون شهداءهم، ويمرون عليهم واحدًا واحدًا فيسمونهم: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، قال النبي ﷺ: «كلا، إني رأيت في النار في بردة غلها» أي: اختلسها من المغنم دون أن يعلم أحدًا بها.

(وأجمع العلماء على أن على الغال أن يرد ما غل إلى صاحب المقاسم إن وجد إلى ذلك سبيلًا، وأنه إذا فعل ذلك فهي توبة له، واختلفوا إذا افرق أهل العسكر ولم يوصل إليه، فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يدفع إلى الإمام خُمسه، ويتصدق بالباقي، فإن خاف الإمام على نفسه تصدق به كله)^(٣).

فإذا مات على ذلك ولم يتب، عُدَّ بذلك في النار ما شاء الله له.

(١) المرجع السابق (١٥/٣١).

(٢) شرح ابن بطل (١٠/٣٠٥، ٣٠٦).

(٣) الاستذكار (٥/٩٣).

والرجل الغال في الحديث هو كَزَكْرَة، وهو غلام للنبي أهده إياه هودة ابن علي الحنفي صاحب اليمامة وكان نوبياً أسود، يمسك بَعْلَةً رسول الله في القتال.

وقوله ﷺ: «غَلْهَا» أي: أخذها من المغنم خفية، والاسم منه (الغلول): (ومنه: «الغِلالة» وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغَلَل: الماء الذي يجري تحت الشجر، والغِل: الحقد الكامن في الصدر، وأصلُ الباب: الاختفاء)^(١).
وبينما كان النبي وأصحابه في الطريق إلى تبوك مرّوا على وادي القرى، فأتوا على بستان نخل لامرأة، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يُقَدِّروا ما بالبستان من ثمر، فَقَدَّر أصحاب النبي ﷺ، وَقَدَّر النبي ﷺ عشرة أوسق، وقال للمرأة: «أحْصِيهَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

فلما قدموا تبوك أخبر النبي ﷺ أصحابه أن ريحاً شديدة سوف تهب ليلتهم هذه، فلا يقومَنَّ أحد منهم لئلاً تُطِيع به، وعلى كل صاحب بعير أن يعقله فيشدد في عقاله.

وحدث ما تنبأ به رسول الله ﷺ، فهبت ريح عاصفة جرفت كل ما كان أمامها، وعصى رجل من الصحابة رسول الله ﷺ فقام، فحملته الريح فألقته بجبلين طيّين، والجبلان (أحدهما: (أَجَا) بالتحريك، وهو بهمز وجيم فهمز على (فَعَلَ) كَجَبَل، وقيل: كَعَصَا، والآخر: (سَلَمَى) بفتح السين، وهما بآرض نجد)^(٢).

فلما عاد النبي ﷺ من تبوك قدم وادي القرى فمرّ بالمرأة صاحبة الحديقة، فسألها عن ثمرها كم بلغ؟ قالت: عشرة أوسق. أي كما قَدَّر رسول الله ﷺ.

(١) كشف المشكل من أحاديث الصحيحين (١/١٣٣).

(٢) مرقاة المفاتيح (١١/٦٠).

٢- نبوءات تحققت زمن الصحابة والتابعين

* مهلك مسيلمة: «وإني لأراك الذي أريتُ فيكَ ما رأيتُ»:

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَعْمَاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةٌ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُو أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَنْ أَذْبَرْتَ لِبَغْيِكَ نَكَرَ اللَّهُ، وَإِنِّي لأراك الذي أريتُ فيكَ ما رأيتُ»^(١).

* كذابان يخرجان بعدي: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ»

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَمَّيْنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْجِي إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَتَفَخَّتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي». فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنَسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ^(٢).

* ملوك على الأسيرة: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمَّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ تَطْعُمُهُ، وَكَانَتْ أُمَّ حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةِ بَنِي الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٠) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٣٧٣) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢١) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (٢٢٧٤) كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي (٢٢٩٢) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو، وابن ماجه (٣٩٢٢) كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطَعْتُهُ، وَجَعَلْتَ تَقْلِي رَأْسَهُ، فَتَأَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ نَجْعَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْآسِرَةِ - أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْآسِرَةِ» - شَكَ إِسْحَاقُ، قَالَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اذْغُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ». فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانٍ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا، حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ^(١).

* نصر وفتوحات: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْضُوحٌ لَكُمْ»:

عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَحْدُثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْضُوحٌ لَكُمْ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَمَدِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

* الخلافة ثلاثون سنة: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ»:

عن سَعِيدِ بْنِ جُمَهَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي سَفِينَةُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ»، ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩) كتاب الجهاد والسير، باب الدُّعَاءِ بِالْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ومسلم (١٩١٢) كتاب الإمامة، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ، وأبو داود (٢٤٩٠) كتاب الجهاد، باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ، والنسائي في الصغرى (٣١٧٢) كتاب الجهاد، فَضْلُ الْجِهَادِ فِي الْبَحْرِ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٧) كتاب أبواب الفتن.

خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ، قَالَ: فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ سَعِيدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، قَالَ: كَذَبُوا بَنُو الرَّزْقَاءِ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ مِنْ شَرِّ الْمُلُوكِ^(١).

*** اثرة وامور منكرة: «إِذَا لَا؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرُهُ»:**

- عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْوَلِيدِ - قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يَفْطَعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِذَا لَا فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرُهُ»^(٢).

- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أَثَرُهُ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»^(٣).

*** الفتن تجتاح المدينة: «إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ»:**

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ أَطَمٍ، مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بَيوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»^(٤).

*** ظهور الخوارج: «سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ،**

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الخلافة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٤) كتاب باب قول النبي ﷺ لِلْأَنْصَارِ اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْخَوْضِ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٣) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٨٤٣) كتاب الإمامة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٨) كتاب الحج، باب أطام المدينة، ومسلم (٢٨٨٥) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب نزول الفتن كمواقيع القطر.

لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ»:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَبَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»^(١).

* اختلاف كثير: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السَّلْمِيِّ، وَحُجْرِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِزْبَاضَ ابْنَ سَارِيَّةَ، وَهُوَ مِمَّنْ تَرَلَّ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٢] فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَسِبِينَ، فَقَالَ الْعِزْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبِيبًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِنَّا كُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِذَعَةٍ، وَكُلُّ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

* بعد مائة سنة: «وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةً»:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرِ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٧) كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخلقة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي (٢٧٦٦) كتاب أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتنب البدع، وابن ماجه (٤٢) كتاب الإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»^(١).

*** الاغترار بفتنة الدنيا: «إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»:**

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: مَا سَأَلْتُكَ؟ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ قَرَأْنَا أَنَّهُ يُتْرَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْصَاءُ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِئُ الرَّبِيعُ بِقَتْلِ أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّتُ وَبَالَثْتُ، وَرَتَمْتُ، وَإِنْ هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْيُسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

- حَدَّثَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ خَلِيفَةُ لَيْثِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِيدَ بَذْرَاءَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِحِزْبَيْهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ،

(١) أخرجه البخاري (٦٠١) كتاب مواقيت الصلاة، باب السَّمر في الفَقْعِ وَالْخَيْرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، ومسلم (٢٥٣٨) كتاب الفضائل، باب قَوْلِهِ ﷺ لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ، وأبو داود (٤٣٤٨) كتاب الملاحم، باب قيام الساعة، والترمذي (٢٢٥٠) كتاب أبواب الفتن.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٥) كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، والنسائي في المجتبى (٢٥٨١) كتاب الزكاة، الصَّدَقَةُ عَلَى النَّسَمِ.

فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ أَنْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُمْ، وَقَالَ: «أَظَنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟»، قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبَشِرُوا وَأَقْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافُسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^(١).



أقبل مسيلمة على النبي ﷺ في وفد كبير من قومه، يسأله أن يجعل له الأمر من بعده حتى يتبعه، فلقى النبي ﷺ، وفي يده قطعة من جريد، فقال له: «لو سألتني هذه القطعة - أي: قطعة الجريد - ما أعطيتُكها» والعبارة كناية عن رفض طلب مسيلمة رفضاً قاطعاً، ثم قال ﷺ لمسيلمة: «ولئن أدبرت ليعقرنك الله».

وقوله: «ليعقرنك» أي: (ليهلكنك، قيل: أصله من عَقَرَ النخل، وهو أن يُقطع رؤوسها فتييس)^(٢).

وقيل: (أصله من عَقَرَ الإبل: ضرب قوائمها بالسيف وجرحها)^(٣). قال الله ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [النس: ١٤].

وحذره ﷺ من المعصية، والتفلت من الطاعة، وأخبره أن عاقبته إن فعل ذلك القتل، وأنه قد رأى فيه رؤيا لا يظنها تخطئه.

وكان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه سوارين من ذهب، فتعجب من

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨) كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

(٢) فتح الباري (١/١٥٩).

(٣) عمدة القاري (١٦/١٥٢).

أمرهما، وانشغل بشأنهما فأوحى إليه في المنام أن ينفخهما، فنفخهما فطارا، فأول ذلك كذابين يخرجان من بعده، وهما الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب. أمّا الأسود العنسي، فهو (الأسود الصنعاني الذي ادعى النبوة، وقيل: اسمه عُبلة - بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة - ابن كعب، وكان يقال له: ذو الخمار؛ لأنه زعم أن الذي يأتيه ذو الخمار، قتله فيروز الصحابي الديلي بصنعاء، دخل عليه فحطم عنقه، وهذا كان في حياة رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه على الأصح والمشهور، وبشر رسول الله ﷺ الصحابة بذلك، ثم بعده حُمِلَ رأسه إليه، وقيل: كان ذلك في زمن الصديق رضي الله تعالى عنه)^(١).

وأمّا مسيلمة، فقد استفحل أمره بعد وفاة النبي ﷺ، (وأطبق عليه أهل اليمامة، وانضاف إليه بشر كثير من أهل الردة، فأرسل إليهم أبو بكر الصديق ﷺ كتبًا كثيرة يعظهم ويحذرهم، إلى أن بعث إليهم كتابًا مع حبيب بن عبد الله الأنصاري، فقتله مسيلمة، فعند ذلك عزم أبو بكر على قتالهم والمسلمون، فأمر أبو بكر خالد بن الوليد، وتجهز الناس، فصاروا إلى اليمامة، فاجتمع لمسيلمة جيش عظيم، وخرج إلى المسلمين، فالتقوا، وكانت بينهم حروب عظيمة شديدة، واستشهد فيها من قراء القرآن خلق كثير، حتى خاف أبو بكر وعمر أن يذهب من القرآن شيء لكثرة من استشهد من القراء، ثم إن الله تعالى ثبت المسلمين، وقتل مسيلمة على يدي وحشي قاتل حمزة، ورماه بالحربة التي قتل بها حمزة، ثم وقف عليه رجل من الأنصار، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم فاحتر رأسه، وهزم الله جيشه، وأهلكهم)^(٢).

وهكذا طار السواران اللذان رآهما رسول الله ﷺ في منامه، وتبددت

(١) عمدة القاري (١٦/١٥٢).

(٢) طرح التريب في شرح التقريب (٨/٢٠٩).

أحلام الكاذبين.

وبينما كان رسول الله ﷺ نائماً ذات يوم في بيت أم حرام بنت ملحان^(١) زوج عبادة بن الصامت، رأى رؤيا فاستيقظ وهو يضحك، فسأته: وما يضحكك يا رسول الله؟ فأخبرها أنه رأى ناساً من أمته يغزون في سبيل الله يركبون ثبج البحر، ملوكاً على الأسرة.

والثبج: الظهر، أو أعلى متن الشيء، وقوله: «ملوكاً على الأسرة» تشبيه شبه فيه رسول الله ﷺ المجاهدين بالملوك على العروش، أو أنه أراد أنهم سيكونون في الجنة ملوكاً على أسرته، وفيه إشارة إلى عظيم ثوابهم وجزيل أجرهم في الدنيا والآخرة.

فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام مرة أخرى، فرأى ذات الرؤيا، فاستيقظ يضحك، فسأته عن ضحكك، فقال لها كما قال في المرة الأولى، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين».

فلما كان زمن عثمان غزت مع زوجها في أول غزوة كانت إلى الروم في البحر مع معاوية ابن أبي سفيان، وفيها نزل قبرص ففتحها، (ولما أرادوا الخروج منها قُدمت لأم حرام بغلة لتركبها، فسقطت عنها، فماتت هناك، فقبورها هنالك يعظمونه ويستسقون به، ويقولون: قبر المرأة الصالحة)^(٢).

لقد أخبر النبي أصحابه بأن هذا الدين سوف ينتشر في بقاع الأرض، وأن المسلمين سوف يُنصرون على أعدائهم، وسوف يصيرون مغنم كثيرة، وسوف تُفتح عليهم البلاد، وتحقق لهم الغلبة، ودعا من أدرك ذلك منهم

(١) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حارثة أم أنس، صحابية مشهورة، ماتت في خلافة عثمان. تقريب التهذيب (١/٧٥٥).

(٢) عمدة القاري (١٤/٨٧).

إلى أن يتقي الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ثم قال: «ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، أي: من نقل عني كذباً، وقولني ما لم أقله فقد استحق أن يكون من ساكني النار.

وروى سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك» وقد تحقق ذلك، فقد كانت (مدة خلافة أبي بكر ستين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومدة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ومدة عثمان إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة أيام، ومدة خلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام)^(١).

ومجمل ذلك تقريباً ثلاثون سنة، وقد عتّى رسول الله بالخلافة: الخلافة الراشدة التي على منهاج النبوة، أي الخلافة الكاملة التي طُبِّقَتْ فيها سنة النبي ﷺ كما أمر، ونُقِّدَ هديه فيها كما فعل، أما ما تلا ذلك من خلافة بني أمية، وبني العباس، وغيرهم، فقد تغيرت فيها أمور، وابتدعت فيها بدع، وانتهكت فيها سنن. لكنها ظلت في المطلق خلافة تحكم باسم الإسلام، وتعمل على نشره، وتطبق معظم أحكامه.

كان النبي ﷺ يحب الأنصار ويعتبرهم أهله وبطانته وخاصته، ولذا قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كُرِّسِي وعيَني، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم»^(٢).

وخشي النبي ﷺ أن يتعرض الأنصار من بعده للظلم والإبعاد، والأثرة والاضطهاد، فأراد أن يُقْطَعَ لهم أرض البحرين، خالصة لهم من دون الناس، لا ينازعهم فيها أحد.

غير أن الأنصار، أهل الإيثار، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين

(١) تحفة الأحوذى (٦/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (٢٥١٠)، وغيرهم.

مثلها.

فأنبأهم رسول الله ﷺ أنهم سيلقون من بعده أثره شديدة، ودعاهم إلى الصبر حتى يلقوه على الحوض.

وأخبر رسول الله ﷺ أنه ستكون من بعده أثره وأمور منكرة، فسأله أصحابه عن السبيل إلى النجاة من هذه الفتن، فأوصاهم بأن يؤدوا ما عليهم من واجبات، وأن يسألوا الله ما لهم من حقوق.

وحذر النبي أصحابه من أن الفتن سوف تعم المدينة من بعده، وتدخل بيوتها، كما يتخللها المطر، بل إن الله جلَّ وعَلَا كشف له ذلك، ومثله له عياناً، فرآه أمام ناظره، حين أشرف على أحد حصون المدينة القديمة فرأى بيوتها تعج بالفتن، فقال لأصحابه كالمنذر: «هل ترون ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر».

والفتن جمع فتنة، (والفتنة لها وجوه في اللغة منها العذاب، ومنها الإحراق، ومنها الحروب التي تقع بين الناس، ومنها الابتلاء والامتحان وغير ذلك)^(١).

وشبه رسول الله ﷺ مواقع الفتن بمواقع القطر (في الكثرة والعموم، أي: أنها كثيرة وتعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرّة، ومقتل عثمان ومقتل الحسين عليهما السلام وغير ذلك)^(٢).

(وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١٧/١٢).

(٢) شرح النووي (٨/١٨).

العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه^(١).

والغاية من الحديث هو التشديد في النكير على هذه الفتن والوالغين فيها، ودعوة الأصحاب إلى تجنبها، والاعتصام بالله من شرها.

وذكر رسول الله ﷺ الخوارج بصفاتهم في أكثر من حديث، وأكد أنهم من أمته، وأنهم سوف يخرجون من بعده، فيثيرون الفتن، ويستحلون المحارم، وهم قوم - كما وصفهم - يقرؤون القرآن، ويزعمون أنهم على نهجه وهديه، وهم لا يعرفون منه سوى حروفه وأصواته التي تردد بها مجاري أنفاسهم، قال ﷺ: «قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»

وقوله: «لا يجاوز حلقيمهم» كناية عن عدم التدبر في قراءة القرآن، وعدم تطبيق أحكامه، أو العمل بما جاء فيه، والاكتفاء بقراءة حروفه وكلماته.

وتشبيهه ﷺ خروجهم من الدين، بمروق السهم من الرمية، وهي الطريدة التي يرميها الرامي - إشارة إلى سرعة مروقهم من الدين، وعدم الرجوع إليه تارة أخرى.

(وقال الأخفش: شبهه برمية الرامي الشديد الساعد إذا رمى، فأنفذ سهمه في جنب الرمية، فخرج السهم من الجانب الآخر من شدة رميه، وسرعة خروج سهمه)^(٢).

فهم يزيغون من الدين زيغاً، ويمرقون منه مروقاً، فلا يرجعون إليه أبداً، هم شر الخلق والخليقة؛ (لأنهم جمعوا بين الكفر والمراءاة، فاستبطنوا الكفر، وزعموا أنهم أعرف الناس في الإيمان، وأشد تمسكاً بالقرآن، فضلوا وأضلوا)^(٣).

(١) فتح الباري (١٣/١٣).

(٢) التمهيد (٣٢٦/٢٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (١٠١/٧).

تلك هي صفات الخوارج الذين ظهروا زمن علي (عليه السلام)، بينها رسول الله ﷺ قبل ظهورهم بسنين، وتحققها أهل زمانهم، وأهل الأزمان التي تلتهم.

وعظ الرسول ﷺ أصحابه يوماً موعظة بليغة ذرفت لها عيونهم، ووجلّت منها قلوبهم، فطلبوا منه أن يعهد إليهم، فأوصاهم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن وُلّي عليهم عبد حبشي، وحذرهم من اختلاف كثير سوف يقع من بعده، وبين لهم أن لا نجاة من هذا الاختلاف إلا بالتمسك بستة وسنة من سوف يتبعه من الخلفاء الراشدين، وتجنب المحدث من الأمور، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة، فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين)^(١).

وقال ﷺ: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسکوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ»

وقوله ﷺ: «عضوا عليها بالنواجذ»، النواجذ: (جمع ناجذة بالذال المعجمة، قيل: هو الضرس الأخير، وقيل: هو مرادف السن، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة، والتمسك بها)^(٢).

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن الساعة، فأخبرهم أنه لا علم له بها، وإنما علمها عند الله، لكنه أقسم أنه لن تبقى على الأرض نفس مولودة فوق مائة سنة. وقد أشكل هذا على كثيرين، فقال من لا يعلم: (قد عاش خلق أكثر من هذا قبل الرسول ﷺ وبعده، فما وجه هذا؟) فالجواب: أنه ﷺ عني

(١) عون المعبود (١٢/٢٣٥).

(٢) عون المعبود (١٢/٢٣٥).

بذلك الموجودين حينئذ من يوم قوله هذا، وهذا قاله قبل أن يموت بشهر كما روي في الحديث، فما بلغ أحد ممن كان موجودًا من يومئذ مائة سنة^(١)، وتؤكد ذلك المعنى رواية مسلم وغيره: «ما من نفس مفوضة اليوم، تأتي عليها مائة سنة، وهي حية يومئذ»^(٢).

لم يخش الرسول ﷺ على أصحابه شيئًا مثلما خشي عليهم من فتنه الدنيا، جلس يومًا بين أصحابه يعظهم فقال لهم: «إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزيتها» أي: إذا اكتسبوه من غير وجهه، وضيعوه في غير حقه، فسأله رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر، فسكت النبي، فلام القوم السائل، ثم بدا لهم أن الوحي يُنزل على النبي، فلما سري عنه مسح العرق، وأقبل على أصحابه فسأل عن السائل، فعلموا أنه لم ينكر عليه مآلته، فقال له: «إنه لا يأتي الخير بالشر» أي: (أن ما قضى الله أن يكون خيرًا يكون خيرًا، وما قضا أن يكون شرًا يكون شرًا، وأن الذي خفت عليكم: تضييعكم نعم الله وصرفكم إياها في غير ما أمر الله، ولا يتعلق ذلك بنفس النعمة، ولا ينسب إليها)^(٣).

فالخير لا يأتي بالشر، لكن قد يكون الخير سببًا في الشر.

وضرب الرسول ﷺ لذلك مثلين:

الأول: ببعض الدواب تأكل من عشب الربيع فتستطيعه، فتكثر منه وتفرط، فيقتلها، أو يكاد يقتلها.

والثاني: ببعض الدواب تأكل الطري الغض من النبات حتى إذا أحست بالشبع اكتفت، واستقبلت الشمس تستمرئ ما أكلت، ثم عادت لتأكل.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٧٠ / ٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٠٥ / ٣)، وغيرهما.

(٣) عمدة القاري (٤٠ / ٩).

فالمثل الأول ضربه (للمُفْطَر في جمع الدنيا، ومنعها حقها، وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها)^(١).

قال ﷺ: «وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم، إلا أكلة الخضراء، أكلت حتى إذا امتدت خاصرناها استقبلت عين الشمس، فنلظت وبالت، ورتعت»

وفي الكلام استعارة تمثيلية شبه فيها النبي ﷺ المُفْطَر في متاع الدنيا، مع منع حق الله فيها، بالدابة التي أقبلت على العشب الربيعي، فاستطابته واستكثرت، حتى قتلها أو كاد. وشبه المقتصد في متاع الدنيا، بدابة تأكل العشب الأخضر الغضّ حتى إذا أحست بالشبع توقفت، واستدارت للشمس تهضم ما أكلت، ثم ألقت روثاً رقيقاً وبالت، فاستراحت من الامتلاء، وذهب عنها الشبع، فعادت للمرعى تأكل منه مرة أخرى.

وهذان المثلان اللذان تمثل بهما النبي ﷺ مناسبان للبيئة العربية الرعوية التي نشأ فيها الصحابة، فكلمهم النبي بما يفهمونه ويشاهدونه كل يوم، فالصورة على بساطتها دقيقة، مليئة بالتفاصيل، شديدة الإيحاء، متناسقة الأطراف.

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ليأتي بجزية البحرين، فقدم من هناك بمال كثير، وسمع الأنصار بقدومه، فأقبلوا بعد صلاة الصبح يتعرضون للنبي ﷺ حين هم بالانصراف، فتبسم الرسول ﷺ حين رأى ذلك فقال: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟» قالوا: أجل يا رسول الله، فبشرهم بالخير، وأملهم بما يسرهم، وأقسم أنه لا يخشى عليهم من بعده الفقر، وإنما يخشى أن يوسّع عليهم في الدنيا كما وسّع على من كان قبلهم، فيميلون إليها ويرغبون فيها، ويتنازعون عليها كما فعل الأولون، فتهلكهم كما أهلكتهم.

(وكذلك خشي عمر بن الخطاب فتنه المال، فروي عنه أنه لما أتى بأموال كسرى بات هو وأكابر الصحابة عليه في المسجد، فلما أصبح وأصابته الشمس التمتعت تلك التيجان فبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ليس هذا حين بكاء، إنما هو حين شكر، فقال عمر: أقول: ما فتح الله هذا على قوم قط إلا سفكوا دماءهم، وقطعوا أرحامهم، وقال: اللهم منعت هذا رسولك إكراماً منك له، وفتحت علي لتبتليني به، اللهم اعصمني من فتنه^(١).



٢ - نبوءات تحققت بعد قرون الغيرية:

* افتراق الأمة: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»^(٢).

* قوم سوء ياتون بعد قرون الغيرية:

١ - «ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ»:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»^(٣).

(١) شرح ابن بطلان (١٥٥/١٠)، ١٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) كتاب الشُّنَّةِ باب شَرْحِ الشُّنَّةِ، والترمذي (٢٦٤٠) كتاب أبواب الإيمان، باب مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وابن ماجه (٣٩٩١) كتاب الفتن، باب افتراق الأمم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥١) كتاب المناقب، باب فَصَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ومسلم (٢٥٣٣) كتاب الفضائل، باب فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، والترمذي (٣٨٥٩) كتاب المناقب، باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، وابن ماجه (٢٣٦٢) كتاب الأحكام، باب كَرَاهِيَةِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ لَمْ يُشْهَدْ.

٢ - «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ»:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَذْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُنْذَرُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمْنُ»^(١).

٣ - «ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ»:

عن ابن عمر قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا، فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوقُ رَجُلٌ بِأَمْرٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ، مِنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَبِئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»^(٢).

٤ - «يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ خَوَارِثُونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، وأبو داود (٤٥٦٧) كتاب السنة، باب في فضل أصحاب الرسول ﷺ، والترمذي (٢٢٢٢) كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، والنسائي في المجتبى (٣٨٠٩) كتاب الأيمان والنذور، الرِّفَاء بالنذر، وابن ماجه (٣٨٠٩) كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في لزوم الجماعة.

فَمَنْ جَاهَدَهُمْ يَدِيهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ يَلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(١).

٥ - «دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»:

عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُذَرِّكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَحْنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَحْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَذَرِّكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلَزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاغْزِلْ بِلِثَمِكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصِرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُذَرِّكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

* أَمْرَاءُ تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا عَنِ الصَّلَاةِ: «إِنهَا سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ بَغْيِي أَمْرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءٌ عَنِ الصَّلَاةِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُمْ»:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنهَا سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ بَغْيِي أَمْرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءٌ عَنِ الصَّلَاةِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُمْ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا فَصَلُّوا الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلْتُمُوهُمْ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَلِّيَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ». وَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ أَذَرَكْتُمَا مَعَهُمْ أَصَلِّيَ مَعَهُمْ؟ - قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٥٠) كتاب الإيمان، باب بَيَانُ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم (١٨٤٧) كتاب

الإمارة، باب ملازمة جماعة المسلمين، وابن ماجه (٣٩٧٩) كتاب الفتن، باب العزلة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣) كتاب الصلاة، باب إذا أَخَّرَ الْإِمَامُ الصَّلَاةَ عَنِ الْوَقْتِ، وابن -

* فتنة النساء: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ

النِّسَاءِ»:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

* تمنى رؤية النبي ﷺ: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدَّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ رَمَانٌ، لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٣).

* رفع الأمانة: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتَقْبُضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ»

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَتَقَطِّرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتَقْبُضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَسْطِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبُضُ فَيَقْبُ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَقِطُ، فَتَرَاهُ مُتَبَيِّرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُبْصِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيَقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا،

= ماجة (١٢٥٧) كتاب إقامة الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِيهَا إِذَا أَخْرُوا الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) كتاب النكاح، بَابُ مَا يَبْقَى مِنْ شُؤْمِ الْمَرْأَةِ، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء، بَابُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَيَبَيِّنُ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ، والترمذي (٢٧٨٠) كتاب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَحْذِيرِ فِتْنَةِ النِّسَاءِ، وابن ماجة (٣٩٩٨) كتاب الفتن، بَابُ فِتْنَةِ النِّسَاءِ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها، بَابُ فِيمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ. (٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٩) كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَغْفَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ قَالٍ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ «وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَبِكُمْ بَابِعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أَبَاعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»^(١).

* تسمية الخمر بغير اسمها: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ، فَتَذَكَّرْنَا الطَّلَاءَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»^(٢).

* استحلال الحرير: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخُرَّ وَالْحَرِيرَ»

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ، وَاللَّهُ يَمِينُ أُخْرَى مَا كَذَّبَنِي، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخُرَّ، وَالْحَرِيرَ» وَذَكَرَ كَلَامًا، قَالَ: «يُمَسَّحُ مِنْهُمْ آخَرُونَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

* فتن وزلازل وقتل: «عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»:

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧) كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ومسلم (١٤٣) كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة، وابن ماجه (٢١٧٩) كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في رفع الأمانة.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨٨) كتاب الأشربة، باب في الداذي، وابن ماجه (٤٠٢٠) كتاب الفتن، باب العقوبات.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٣٩) كتاب اللباس، باب ما جاء في الخُر.

عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ^(١).

* إنكار الحديث النبوي: «وَأَنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»:

عَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَنْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي، وَهُوَ مُتَكَيٍّ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَخْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(٢).



أخبر النبي أصحابه بأن اليهود اختلفوا على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، والشك من الراوي، وأن النصارى اختلفت أيضًا على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وأن أمته سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وفي رواية لابن ماجه عن عوف بن مالك زاد: «واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة»^(٣).

وليس المراد بالفرق المذمومة (المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصّد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨) كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجئ في القتل.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤) كتاب أبواب العلم، باب ما نُهي عنه أن يُقال عنه حديث النبي ﷺ.

وابن ماجه (١٢) كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتخليط على من عارضه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢).

وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئاً فشيئاً إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية^(١).

لقد قطع الرسول ﷺ بأن قرنه خير القرون قاطبة، يتلوه في الخيرية قرنان: القرن الذي يلي قرنه ﷺ، ثم الذي يليه، ثم يأتي بعد ذلك قوم (يُكثرون الأيمان على كل شيء حتى تصير لهم عادة، فيحلف أحدهم حيث لا يراد منه اليمين، وقبل أن يُستحلف، يدل على ذلك قول النخعي: وكانوا ينهاوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد، يعني: أن نحلف بالشهادة بالله، وعلى عهد الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]^(٢).

وقيل: (المراد أنه يكثر كذبهم، ولا يوثق بشهادتهم، فيروّجون شهادتهم بحلف قبلها أو بعدها)^(٣).

وأشار النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه عمران بن حصين إلى بعض الخلائق والظواهر السيئة التي سوف تفسد في هؤلاء القوم بعد قرون الخيرية، فقال رسول الله ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، ويتذرون ولا يُقُون، ويظهر فيهم السمن».

أولاً - الخيانة:

وهي خيانة ظاهرة مستمرة مستقرة معروفة بين الناس؛ يدل على ذلك استخدام المضارع: «يخونون ولا يؤتمنون» أي: لا يثق الناس بهم، ولا

(١) تحفة الأحوذى (٣٣٢/٧).

(٢) شرح ابن بطل (١١٣/٦، ١١٤).

(٣) حاشية السدي على سنن ابن ماجه (٦٤/٢).

يعتمدون عليهم، ولا يرجون منهم خيراً؛ لما أثر عنهم من خيانة. والطباق المتكرر بين طرفي كل جملة: «يخونون - لا يؤتمنون»، «يشهدون - لا يستشهدون»، «ينذرون - لا يفون» - يؤكد على فداحة ما وصلت إليه أحوال القوم من تردّ وسوء خلق.

ثانياً - أداء الشهادة دون طلب:

والمراد بذلك أنهم يسارعون إلى أداء الشهادة دون أن يُكَلَّفُوا بذلك، قيل: لأن الشهادة قبل الاستشهاد فيها معنى الجور، وقيل: (المراد شهادة الزور، وقيل: يحلفون كذباً ولا يُستحلفون)^(١).

ثالثاً - عدم الوفاء بالنذر:

أي أنهم يوجبون على أنفسهم أشياء ولا ينفذونها، (ولا يبالون بتركها، بخلاف الأبرار على ما قال سبحانه في حقهم: ﴿يُؤْتُونَ وَالنَّذِيرَ وَيُؤْتُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، أي: بالآيَمَان والنذور والعهود)^(٢).

رابعاً - انتشار البطنة والسمنة:

قال ﷺ: «ويظهر فيم السمن» وفي التعبير كناية عن الإغراق في الترف والملذات، والانكباب على متاع الدنيا من أكل وشرب، وترك السعي والحركة حتى تثقل الأجسام، وتفسو السمنة، (فهم يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القوت والبلغة، وتوفير الشهوات إلى الآخرة)^(٣).

(١) فيض القدير (٣/ ٤٩٧).

(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٠٣).

(٣) شرح ابن بطلال (٦/ ١٥٦).

وروى عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام فيهم فأوصى بأصحابه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم أخبر أنه سيأتي من بعد ذلك قوم يكثر فيهم الكذب حتى يحلف الرجل دون أن يُستحلف، ويشهد دون أن يُستشهد، ثم حذر النبي ﷺ من خلوة الرجل بامرأة لا تحل له، وأمر بلزوم الجماعة، قال عليه السلام: «من أراد بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ»، ونهى عن الفرقة، فمعها يتمكن الشيطان.

وَبُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ، بضم الباءين: وسطها وأخصبها، وأحسنها وأوسعها، وأعلى درجاتها ومنازلها، (وَالْبُحْبُوحَةُ: وسط المحلة، وبحبوحة الدار: وسطها، قال جرير:

قَوْمِي تَمِيمٌ هُمْ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ

يَنْفُونَ تَغْلِبَ عَنْ بُحْبُوحَةِ الدَّارِ^(١))

وقوله: «فليلزم الجماعة» أمر غرضه الحث والتحضيض.

وصرح عليه السلام بأن المؤمن الكامل هو الذي تسعده حسنة، وتسوؤه سيئة.

على أن سعادة المرء بحسنه لا يجب أن تؤدي إلى العُجب، (فيُسر بما يرى من طاعته، فيطمئن إلى أفعاله، فيكون قد انصرف عن الله إلى نفسه العاجزة الحقيرة الضعيفة الأمارة اللوامة فيهلك؛ ولذلك قال بعض العارفين: ذنبٌ يوصل العباد إلى الله تعالى خير من عبادةٍ تصرفه عنه، وخطيئةٌ تفقره إلى الله خير من طاعةٍ تغنيه عن الله)^(٢).

كذلك يجب أن لا يؤدي به حزنه من سيئته إلى القنوط من رحمة الله، أو الإعراض عن التوبة والأوبة، فكلّا الأمرين إذا جاوز حد الاعتدال كان مهلكة.

إن من سنة الله في أنبيائه كما أخبر رسول الله ﷺ أنه ما بعث نبياً إلا جعل

(١) لسان العرب (٣/٤٠٧).

(٢) فيض القدير (٦/١٥٣).

له من أمتة حواريين وأصحابًا يسرون على هديه، ويتأسون بستته، ثم يأتي من بعده قوم ضالُّون مضلون، منافقون، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، وهؤلاء حقٌّ على كل مؤمن صحيح الإيمان أن يجاهدهم إن استطاع بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، ومن لم يأتِ بواحدة من هذه الثلاثة فليس عنده من الإيمان ما يساوي حبة خردل.

سأل حذيفة بن اليمان رسول الله ﷺ: فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ».

وَالدَّخَنُ: الكدورة إلى السواد، (وأصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب كُدرة إلى سواد.

قال المعطل الهذلي يصف سيفًا:

لَيْنٌ حَسَامٌ لَا يُلْبِقُ ضَرِيئَةً

فِي مَتْنِهِ دَخَنٌ وَأَثَرٌ أَحْلَسُ

قوله: دخنٌ، يعني: كدورة إلى السواد^(١).

قال الزمخشري: (استعير من دخن الدنيا النار والطبخ، وهو دخن الخلق وفاسده)^(٢).

وقال النووي: (المراد من الدخن أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء)^(٣).

ثم سأل حذيفة رسول الله ﷺ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

(١) السابق (١٣/١٥٠).

(٢) أساس البلاغة (١/١٨٤).

(٣) شرح النووي (١٢/٢٣٧).

قال ﷺ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» (أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة، ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبس، ومن الخير إلى الشر، ومن السنة إلى البدعة، ومن الزهد إلى الرغبة. جعل النبي دعوة الدعاة، وإجابة المدعويين سبباً لإدخالهم إياهم في جهنم، ودخولهم فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبس بمنزلة باب من أبواب جهنم، «من أجابهم» أي: الدعاة «إليها» أي: إلى جهنم، يعني إلى الضلالة المؤدية إليها، «قذفوه فيها» أي: رموه وصاروا سبباً لقذفه في جهنم»^(١).

وقوله ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم»: كناية عن فساد الدعوة، وكفر داعيها، وفيها تنفير واضح من هؤلاء الدعاة إلى البدع والضلالات، كالخوارج والقرامطة وغيرهم.

وطلب حذيفة من الرسول ﷺ أن يصف له هؤلاء الدعاة إلى أبواب جهنم، فقال له: «هم من جلدتنا» أي من العرب، «ويتكلمون بالسنن» أي بالعربية، أو بما يشبه أقوالنا من قول الله وقول رسوله ليلبسوا على الناس أمورهم، وليخلطوا الحق بالباطل.

وحين سئل ﷺ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ أمره بالتزام الجماعة واعتزال الفرق، قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»

والجماعة التي أمر رسول الله ﷺ بلزومها هي: (السواد الأعظم، وقالوا: كل ما كان عليه السواد الأعظم من أهل الإسلام من أمر دينهم، فهو الحق الواجب، والفرض الثابت، الذي لا يجوز لأحد من المسلمين خلافة)^(٢).

وقوله: «ولو أن تعض بأصل شجرة» كناية عن التمسك بالعزلة، واختار

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/١٠).

(٢) شرح ابن بطلال (١٠/٣٣).

الشجر لأنه يكون خارج المدن في البوادي، وفيها تكون العزلة.

وقيل: إن «لو» في العبارة للمبالغة، وأمثلتها في أحاديث رسول الله ﷺ كثيرة منها: «بلغوا عني ولو آية»^(١).

«أذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد»^(٢).

«السحور أكلة بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء»^(٣).

«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تعطى صلة الحبل»^(٤).

قال أبو الحسن القاري في مرقاة المفاتيح: (وأن: مصدرية، وتَعْصُ: منصوب في النسخ المصححة والأصول المعتمدة، وقيل: أن مخففة من المثقلة. قال التوربشتي رحمه الله: أي تمسك بما يصبرك، وتقوّ به على اعتزالك، ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكاً. قال الطيبي رحمه الله: هذا شرط يُعقب به الكلام تميمًا ومبالغة، أي: اعتزل الناس اعتزالاً لا غاية بعده، ولو قنعت فيه بعض أصل الشجر افعِل، فإنه خير لك)^(٥).

ومن الشر الذي أدرك الناس بعد قرون الخيرية - كما تنبأ رسول الله ﷺ - أن تولّي أمرهم أمراء تشغلهم أمور الدنيا والحكم عن أداء الصلاة في أوقاتها، فيظلون لاهين عنها حتى يخرج وقتها، ثم يصلونها بعد ذلك، أي أنهم لا يتركون الصلاة كليّة كما يفعل كثير من أمراء عصرنا الحاضر، وإنما يصلونها بعد خروج وقتها، ولقد عدّ الرسول ﷺ هذا التأخير عن الوقت شرّاً.

ووجّه من يدرك هؤلاء الصنف من الأمراء إلى أن يصلي الصلاة لوقتها

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، والترمذي (٢٦٦٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢١)، وأبو داود (٢١١١)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (١٢/٣).

(٤) أخرجه أحمد (٤٨٢/٣).

(٥) مرقاة المفاتيح (١١/١٠).

ولو منفردًا، ولا يؤخرها كما يفعل هؤلاء الأمراء، فإن شاء أن يصلي معهم بعد ذلك ذات الصلاة مرة أخرى فليصلها، زاد أحمد في لفظ: «واجعلوا صلاتكم معهم تطوعًا»^(١).

ومن أعظم الفتن التي ابتلي بها الناس: فتنة النساء قال الله ﷻ: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَنْفُسِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْفُسِ وَالْحَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ﴾ [آمران: ١٤]، فقدّم في الآية النساء على سائر الشهوات (لأن المحنة بهن أعظم المحن على قدر الفتنة بهن، وقد أخبر الله ﷻ أن منهن أعداء، فقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، ويروى أن الله ﷻ لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحًا شديدًا، وقال: هذه حباتي التي لا تكاد يخطيني من نصبتها له)^(٢).

وصرّح الرسول ﷺ بأن فتنة النساء هي أشد فتنة تركها من بعده، فهي أبلغ ضررًا، وأعظم شرًا من سواها من الفتن، (لأن الطباع كثيرًا تميل إليهن، وتقع في الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا، وأي فساد أضر من هذا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وإنما قال: «بعدي»؛ لأن كونهن فتنة أضر ظهر بعده)^(٣).

وتنبأ النبي ﷺ بأن من أشد الناس حبًا له قومًا سوف يأتون من بعده، يتمنون رؤية النبي ﷺ، ولو ضحوا في مقابل ذلك بأهليهم وأموالهم.

وهؤلاء هم الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم إخوانه في حديث مسلم وغيره الذي رواه أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلام

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/١)، (٣١٤/٥).

(٢) عمدة القاري (٨٩/٢٠).

(٣) مرقاة المفاتيح (٢٤٢/٦).

عليكم دار قوم مؤمنين، وإننا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: «أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدك من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذاذن رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»^(١).

وفي حديث البخاري الذي رواه أبو هريرة أيضاً أخبر النبي ﷺ أصحابه أنه سوف يأتي زمان - بعد وفاته - تكون فيه رؤية النبي عند أحدهم ﷺ أحب إليه من أهله وماله.

روت السيدة عائشة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من أهلي ومالي، وأحب إليّ من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبين، وأنا إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي شيئاً حتى نزل جبريل ﷺ بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]^(٢).

وتحدث النبي ﷺ عن الأمانة، فذكر أن الله أنزلها في أصل قلوب الناس حين خلقهم، فلما تمكنت من قلوبهم قاموا بأداء التكليف، وعلموا من القرآن والسنة.

والمراد بالأمانة التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده في قوله تعالى:

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، والنسائي في الصغير (١٥٠)، وغيرهما.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٣/١) (٤٧٧)، والصغير (٥٣/١) (٥٢).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ... ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقيل: (هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة، وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به، وما نُهوا عنه، وقال مقاتل: الأمانة: الطاعة)^(١).

والأمانة أيضًا هي: الوفاء وسكون القلب، والأمانة ضد الخيانة.

ثم أخبر النبي أصحابه بأن الأمانة كما أنزلت سوف تنزع، وأنها لن تنزع دفعه واحدة، وإنما ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه قبضًا حتى تترك أثرًا يسيرًا مثل أثر الجرح، ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه قبضًا فتخلف أثرًا كأثر الجمر.

قال رسول الله ﷺ: «ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام الرجل النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجمل، كجمر دحرجته على رجلك فَنَقِطَ، فتراه متبثرًا وليس فيه شيء».

وقد صَوَّرَ الرسول ﷺ أثر قبض الأمانة من قلوب الرجال من خلال تشبيهين:

الأول: أن يصير أثرها مثل أثر الوكت، والوكت: هو الأثر اليسير للجرح المندمل. وفي ذلك إشارة إلى غفلة الناس، حيث تنزع منهم الأمانة دون أن يشعروا بها، ولا يبقى منها إلا الشيء الضئيل.

والثاني: يؤكد الأول، ولكنه أكثر تفصيلًا.

يصور فيه رسول الله ﷺ أثر قبض الأمانة بأثر المَجْمَل، (وهو الماء يجتمع من النفط، تمتلئ ماء من عمل أو حرق)^(٢)، كفعل رجل دحرج على رجله

(١) شرح النووي (٢/١٦٨).

(٢) لسان العرب (١١/١٢).

جمرة، فتورّم موضع الجمرة من رجله فهو يبدو متفتّحًا، وليس فيه شيء إلا الماء.

وفيه إشارة إلى زوال الأمانة، وانمحاء آثارها، فلا يبقى منها في الرجال إلا آثار خادعة مضللة، فيخيل إليك أن الرجل ذو أمانة، وليس في قلبه مثقال ذرة منها.

وحين تقبض الأمانة، ولا يبقى لها في القلوب محل - يتبايع الناس، فلا يؤدي أحدهم الأمانة لصاحبه، ويندر الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويُمدح الرجل برجاحة عقله، وظرف منطقته، وقوة تحمله، وما في قلبه ما يساوي مثقال حبة خردل من إيمان.

ثم ذكر النبي ﷺ أنه ظل زمانًا لا يبالي أي الناس يبيع منه ويشتري، إذ كان في الناس وفاءً بالعهود، فإن المبايع إن يكن مسلمًا، يمنعه دينه وأمانته من الخيانة، وإن يكن غير مسلم يرده واليه عن الخيانة، أما اليوم - وقد فسدت القلوب - فما بقيت له ﷺ ثقة بمن يبايع، فهو لا يبايع إلا فلانًا وفلانًا، وحدد النبي ﷺ أفرادًا بأعينهم يعرفهم ويثق بهم.

وأخبر النبي ﷺ أصحابه فيما أخبر أنه سوف يأتي زمان يشرب الناس فيه الخمر، يسترون في شربها بتسميتها بغير اسمها، (أي يتوصلون إلى شربها بأسماء الأنبذة المباحة كماء العسل، وماء الذرة ونحو ذلك، ويزعمون أنه غير محرّم؛ لأنه ليس من العنب والتمر، وهم فيه كاذبون؛ لأن كل مسكر حرام)^(١).

والعبرة كما هو معلوم ليست بالمسمى، وإنما بالإسكار، فما أسكر كثيره فقليله حرام، سواء أكان ماء عسل وماء ذرة كما تستر الأقدمون، أم كان مشروبات روحية وبيرة وحشيشًا كما يتستر المحدثون.

(١) عون المعبود (١٠/١١٠).

قال رسول الله ﷺ: «لشربن ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». وقوله: «يسمونها بغير اسمها» كناية عن التحايل على تعاطي الحرام. وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «لا تركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»^(١).

ونهى النبي ﷺ عن لبس الحرير للرجال في الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ ذهباً بيمينه، وحريراً بشماله، فقال: «هذا حرام على ذكور أمتي»^(٢).

وتنبأ ﷺ بأن أناساً من أمته يكونون من بعده سوف يستحلون الخز والحرير، والخز نوع من أنواع الحرير، قيل: (ثياب سُداها من حرير ولحمتها من غيره، وقيل تنسج مخلوطة من حرير وصوف أو نحوه)^(٣).

وحذر النبي ﷺ من أن هؤلاء يمسح منهم قردة وخنازير، فيظنون كذلك إلى يوم القيامة.

ويحتمل أن يكون المسح على حقيقته (كما وقع في الأمم الماضية، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم)^(٤).

ورغم كل هذه الفتن بشرَّ النبي ﷺ أمته فقال: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة».

وفي قوله: «أمة مرحومة» أقوال كثيرة، منها أنها رحمة زائدة على سائر الأمم؛ لأن نبيهم هو نبي الرحمة، أو أنه خصيصة من خصائص هذه الأمة اختصها الله بها، فما من مصيبة تصيبهم في الدنيا، حتى الشوكة، إلا كفر الله بها في الآخرة ذنباً من ذنوبهم، والقول الأخير هو الراجح كما يُفهم من قوله

(١) تنقيح تحقيق أحاديث التعليق (٤٢٦/٣).

(٢) أخرجه النسائي في الصغرى (٥١٤٧)، وأحمد (٩٦/١).

(٣) عون المعبود (٥٩/١١).

(٤) عمدة القاري (١٧٦/٢١).

ﷺ بعد ذلك: «ليس عليها عذاب في الآخرة»، والمراد أنه ليس عليها عذاب شديد، وليس على أحد منها خلود في النار، إنما عذابها كما أخبر ﷺ في «الفتن» (أي: الحروب الواقعة بينهم، «والزلازل» أي الشدائد والأحوال، «والقتل» أي: قتل بعضهم بعضاً، وعذاب الدنيا أخف من عذاب الآخرة^(١)).

وتنبأ النبي ﷺ بأنه سوف يأتي زمان ينكر فيه بعض الناس السنة، ويتناولون على حديثه ﷺ، فيبلغ أحدهم الحديث، فيعرض عنه، ويستهين به، ويزعم أنه لا يعتد إلا بكتاب الله، فما كان فيه حراماً حرمه، وما كان فيه حلالاً حلله - ويؤكد النبي ﷺ أن ما يحرمه رسول الله هو كما حرم الله؛ لأنه ﷺ لا يأتي بشيء من عنده، ولا يحرم أو يحلل بهواه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

قال ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته». و«ألا» حرف تنبيه واستفتاح، و«هل عسى» استفهام للإنكار، والتشكير في «رجل» للتحقير.

وقوله: «وهو متكئ على أريكته» كناية عن الدعة والخمول والاستهانة، وإنما أراد بهذه الصفة أصحاب الترفُّهِ والدَّعة الذين لزموا البيوت، ولم يطلبوا العلم، ولم يكدوا، ولم يروحوا في طلبه في مظانه، واقتباسه من أهله^(٢).

٤- نبوءات تتحقق بين يدي الساعة

* عودة الخلافة: «وَالسَّاعَةُ يُومِنُنَّ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدْرِ هُنَّ مِنْ رَأْسِكَ»:

عن ابنِ رُغْبِ الْإِيَادِي قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ، فَقَالَ لِي:

(١) عون المعبود (١١/٢٤١).

(٢) معالم السنن (٤/٢٩٨).

بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنُغْنِمَ عَلَى أَفْدَامِنَا فَرَجَعْنَا، فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجُهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ، فَأَضْعَفْ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ قَالَ: عَلَى هَامَتِي.

ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»^(١).

*** خروج المهدي: «لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ» - قَالَ رَأَيْتُهُ فِي حَدِيثِهِ: «لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ»، ثُمَّ اتَّفَقُوا - «حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثٍ فُطِرَ: «يَمْلِكُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا» وَقَالَ: فِي حَدِيثٍ سُفْيَانَ: «لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقُضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»^(٢).

*** خليفة يحيى المال حثيًا: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتِى الْمَالُ حَثِيًا»:**

عَنْ أَبِي نُضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجِبَنِي إِلَيْهِمْ قَفِيرٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ،

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٥) كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتبس الآخر والغيمة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) كتاب المهدي، والترمذي (٢٢٣٠) كتاب أبواب الفن، ما جاء في المهدي.

يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبِّيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدِّيٌّ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَخْطِي الْمَالَ حَتْبًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا»، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا^(١).

* دجالون كذابون: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنْاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنْاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»^(٢).

* هلاك الأمة: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»:

- عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا رُويَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْزِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَاطَلَارَهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَتَنْسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ النَّبَلَاءِ.

(٢) أخرجه مسلم (٦) المقدمة، بَابُ فِي الضُّعَفَاءِ وَالْكَذَّابِينَ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ حَدِيثِهِمْ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٢٥٢) كِتَابُ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، بَابُ ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَالِهَا، وَالتِّرْمِذِيُّ =

عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي، عن جده، قال: كنت مع مروان وأبي هريرة فسمعت أبا هريرة، يقول: سمعت الصادق المصدوق، يقول: «هلاك أمتي على يدي غلمة من قرينش»، فقال مروان: غلمة؟ قال أبو هريرة: إن شئت أن أسميهم بني فلان، وبني فلان^(١).

*** خسف بالبيداء:** «إن ناساً من أمتي يؤمنون بالنبيت برجل من قرينش»:

عن عبد الله بن الزبير، أن عائشة، قالت: عتب رسول الله ﷺ في منامي، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «المعجب إن ناساً من أمتي يؤمنون بالنبيت برجل من قرينش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادراً شتى، يبعثهم الله على نياتهم»^(٢).

*** زنديق يهدم الكعبة:** «كأنني به أسود أفحج»:

عن ابن عباس رضيهما، عن النبي ﷺ قال: «كأنني به أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا»^(٣).

*** شرطة الموت:** «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم»:

عن يسير بن جابر، قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له

= (٢١٧٦) كتاب أبولب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمي، وابن ماجه (٣٩٥٢) كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٥) كتاب المناقب، باب علامات النبوة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٩٥) كتاب الحج، باب هدم الكعبة.

هَجِيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مَتَكِنًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَاَهَا نَحْوَ الشَّامِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومُ تَغْيِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ سَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةَ لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِيَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يَخْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةَ لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِيَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يَخْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةَ لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِيَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يُنْصُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ، فَمَا يُخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا، فَيَتَعَادَى بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَيَأْتِي غَنِيمَةً يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَاسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَقَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَتَقْبَلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ قَوَارِسَ طَلِيعَةٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ قَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ قَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»^(١).

* الطائفة المنصورة: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْصُورِينَ»:

- عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٩) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إقبال الروم في كفرة القتل عند خروج الدجال.

ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١).

- عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢).

* فِتْنَةُ الدَّجَالِ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ»:

- قَالَ سَالِمٌ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَنْتَنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَغَوْرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَغَوْرٍ»^(٣).

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجٌ، جَعْدٌ، أَغَوْرٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِيَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أَلِيسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَغَوْرٍ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، ومسلم (١٩٢١) كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ» كلاهما عن المغيرة بن شعبة، وأبو داود (٢٤٨٤) كتاب الجهاد، باب في ذَوَامِ الْجِهَادِ، عن عمران بن حصين، والترمذي (٢٢٢٩) كتاب الفتن، باب ما جاء في الْأَيَّامِ الْمُضِلِّينَ، عن ثوبان، وابن ماجه (٩) كتاب الإيمان، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ عن عمرو بن شعيب عن أبيه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٩٢) كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشام.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣٧) كتاب الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، ومسلم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر ابن صياد، وأبو داود (٤٧٥٧) كتاب السنة، باب في الدجال، والترمذي (٢٢٣٥) كتاب الفتن باب ما جاء في علامة الدجال.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠) كتاب الملاحم، باب خُرُوجِ الدَّجَالِ.

- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَغْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَأَلْتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوْحٌ قَوْمَهُ»^(١).

- عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَرَّاجٍ الشَّعْبِيُّ هَمْدَانٌ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى، فَقَالَتْ: حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُسْنِدِيهِ إِلَيَّ أَحَدٌ غَيْرُهُ، فَقَالَتْ: لَيْتَنِي شِئْتُ لِأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلُ حَدِيثِي [فساقت قصة تأييمها، وأمر النبي لها بأن تعند في بيت ابن أم مكتوم، ثم قالت: فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي، سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَاةً». ثُمَّ قَالَ: «أَتَذَرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجَدَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْقَوْا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَهُمْ ذَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يَذَرُونَ مَا قُبِلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقَالُوا: وَبَلِّغْ، مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَفْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً -

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٨) كتاب الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، ومسلم (٢٩٣٦) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال.

قَالَ - فَأَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلَقًا، وَأَشَدَّهُ وَثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَبَيْتُكَ، مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَيَّ خَبْرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ، قَالُوا: نَحْنُ أَتَنَاسُ مِنَ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بِخَرِيبَةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَزْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِينَا دَابَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرَ الشَّعْرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَبَيْتُكَ، مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اغْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَقَرَعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يَنْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تَنْجُرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيبَةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ رُغْرٍ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ، مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ بِثَرْبٍ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجُ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَبِيبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السِّيفُ صَلَاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَخْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ فِي الْمَنِيرِ «هَذِهِ طَبِيبَةُ، هَذِهِ طَبِيبَةُ، هَذِهِ طَبِيبَةُ - يَعْنِي: الْمَدِينَةَ - أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، قَالَ:

«فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ». وَأَوْثَمًا بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ.
قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَخْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَخْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَبَسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَضْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوْرِدٍ عَلَى ضُلْعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدَّهْنَاءِ، لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتُهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَثُ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطُ إِيْمَانٍ لَا يَفَاقُ فِيهِ، وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ عَدِهِ»^(٢).

- عن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدُمُ سَبْطُ الشَّعْرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عَيْنَةُ طَافِيَةٍ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قُطَيْنٍ، وَابْنُ قُطَيْنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُضْطَلِقِ مِنْ خُرَاعَةَ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قصة الجساسة، وأبو داود (٤٣٢٦) كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة، والترمذي (٢٢٥٣) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠٧٤) كتاب الفتن، باب فتنه الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج ياجوج وماجوج.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٢) كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٢٦) كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام، ومسلم (١٧١) =

* نزول المسيح، ومصرع الدجال، وظهور ياجوج وماجوج:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُهْلِكَ ابْنُ مَرْيَمَ بَضْعَ الرُّوحَاءِ»:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي: عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَلٌ، فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَقْدُقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْبَةَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»^(١).

- عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُهْلِكَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا»^(٢).

- عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ عَدَاةً، فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَاْمُرُوا حَاجِبُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ، كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ قَوَائِعَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةَ بَيْنِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنِهِ، وَيَوْمَ

= كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤) كتاب الملاحم، باب خروج الدجال.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٥٢) كتاب الحج، باب إهلاك النبي ﷺ وهذبه.

كَشْهَرٍ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرِ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ
الَّذِي كَسَنَهُ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرُهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْفَيْثِ اسْتَذْبَرْتُهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ
فَيَذْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فْتَنْثِرُ،
فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دُرًّا، وَأَسْبَعُهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ،
ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَذْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضِضُّونَ مُنْجِلِينَ
لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ،
فَتَبْعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّخْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّكًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّنْفِ
فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْفَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَسْهَلُّ وَجْهَهُ، يَضْحَكُ، فَيَيْنَمَا
هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ
دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ،
وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ،
وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُبْذِرَكَ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ
بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ
عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ يِقْتَالُهُمْ، فَحَرَّرُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ
وَيَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةٍ فَيَسْرُبُونَ
مِنْهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى
وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ،
فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضِضُّونَ
فَرَسًا كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا
يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شَيْءٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى
وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ
شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى

يَرْكَبُهَا كَالزَّلَافَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتِكَ، فَيَوْمِئِذٍ تَأْكُلُ
الْعِصَابَةُ مِنَ الرَّمَانَةِ، وَتَسْتَظِلُّونَ بِقِخْفِهَا، وَيَبَارِكُ فِي الرَّسْلِ، حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ
الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِثَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّفْحَةَ
مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَحْخَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً،
فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبَاطِيهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ،
يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(١).



أخبرنا النبي ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى تعود الخلافة في الأرض المقدسة
من المدينة إلى الشام، وحينئذ تدنو الزلازل، والهموم والأحزان، والأمور
العظام، وتوشك الساعة أن تقوم.

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدسة، فقد دنت
الزلازل والبلابل والأمور العظام».

ربط رسول الله ﷺ بين البشارة بعودة الخلافة، وهو أمر يسر كل مسلم،
وبين دنو الزلازل والبلابل والعظام واقتراب الساعة، فكان استقامة الحياة
على منهجها القويم إيدان بزوالها، ورحيل أهل الخير منها، والزلازل:
(الشدائد، والزلازل: الأهوال، قال عمران بن حطان:

فقد أظْلَمَتْكَ أَيَّامٌ لَهَا خَمْسٌ

فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالْأَهْوَالُ وَالسُّوْهُلُ^(٢)

- (١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ،
وأبو داود (٤٣٢١) كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، والترمذي (٢٢٤٠) كتاب
أبواب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال، وابن ماجه (٤٠٧٥) كتاب الفتن، باب فِتْنَةُ
الدَّجَالِ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.
- (٢) لسان العرب (٣٠٨/١١).

والبلابل جمع بلبله، وبلبله الصدر: وسواسه، (والبلبله والبلابل والنبَلال: شدة الهمّ والوسواس في الصدور، وحديث النفس)^(١).
والمراد بالأمر العظام: أشرط الساعة الكبرى.

ويؤكد نبوءة عودة الخلافة في آخر الزمان الحديث الذي رواه أحمد في مسنده: أن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت^(٢).

وسوف يظهر المهدي في آخر الزمان، كما أكّد النبي ﷺ ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج.

وهو رجل من آل بيت النبي ﷺ، يطابق اسمه اسم النبي، واسم أبيه اسم أبي النبي، يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.
قال ﷺ في صفة المهدي: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

والقسط: بكسر القاف هو العدل، والظلم هو الجور وجمع بين القسط والعدل للتوكيد والمبالغة، ويحتمل (أن يُراد بالقسط إعطاء كل ذي حق حقه، وبالعدل النصفه والحكم بميزان الشريعة، وانتصار المظلوم، وانتقامه من الظالم؛ فيكون جامعاً لما قال تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾

(١) السابق (٦٩/١١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٣/٤)، والبخاري في مسنده (٢٧٩٦) وغيرهما، والحديث حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٤٧٨، ١٤٧٩/٣).

(النحل: ٩٠) (١).

ثم يشاء الله أن يفتح على المسلمين من بركات السماء، ويفيض عليهم من خيرات الأرض، حتى إن أحد الخلفاء في آخر هذه الأمة إذا أراد أن يعطي لا يعدُّ المال عدًّا، وإنما يحثوه حثًّا بالكفين، لجوده وسخاء نفسه، ولكثرة الأموال والغنائم.

قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثًّا» وفي رواية: «يحثو المال حثًّا» (قال أهل اللغة: يقال: حثيت أحثي حثًّا، وحثوت أحثو حثًّا - لغتان، وقد جاءت اللغتان في هذا الحديث، وجاء مصدر الثانية على فعل الأولى، وهو جائز من باب قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]) (٢).

ويكون في آخر هذه الأمة أيضًا دجالون كذابون، يأتون الناس بما لم يسمعه هم ولا آباؤهم من قبل من الأحاديث الكاذبة، والأحكام المبتدعة، والعقائد الزائفة، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نحذرهم ونتجنبهم حتى لا يضلونا ويفتنونا.

وقيل إن المراد بالكذابين رواة الأحاديث الموضوعة على النبي ﷺ، أو الخائضين في علم الكلام، وقيل: إن الحديث عام في التحذير من الكذب والكذابين.

وصرَّح النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان بأن ملك أمته سيلغ المشرق والمغرب، وسيفتح الله لها كنوز الأرض، وقد سأل النبي ﷺ ربه ألا يهلك أمته بسنة عامة: أي بقحط وجذب يعم الأمة كلها فتهلك عن آخرها، وسأله أن لا يسلط عليها عدوًّا من غيرها فيستأصلها، فاستجاب له ربه في

(١) السابق (٩٠/١٠).

(٢) شرح النووي (٣٩/١٨).

هاتين، لكنه ﷺ جعل هلاك هذه الأمة بيد بَنِيهَا، فلا تَفْنَى حتَّى يُهْلِكَ بعضها بعضًا، ويأسر بعضها بعضًا.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زَوَى لي منها».

زَوَى لي الأرض معناه: (قبضها وجمعها، ويقال: انزوى الشيء إذا انقبض وتجمع، وقوله: «ما زَوَى لي منها»: يتوهم بعض الناس أن حرف مِْنْ هاهنا معناه التبعض، وإنما معناه التفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة، ولا يبطل شيئًا منها، لكنه يأتي عليها شيئًا فشيئًا، ويستوفيها جزءًا جزءًا، والمعنى أن الأرض زويت له مرة واحدة فرآها، ثم يُفتح له جزء جزء منها حتَّى يأتي عليها كلها، فيكون هذا معنى التبعض فيها)^(١).

ودعا ﷺ ربه فقال: «لا تسلط عليهم عدوًا من غيرهم فيستبيح بيضتهم» أراد بالبيضة (جماعتهم وأصلهم، أي: مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، أراد عدوًا يتأصلهم ويهلكهم جميعًا، قيل: أراد إذا أَهْلَكَ أصل البيضة كان هلاك كل ما فيها من طعم أو فرخ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما يسلم بعض فراخها، وقيل: أراد بالبيضة الخوذة، فكأنه شبه مكان اجتماعهم والتسامهم ببيضة الحديد)^(٢).

وعلى ذلك فقولُه: «بيضتهم» فيه استعارة تصريحية، شبه فيها مجتمع المسلمين وسلطانهم بالبيضة.

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة جزم رسول الله ﷺ بأن هلاك أمة سوف يكون على يد شباب حديثي السن من قريش، يتأمرّون على الناس

(١) معالم السنن (٤/٣٣٩).

(٢) لسان العرب (٧/١٢٧).

فَيُفْسِدُونَ وَيُفْسِدُونَ، ويتسبون بسفاهتهم وحمقهم في هلاك الأمة وفنائها.

قال رسول الله ﷺ: «هلاك أمتي على يد غِلْمة من قريش».

وذهب كثيرون إلى أن المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر من الصحابة ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلى يوم القيامة.

لكن قول النبي ﷺ: «هلاك أمتي» عام، ولا توجد في الحديث قرينة تفيد التخصيص.

واستخدم الرسول ﷺ كلمة «غِلْمة» جمع غلام، للدلالة على قِلَّتِهِم وتحقير شأنهم، فغِلْمة: جمع قلة، وجمع الكثرة غلمان.

وفاعلو ذلك رجال، لا غِلْمة، فأسماءهم غِلْمة من باب المجاز المرسل، ويطلق الغلام على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير شيخ مجازاً باسم ما يؤول إليه^(١).

وحين تُظَلُّ الساعة يعوذ رجل من أمة محمد ﷺ بالبيت الحرام، فيأتيه جيش من الشام والعراق يريد أن يأخذه، فإذا كان هذا الجيش بالبيداء - قيل ببداء المدينة - خسف الله بهم جميعاً، فمنهم من خرج قاصداً مستيناً لأمره، ومنهم المُكْرَه، ومنهم ابن السبيل الذي سلك الطريق معهم وهو ليس منهم، يهلكون جميعاً، ويلقون ذات المصير، ويبعثهم الله يوم القيامة مختلفين، يجازي كل منهم حسب نيته، أي أن (الهلاك يعم الطائع مع العاصي، والطائع عند البعث يجازي بعمله، وكذا العاصي إن لم يدركه العفو).

وفيه حث على التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين؛ لئلاً ينالهم ما يعاقبون به، وأن من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم في الدنيا^(٢).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/٤٥٢). (٢) فيض القدير (٤/٣٧٥).

ويلحق إثم هدم الكعبة رجلاً من الحبة أسود متباعد ما بين الفخذين يهدمها قبل قيام الساعة، يقلعها حجرًا حجرًا، قال رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبة»^(١).

وقال: «كأنني به أسود أفحج يقلعها حجرًا حجرًا». يصف رسول الله ﷺ ذلك الزنديق الذي سيهدم الكعبة في آخر الزمان وصفًا بغيًا منفراً، فهو أسود أفحج، والأفحج: (الذي في رجليه اعوجاج، ورجل أفحج بين الفحج، وهو الذي تتدانى صدور قدميه، وتتباعد عقباه، وتتفحج ساقاه)^(٢).

ووصفه بأنه «ذو السويقتين» إشارة إلى دقة ساقيه وحموشتهما، ثم يزيد في التنفير منه والتبغيض أنه يهجم على أقدس مكان يؤمه المسلمون، فينقضه حجرًا حجرًا، وقوله: «حجرًا حجرًا» كناية عن تمام التخریب والتدمير.

وقوله: «كأنني به» المراد منه استحضر الصورة، والضمير في «به» (يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن يعود إلى البيت، والقرينة الحالية تدل عليه، أي: كأنني ملتبس به.

الثاني: أن يعود إلى القالع بالقرينة الحالية أيضًا.

الثالث: ما قاله الطيبي، وهو أنه ضمير مبهم يفسره ما بعده على أنه تمييز، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَعَوَاتٍ﴾ [نمل: ١٢]، فإن ضمير «هن» هو المبهم المفتر بسبع سماوات، وهو تمييز.

وهذه الأوجه صحيحة ماشية على قاعدة العربية)^(٣).

وقوله: «أسود» يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه مبتدأ خبره جملة: «يقلعها»، أو أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو أسود، و«أفحج» خبر ثان.

(١) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩)، وغيرهما.

(٢) لسان العرب (٢/٣٤٠).

(٣) عمدة القاري (٩/٢٣٨).

ويجوز أن تكون الكلمتان: «أسود أفحج» منصوبتين على الحالِّية أو الذمِّ أو الاختصاص.

كما يجوز أن تكونا مجرورتين على أنهما بدل من الضمير المجرور في به.
وقوله: «حجرًا حجرًا» منصوب على الحالِّية، أو لأنه بدل من الضمير المنصوب في قوله: «يقلعها».

والظاهر أن مكة سوف تتعرض قبيل قيام الساعة لغزوين، الأول هو هذا الجيش الوارد ذكره في الحديث السابق، ويُخسف في البداء فلا يُمكن من دخولها، والثاني هو جيش الحبشة، ويُمكن من الدخول، ويقوم صاحبه ذو السويقتين بهدم الكعبة.

فإن قيل: إن الله جعل هذا الحرم آمنًا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِئَابُ النَّبْلِ يُوْمِنُونَ وَبِعِصْمَةِ اللَّهِ يُكْفَرُونَ﴾ [المكوت: ٦٧]، وحفظه من كل غاز، وحبس عنه الفيل، ولم يكن في ذلك الحين قبلة للمسلمين، فكيف يسلط عليه الأحباش بعد أن صار قبلة للمسلمين، وتطهر من رجس الأوثان؟

فيجاب على ذلك بأنه (محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة، حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله، الله، كما ثبت في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»^(١). ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: «لا يعمر بعده أبدًا»^(٢)،^(٣).

لقد ظن بعض الناس حين هاجت ريح حمراء شديدة بالكوفة، عصفت بالأخضر واليابس - أنها إرهابات الساعة، وأقبل رجل على عبد الله بن

(١) أخرجه مسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١)، وابن حبان (٦٨٢٧)، وغيرهما.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٦١).

مسعود ما له شأن ولا شغل إلا الصياح: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، فقع عبد الله بن مسعود وكان متكئاً، فحدث بأن الساعة لن تقوم حتى يحشد الروم لأهل الإسلام حشوداً ضخمة، ويجمع لهم أهل الإسلام كذلك، ويلتقي الجيشان، فيتصادمان بقوة، ويستمر القتال بينهما، فيتعاهد جمع من المسلمين على أن يتقدموا للقتال، ويعدوا أنفسهم للهلكة، ويقسمون لا يرجعون إلا منتصرين أو شهداء، ويظل الجيشان يقتلان حتى يمنع بينهما الليل، ويعود كل فريق إلى معسكره غير غالب ولا مغلوب، وتفنئ الكتيبة التي تعاهدت على الموت.

فيشترط المسلمون شرطة أخرى للموت، فإذا كان الغد التقى الجيشان فاقتلوا قتالاً عظيماً حتى حجز الليل بينهما، وفاء كل فريق إلى معسكره غير غالب ولا مغلوب، وفنيت الشرطة المسلمة، فإذا كان اليوم الثالث تكرر نفس المشهد، حتى إذا كان اليوم الرابع نهض إلى القتال بقية أهل الإسلام جميعاً، فاقتتلوا حتى دارت الدائرة على الروم، وهزموا، فقتل منهم خلق كثير، حتى إن الطائر ليمر فوق جثثهم فيخر ميتاً من تنهم، ويرجع المسلمون وقد فني منهم الكثير، فيحصي الجماعة ممن حضروا تلك الوقعة قتلاهم، فلا يكاد يجد المائة من العشيرة واحداً منهم حيّاً، فحينئذ لا يُفرح بغنيمة، ولا يُقسم ميراث لانشغال الناس بمصيبتهم.

فبينما هم كذلك إذا جاءهم الصريخ بوقعة أشد وأعظم من ذلك، لقد ظهر الدجال، واجتاح ديارهم، وخلفهم في أولادهم ونسائهم. فيلقون ما في أيديهم من الغنائم، ويسرعون إلى الدجال، فيرسلون عشرة من فرسانهم - هم خير فرسان الأرض يومئذ - طليعة، يقول رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم...».

وقوله: «إني لأعرف أسماءهم...» فيه دليل على أن الله ﷻ قد كشف

لرسوله بعض أدق تفاصيل الغيب ليدعم رسالته ﷺ، ويرهن على صدقه.
وقوله: («على ظهر الأرض» احتراز من الملائكة، «يومئذ» أي: حينئذ.
وهو احتراز من العشرة المبشرة وأمثالهم)^(١).

على أن فرقة من أمة محمد سوف تظل منتصرة ظافرة مؤيدة لا يضرهم
من يتخلّى عنهم حتى يأتي أمر الله، أي حتى تأتي الرياح التي تقبض روح كل
مؤمن، فلا تمسي على الأرض نفس مؤمنة، ومن ثم تقوم الساعة، (وأما هذه
الطائفة، فقال البخاري هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا
أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل
السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قلت: ويحتمل أن هذه
الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء
ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر،
ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد
يكونون متفرقين في أقطار الأرض)^(٢).

وقال آخرون: المراد منها: الفئة المرابطة بثغور الشام، وقيل: هم بيت
المقدس، وقيل: هم الذين (يحصرهم الدجال إذا خرج، فينزل عيسى إليهم،
فيقتل الدجال، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج الدجال، أو بعد موت
عيسى ﷺ بعد هبوب الرياح التي تهب بعده، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال
ذرة من إيمان إلا قبضته، ويبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة)^(٣).

وصف النبي ﷺ الدجال ليحذّر أمته من خطره، وساق قصة خروجه
تفصيلاً حتى لا يلتبس أمره على أحد.

(١) مرقاة المفاتيح (٥٨/١٠).

(٢) شرح النووي (٦٧/١٣).

(٣) تحفة الأحوذى (٣٦٠/٦).

فمن حيث الشكل رأينا كائنًا غريبًا مقيتًا، فقد أخبرنا أنه رجل قصير أفنح مكتنز ضخم الجسم أعور العين كأنها عينة متفخة.

ومن حيث الخُلُق، فإنه كافر دجال طاغية متجبر، يدعي أنه المسيح، وأنه الله، وأن بيده مقاليد الأمور، لكن الله ﷻ يفضحه لكل مؤمن، إذ يرى بين عينيه كلمة (كافر) واضحة جليلة غير ملتبسة.

ومن حيث القُدرات، فإنه يملك قدرات خارقة، إذ يستطيع إحياء الموتى ويأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث، والخربة فتبعه كنوزها، ومعه مثل الجنة والنار، وهو يغزو البلاد فيسقطها جميعًا، فلا تعتصم منه غير مكة والمدينة.

وفي حديث فاطمة بنت قيس حَدَّثَ النبي ﷺ أصحابه بحديث تميم الداري الذي كان نصرانيًا ثم أسلم، وحكى للنبي أنه خرج مع ثلاثين رجلًا من لحم وجذام في رحلة بحرية، فألقى بهم البحر بعد شهر إلى جزيرة في البحر، فلما دخلوها لقيتهم الجساسة وهي دابة غليظة الشعر كثيرته، لا يُعرف قُبُلها من دُبُرها من كثرة الشعر، فقالت لهم: أيها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

فانطلقوا فرعين منها إلى الدير، فرأوا فيه إنسانًا ضخماً موثقاً بأشد وثاق، مجموعة يده إلى عنقه وركبتيه وكعبيه بالحديد، فسألوه عن خبره، فاستمهلهم، وسألهم عن نخل بيسان^(١) هل ما زال يثمر؟ وعن بحيرة طبرية^(٢) هل ما زال فيها ماء؟ فأجابوه: أن نعم، فأخبرهم أن نخل بيسان يوشك أن لا يثمر، وأن ماء طبرية يوشك أن ينضب.

ثم سألهم عن عين زُغر^(٣)، أما زال ماؤها يتدفق؟ وهل يزرع أهلها

(١) قرية بالشام قريبة من الأردن.

(٢) بحيرة بالأردن.

(٣) عين في بلدة تسمى زغر، وهي بلدة بالشام قليلة النبات.

بمائها؟ فأجابوه: أن نعم.

فسألهم عن النبي محمد ﷺ هل ظهر؟ وهل قاتله العرب؟ وكيف صنع بهم؟ فأجابوه: أنه ظهر، وأن العرب قاتلوه، فظهر عليهم وأطاعوه، فقال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه.

والظاهر أن ما سألهم عنه من أمور كان علامات لقرب ظهوره، وفك وثاقه، ولذلك أعلن لهم عن هويته، وأخبرهم أنه المسيح الدجال، وأنه يوشك أن يُؤذَنَ له فيخرج، فيجتاح القرى إلا مكة والمدينة فهما محرمتان عليه، تحرسهما منه الملائكة، وتصدنه عنهما صداً.

ثم قال رسول الله ﷺ - في ختام الحديث - يزكي المدينة: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة»، وأخبر أصحابه أن حديث تميم أعجبه لأنه وافق ما حدثهم عنه من قبل عن الدجال وعن المدينة ومكة، ثم أكد لهم أن الدجال سوف يخرج من قبل المشرق.

قال رسول الله ﷺ: «لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو».

والمعنى: هو من قبل المشرق، (و «ما»: زائدة أو موصولة بمعنى الذي، أي الجانب الذي هو فيه، قال القاضي رحمه الله: لفظة «ما» هنا زائدة للكلام، وليست بنافية، والمراد: إثبات أنه في جهة المشرق)^(١).

وحكاية الدجال هذه مثال لفن الحكي المتكامل الأركان، الجاذب لاهتمام السامع وفكره ووجدانه، المبهر بغرائبه ومفاجآته، الفريد في صدق أخباره وحوادثه.

وفي حديث عبد الله بن عمر ذكر النبي الفتن التي تسبق ظهور الدجال، وهي ثلاث: فتنة الأحلاس، وفتنة السراء، وفتنة الدهيماء.

أما فتنة الأحلاس، فقد سميت بذلك (لدوامها، وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه هو جالس بيته؛ لأن الجلس يُفترش فيبقى على المكان ما دام لا يرفع)^(١).

ووصف النبي هذه الفتنة بأنها هَرَبٌ وَحَرَبٌ، أي: يفر الناس فيها بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة، وينهب بعضهم مال بعض.

وفي قوله: «هَرَبٌ وَحَرَبٌ» جناس ناقص.

وأما فتنة السراء، فالمراد بالسراء (النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء؛ لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم، أو لأنها تمر العدو)^(٢).

ويكون ظهورها وإثارتها على يد رجل من أهل بيت النبي نسبًا، ولكنه ليس منه صفةٌ وسيرةٌ، وإلا لم يكن سببًا في إيقاظ الفتنه وتهيجها.

وتنتهي هذه الفتنه بالاصطلاح على البيعة لرجل غير خليف بالإمارة، ولا جدير بالاستقلال بها، ولا قادر على الاستقامة عليها.

قال ﷺ: «ثم يصطَلح الناس على رجل كَوْرِكَ على ضلع» وهو تشبيه بديع شبه فيه الرجل المصطلح عليه بَوْرِكَ أقيم على ضلع، فهو غير متوازن ولا مستقيم ولا مستحق.

وأما فتنه الدهيماء، فالدهماء تعني (السوداء، والتصغير للذم، أي: الفتنه العظماء، والطامة العمياء، وفي النهاية: هي تصغير الدهماء، يريد الفتنه المظلمة)^(٣).

قال ﷺ: «ثم فتنه الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمه، فإذا

(١) معالم السنن (٤/٣٣٧).

(٢) عون المعبود (١١/٢٠٨).

(٣) مرقاة المفاتيح (١٠/٣٥).

قيل: انقضت تمادت.

وقوله: «إلا لطمته لطمه» كناية عن عموم الفتنة وشمولها الأمة جميعها.

وقوله: «فإذا قيل انقضت تمادت» كناية عن استفحال الفتنة وامتداد آثارها.

فهي فتنة عامة لا تترك أحداً إلا أصابته بمحنة، وكلما توهم الناس أنها انتهت استطالت واستمرت واستقرت، يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً لتحليله دم أخيه وماله وعرضه، حتى ينقسم الناس إلى فريقين: فريق إيمان خالص لا نفاق فيه، وفريق نفاق خالص لا إيمان فيه.

فإذا حدث ذلك كله كان إيذاناً بظهور الدجال من يومه أو غده.

ويؤكد النبي ﷺ أن عيسى عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان، وأنه سيقاتل الناس على الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل الدجال، وتهلك كل الملل في عهده إلا الإسلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفاه الله، فيصلي عليه المسلمون.

ويقسم النبي ﷺ: أن المسيح سوف يهل يومًا مليبًا بطريق الروحاء بين مكة والمدينة حاجًا أو معتمرًا، أو قارئًا بينهما.

وأنبأنا النبي أن الدجال سوف يخرج من طريق رملي بين الشام والعراق فيبعث في الأرض فسادًا، ويمكث في الأرض أربعين يومًا، يومًا كسنة، ويومًا كشهر، ويومًا كجمعة، ثم تكون سائر أيامه كأيامنا.

يقول ﷺ: «غير الدجال أخوفني عليكم»

وقوله: «أخوفني عليكم» لحقت فيه أفعال التفضيل: «أخوف» نون الوقاية، وهذا نادر.

وقد روي الحديث بدون النون «أخوفي» وكلاهما لغتان صحيحتان، والمراد: أخوف ما أخافه عليكم.

قال الإمام النووي: (ولأفعل التفضيل أيضًا سَبَّهَ بالفعل، وخصوصًا بفعل التعجب، فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث)^(١).

وسير الدجال في الأرض سريع كالغيث الذي تسوقه الرياح، قال ﷺ: «كالغيث استدبرته الرياح»

فتشبهه بالغيث الذي هبَّت عليه الرياح من خلفه، يوحي بأنه أسرع وأكثر انتشارًا، وفيه مجاز مرسل، إذ المراد بالغيث الغيم، أي يسرع في الأرض إسراع الغيم.

يأتي الدجال على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر لهم السماء فتُمْطَرُ، ويأمر الأرض فتنبت، فيرعون فيها بما شئتهم، فتعود إليهم أسمن أجسامًا، وأطول أسنمة، وأسبغ ضروعًا، وأملأ خواصر.

قال ﷺ: «فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت دُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدّه خواصر».

وقوله: «أطول ما كانت دُرًا» كناية عن سمن الجسم، و«دُرًا» جمع مفردة ذرّة بضم الذال وكسرها.

«وأسبغه ضروعًا» كناية عن امتلاء الضروع باللبن.

«وأمدّه خواصر» كناية عن الشبع بالخصب.

وكلها توحى بخصوبة المرعى، وعموم النفع.

ويأتي الدجال قومًا آخرين، فيدعوهم، فيكذبونه ولا يؤمنون به، فينصرف عنهم، فتجذب أرضهم، وتذهب أموالهم.

ويمر بالأرض الخربة، فيأمرها أن تُخرج كنوزها، فتبعه كنوزها كجماعة النحل.

(١) شرح النووي (٦٤/١٨).

قال ﷺ: «ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»

و«يعاسيب» جمع يعسوب وهو ذكر النحل، وكُنِيَ بها عن جماعة النحل؛ لأن اليعسوب أميرها وكبيرها فهي تتبعه أينما طار، والجمع إشارة لكثرة الكنوز.

وتبلغ الفتنة به أن يدعو شابًا قويًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه نصفين، ثم يناديه فيقبل عليه متهلل الوجه ضاحكًا.

ثم يبعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق لابسا ثوبين مصبوغين بورس - وهو (صبغة متخذة من نبت أصفر يكون باليمن) - وزعفران متكئا على أجنحة ملكين، يتحدر منه الماء صافيا كاللؤلؤ، كأنه خارج من حمام فلا يصيب كافرا ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي عند مدبصره، ثم يدرك الدجال عند باب لُد بالقرب من بيت المقدس فيقتله.

قال ﷺ في وصف المسيح حين نزوله: «إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جُمانٌ كاللؤلؤ».

والعبارتان كناية عن نضارة الوجه وحيويته، فكأنه يقطر ماء.

(وَجُمان) استعارة تصريحية، شبه القطرات التي تنزل منه بالفضة في نقائها، و(جُمان كاللؤلؤ) تشبيه، شبه الفضة باللؤلؤ في صفائه وحسنه.

ويأتي عيسى عليه السلام قومٌ مؤمنون عصمهم الله من الدجال، وقد أخذ منهم الفرع كل مأخذ، فيمسح على وجوههم مباركًا ومطمئنا، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة.

قال ﷺ: «ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم».

وقوله: «فيمسح عن وجوههم» كناية عن المبالغة في الإكرام، وإزالة آثار الكآبة عن وجوههم.

وبينما هو كذلك أوحى الله إليه أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فتحصن بعبادي إلى جبل الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج، فانطلقوا من كل حذب وصوب يكتسحون الأرض، ويدمرون الأخضر واليابس، فتمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، وتمرُّ أواخرهم عليها فيقولون: لقد كان بهذه البحيرة يومًا ماء.

وقوله: «لا يدان لأحد بقتالهم» أي: (لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم، وإنما عبر عن الطاقة باليد؛ لأن المباشرة والمدافعة إنما تكون باليد، وثني مبالغة، كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه)^(١).

ويحاصر يأجوج ومأجوج عيسى وأصحابه حتى يكاد ينفذ زادهم، قال ﷺ: «ويُحصِرُ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار».

والعبارة الأخيرة كناية عن شدة المحاصرة والتضييق، واختار رأس الثور لشدة رخصه في تلك الديار.

فيلجأ عيسى وأصحابه إلى الله، فيدعون، فيرسل الله على يأجوج ومأجوج دودًا يصيب أنوفهم فيقضي عليهم، فتمتلئ الأرض بجثثهم حتى لا يبقى موضع شبر خاليًا منهم، قال ﷺ: «فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون قرسى كموت نفس واحدة»

وقوله: «قرسى» يعني: هلكى، وهو جمع فريس، كقتيل وقتلى، (وقد نبه بالكلمتين، أعني: النغف، وقرسى على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة

بأهون شيء، وهو النغف، فيَقْرِسُهم فَرَسَ السبع فريسته بعد أن طارت نفرة البغي في رؤوسهم^(١).

وتزكم رائحتهم الكريهة أنوف المؤمنين، فيضرع عيسى مرة أخرى إلى ربه، فيرسل الله طيرًا عظيمة كأعناق الإبل، فتحملهم فطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا يغسل الأرض كلها حتى تصير كالمرآة الصافية.

ثم يأمر الله الأرض أن تخرج ثمرها، وأن تردَّ بركتها، فتأكل الجماعة الكثيرة من الناس الرمان الواحدة، ويستظلون بمقعر قشرها، ويبارك الله في اللبن حتى يكفي لبن الناقة القرية العهد بالولادة العُصبة من الناس، ولبن البقرة القبيلة من الناس، ولبن الغنمة العشيرة من الناس.

ويعيش الناس على ذلك زمانًا، حتى تأتي ريح طيبة، فتأخذ المؤمنين من تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم.

قال رسول الله ﷺ يصف ذلك: «فيئنا هم كذلك، إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم».

ووصف الريح بالطيبة لأنها تختص بقبض أرواح المؤمنين، وقال: «تأخذهم تحت آباطهم» كناية عن الترفق بهم، وعدم التعسير عليهم في النزاع.

وقوله: «روح كل مسلم وكل مؤمن» أراد بذكر المسلم والمؤمن التعميم.

ولا يبقى في الأرض بعد ذلك إلا شرار الخلق «يتهارجون تهارج الحمرا» أي يجامع الرجال منهم النساء بحضرة الناس كما تفعل الحُمُر.

ففي العبارة تشبيه بليغ شبه فيه استباحة الغواة المفسدين لكل مُحَرَّم، وانعدام حيائهم، ومجاهرتهم بالمعصية - بفعل الحُمُر تنزو ذكرانها على إناثها في الطرقات، بلا تحفظ، ولا خجل.

وليس ثمة أبشع من هذه الصورة أثرًا في التنفير من سلوك الكافرين،
والتحقير من شأنهم.

قال رسول الله ﷺ: «فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».



الخاتمة

هكذا وصلت هذه الرحلة الطويلة المباركة في حديث رسول الله ﷺ عن نفسه في الكتب الستة إلى نهايتها، ويمكنني بعد الاستعراض التفصيلي السابق لأحاديث الأبواب الثلاثة أن أخلص فيما يلي أبرز السمات التي تميز بها حديث رسول الله عن نفسه:

أولاً: الأفكار والمضامين:

اتسمت الأفكار في حديث الرسول ﷺ عن نفسه بما يلي:

١ - سمو الفكرة، وجلال الهدف، وليس ثمة أعظم قيمة من الدعوة إلى توحيد الله، ونبذ الشرك، والتخلي عن دعوى الجاهلية، والتحلي بمكارم الأخلاق.

٢ - السلاسة في الانتقال من فكرة جزئية إلى أخرى في الحديث الواحد، فالأفكار تتعاضد وتتكامل، وتتمثل فيها الوحدة العضوية بأتم معانيها.

٣ - الوضوح الشديد، والقصد إلى الفكرة من أقرب طريق، فلا مجال في الدعوة إلى الله لغموض الفكرة أو تعقيدها.

٤ - التمهيد لطرح الفكرة باستخدام الحوار، والأسئلة، والأمثلة، والتعقيب عليها بذكر الأدلة النقلية والعقلية.

٥ - تكشف المعاني في العبارة الأخيرة من الحديث؛ لأنها آخر ما يطرق ذهن المتلقي، وفيها غاية الحديث وهدفه، وعصارة فكرته.

٦ - المرواحة بين الإيجاز والمساواة والإطناب، بحسب ما يقتضي المقام، وأحوال السامعين.

٧ - الروح التي تسري في هذه النصوص الحديثية هي روح التواضع الشديد، واللين والسماحة، وتوطئة الأكتاف للمؤمنين، رغم أنها حديث عن النفس، غير أنها ليست نفساً كسائر النفوس، إنما هي نفس صنعها الله على عينه، واصطفاها لرسالته.

ولا يناقض ذلك التواضع ما ذكره النبي ﷺ عن نفسه من مثل كونه ﷺ سيد ولد آدم، اصطفاه الله من خير سلالات البشر، وأنه خاتم النبيين، وصاحب الشفاعة الكبرى، وأقرب الخلق إلى الله جلَّ وعَلا في الدنيا والآخرة، فتلك كمالات النبوة التي لا بد أن يَتَسَنَّمَهَا، ومنازل الأصفياء التي هو أجدر بها.

ثانياً: النسق الوجداني:

كانت أحاسيس النبي في أحاديثه عن نفسه دائماً صادقة متسقة مع أفكاره، كاشفة عن خبايا نفسه، منسجمة مع الجو العام للحديث، ومع الصور والأخيلة، متنوعة تنوع أحوال النفس، إنسانية الطابع برغم أنها تصدر عن نبي مرسل:

١ - فقد تفاوتت نبرة الأحاديث في الفصل الأول من الباب الأول بين القلق والتردد في أحاديث الوحي، والحسم والوضوح في أحاديث الإنذار، والهدوء والثبات والاطمئنان في أحاديث الأذى والهجرة.

٢ - وعلى حين تفجرت أحاديث المسجد في المدينة بالثقة والحماسة، اتسمت أحاديث حب المدينة بالسمو والتوحد النفسي، وجاءت أحاديث الغزوات متوزعة بين الإحساس بالانتشاء، والشعور بالألم، وحسم المنتصر، وهدوء القائد.

٣ - وأنت النبرة العامة في أحاديث الرفيق الأعلى معبرة عن الاستسلام والرضا، والإحساس بالمسؤولية، واختيار الأسمى والأبقى.

٤ - وتميزت أحاديث الرسل والأنبياء بإحساس النبي ﷺ بأنه واحد من أسرة كبيرة متعاضدة متكاملة، وكانت أكثر اللقاءات حرارة هي تلك التي جمعته ﷺ برسول السماء إلى الأرض جبريل عليه السلام، وهي التي صورت علاقة فريدة بين طبيعتين مختلفتين من خلق الله.

وفي حديثه ﷺ عن إخوانه من الأنبياء تحس بتلك الحميمة والرحم العظيمة التي تربط النبي ﷺ بهم جميعاً، ولا سيما جده إبراهيم عليه السلام.

٥ - وفي الحديث عن الأولاد والأحفاد، وعند وقفته على قبر أمه، تدفقت أحاسيس الرحمة والشفقة من قلب النبي الإنسان، وتبدت رفته، ومشاعره المرهفة، ودموعه القريية.

ونسجت أحاديث النبي مع أزواجه نظماً فريداً راقياً لكل ما يمس علاقة الرجل بزوجه أو بأزواجه: عشرة رفيقة، وحب دافئ، وحنان ورقة، وتواضع عظيم، مع رجولة ضافية، وحزم ماض، وعدل صارم.

٦ - أما النبي مع أصحابه، فقد كان المعلم الرفيق، والناصح الشفيق، أحب أصحابه، وأحبه أصحابه كما لم يحب أحدٌ أحداً، وتفاؤوا في الاقتداء به، والتأسي بسيرته، والتمسك بسنته.

٧ - وفي أحاديث الشرائع تبدت منظومة من الأخلاق السامية، والصفات المثالية توجت رأس هذا النبي العظيم، فجعلته قمة لا تطل، مع أنه أسوة تقتدى، وكانت تلك غاية الإعجاز، فلو أنه ﷺ لم يكن بشراً؛ لما كان ليتحقق هذه المثل الأخلاقية العليا في شخصه معنى ولا قيمة، ولما ابتلي الناس في الإيمان به، ولما جاز أن يكون أسوة للبشر أجمعين.

٨ - ولم تزد الخصوصيات التي منحه إياها ربه إلا تواضعاً ورحمة، وجباً للناس، وإشفاقاً عليهم، ورغبة في استفادهم من النار.

لقد ظل هذا القلب النبوي الكريم الذي رُكِّي وطُهر، ومُلئ حكمة وإيماناً

طيلة حياته، يحمل هموم أمته، ويرجو لهم رحمة ربه، ويختبئ لهم يوم القيامة شفاعته.

٩ - أما أحاديث النبوءات فيشيع فيها إحساس بالخوف على مستقبل هذه الأمة، والحذر مما ستبلى به قبل قيام الساعة، والأمل في نجاتها، وحسن خاتمتها.

ثالثاً: التراكيب والجمال:

تتنوع التراكيب والجمال في الأحاديث في فصول البحث ما بين القصر والطول، والذكر والحذف، والخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، واستخدام الجمل الفعلية أو الاسمية المؤكدة وغير المؤكدة:

١ - فقد استخدمت أساليب القصر المؤكدة في أحاديث الرسول عن نفسه في الباب الأول بكثرة، وتعددت طرقها ما بين (إنما)، إلى النفي والاستثناء، إلى ضمير الفصل، إلى تقديم شبه الجملة: الجار والمجرور أو الظرف.

ومن ذلك قوله: «إنما كان الذي أوتيته وحياً»، وقوله: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة»، وقوله: «وأنا عليكم شهيد»، وقوله: «بل أنا وأرأساه».

وتقدّم شبه الجملة في كثير من التراكيب على المبتدأ، أو اسم إن وأخواتها، أو كان وأخواتها، أو غير ذلك للدلالة على التأكيد والتخصيص.

مثل قوله ﷺ: «أنا من أجلك ذبحناها»، «إني بين أيديكم فرط»، «ليس على أهلك كرب».

وتتميز التراكيب في الفترة المكية في الأغلب بلون من القصر النسبي مقارنة بالفترة المدنية، وتأتي الجمل مركزة سريعة الوقع شديدة البهر، ولا

تميل إلى الترسل إلا في أحوال قليلة، ويغلب استخدام الجمل الفعلية، إذ المجال مجال سرد لوقائع وأحداث متصلة بالوحي والنبوة.

ولذا يقل استخدام الجملة الإسمية إذ لا نكاد نحصي منها في خمسة عشر حديثاً إلا نحواً من عشرين جملة، بينما بلغت الجمل الفعلية ما يزيد على مائة وأربعين جملة، أي بنسبة (١) إسمية: (٧) فعلية تقريباً، وهذا يؤشر إلى أن سرد الوقائع والأحداث تناسبه الجملة الفعلية.

وفي ذات السياق تقل الجمل الإنشائية مقارنة بالخبرية، إذ تبلغ الإنشائية نحواً من ثلاثين جملة من إجمالي حوالي مائة وستين جملة، تتنوع بين الاستفهام والأمر والنهي والتمني.

أما في أحاديث المدينة، فنلاحظ أن الجمل والتراكيب بدأت تطول وتميل إلى الترسل والإطناب، وأصبح نصيب الجملة الإسمية أوفر منه في المرحلة المكية إذ أحصيت نحواً من خمسين جملة إسمية مقابل حوالي مائة وخمسين جملة في تسعة وعشرين حديثاً أي أن النسبة صارت (١) إسمية إلى (٣) فعلية تقريباً، وهو ما انعكس أيضاً على عدد الجمل الإنشائية إذ بلغ أكثر من ستين جملة من إجمالي حوالي مائتي جملة أغلبها استفهام وأمر.

وفي أحاديث الوفاة يستمر الترسل في الجمل والتراكيب، ويزداد نصيب الجملة الإسمية فتبلغ نحواً من ثلاث وأربعين جملة، كثير منها مؤكد بأن، مقابل حوالي تسع وتسعين جملة فعلية، أي أن النسبة راحت تقترب من (١) إسمية إلى (٢) فعلية، وذلك يشير إلى أن المجال لم يعد مجال سرد، وإنما صار مجال عرض لقضايا، وتصوير لأحاسيس، ومن إجمالي ما يناهز مائة وأربعين جملة زاد عدد الجمل الإنشائية عن أربعين جملة متنوعة بين الاستفهام والأمر والنهي والتمني، وهذا يؤكد بروز الجوانب الوجدانية بصررة واضحة في هذا الفصل.

٢- وفي الباب الثاني تنساب الجمل والتراكيب هادئة متأنية يسلم بعضها إلى بعض كالبناء المحكم، ويستخدم المصدر المؤول لمزيد من التوكيد: «أن تؤمن - أن تعبد - أن أمر».

والتقديم والتأخير للاختصاص وبيان أولوية المتقدم، كقوله ﷺ: «هي - لي - حلال»، «ليس - بك - على أهلك هوان»، «لا تعرضن - عليَّ - بناتكن». كما تتعدد صور الحذف:

فتحذف جملة أو أكثر كقوله ﷺ: «فزل جبريل ... ففرج صدري» أي: فزل جبريل، فحياني، ثم أضجعني، ففرج صدري. وقوله: «حتى أكون أحب إليك من نفسك»، أي لا يكتمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك.

وقوله: «الآن يا عمر» أي: الآن كمل إيمانك يا عمر.

وقوله: «فقيل: هذا موسى» أي: فسألت: من هذا؟ فقيل: ...

وقد تحذف كلمة واحدة كقوله ﷺ: «أتقاهم» أي: هو أتقاهم. وقوله ﷺ: «عائشة» أي: هي عائشة، وقوله: «أبوها» أي: هو أبوها.

والغالب على الجمل في الحديث عن الرسل والأنبياء في الفصل الأول هو الخبر لا الإنشاء، وإن لم تخل الأحاديث من بعض الجمل الإنشائية، كقوله ﷺ: «هلاً وضعت»، «ردوا عليَّ»، «متى دخل هذا الكلب؟»، «أكان فيمن صعق؟»، «فراجع ربك».

بينما تكثر الأساليب الإنشائية في الحديث عن أهل البيت في الفصل الثاني مقارنة بالخبرية لغلبة الجانب الوجداني على غيره في علاقة الرسول مع أولاده وأزواجه وأرحامه.

ومن هذه الأساليب النداء كقوله: «يا إبراهيم»، «أيها الناس»، «يا عباس،

يا عماء»، «يا بنية».

والاستفهام كقوله: «ألا أعلمكما؟»، «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»، «ألا أعطيك؟»، «فرس له جناحان؟»، «ألا تحبين ما أحب؟»، «مالك يا عائش؟».

والأمر، كقوله: «اغسلنها ثلاثاً»، «واجعلن في الآخرة كافوراً»، «اسقني، اسقني».

والنهي، كقوله: «لا تؤذيني في عائشة»، «لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن».

ووردت بعض الأساليب الخبرية الإنشائية المعنى، كقوله: «أحب الله من أحب حسينا».

وفي أحاديث الأصحاب في الفصل الثالث كثرت الأساليب الإنشائية وتعددت أنواعها، وإن طغى فيها الأمر والنهي على غيرهما؛ لأن الرسول يخاطب أصحابه، والغالب أنه يوجههم فيأمرهم وينهاهم، ومن ذلك قوله: «أشبروا علي أيها الناس»، «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، «لا تعطه يا خالد»، «فلا تشهدني إذا».

وورد أكثر الاستفهام بمعنى الإنكار أو الأمر أو الحث، كقوله: «أرغب عن ستي؟»، «هل أنتم تاركون لي أمرائي؟»، «ألا تريحن من ذي الخلصة؟».

٣ - وفي الباب الثالث استخدمت المصادر المؤولة، وأساليب القصر لمزيد من التوكيد.

وتعددت المحسنات العفوية كالطباق والمقابلة والجناس؛ لتكسو النصوص بإيقاعٍ مُبهر.

واستخدم الحذف للإيجاز، وللتأكيد على المذكور:

فحذفت جملة كاملة كقوله: «لا عدوى» أي: لا تقع عدوى بطبعها، وقوله: «بل أدعو» أي: لا أسعّر بل أدعو.

وقوله لهرقل: «أسلم تسلم» أي: أسلم الله، وآمن به وبرسوله، تسلم من الأذى في الدنيا والآخرة.

وقوله لرسولي كسرى: «ما تقولان أنتما؟» أي: ما تقولان أنتما فيما يدعيه مسيلمة.

وحذفت كلمة، كقوله: «إني ومعاذًا حول هاتين» حيث حذف خبر إن.

وقوله: «رحمة»، حيث حذف المبتدأ.

وقوله: «كلمة طيبة»، وحذف فيها المبتدأ أيضًا.

وطغت الأساليب الإنشائية على الخبرية في أحاديث الأخلاق النبوية في الفصل الأول بوضوح، وحملت طابعًا تعليميًا ينسجم مع مهمة الرسول ﷺ في توجيه أصحابه من خلال حوار يبدأ غالبًا بالاستفهام الممهد المشوق مثل: «كيف تصنع يا ابن أخي؟» و«أيكم مثلي؟»، و«يطيق ذلك أحد؟»، «ألا تعجب من حب مغيث بريرة؟»، «أما بلغكم أنني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها؟»، «وما لكم لا ترمون؟»، «ومن يطع الله إذا عصيت؟».

أو بالأمر الحاث كقوله: «استنصت الناس»، «كلوا وادخروا وتصدقوا»، «أبلي وأخلقني»، «سددوا وقاربوا»، «اكتبوا لأبي شاة»، «أفشوا السلام بينكم»، «سلوا الله لي الوسيلة»... إلخ.

أو بالنهي الحازم، كقوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا»، «لا تبكوا على أخي»، «لا تقل عليك السلام»، «لا تطروني».

واستخدمت الأساليب الخبرية الإنشائية المعنى، كقوله ﷺ: «لا صام ولا أفطر»، «نضر الله امرأ»، «يرحمه الله».

وفي أحاديث الخصوصيات في الفصل الثاني تراجع استخدام الأساليب الإنشائية مقارنة بالفصل الأول، وكان أغلبها استفهاميًا، كقوله: «ومن يأبى؟»، «من يردهم عنا وله الجنة؟»، «أنى أراه؟»، «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟»، «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة؟».

وفي أحاديث النبوءات في الفصل الثالث يضحى نصيب الأساليب الإنشائية أدنى من سابقه بكثير، ونرصد من أمثلتها القليلة: «فليلزم الجماعة»، «هل عسى رجل؟».

لقد توارى الإنشاء إلى حين؛ ليفسح المجال للإخبار عن أحداث المستقبل، وأشرط الساعة.

رابعاً: المعجم:

لا يماري أحد في أن أسلوب النبي ﷺ كان نسيجاً وحده، فقد وصف الله جَلَّوَعْلَا كلامه فقال: ﴿وَمَا يَطْلُقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ﴾ (٢) «إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم: ١-٣)، ولذا نجد أن كل كلمة في حديث النبي ﷺ جاءت في موضعها المناسب دون زيادة أو نقصان، مؤلفة مع جاراتها دون تنافر، منسجمة في سياقها دون تعسف، فليس تَمَّت كلمة قلقاً أو مستكرهة أو متكلفة أو زائدة.

وهذا الائتلاف الداخلي الناشئ عن العبقرية النبوية في انتقاء الكلمات هو الذي جعل لحديث النبي ﷺ إيقاعاً متميزاً، ومذاقاً متفرداً، لا يوجد في كلام أحد من البشر سواه، ولذلك يستطيع القارئ بقليل من الدربة أن يميز حديث رسول الله ﷺ من كلام غيره.

١ - إن كلمات النبي ﷺ عبرت بوضوح عن مدلولات الأحاديث، والأجواء النفسية التي تنضح بها، فحين كان النبي ﷺ مضطرباً قلقاً في فترة نزول الوحي رأينا كلمات فرعة قلقاً حزينة مثل: «أخذني - غطني - زلزلوني - خشيت -

مخرجي - صلصلة - أشده - فيفصم - فجثت - رعباً - لقيت .

وحين استعذب النبي الوحي، وتمنى ألا ينقطع صارت الكلمات سلسلة سهلة لينة: «أوتيته - أَعْطِي - يتمثل - فأعني - أقراني - فلم أزل - أستزيده - فراجعته - فيزيدني - تزورنا - أكثر - أرسلني» .

وإذا أعلن دعوته، وأنذر أهله، تعالى وقع الكلمات، وازدادت جهارتها: «أرايتكم - أخبرتكم - خيلاً - تغير - نذير - عذاب - شديد - يا صباحاه - العدو - يربأ - اشترؤا - أغني» .

فإذا كان الكلام في حبّ المدينة رقت الكلمات وعذبت: «حَبَّبَ - كحبنا - صححها - بارك - دعوت - يحبنا - نحبه - مدينتنا - أقدم - البركة - بركتين - ملكان - تقدموا» .

وحين يتحدث عن القتال في بدر وأحد يتعالى وقع الكلمات مرة أخرى، وتشد نبرتها: «ارجع - انطلق - السيف - بأسمع - التني - تبرحوا - هزمتنا - أوطأناهم - تجد - العافية - يحشر» .. إلخ .

وفي سياق أحاديث الوفاة تصير الكلمات أسيفة حزينة: «فَرَطَ - خير - زهرة الدنيا - أجلي - لحاقاً - أهل الجنة - ألم - أبهري - انقطاع - السم - مسمومة - قطعت - أوعك - أذى - تحط - تلدونني - هريقوا - دعوني - كرب - الرفيق - الحقني» .

٢ - وفي الكلام عن الرسل والأنبياء يحتشد المعجم اللغوي للنبي ﷺ بالكلمات الدالة على الإجلال والتقدير، مثل: «منهبطاً - ساداً - عظم - ليعلم - فأمني - فأمربي - طويل - طولا - يرحم - ياوي - خليل - تخيرونني - باطش - استثنى - فراجع - قائم - أولئ - علات - أخي - كأحسن - جُؤار - يلبني» .

ويتفطر قلب رسول الله ﷺ حزناً على ولده إبراهيم فتأتي كلماته حزينة مؤثرة: «تدمع - يحزن - لمحزونون - بفراقك - ابني - مات» .

وحين يتحدث ﷺ عن ابنته فاطمة تذوب الكلمات رقة إذا ذكر مكانتها منه: «بضعة - مني - أتخوف - يريني - أهلي».

وتزداد حدة حين يظن أن أذى سيمسها: «أغضبها - أغضبني - تفتن - عدو الله - يؤذيني - آذاها».

وتتحدّر الكلمات المرفهة لتعبر عن مشاعر الجد الحانية، وهو يتكلم عن حفيديه الحسن والحسين: «ابني - سيد - يصلح - أُجِبْ - فَأَجِبْ - مني - أَحَبَّ - سبط - ربحائناي - أحبني - لكع - يحبه».

ويبدو حبه وتقديره لابن عمه عليّ واضحاً في كلماته عنه: «ترضى - بمنزلة - هارون - مني - منك - أهل - بيتي - يحب - يحبه - أهلي - عني - مولاه».

أما عمه العباس، فالكلمات تعبر بوضوح عن احترامه له وتقديره لمكانته: «اسقني - عليّ - صنو - أبيه - عماه - أعطيك - أمنحك - أحبك - غفر».

وفي حديثه عن زوجاته تتدفق أحاسيس الزوج المحب الرفيق: «كانت - وكانت - ولد - رزقت - حبها - سرقة - حرير - راضية - غضبي - ثوب - نحبين - أحب - مالك - عائش - تستوحشي - أهلك - هوان - أسر عكن - أطولكن - أودي - أنحبن».

وفي حديث النبي عن أصحابه يبدو المعجم اللغوي فيما يخص أصحابه المقربين كأبي بكر وعمر وعثمان والزيبر وسعد مشحوناً بكلمات الإعزاز والثناء: «كافيناه - يدا - يكافئه - نفعني - خليلاً - بغفر - صدق - واساني - بنفسه - صاحبي - فاقندوا - بعدي - محدثون - عبقرياً - يفري - فريته - فضلي - إيهأ - أَحَبَّ - رجل - حيي - استحي - تستحي - الملائكة - نبي - صديق - شهيدان - حوارياً - حوارياً - فذاك - أبي - وأمي - صالحاً - بحر سني - ترفعها - يرفعك - بتنفع».

وتعلو نبرة الناصح المشفق في حديثه مع عموم أصحابه: «أهلك - أتلغك

- قبلكم - أرجئ - أبشر - بقضائك - فاقبضهن - واقض - تريحني - أشتهي -
نستمع - أنهاك - أرغب - أنعلم - يدريك - أقرئك - أعبدوا - أرزقه - وبارك -
أوصيك - لا تدعنَّ - يكفل - أتكفل .

٣ - وفي أحاديث أخلاق الرسول تتحدر الكلمات كالجمان واشية بنبل
أخلاقه ﷺ ورحمته بأمته وتواضعه، وطاعته لله وإخباته له: «بكاء - الصبي -
فأتجوز - ابن أخي - خشيت - لأرجو - طوّقت - ذروني - تركتكم - الضعفاء -
فالنساء - آخذ - بحجزكم - أولى - أمني - أختي - رحمة - أشفع - استأيت -
خيركم - أرضيتم - سلام - رحم - أبلها - الوالد - بشر - أذكرني - أنسيتها - أرقد -
- يتغمدني - أعذتك - يأمني - لأستغفر - أنوب - أخشاكم - أتقى - أغفر .

وفي الفصل الذي يتناول خصوصيات النبي ﷺ تنبي الكلمات بعنوان كل
خصيصة من خصوصياته فكلمات، مثل: «يؤمن - أب - أطاعني - عصاني -
نهيتكم - أمرتكم - أبياعكم» تدل على أن الحديث عن وجوب محبته وطاعته .
وكلمات مثل: «نور - أراه - أناني - ربي - صورة» تأتي في سياق الحديث
عن رؤيته ﷺ ربّه .

وإذا كانت الكلمات مثل: «نأكل - الصدقة - لأكلها - أخشى - فآلقها -
الصدقات - أوساخ - تحل - هدية» فالحديث عن جواز أكله ﷺ من الهدية،
وحرمة الصدقة ... وهكذا .

وفي الفصل الثالث: من نبوءات الرسول، يتكرر استخدام مادة (رأى)
بمشتقاتها: «رأيت - رأيت - رؤياي - أرى - ترون» ست عشرة مرة؛ لأن كثيراً
من النبوءات كانت رؤى عرضت لرسول الله ﷺ في منامه .

وتكررت كلمة (بعد) مضافة إلى ضمائر مختلفة ثلاث عشرة مرة، كما
استخدمت السين واللام في أول المضارع بكثرة: «سيكون - ستكون - ستهب -
فسيرى - سيصيحكم - ليشربن - ليكونن - ليهلن» لتعلق النبوءات بالمستقبل

القريب والبعيد.

خامساً: التصوير:

تميّزت صور النبي ﷺ بالجدة والطرافة والتنوع، مع البساطة والوضوح، والصدق والاتساق النفسي، وعدم التناقض بين أطرافها، وبلوغ الغاية في تجسيد الفكرة.

وتأثرت كثيرٌ من عناصرها بالقرآن الكريم، واعتمدت في مجملها على الاستقاء من البيئة العربية المحيطة؛ لأن هدفها لم يكن مجرد الإبهار، وإنما الوصول إلى عقل المتلقي وقلبه.

١ - ففي الباب الأول اشتملت أحاديث النبي ﷺ عن نفسه على بعض الصور الواقعية المليئة بالحياة والحركة، ومنها على سبيل المثال ذلك المشهد الذي صور ظهور الملك في السماء جالساً على كرسي، «فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً...» ومشهد فرع النبي ﷺ ورجوعه إلى بيته مرتجفاً يقول لأهله: «زملوني زملوني».

ومن ذلك أيضاً ما حكاه النبي ﷺ عما حدث له في الطائف حين عرض نفسه على سادة ثقيف فلم يجيبوه إلى ما أراد، «لقد لقيت من قومك ما لقيت...» فانطلق هائماً على وجهه، حتى وصل قرن الثعالب، فجاءه جبريل، ومعه ملك الجبال يخبره في أمر قومه.

واستعملت أغلب أنواع التصوير البياني بمعناه البلاغي التقليدي:

فمن التشبيه التمثيلي قوله ﷺ: «هي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»، وقوله: «كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها».

ومن الاستعارة المكنية قوله: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، وقوله: «قرية تأكل القرى».

ومن التصريحية قوله ﷺ: «وجدناه بحرًا».

ومن الكناية قوله: «إن رأيتونا تخطفنا الطير»، وقوله: «أوطأناهم»، وقوله: «وجدت انقطاع أبهري».

ومن المجاز المرسل كلمة «خيلاً» في قوله: «لو أخبركم أن خيلاً بالوادي». والطعام في قوله: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير». والملاحظ أن هذه الصور كلها جاءت طبيعية في سياقها، ولم تكن متكلفة، ولا متعسفة، ولذلك كانت صوراً مثالية متكاملة.

٢ - ولم تخل أحاديث النبي ﷺ في الباب الثاني بفصوله الثلاثة من صور واقعية مؤثرة، منها: صورة موسى ويونس وهما يلبيان. وصورة اللقاء الحار بين النبي الجد والحفيد الصغير وكل منهما يلتزم الآخر ويقبله، وصورة بلال وهو يسير في الجنة، فتكسر الأغصان والأوراق تحت قدميه، فيسمع لصوت نعليه خشخشة.

واستعمل التشبيه أيضاً كقوله ﷺ: «معادن العرب - الأنبياء أولاد علات - كأنها عنب طافية - هماريحانائي».

ومن التشبيه التمثيلي ذلك الوصف الرائع لحلقة الأنبياء المتتالية المتكاملة وخاتمها محمد ﷺ، حيث شبه ذلك ببيت جميل حسن البناء لا تنقصه إلا لبنة واحدة، والناس يعجبون لجماله، ويتمنون أن لو وضعت هذه اللبنة في مكانها؛ ليكتمل بهاؤه ورونقه.

ومنه قول النبي ﷺ للسيدة عائشة: «وكنت لك كأبي زرع لأم زرع».

ومن الاستعارات التمثيلية ما جاء في تشبيهه ﷺ لخلافة أبي بكر برجل يسقي الناس بذنوب وفي نزع ضعف، ولخلافة عمر برجل يسقي الناس بدلو عظيمة حتى ارتوى الناس وضربوا بعطن.

ومن الاستعارة المكنية قوله ﷺ: «أربع كلمات لو وزنت».

ومن التصريحية قوله: «لقد أوتيت مزمارًا».

ومن المجاز المرسل: (الثدي)، في قوله: «مات في الثدي»، و(يدًا) في قوله: «أطولكن يدًا».

ومن الكنايات قوله: «لا أكاد أرى رأسه»، و«فاطمة بضعة مني»، و«لو مزجت بماء البحر لمزجته»، و«أما صاحبكم فقد غامر»، و«لم أر عبقريًا يفري فريته»... إلخ.

٣ - ويحتشد الباب الثالث بكم هائل من الصور البيانية، ولا سيما في الفصلين الأول والثالث.

وتأتي الكناية في الفصل الأول في المقام الأول، ربما لأن رسول الله ﷺ كان يفضل أن يسلك في تعليم أصحابه وتوجيههم إلى مكارم الأخلاق أسلوبًا غير مباشر بالتكنية اللطيفة، كقوله: «يطعمني ربي ويسقيني»، «ذاك صوم داود عليه السلام»، «أخذ بحجزكم عن النار»، «اليوم يرغب إلي الخلق»، «ثم أغزو فأقتل»، «عضوا عليه بالنواجذ»، «قد أعذتك مني»، «هممت أن أبث رجلاً»، «إسباغ الوضوء على المكاره»، «كثرة الخطا إلى المساجد»، «انتظار الصلاة بعد الصلاة»، «يفشاها أصحابي»، «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار».

ووردت عدة تشبيهات تمثيلية تظهر فيها الجدة والطرافة والابتكار، كقوله في تشبيه نفسه: «مثلي ومثل ما بعثني به الله كمثل رجل أتى قومًا»، وكقوله: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا»، وقوله: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا».

ومن التشبيه العادي: «تقضمها كما يقضم الفحل»، «الأنصار شعار»، «الناس دنار».

أما الاستعارة فكانت أمثلتها قليلة للغاية، كقوله ﷺ: «أخيس بالعهد، عطاء أوسع من الصبر»، «رحم أبليها بيلالها».

ولم يخُلُ الفصل من صور واقعية بديعة كصورة النبي ﷺ وهو يصلي، فيسمع بكاء صبي هلعًا على أمه، فيسرع في صلاته إشفاقًا عليها وعليه، وكصورة الشهيد حين يأتي يوم القيامة بجرحه كهيشته حين كُلم، 'نونه لون دم، وريحه ريح مسك، وكصورة مانعي زكاة الماشية يوم القيامة حين تأتي الزكاة التي منعوها، فتدوسهم وتغدو عليهم وتروح.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب تقلُّ صور المجاز، وإن ظَلَّت الكناية مترتبة على العرش منه، ومنها قوله ﷺ: «إلا من أبي»، «أعطيت مفاتيح الأرض»، «لا ينام قلبي»، «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا»، «ومثله معه».

ويظهر التشبيه في أمثلة قليلة، منها قوله ﷺ: «الصدقات إنما هي أوساخ الناس»، «الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف»، «آنيته عدد النجوم»، «موتان كقصاص الغنم».

وتبدو الاستعارة على استحياء في قوله: «حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»، وقوله: «خائنة الأعين».

ويستخدم المجاز المرسل في مثل كلمة «أبي» في قوله: «إلا من أبي»، وكلمة «الأرض» في قوله: «جعلت لي الأرض»، وكلمة «عيني» في قوله: «إن عيني تنامان».

وهكذا يبدو الخيال في هذا الفصل متحيًا جانبًا؛ ويبرز الكلام متوشحًا ثوب الحقيقة في أغلب الأحيان، ربما لأن الحديث عن خصوصيات الرسول ﷺ لا يحتاجه كثيرًا.

أما الفصل الثالث، فتعود أنواع التصوير البياني المختلفة، وفي مقدمتها الكناية، لتصدر مرة أخرى، وتكثر استعانة النبي ﷺ بها، ليعين أمته على

تصور النبوءات الخارقة التي سوف تتحقق في المستقبل القريب والبعيد.

ومن أمثلة التشبيه قوله ﷺ: «ملوكًا على الأسرة»، و«مواقع الفتن كمواقع القطر»، «أثرها مثل أثر الوكت» و«أثرها مثل أثر المجل»، و«رجل كورك على ضلع»، و«كالغيث استدبرته الريح» و«جمان كاللؤلؤ».

ومن التشبيه التمثيلي البديع قوله ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» و«كجمر دحرجته على رجلك فنقط، فتراه منتبهاً».

ومن الاستعارة التمثيلية قوله:

«وَأِنَّ مِمَّا بُنِيتُ الرَّيْعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْحَضَرَاءِ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ حَاصِرَاتُهَا اسْتَقْبَلْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّتُ وَبَالَتُ، وَرَتَعْتُ».

ومن التصريحية قوله: «جُمان» في وصف الماء يتحدر من عيسى عليه السلام.

أما الكناية فهي كثيرة، ومنها: «لو سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا»، و«لا يجاوز حلاقيمهم»، و«عضُّوا عليها بالنواجذ»، «ولو أن تعضُّ بأصل شجرة»، و«يسمونها بغير اسمها»، «وهو منكى على أريكته»، و«إذا قبل انقضت نعادت»، و«أطول ما كانت دُرًّا»، و«أسبغه ضروعًا» و«أمدّه خواصر».

وبعد...

فهكذا بدت لي أحاديث الرسول ﷺ عن نفسه كما رصدتها في كتب الحديث الستة، ولا أظنُّ أنني بلغت بشرحها وتحليلها ما أحبُّ، فإنني كلما أعدت قراءة العمل جريُّ فيه قلبي بالإضافة والحذف والتعديل، ولم أشعر بكامل الرضا عما سطرته، ولكنني تذكرت أخيراً قول العماد الأصفهاني:

(رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة

البشر).

فتوكلت على الله، ودفعت بما كُتِبَ للطبع، وعقلي وقلبي مفتوحان لكل نقد أو تصويب أو توجيه يفضي إلى بلوغ غاية جهد البشر في خدمة حديث رسول الله ﷺ.

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، وانفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.



المصادر والمراجع

- ٢ القرآن الكريم
- ١ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: لابن دقيق العيد، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٢ أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير: لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة، بتحقيق إسماعيل حسن حسين - دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ٣ الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٤ أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، بتحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥ الاستذكار: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق: سالم محمد عطاء، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٦ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي

بتحقيق جعفر الناصري / محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ م.

٧ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٨ أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٩ الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، بتحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت الطبعة: الأولى، - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٠ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأستاذ / مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

١١ أفق الخطاب النقدي للدكتور صبري حافظ. دار شرقيات - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م.

١٢ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، بتحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٣ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين بن هشام الأنصاري، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل -

- بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م
- ١٤ البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، للأستاذ الدكتور/ سيد البحراوي. دار شرقيات - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.
- ١٥ بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي بتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٦ البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، بتحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٧ البيان المحمدي، للأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٨ البيان النبوي، للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي، دار الوفاء، الطبعة الأولى. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٩ ييلوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين في الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي. للدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني. مكتبة الآداب. الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- ٢٠ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، بتحقيق:

- مجموعة من المحققين، دار الهداية ١٩٨٤ م.
- ٢١ تاريخ الخلفاء للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- ٢٢ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥ م.
- ٢٣ التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ م.
- ٢٤ تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٢ هـ.
- ٢٥ تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، للأستاذين / محمد عبد الغني المصري، ومجد محمد الباكر البرازي. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - الأردن - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.
- ٢٦ تحليل النص السردي، للأستاذ / سعيد الوكيل. الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٨ م.
- ٢٧ تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة

الأولى ١٣٧٤هـ

- ٢٨ التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، بتحقيق أبي لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٩ تفسير أسماء الله الحسنی للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ.
- ٣٠ تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للأمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، بتحقيق: الأستاذ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٣١ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، بتحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٣٢ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: لمحمد بن فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبي عبد الله بن أبي نصر، بتحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٣٣ تقريب التهذيب، للأمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- ٣٤ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧ هـ.
- ٣٥ تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، بتحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣٦ تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبي منصور، بتحقيق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.
- ٣٧ التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٣٨ الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، بتحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ٣٩ الجامع في الحديث لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبي محمد المصري، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير، دار ابن الجوزي - السعودية - الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م.
- ٤٠ جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، بتحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

- ٤١ حاشية ابن القيم على سنن أبي داود لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٤٢ حاشية السندي على سنن ابن ماجه، أو كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- ٤٣ حاشية السندي على سنن النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٤٤ حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار لمحمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٨ م.
- ٤٥ الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين. دار اقرأ بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٤٦ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥ هـ.
- ٤٧ الخصائص الكبرى لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٤٨ الخصائص لأبي الفتح بن جني، بتحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المطبوعة عام ١٩٥٢ م.

- ٤٩ خلاصة سير سيد البشر لمحِب الدين أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.
- ٥٠ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٥١ الديباج على مسلم لعبد الرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، بتحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان - الخبر - السعودية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٢ ذخائر العقبي لمحِب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق، بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة، عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزنة التيمورية، عام النشر: ١٣٥٦ هـ.
- ٥٣ الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، مكتبة المورد، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٥٤ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

- ٥٥ زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٦ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي أبي منصور، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى - ١٣٩٩هـ.
- ٥٧ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥٨ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هندأوي، دار القلم - دمشق الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥٩ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - الطبعة الأولى ج ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٦٠ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٦١ السنة لعمر بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٠.

٦٢ سنن ابن ماجة لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.

٦٣ سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٦٤ سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٦٥ سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبطه نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٤ م.

٦٦ السنن الصغرى لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبي بكر، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

- ٦٧ السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦٨ سنن النسائي الصغرى: لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٩ سنن النسائي الكبرى: تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٧٠ سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، - ١٤١٣هـ.
- ٧١ سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٧٢ سيرة ابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١هـ.
- ٧٣ السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠هـ.

- ٧٤ السيرة النبوية لابن كثير (من البداية والنهاية لابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٧٥ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٧٦ شرح أبي داود لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٧٧ شرح البخاري للسفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٧٨ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ.
- ٧٩ شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق بيروت -

الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٠ شرح السيوطي لسنن النسائي للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨١ شرح النووي على صحيح مسلم للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف ابن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٩٢هـ.

٨٢ شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٨٣ شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٨٤ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٥ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٦ صحيح أبي داود لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ٨٧ صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق محب الدين الخطيب، ومراجعة قصي محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- ٨٨ صحيح الترغيب والترهيب للألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ٨٩ صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ٩٠ صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٩١ صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٩٢ صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: لعثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو تقي الدين، المعروف بابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٩٣ ضعيف أبي داود للألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ.

- ٩٤ ضعيف الأدب المفرد للألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٩٥ ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
- ٩٦ ضعيف سنن الترمذي للألباني، طبعه وعلق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، توزيع: المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٩٧ طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
- ٩٨ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية - ١٤١٣هـ.
- ٩٩ طرح الشريب في شرح التقريب، لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.
- ١٠٠ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٠١ عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - ١٩٩٥م.

١٠٢ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي /
د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة وتاريخ.

١٠٣ عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لمحمد بن محمد بن
محمد بن أحمد، بن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبي الفتح،
تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٤ غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد،
تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى
١٣٩٧هـ.

١٠٥ فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي
الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار
المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.

١٠٦ فتح الباري شرح صحيح البخاري لزين الدين عبد الرحمن بن
أحمد بن رجب بن الحسن، السلافي، البغدادي، ثم الدمشقي
الحنبلي، تحقيق دار الحرمين - القاهرة، مكتبة الغرباء الأثرية -
المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠٧ الفصل للوصل المدرج في النقل لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد بن مطر
الزهراني، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٠٨ الفكر البلاغي الحديث، للأستاذ الدكتور / مصطفى الجويني. دار
المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٩م.

- ١٠٩ فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر - الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.
- ١١٠ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة، الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ١١١ كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار النشر: دار الوطن - الرياض - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١١٢ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١١٣ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨ م.
- ١١٤ المتواري علي تراجم أبواب البخاري، لناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المنير الاسكندري، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا - الكويت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١١٥ المجازات النبوية للشريف الرضي تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
- ١١٦ مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت،

بدون تاريخ.

- ١١٧ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي. دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧هـ.
- ١١٨ مختار الصحاح لـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١١٩ مدارس النقد الأدبي الحديث، للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي. الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٢٠ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- ١٢١ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني. دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٢٢ المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٢٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر، دون تاريخ.
- ١٢٤ مسند البزار البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ابن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ

- الرحمن زين الله، (الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل سعد (الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- ١٢٥ المسند الجامع لمحمود محمد خليل - دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ١٢٦ مسند الحميدي لعبد الله أبي بكر بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الداراني، الناشر: دار السقا، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ١٢٧ مسند الشافعي للإمام محمد بن إدريس أبي عبد الله الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ.
- ١٢٨ مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهر، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩ م.
- ١٢٩ مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٩٨٥ م.
- ١٣٠ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، دون تاريخ.
- ١٣١ مصنف ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،

لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ.

١٣٢ معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود لأبي سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

١٣٣ المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥ هـ.

١٣٤ معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م.

١٣٥ المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٣٦ معجم الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٣٧ المعجم الكبير للطبراني تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

١٣٨ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة.

- ١٣٩ المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، استنبول، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م.
- ١٤٠ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٤١ مغني اللبيب عن كتب الأعريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق الطبعة السادسة - ١٩٨٥ م.
- ١٤٢ المقتضى من سيرة المصطفى للحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٤٣ مقدمة في النقد الأدبي، للدكتور علي جواد الطاهر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سبتمبر ١٩٧٩ م.
- ١٤٤ من أسرار البيان القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- ١٤٥ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد الغادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٤٦ المتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن

أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٣٢ هـ - صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).

١٤٧ منهج تحليل النصوص في السيرة النبوية، للأستاذ/ نزار عبد القادر ريان. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني ص ١٤٧ ص ٢٥٦ / ٢٠٠٢ م.

١٤٨ موطأ مالك للإمام مالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

١٤٩ النحو الوافي للدكتور عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، دون تاريخ.

١٥٠ النقد الأدبي أصوله ومناهجه، للأستاذ/ سيد قطب. دار الشروق - الطبعة الثامنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٥١ النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٥٢ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للأمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هندائي، المكتبة التوفيقية - مصر، دون تاريخ.

١٥٣ الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥٤ الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، للأستاذة/ فوزية بنت عبد الله بن سند العصيمي. رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٢٠ هـ.



فهرس الأحاديث والآثار

- أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ٥٨٥
- اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتَ لَا غَمَدُ بِكَ يَدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ ٣٦٧
- أَبْغُونِي الضَّعْفَاءَ ٤١٧
- أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ فَقَدَّرَتْ لَهُ ذَلِكَ ... ٢٤٥
- أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلِمَهُ ٥٣٧
- أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَعْدَمَا دَفِنَ ١٣٢
- أَتَانِي جَبْرِيلُ ﷺ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي ٢٠٠
- أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي ١٠٣
- أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتِيَانِ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا ٢١١
- أَتَانِي اللَّيْلَةُ رَبِّي ﷺ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ٥٨٠
- أَتَانِي نَاسٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ ٤٩٣
- أَتَتْ امْرَأَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ٣١٣
- أَتَمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ٥٩٣
- أَتَيْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٩٠
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا يُقَالُ لَهُ عَكَظٌ ٦٢
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلُوا يَتُونَنَ عَلَيَّ ٤٥٨
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ٦٣٩
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ أَسْتَحْمِلُهُ ٣٨٤
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ نَبَايَعَهُ ٤٦١
- أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بَصِلِي ٤٢٣
- أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةً أُسْرِي بِي ٢١٩
- أَتَيْنَا الْعِزْرَبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ٦٥٣، ٤٢٠

- ٥٧٠ أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ سَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ
 ٤٢١ أَنَبَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَابَ فِيهَا خَمِيصَةً سَوْدَاءَ صَغِيرَةً
 ٤٧١ أَنَبَى النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ
 ٥٨٥ أَنَبَى النَّبِيُّ ﷺ بِلَحْمٍ
 ١٠٥ اثْبَتَ أَحَدٌ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ
 ٥٤ احْتَسَبَ جَبْرِيلُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
 ٥٠١ اخْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ
 ٥٢٣ أُحِيلَتِ الصَّلَاةُ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ
 ٥٤٣ أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا يَسِيرُ
 ٥٨٤ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَعْمَةً
 ٤٦٠ ادْعَ عَلَى دَوْسٍ
 ٦٤٦ إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ
 ٥٢٣ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُولُ
 ٦٨٦ إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ
 ٣٥٧ إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ
 ٦٧٥ إِذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ
 ٢١٢ أَزْهَرَ اللَّوْنُ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقٍ وَلَا أَدَمُ
 ٤٧٢ أَرَانِي أَتَسَوَّكَ بِسَوَالِكٍ
 ٢٣٣ أَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكُعْبَةِ، قَرَأْتُ رَجُلًا أَدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَوْ مِنْ آدَمِ الرَّجَالِ
 ٥٩٣ أَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ
 ٢١٩ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ
 ٥٢٢ أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 ٢٧١ أُرِيكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ
 ٣٩٤ اسْتَأْذَنَ حَسَّانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: كَيْفَ بِنَسْبِي؟
 ٣٢٧ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ

- ٧٩..... اسْتَأَذَنَ النَّبِيُّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَدَى
 ٢١٨..... اسْتَبَّ رَجُلَانِ، رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ
 ٢٥١..... اسْتَقْبَلَ - وَاللَّهِ - الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبِ أَمْثَالِ الْجَبَالِ
 ٢٨٨..... اسر عكن لحاقا بي، أطولكن يدا
 ٨٢..... اشترى أبو بكر من أبي رَحْلًا بثلاثة عشر درهما
 ٣٨٢..... اشكتُ وَعِنْدِي سَبْعُ أَخَوَاتٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَفَتَحَ فِي وَجْهِي
 ١٦٧..... أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
 ٦٥٢..... أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَطَمٍ، مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ
 ٢٥٧..... اغْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ
 ٤١٢..... أَغْنَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَمَاءِ، فَخَرَجَ عَمْرُ
 ٥٥٣..... أَهْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ
 ٦٠١، ١٧..... أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي
 ٦٠٣..... أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن نبي
 ٤٩٣..... أُغِيصَ عَلَيَّ أَبِي مُوسَى وَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ
 ٦٦٤..... افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة
 ٥٣١..... أفررتُم عن رسول الله ﷺ يوم حُنين
 ٣٨٩..... أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ
 ١٥٠..... أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ ثَمَشِي، كَأَنَّ مِنْبَهَا مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ
 ٥٣٠..... أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ
 ٣٥٧..... أَقْرَأَ عَلَيَّ قَالَ: قُلْتُ أَقْرَأْ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ
 ٤٨..... أَقْرَأَنِي جَبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ
 ٤٥٤..... اكسبوا لأبي شاه
 ٦٨٧..... أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَالِ
 ٢٧٣..... أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي؟
 ٥٢٤..... أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَكْفُرُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا

- ٦٣٧ لَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ
 ٥١، ٤٦ لَا تَزُورُونَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُونَا
 ٣٩٣ لَا تُرَبِّحُنِي مِنْ ذِي الْحَلَصَةِ؟
 ٧٥ لَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ
 ٤٧٤ لَا مِنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ
 ٥٢٩ لَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا
 ٦٦٩ لَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يُلْقِيَهُ الْحَدِيثُ عَنِّي
 ٢٧٤ انْتَمَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَدَخَلْتُ يَدِي فِي شَعْرِهِ
 ١٠١ التَّمَسُّ لَنَا غُلَامًا مِنْ غُلَامَانِكُمْ يَخْدُمُنِي
 ٢١١ أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنْظُرُوا إِلَيَّ صَاحِبِكُمْ
 ١٩٩ أَمَّا إِنْ جِبْرِيلُ قَدْ نَزَلَ فَصَلَّى أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 ٢٨٦ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ ﷻ أَنْ يَذْهَبَهَا عَنْكَ
 ٦٦٩ أُمَتِّي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ
 ١٠٣ أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى
 ٢٥٨ أَمَرَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا
 ٣٦٢ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ
 ١٩٩ أَمَنِي جِبْرِيلُ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ
 ٤١٨ أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَبَعَهُ فَلِيَ
 ٢٢٦ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَالَمٍ
 ٢١٣، ١٩٤ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى
 ٢١٣ أَنَا دَعَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةَ عِيسَى
 ٦١٩، ٢٢٠ أَنَا سَبْدٌ وَلَدَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 ٥٣٨ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ
 ٦١٠ إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ تَنَامُ أَعْيُنَا
 ٥٨٣ إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ

- أَنْزَلَ أَوْ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ ٥٠١
- أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ ٤٩٢
- انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ٢٥٨
- إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي ٦٣٩
- إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ ١٦٦
- إِنَّ آلَ أَبِي ٤٩١
- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ ٣٣٩
- أَنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ ٥٤٩
- أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ١٠١
- أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ٣٢٩
- أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ بَايَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ ٣٥٩
- أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ٥٥٦
- أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهُوبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا ٣٩٢
- إِنْ أَوَّلَ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ١٧٨
- إِنْ أَوَّلَ رَجُلٍ سَلَ سَيْفَهُ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ ٣٤٤
- إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ ٦٥٣
- إِنَّ بَنِي هِشَامَ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا ٢٤٤
- أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطْعَامَ صَنْعَتِهِ ٣٦٣
- أَنَّ خُرَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ ٦٠٦
- إِنَّ خِيَاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَطْعَامَ صَنَعَهُ ٥٧٢
- إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ٥٠٤
- أَنَّ الَّذِي رَمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَحَدٍ ٥٧٨
- أَنَّ رَجُلًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدْ افْتَرَوْا فِي الْعَبْرِ ٩١
- أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ٤١٤
- أَنَّ رَجُلًا أَطْلَعَ مِنْ جُحْرِ فِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ ٥٤٩

- أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيهِ ٤١٣
 أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعَّرَ ٤٧٢
 إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ٥٠٣
 أَنَّ رَجُلًا عَصَرَ يَدَ رَجُلٍ ٤٧١
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ ٦٧٧
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْرَدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ٥٧١
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِصَّةٍ ٦٢٤
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَتَى بِدَابَّةٍ ٦١١
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ ٤١٧
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةٍ جَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ٥٠١
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِحِزْبَيْهَا ٦٥٤
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى النَّسَاءِ - تُعْنِي فِي مَرَضِهِ - فَاجْتَمَعْنَ ١٦٦
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إِلَى السَّقَايَةِ، فَاسْتَقَى ٢٦٣
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا ٢٥٧
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ ٤١١
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خُطِبَ أُمُّ هَانِئُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي كَبِرت ٣٠٢
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ٣١٢
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَضْحَايِهِ تَأَخُّرًا ٥٠٠
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلَاةِهِ نَاسٌ ٤١٣
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفَدَّ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ ٤٥٧
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ حَسَنًا ٩٨
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَشْفَارِهِ ٣٢٨
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا ٥٢٤
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِئًا لِلنَّاسِ ١٩٨
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَ أُمُّ سَلَمَةَ أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ٢٨٥

- ٤٥٥ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا
- ٥٠٣ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةَ
- ٢٢٣ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: أَيُّ وَادٍ هَذَا؟
- ٤٩٢ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ
- ٤٩٤ إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ
- ٩٠ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ بِوَيْدِكَ
- ٤٢١ أَنَّ زَوْجَ بَرَبْرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُفَيْثٌ
- ٢٩٨ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ
- ٤٥٦ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ عَنْ بَيْعَةِ النِّسَاءِ
- ١٤٩، ١٦ إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ
- ٤٤٩ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ
- ٣٩٩ أَنَّ عِثْبَانَ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْءًا مِنَ الْأَنْصَارِ
- ٣٢٨ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى حُلَّةَ سَيِّرَاءٍ تُبَاعُ
- ٢٢٨ إِنَّ عِفْرِيئًا مِنَ الْجَنِّ تَقَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ
- ٢٤٥ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شَكَّتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى
- ٣٥١ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ
- ٩٤ إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ
- ٣٤٩ إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا
- ٢١٣ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ
- ٦٢٠ إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِمَاتَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ
- ٣٦١، ٢١٣ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرُئَكَ الْقُرْآنَ
- ٥٣٥ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا
- ٦٨٣ إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا
- ٦٣٠، ٢٢٢ إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ
- ٥٤٤ إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ

- ٦١٥ إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ
 ١٩٣، ١١ إِنَّ مَنَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي
 ٦٢٨ إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
 ٩٠ إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً
 ٥٠٢ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ
 ٥٤٤ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 ٥٣٨ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ مَلِكٌ لَمْ يَأْتِهِ قَبْلَ تِلْكَ الْمَرَّةِ
 ٦٨٠ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ ذَهَبًا بِيَمِينِهِ
 ٤٢٢ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 ٤٧٢ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ أَبَا جَهْمَ بْنَ حُذَيْفَةَ مُصَدِّقًا
 ٣٥٨ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَبَجَاءَهُ
 ٣١١ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَبِيشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَزَّلْتُكَ كَذِبًا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَتَنَّا
 ٤١٨ نَعِيقِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴿
 ٢٩١ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بِكُرَّةٍ، حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ
 ٦٠٥ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ
 ٢٧١ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
 ٢٩٢ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَبَا جَوِيرِيَّةَ
 ٣٤٠ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ
 ٤١١ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ
 ٥٣٦ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَغْلَامٌ
 ٤٠٠ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْرَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 ٤١٦ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ
 ٤٠٤ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ
 ٤٢٢ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُيِّسَ فِي وَجْهِهِ

- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ ٣٨١
 أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ ١١٥
 أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَسَاؤُهُ ٣٠٠
 أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حَزِينِينَ ٢٧٢
 إِنْ يَخْتَلِجُ فِي نَفْسِكَ ٦٢٦
 أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا ١٦١
 إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ ٦٥١
 إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ ٥٠٣
 إِنَّمَا بَعَثْتُ لَأَتِمَّ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ٤٥٩
 إِنَّمَا بَعَثْتُ لَأَتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ٤٥٩
 إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ٤٤٠، ٤١٧
 إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفِهَا ٤٣٠
 إِنَّهَا سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أُمَرَاءُ ٦٦٦
 إِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ إِلَّا مَرْيَمَ ١٥٣
 أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُؤْذَنَ بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ ٥٢٢
 أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُبُولُ ٤٤٩
 أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بِالْمَدِينَةِ جَهْدٌ وَشِدَّةٌ ١٠٢
 أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَيْمُونَةَ، وَهِيَ خَالَتُهُ وَخَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ٣٧١
 أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيْقَبُلُ الصَّائِمُ؟ ٤١٤
 أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ أُخْتَ الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ ٦٨٧
 أَنَّهُ قَالَ فِي شَأْنِ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ٥٢٢
 أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ٥٩٤
 أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ ٣٥١
 أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةَ لَوْضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ٦١١
 أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَغْبَا، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضَرَبَهُ ٣٨٢

- ٥٧٢ أنه لما رجع عروة بن مسعود إلى قريش
- ١٨٣ إِنَّهُ لَمْ يُبْضِ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ
- ٤٤٧ إِنَّهُ لَيُبَايِعُنِي عَلَى قَلْبِي
- ٢٤٤ أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
- ٦٣٢ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ
- ٥٩٥ أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَ الْخندق
- ٣٠٣ إِنِّي أَذْنِبْتُ فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟
- ١٨٥ إِنِّي أُوتِيتُ مِفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ
- ٦٨٧ إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا
- ٣١٣ إِنِّي لَا أَذْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ
- ٥٩٣ إِنِّي لِأَعْرِفَ حَجَرًا بِمَكَّةَ
- ٢٧١ إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي
- ٤١٢ إِنِّي لِأَتُومُّ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ فِيهَا
- ٥٨٤ إِنِّي لِأَتَقَلِّبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً
- ٣٣٠ إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
- ٦٥٤ إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ
- ٦٦٥ أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
- ٦٥٨ أَوْصِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِّشِي وَعَيْتِي
- ٣٦٠ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ عِثْمَانُ بْنُ مَظْمُونٍ
- ٥٨٧ أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً
- ٢٥٢ أَهْلُ الْإِمْرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنِ الدُّبَابِ
- ١٣١ أَهْلَكَ حُبُّ يَهُودٍ
- ٥٤٥ أَيُّ قَوْمٍ، أَسْلَمُوا؛ فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لِيُعْطَى
- ٥٨٣ أَيْكُمْ مَالُ وَارثِهِ
- ٥٥٩ أَيْمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي

- أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ٤١٦
- أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ ٢٥٠
- بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ ٥٧٠
- بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ ٤٥٦
- بِرَكَةِ الطَّعَامِ فِي الْوُضُوءِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ ٤٢٤
- بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ ٥٣٤
- بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْنَةَ عَيْنًا ٣٩٦
- بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ ٢٦٣
- بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذَهَبِيَةٍ ٤٧٠
- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ٣٥٠
- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ٣٧٢
- بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا ٦٣٨
- بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ ٦٢١
- بَعَثَنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤٥٧
- بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ، وَقَالَ لَنَا ٤٤٩
- بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَغْنَمَ عَلَى أَقْدَامِنَا فَرَجَعْنَا ٦٨٢
- بَلَّغَنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْبَيْتِ ٤٠٢
- بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ٦٧٥، ٥٢١، ٥٠٦
- بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ ٣٢٧
- بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ ٣٢٦
- بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ٦٨٩
- بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ ٣٢٧
- بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ٦٢٥
- بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَفْرِسُ ذَاتَ يَوْمٍ قَسِمًا ٤٧٠
- بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ٦٥٠

- بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ، انْتَفَتَّ إِلَيْهِ ٣١٤
- بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ ٥٠٤
- بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي ٤٥٦
- بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ١٢٦
- تَأْتِي الْإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَتْ ٤٩٢
- تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ٤١٩
- تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ٦٩٣
- تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ٩٥
- تَمَارَوْا فِي الْفُسْلِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤١١
- تَهَادُوا تَحَابُوا ٥٨٨
- ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وَجَّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ ٣٧٥
- ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ ٤٨٤
- جَاءَ أَغْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ ٤٧٣
- جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ٥٥٩
- جَاءَ دَحِيَّةٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السِّبْيِ ٢٩٨
- جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ٥٠٥
- جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ ١١٣
- جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ١٢٠
- جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ١٧
- حُبَّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ٥٢٤
- حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ ٦٦٧
- حُسَيْنٌ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ٢٥٢
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ ٤٢
- خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ٣١٤
- خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ٤٥٨

- خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَذْرِ ١١١
- خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي ١٣١
- خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ٣١٣
- خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَلَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي وَخَدُهُ ٣٧٤
- خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ ٦٤٤
- خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ ٥٩٤
- خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ٩٥
- خَفَّتْ أَرْوَادُ الْقَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ ٣٢٩
- الْخِلَافَةُ فِي أَمْنِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ٦٥١
- خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا ٢١٢
- خَيْرَ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٦٦٤
- خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ ٤٥٨
- خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ٦٦٥، ٦٢١
- دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ ٢٧٥
- دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ ٢٤٨
- دَخَلَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ، فَتَذَاكَرْنَا الطَّلَاءَ ٦٦٨
- دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ ٣٦٣
- دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْفَةً ٤٠٤
- دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ ١٦٥
- دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ١٧٦
- دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيِّفٍ الْقَيْنِ ٢٤١
- دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقَطَّعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ ٦٥٢
- دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ٥٦٩
- ذَكَرَ الْمَتْلَاهَنَانِ ٤٧٤
- ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ ٦٩٠

- ٤٤٨ دُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ
 ٣٠٢ ذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدَتْهُ يَغْتَسِلُ
 ١٦٩ الرُّوْيَا الصَّالِحَةَ جِزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جِزْءًا مِنَ النَّبَوَةِ
 ٦٤٣ رَأَيْتُ ذَاتَ لَبَلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ
 ١٠٠ رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ فَائِزَةً الرَّأْسِ
 ٥٠٥ رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ
 ٥٥٠ رَأَيْتُ شَابًا وَشَابَةً
 ٤٩٩ رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ تَوَضَّأَ
 ٦٤٣ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ
 ٢٩٥ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ زَوْجِي بِأَسْوَأِ صُورَةٍ وَأَشْوَهٍ
 ٢٣٢ رَأَيْتُ لَبَلَةً أُسْرِيَ بِي مُوسَى
 ٣٢٦ رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ
 ٢٥٢ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ
 ١٤٩ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَزِمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّخْرِ
 ٥٨١ رَأَيْتُ نُورًا
 ٦١٢ رُضُوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا
 ٣٠٥ زَارَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبْكَيْ مِنْ حَوْلِهِ
 ٢٨٨ زَوَّجَكُنَّ أَهْلَكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ
 ٥٠٥ سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً
 ٥٨٠ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتُ رَبَّكَ؟
 ٦٥٢ سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُ وَنَهَا
 ٦٧٥ السَّحُورُ أَكْلَةُ بَرَكَةٍ
 ٥٨٨ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 ٦٥٣ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ
 ٥٥٧ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةِ اللَّيْلِ

- سَبَكُونُ فِي آخِرِ أَمْتِي أَنَا سُبْحَدُّنُكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا ٦٨٣
- الشَّقَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ ٥٠٠
- شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فُحُوطُ الْمَطَرِ ٦٢٧
- شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ٥٥٧
- شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَضْحَى بِالْمُصَلَّى ٤١٥
- شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ ٦٤٣
- صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ ٦٢٦
- صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ ٩٧
- صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِي أَخِي بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ ١٤٩
- صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ ٥٥٨
- صَلَّى النَّبِيُّ بِالْمَدِينَةِ الظَّهْرَ أَرْبَعًا، وَالْعَصْرَ بَذِي الْحَلِيفَةِ ٢٠٤
- صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا سَلَّمَ ٥٥٧
- صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ ٥٣٥
- صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّاهُ عَنْ قَوْمٍ ٤١٤
- الْعَبَّاسُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ٢٦٥
- عَبَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِي ٦٨٤
- عُرِضَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرُّجَالِ ٢٣٢
- عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ٢١٩، ٤٢
- عَلَيَّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ ٢٥٩
- عَزَّوْنَا قَرَارَةً، وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا ٣٨٥
- فَأَتَيْنَا الْعَسْكَرَ ٥٨٩
- فَإِنْ كَانَ مَا نَقُولُ حَقًّا ٤٨٨
- فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ٥٣٧
- فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي ٢٤٤
- فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ٢٢١

- ٥٣ قَبِينَا أَنَا أَنَسِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ
- ٢٢٩ فَخَنَقْتَهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى كَفِي
- ١٩٧ فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ
- ٤٦٤ فَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ
- ٢١٨ فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَيَّ أُمْنِي خَمْسِينَ صَلَاةً
- ٨٣ فَرَكِبْتُ فِي أَثَرِهِ، فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْقَوْمُ عَثَرِي بِي فَرَسِي
- ٢٩٦ فَرُوجَهَا النِّجَاشِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَمْهَرَهَا
- ٦٨ فَضَقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا
- ٨٣ فَلَمَّا دَنَا - يَعْنِي سَرَاقَةً - فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رَمَحِينَ
- ٥٨٢ فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَقَلْتُ
- ١٤٤ قَالَ: أَسْرَحْتَنِي أُمِّي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَعْنِي لِأَسْأَلَهُ مِنْ حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ
- ٣٧٨ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي، لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ
- ٥٥٩ قَالَ فِي أَوَّلِهِ: أَكْبَرُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ
- ٣٧٥ قَالَ لِي خَلِيلِي، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ خَلِيلُكَ؟
- ١٦٥ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأَسَاهُ
- ٦٦ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
- ٦٨٦ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَنْتَنِي عَلَى اللَّهِ
- ٣١٣ قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَيْتُكُمْ
- ٥٢١ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّعْتُ قَدَمَاهُ
- ٥٨١ قَامَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ
- ٣٧٢ قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ
- ٨٣ قَدْ أَعْلِمْتُ أَنَّ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلِيٍّ فَادْعُوا لِي
- ٥٧٠ قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ
- ٢٧١ قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْرٍ
- ٦٥٠ قَدِيمَ مُسَلِّمَةِ الْكَذَّابِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

- قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَتَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ ٨٧
- قَدِمَ وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٥٧٠
- قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبَةً ٣٩٧
- قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً ٣٨٦
- قَرَأَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى بِسُورَةِ نَحْوِ سِتِينَ آيَةً ٤٣٦
- قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا ٥٤٤
- قُلْتُ لِعِمَّارٍ أَرَأَيْتُمْ صَيِّعُكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ؟ ٥٠٢
- قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ٥٨٦
- قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ٢٧٣
- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ ٢٩٤
- قُبِلَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٦٤
- قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحْزَمَ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتَقَاهُمْ ٢١٥
- كَافُلُ الْيَسِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ ٤١٩
- كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ ٦٨٤
- كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ تَوَضَّأَ ٤٢٤
- كَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ ٣٥
- كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنَ ٤٥٩
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِبَيْتِهِ ١٨٤
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ ٥٣٦
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ ٤٢٠
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي ٣٤٠
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ ٦٥٠
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِزُ فِي رَمَضَانَ الْعَشْرَ الَّتِي فِي وَسْطِ الشَّهْرِ ٥٥٨
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمِي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءَ ٤٢٣
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ رَبِّتَبَ ٢٧٣

- ١٦٠ كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة
 ٥٣٦ كان على رسول الله ﷺ ثوبان قطريان غليظان
 ٤٢٢ كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمَرَضَ
 ٥٣٦ كان قِرَامٌ لِعَائِشَةَ سَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْنِهَا
 ١٠٢ كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ
 ٦٦٦ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير
 ١٣٦ كان النبي ﷺ أحسن الناس
 ٣٤٦ كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة
 ٦١٦ كان النبي ﷺ في السوق
 ١٢٤ كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد
 ٣٤٦ كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة
 ١٥٩ كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه
 ٩٢ كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل
 ٤٥٧ كان مُسْلِمَةٌ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 ٥٣٥ كان للنبي ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْفَرَاءُ
 ٦٢٢ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء
 ٦١٢ كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طَعَامًا
 ٣٧٩ كنا عند حُذَيْفَةَ، فقال رجل: لو أذركتُ رسولَ الله ﷺ فأتيتُ معه وَأَبْلَيْتُ ..
 ٥٤٥ كنا عند رسول الله ﷺ صدر النهار
 ٦٨٩ كُنَّا نَعُودُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ
 ٣٦٦ كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ، فَكُنْتُ عَلَى بَكْرِ صَغِيرٍ لِعُمَرَ
 ٣٢٨ كنا مع النبي ﷺ وهو أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
 ٦١١ كُنَّا بَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ
 ٣٩٨ كنت أبيتُ مع رسول الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ
 ٥٠٢ كُنْتُ أَصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ أَجِبْهُ

- كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٦٣٦
- كنت أقودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ ٥٠١
- كنت جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ نَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ٣١١
- كنت فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي ٤١٨
- كنت لَكَ كَأَبِي رَزَعٌ لِأُمِّ رَزَعٍ ٢٧٢
- كُنْتُ مُتَكِنًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ١٩٧
- كنت مع ابن عمر فلبى حتى أسمع ما بين الجبلين ٢٠٥
- كنت مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ، فَأَنْصَرَفَ، فَأَنْصَرَفْتُ ٢٥٢
- كنت نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى خُمُوصَةٍ لِي ثَمَنُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ٤٧٢
- كنت نهيتكم عن الانتباز إلا في الأسقية ٥٧٨
- كنت وَافِدَ بَنِي الْمُتَّقِيقِ أَوْ فِي وَفْدِ بَنِي الْمُتَّقِيقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ١٣٨
- كنت وأنا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ٥٨
- كنت يومَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النَّسَاءِ ٣٤٣
- كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ١٦٦
- كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ أَبِي ٥٦٩
- كَيْفَ تَصْنَعُ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا صَلَّيْتَ؟ ٤١٢
- كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ ٦٠٨
- لا أَكُلُ مُتَكِنًا ٥٣٤
- لا أَرْكَبُ الْأَرْجُؤَانَ ٥٣٥
- لَا بُعْثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا ٣٤٩
- لا تَبَادِرُونِي بِرُكُوعٍ وَلَا بِسُجُودٍ ٥٠٣
- لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ٦٣٠
- لا تحقرن من المعروف شيئًا ٦٧٥
- لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ٥٠١

- لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود ٦٨٠
- لا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ ٥٠٤
- لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ سَاجِدٍ ٩٥
- لا تُطْرُونِي ٥٣٤
- لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله ٦٩٩
- لا تقوم الساعة حتى يقتل فتان ٦٢٣
- لا تَكْتَبُوا عَنِّي ٤٤٩
- لَا أُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ٤٩٢
- لا شيء، فوالله إن لقيناهم فمحناهم أكتافنا ٥٩٨
- لا عَذْوَى، ولا طَبِيرَةَ ٤٥٥
- لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ٥٢٢
- لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ٥٦٩
- لا يَخْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مَنِّبَرِي هَذَا ٦٠٧
- لا يذم ذَوَاقًا ولا يمدحه ٤٩٤
- لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ٦٨٦
- لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار ٥٠٧
- لا يَفْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا ٥٨٣
- لا، ولكني أكرهه من أجل ربحه ٦١٣
- لا يوردن ممرض على مصح ٤٦٤
- لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِهِ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلْدُونِي ١٧٥
- لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين ٥٤٤
- لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ٣٥٣
- لقد ظننت أن لا يسألني أحد ٦١٣
- لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ٣٢٦
- لَقَلَّ يَوْمَ كَانَ بَأْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بَأْنِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ ٧٩

- لَقِيتُ بِلَالًا مُؤَدِّنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِحَلَبَ ٣٥٣
- لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ ٤١٨، ٤٤٢
- لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ ٥٣٤
- اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ٥٣٧
- لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ٢٥١
- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي ٤٦٠
- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْ لِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ١٨٤
- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقْنِي بِالرَّفِيقِ ١٨٤
- لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ٥٥٢
- لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ ٢٤٥
- لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعَمُوا ٢٨٨
- لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ٣٢٩
- لَمَّا نُقِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَدْبَرَهُ وَجَعُهُ ١٧٥
- لَمَّا نُقِلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ١٨٣
- لَمَّا حَضَرَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَغِيرَةٌ ٤٢١
- لَمَّا هَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ ١٣٣
- لَمَّا فَتَحَتْ خَيْرٌ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌ ١٥٩
- لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ١٠٠
- لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ٥٩٢
- لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْرٍ، أَقْبَلَ نَعْرَمِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ ٦٤٤
- لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ ٦٣٣
- لَمَّا كَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ ٥٩١
- لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَلَدِنَ ٣٥٩
- لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٦٥، ٦٦
- لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ٦٥

- لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ ٣٥٦
- لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ ٤٤٨
- لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ ٥٨٧، ٥٣٥
- لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ ٣٨٤
- لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بِنِ عَدِيَّ حَبًّا ١١٨، ٧٣
- لَوْلَا أَنْ أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ ٤١٢
- لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَاقِبَةُ ١٢٢
- لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكَ بِالْكُفْرِ ٤٨٤
- لَوْ لَمْ يَنْقُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ ٦٨٢
- لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي: عِيسَى ٦٩٠
- لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخُرَّ ٦٦٨
- لَيْلَةُ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ ٦٠٩
- لَيْلَةُ أُسْرِي بِي رَأَيْتُ مُوسَى، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبُ ٢٣٢
- مَا بَيْنَ بَنِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ٩٤
- مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ ٦٦٧
- مَا خَيْرُ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ مِنْ أَمْرَيْنِ ٤٩
- مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَزْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٢٤١
- مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُغْدِي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ ٣٤٦
- مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ٤٩٤
- مَا غِزْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِزْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ٢٦٩
- مَا غِزْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ ٢٦٩
- مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ، إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ ٣١١
- مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ٤١
- مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي ٦٦٥

- ٦٦٢ ما من نفس منقوسة
 ٤٩٩ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ
 ٤٤٠، ٤١٧ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا
 ٣٩٥ مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ، وَحَسَّانُ يُنْشِدُ، فَقَالَ: كُنْتُ أَتَشِدُّ فِيهِ
 ٤٥٦ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَقَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَتَضَلُّونَ
 ٦٠٤ المسلمون تتكافأ دماؤهم
 ١٢٩ مَرُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٌّ قَدْ حُمِّمَ وَجْهُهُ
 ٢٥٢ مِنْ أَحَبِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَدْ أَحْبَبَنِي
 ٦٦٧ مِنْ أَشَدِّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي
 ٥٦٩ مِنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
 ٦١٠ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَمْتَرِئْنَا
 ٤٣١ مَنْ تَرَكَ دِينًا فَعَلَيَّْ
 ١٨١ مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ
 ٦١٧ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى
 ٧١ مَنْ خَافَ أَدْلَجَ
 ٤٢٠ مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ
 ٥٠٧ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
 ٦٣١ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً
 ١٨١ مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعُ مَرَارٍ
 ٤١٩ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا
 ٣٧٣ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْتَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ
 ٢٥٩ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ
 ٤٧٧ مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا
 ٥٣٧ مَنْ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى هَرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ
 ٦٣١ مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ

- ٤٧٢ من يُرْذِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
- ٣٦٥ مَنْ يَكْفُلْ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا
- ٥٣٧ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ
- ٤١٦ نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمِنْهُ كُلُّهَا مَنَحَرٌ
- ٢١١ نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ
- ٣٤٣ نَذَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ - قَالَ صَدَقَ: أَطْنَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ - فَانْتَدَبَ الرَّبِيعُ
- ١٤٢ نَزَلْتُ أَنَا وَأَهْلِي بِبَيْعِ الْغَزَقِدِ
- ٥٠٦ نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي
- ٤٢٧ نَعِمْتَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ
- ٤١٣ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ
- ٤١٥ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ أَكْلِ لَحْمِ الْأَصْحَايِ
- ٤١٥ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِهِنَّ
- ٦٨٥ هَاجَتْ رِيحُ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ
- ١٢٣ هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَبْغِي وَجْهَ اللَّهِ
- ٦٨٤ هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيِ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ
- ٧١ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ
- ٢٠٣ هَلْ تَدْرُونَ مِنْ هَذَا؟ هَذَا جَبْرِيلُ
- ٥٠٣ هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا؟
- ٥٩١ هَلْ يُعَمَّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟
- ٣٦٦ هَلُمُّ أَوْدَعَكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
- ١٩٨ وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ ﷺ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا
- ٤٧٩ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ
- ٥٩٥ وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
- ٦٠٢ وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا
- ٥٧١ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ

- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ ٤٩١
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِكَيْلَ أَنْ مَرِّمَ ٦٩٠
- وَقَدْ الْبَقْدَامُ مِنْ مَعْدِ يَكْرِبَ، وَعَمَرُوْهُ بِنِ الْاَسْوَدِ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي اَسَدٍ ٢٥٣
- وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُضْطَلِّقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ ٢٩٠
- وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَإِنِّي لَرَبِيعُ الْإِسْلَامِ ٦٢
- وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ٢٤١، ٢١٣
- وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ٤٤٨
- وَاللَّهُ إِنِّي لَأُولَ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٣٤٧
- وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيَّ أَحَدُكُمْ زَمَانٌ ٦٦٧
- وَمَا ضَرَكُ لَوْ مِتَّ قَبْلِي فَفَسَاكَ ١٦٧
- يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ٣٧٥
- يَا أَبَا حَمْزَةَ غَزَوْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ٦٣٣
- يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَكَ مِنَ اللَّهِ حَتَّى تَرْضَى ٢٦٥
- يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ٥٤٨
- يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ ٣٥٣
- يَا بَنِي إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ فَاسْتَعْنِ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ ٣٤٤
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَيَّ الْمَشْرِكِينَ ٤٥٥، ٤٢٣
- يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوُحْيُ؟ ٤٤
- يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ ٤٤٩
- يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ٦٧٧
- يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدِ بِجَاهِلِيَةٍ ٤٨٩
- يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَخْبُوكَ ٢٦٣
- يَا عَلِي، لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ ٥٥٠
- يَا مَزَاحِمُ، اتَّخَشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتْ الْمَدِينَةَ ١٠٦
- يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ٣٦٤

- يخرب الكعبة ذو السويقتين ٦٩٧
- يقول الله ﷻ ٥٢٥
- يقولون : إن أبا هريرة ٣٦٨
- يوشك أهل العراق ٦٨٣
- يوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس ١٧٧



فهرس الموضوعات

- مقدمة ٩
- الباب الأول : مع الرسول ﷺ من المبعث إلى اللحاق بالرفيق الأعلى ٣١
- الفصل الأول : الرسول ﷺ في مكة ٣٣
- قصة الوحي وماهيته ٣٥
- ١ - « ما أنا بقارئ » : ٣٥
- ٢ - « كان الذي أوتيته وحياً » : ٤١
- ٣ - « يأتيني مثل صلصلة الجرس » : ٤٤
- ٤ - « قَرَأَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أُسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي » : ٤٨
- ٥ - « أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا » : ٥١
- ٦ - « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » : ٥٣
- ٧ - « أنا نبي » : ٥٨
- إعلان الدعوة وإنذار العشيرة ٦٥
- ٨ - « أَكُنْتُمْ مَصْدُقِي ؟ » : ٦٥
- ٩ - « يَا صَبَاحَاهُ » : ٦٥
- ١٠ - « إِنِّي نَذِيرٌ » : ٦٦
- ١١ - « لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » : ٦٦
- ١٢ - « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ » : ٧١
- ١٣ - « وأنا محمد » : ٧٥
- الهجرة إلى يثرب ٧٩
- ١٤ - « قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ » : ٧٩
- ١٥ - « لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ » : ٨٢

- الفصل الثاني: في رحاب طيبة ٨٥
- مسجد الرسول ﷺ ٨٧
- ١ - «ثَامِنُونِي بِخَائِطِكُمْ» : ٨٧
- ٢ - «مُرِّي غُلَامَكَ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا» : ٩١
- ٣ - «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ» : ٩٤
- ٤ - «إِنْ قَوَائِمَ مَنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبَ فِي الْجَنَّةِ» : ٩٤
- ٥ - «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» : ٩٥
- ٦ - «مَسْجِدِي هَذَا» : ٩٥
- ٧ - «رَأَيْتَ هَذَيْنِ فَلَمْ أَضْبِرْ» : ٩٥
- فِي حُبِّ الْمَدِينَةِ ١٠١
- ٨ - «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ» : ١٠١
- ٩ - «فَتَاوَلَتْهَا أَنْ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ نَقْلٌ» : ١٠١
- ١٠ - «حَرَمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ» : ١٠٢
- ١١ - «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» : ١٠٢
- ١٢ - «وَأَنِي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ» : ١٠٣
- ١٣ - «لَا مُرَنَّ بِنَاقَتِي تُرْحَلُ» : ١٠٣
- ١٤ - «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ» : ١٠٤
- ١٥ - «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي» : ١٠٤
- غَزَوَاتُ «بَدْرٍ» وَ«أُحُدٍ» ١١٢
- ١٦ - «لَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكِي» : ١١٢
- ١٧ - «إِنَّ هَذَا السِّيفَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ» : ١١٤
- ١٨ - «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» : ١١٦
- ١٩ - «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا» : ١١٩
- ٢٠ - «فَلَا تَبَرَّحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» : ١٢١

- ٢١ - «لَوْ لَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا»: ١٢٣
- ٢٢ - «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ»: ١٢٥
- مواقف في المدينة ١٢٧
- ٢٣ - «اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»: ١٢٧
- ٢٤ - «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا مَا أَمَاتُوا مِنْ كِتَابِكَ»: ١٣٠
- ٢٥ - «قَدْ كُنْتَ أَنْهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ»: ١٣٢
- ٢٦ - «أَلَا أَذْذُكَ عَلَى كَثَرٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»: ١٣٤
- ٢٧ - «وَجَدْنَاهُ بَخْرًا»: ١٣٧
- ٢٨ - «لَنَا غَنَمٌ مِائَةٌ لَا نُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ»: ١٣٩
- ٢٩ - «يَغْضَبُ عَلَيَّ أَنْ لَا أَحْدَ مَا أُعْطِيهِ»: ١٤٣
- الفصل الثالث: إلى الرفيق الأعلى ١٤٧
- حان الأجل ١٤٩
- ١ - «لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»: ١٤٩
- ٢ - «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ»: ١٤٩
- ٣ - «إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ»: ١٤٩
- ٤ - «وَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجْلِي»: ١٥٠
- النبي الشهيد ١٥٩
- ٥ - «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ»: ١٥٩
- ٦ - «مَا أَرَأَى أَحَدًا أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ»: ١٥٩
- ٧ - «فَهَذَا أَوْ أَنْ قَطَعْتُ أَبْهَرِي»: ١٦٠
- المرض يتسلل إلى جسد رسول الله ﷺ ١٦٥
- ٨ - «إِنِّي أَوْعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»: ١٦٥
- ٩ - «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ»: ١٦٥
- ١٠ - «أَلَا وَإِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا»: ١٦٦

- ١١ - «أين أنا غداً»: ١٦٦
- ١٢ - «إني لا أستطيع أن أدور بينكن»: ١٦٦
- اشتداد وطأة المرض ١٧٥
- ١٣ - «لا تلذوني»: ١٧٥
- ١٤ - «هريقوا علي من سبع قرب»: ١٧٥
- ١٥ - «صعوا لي ماء في المخضب»: ١٧٦
- ١٦ - «دعوني فالذي أنا فيه خير»: ١٧٧
- الرحيل ١٨٣
- ١٧ - «ليس على أهلك كرب بعد اليوم»: ١٨٣
- ١٨ - «اللهم في الرفيق الأعلى»: ١٨٣
- ١٩ - «اللهم اغفر لي وازحمني وألحمني بالرفيق»: ١٨٤
- الباب الثاني: الرسول ﷺ مع المؤمنين** ١٨٩
- الفصل الأول: الرسول ﷺ مع الرسل والأنبياء** ١٩١
- مثلي ومثل الأنبياء ١٩٣
- ١ - «مثلي ومثل الأنبياء»: ١٩٣
- الرسول ﷺ مع جبريل عليه السلام ١٩٧
- ١ - «ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم»: ١٩٧
- ٢ - «رأيتُه منهبطاً من السماء»: ١٩٧
- ٣ - «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»: ١٩٨
- ٤ - «واعتنتني فجلستُ لك فلم تأت»: ١٩٨
- ٥ - «نزل جبريل فأمني»: ١٩٩
- ٦ - «أمني جبريل عند البيت مرتين»: ١٩٩
- ٧ - «أتاني جبريل عليه السلام»: ٢٠٠
- الرسول ﷺ مع إبراهيم عليه السلام ٢١١

- ١ - «رجل طویل لا أكاد أرى رأسه»: ٢١١
- ٢ - «أما إبراهيم فأنظروا إلى صاحبكم»: ٢١١
- ٣ - «نحن أحق بالشك من إبراهيم»: ٢١١
- الرسول ﷺ مع يوسف عليه السلام: ٢١٥
- الرسول ﷺ مع موسى عليه السلام: ٢١٨
- ١ - «لا تحيروني على موسى»: ٢١٨
- ٢ - «فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام»: ٢١٨
- ٣ - هذا موسى في قومه: ٢١٩
- ٤ - «فلو كنت ثم لأريتكم قبره»: ٢١٩
- ٥ - «مررت على موسى»: ٢١٩
- الرسول ﷺ مع عيسى عليه السلام: ٢٢٦
- ١ - «أنا أولى الناس بابن مريم»: ٢٢٦
- النبي ﷺ مع سليمان عليه السلام: ٢٢٨
- «فذكرت قول أخي سليمان»: ٢٢٨
- النبي ﷺ ينعت الأنبياء والرسل عليهم السلام: ٢٣٢
- ١ - موسى وعيسى ومالك عليه السلام: «رأيت ليلة أسري بي موسى»: ٢٣٢
- ٢ - موسى وعيسى وإبراهيم وجبريل عليهم السلام: «عرض علي الأنبياء»: ٢٣٢
- ٣ - موسى ويونس عليه السلام: «كأنني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الشية»: ٢٣٣
- الفصل الثاني: الرسول ﷺ مع أهل بيته ٢٣٩
- الرسول ﷺ مع أولاده ٢٤١
- ١ - مع إبراهيم عليه السلام: «ولد لي الليلة غلام»: ٢٤١
- ٢ - مع فاطمة عليها السلام: «فاطمة بضعة مني»: ٢٤٤
- ٣ - مع زينب عليها السلام: «إذا قرعتن فأذنيني»: ٢٤٨

- ٤ - مع الحسن والحسين ﷺ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»: ٢٥١
- الرسول ﷺ مع علي والعباس ﷺ: ٢٥٧
- ١ - مع علي ﷺ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»: ٢٥٧
- ٢ - مع عمه العباس ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ؟»: ٢٦٣
- مع زوجات النبي ﷺ: ٢٦٩
- ١ - مع خديجة ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا»: ٢٦٩
- ٢ - مع عائشة: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ»: ٢٧١
- ٣ - مع أم سلمة ﷺ: «إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ لَكَ»: ٢٨٥
- ٤ - مع زينب بنت جحش ﷺ: «أَسْرَعُكَنَ لِحَاقًا بِي، أَطْوَلُكَنَ يَدًا»: ٢٨٧
- ٥ - مع جويرية ﷺ: «أُوْذِي عَنْكَ كِتَابَتَكَ وَأَتْرُوْجُكَ»: ٢٩٠
- ٦ - مع أم حبيبة ﷺ: «فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ»: ٢٩٤
- ٧ - مع صفية ﷺ: «وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدَفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْءٌ»: ٢٩٧
- الرسول ﷺ مع أم هانئ بنت أبي طالب ﷺ: ٣٠١
- «قَدْ أَجْرَنَا مِنْ أَجْرَتِ يَا أُمَّ هَانِي»: ٣٠١
- على قبر أم النبي ﷺ: ٣٠٤
- «امْتَأَذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي»: ٣٠٤
- الرسول ﷺ مع أصحابه ﷺ: ٣٠٩
- الفصل الثالث: الرسول ﷺ مع أصحابه ٣٠٧
- ١ - أبو بكر الصديق ﷺ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»: ٣٠٩
- ٢ - عمر ﷺ: «فَلَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَقْرِي فَرِيَةً»: ٣٢٣
- ٣ - مع عثمان بن عفان ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»: ٣٣٧
- ٤ - مع الزبير بن العوام ﷺ: «وَإِنْ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ»: ٣٤٠

- ٥ - مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أَزِمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»: ٣٤٣
- ٦ - أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «وَإِنْ أَمِينَنَا - أَيُّهَا الْأُمَةُ - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»: ٣٤٦
- ٧ - أسامة بن زيد رضي الله عنه: «وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»: ٣٤٨
- ٨ - بلال بن رباح رضي الله عنه: «فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»: ٣٥٠
- ٩ - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِذْ نُكْتُ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ»: ٣٥٤
- ١٠ - عثمان بن مظعون رضي الله عنه: «أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَذْفُنْ إِلَيْهِ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»: ٣٥٦
- ١١ - أبي بن كعب رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَفِرَّكَ الْقُرْآنَ»: ٣٥٨
- ١٢ - زيد بن ثابت رضي الله عنه: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمَنْ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»: ٣٥٩
- ١٣ - أنس بن مالك رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَلَوْلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ»: ٣٦٠
- ١٤ - معاذ بن جبل رضي الله عنه: «وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»: ٣٦١
- ١٥ - ثوبان رضي الله عنه: «وَأَتَكْفُلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ»: ٣٦٢
- ١٦ - عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَعَاتِكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»: ٣٦٣
- ١٧ - أبو هريرة رضي الله عنه: «بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ»: ٣٦٤
- ١٨ - خالد بن الوليد رضي الله عنه: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًاي؟»: ٣٦٨
- ١٩ - أبو ذر رضي الله عنه: «إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي»: ٣٧١
- ٢٠ - سعد بن عبادة رضي الله عنه: «لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي»: ٣٧٥
- ٢١ - حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «قُمْ يَا حَذِيفَةُ، فَأَتِنَا بِخَبْرِ الْقَوْمِ»: ٣٧٦
- ٢٢ - أبو أيوب رضي الله عنه: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»: ٣٧٨
- ٢٣ - جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لَا أَرَاكَ مَيِّتًا مِنْ وَجَعِكَ هَذَا»: ٣٧٩
- ٢٤ - أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقَرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ»: ٣٨١

- ٢٥ - سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةَ؟» ٣٨٢
- ٢٦ - المقداد بن الأسود رضي الله عنه: «اللهم أَطْعِمْ من أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ من أَسْقَانِي» ٣٨٦
- ٢٧ - النعمان بن بشير رضي الله عنه: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ» ٣٨٩
- ٢٨ - جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «أَلَا تُرِيحُنِي من ذِي الْخَلَصَةِ؟» ٣٩٠
- ٢٩ - حسان بن ثابت رضي الله عنه: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» ٣٩١
- ٣٠ - عمير بن الحمام رضي الله عنه: «لَا يَقْدَمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ٣٩٣
- ٣١ - مخزومة رضي الله عنه: «حَبَّأْتُ هَذَا لَكَ» ٣٩٤
- ٣٢ - ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: «فَاعْنُنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَفَرَةٍ السُّجُودِ» ٣٩٥
- ٣٣ - عتبان بن مالك رضي الله عنه: «أَيُّنَ تُحِبُّ أَنْ أَصْلِيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» ٣٩٦
- ٣٤ - جلييب رضي الله عنه: «هَذَا مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ» ٣٩٧
- ٣٥ - أسماء بنت عميس رضي الله عنها: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ» ٣٩٩
- ٣٦ - أم سليم رضي الله عنها: «إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِيَ» ٤٠١
- الباب الثالث: من شمائل النبوة** ٤٠٣
- الفصل الأول: من أخلاق الرسول ﷺ** ١٩١
- من أخلاق الرسول ﷺ ٤٠٧
- ١ - رحمته وشفقته ﷺ: ٤٠٧
- * «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطَوَّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّيْرِ، فَأَتَجَوَّرُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» ٤٠٧
- ٢ - طاعته ﷺ لربه وخشيته منه: ٤٤٣
- * «لَنْ يُتَجَبَّرَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» ٤٤٣
- ٣ - نُبُلُ أخلاقه ﷺ: ٤٥١

- ٤٥١ * «إِنِّي لَا أُخِيسُ بِالْعَهْدِ، وَلَا أُخْسِرُ الْبُرْدَ».....
- ٤٦٦ ٤ - عدله ﷺ:
- ٤٦٦ * «مَنْ يَغْدِلْ إِذَا لَمْ أَغْدِلْ؟».....
- ٤٨٠ ٥ - حكمته ﷺ وبعد نظره:
- ٤٨٠ * «لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ؛ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ»:
- ٤٨٧ ٦ - شدته ﷺ في الحق:
- ٤٨٧ * «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ».....
- ٤٩٥ ٧ - حرصه ﷺ على العلم والتعليم:
- ٤٩٥ * «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ».....
- ٥١٧ ٨ - حبه ﷺ للعبادة والذكر:
- ٥١٧ * «وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»:
- ٥٢٦ ٩ - شجاعته ﷺ وإقدامه:
- ٥٢٦ * «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»:
- ٥٢٩ ١٠ - تواضعه ﷺ وزهده:
- ٥٢٩ * «اذْهَبُوا بِخِمِصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأَتُونِي بِأَنْبِجَانِيَةِ أَبِي جَهْمٍ».....
- ٥٣٩ ١١ - كرمه ﷺ:
- ٥٣٩ * «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»:
- ٥٤٤ ١٢ - غيرته ﷺ:
- ٥٤٤ * «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ»:
- ٥٤٨ ١٣ - تأليفه ﷺ للقلوب:
- ٥٤٨ * «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ»:
- ٥٥٢ ١٤ - بشرته ﷺ:
- ٥٥٢ * «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»:

- الفصل الثاني: من خصوصيات الرسول ﷺ ٥٦٣
- من خصوصيات الرسول ﷺ ٥٦٥
- ١ - وجوب محبته ﷺ وطاعته والتأسي به: ٥٦٥
- «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»: ٥٦٥
- ٢ - رؤيته ﷺ ربه: ٥٧٦
- «نور أنى أراه»: ٥٧٦
- ٣ - النبي ﷺ لا يورث: ٥٧٩
- * «إنا معشر الأنبياء لا نورث»: ٥٧٩
- ٤ - يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة: ٥٨٠
- «هو لها صدقة ولنا هديّة»: ٥٨٠
- ٥ - لا يقبل هدايا المشركين: ٥٨٣
- * «إني نهيت عن زبد المشركين»: ٥٨٣
- ٦ - تأييد ربه له بالمعجزات الباهرة: ٥٨٤
- * الجماد ياتمر بأمره: «انقادى عليّ بإذن الله»: ٥٨٤
- * الماء ينبع من بين أصابعه: «خذ يا جابر، فصب عليّ، وقلّ باسم الله»: ٥٨٥
- * بركته ﷺ تحل في الطعام: «قل لها لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي»: ٥٨٦
- * بيت المقدس أمام عينيه: «فجلا الله لي بيت المقدس»: ٥٨٧
- * حماية الله له في مكة: «لو دنا مني، لأختطفته الملائكة عضوا عضوا»: ٥٨٧
- * المدد الملائكي في بدر: «اللهم أنجز لي ما وعدتني»: ٥٨٨
- * يرى من وراء ظهره: «إني لأراكم من بعد ظهري»: ٥٨٩
- * تسليم الحجر عليه: «إني لأعرف حجرا بمكة»: ٥٨٩
- * فهمه شكوى البهائم: «فإنه شكأ إلي أنك تحببته وتذيبه»: ٥٨٩
- * كشف بعض الغيب له: «أجد لحكم شاة أخذت بغير إذن أهلها»: ٥٩٠

- * ائتمار الجماد بأمره: ٥٩٠
- * الماء ينبع من بين أصابعه: ٥٩١
- * بركته تحل في الطعام: ٥٩١
- * بيت المقدس أمام عينيه: ٥٩٢
- * حماية الله له في مكة: ٥٩٣
- * المدد الملائكي في بدر: ٥٩٣
- * يرى من وراء ظهره: ٥٩٤
- * تسليم الحجر عليه: ٥٩٥
- * فهمه شكوى البهائم: ٥٩٥
- * كشف بعض الغيب له: ٥٩٦
- ٧ - خمس لم يعطهن نبي قبله: ٥٩٧
- * «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي»: ٥٩٧
- أولها: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر: ٥٩٧
- وثانيها: أن الله قد جعل له الأرض كلها مسجدًا وطهورًا: ٥٩٨
- وثالثها: أحلت له المغانم: ٥٩٨
- ورابعها: أنه أعطي الشفاعة: ٥٩٩
- وخامسها: أنه بعث للناس عامة: ٦٠٠
- ٨ - أُعْطِيتُ مفاتيح الأرض: ٦٠١
- * «وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ»: ٦٠١
- ٩ - إحلال مكة له ساعة من نهار: ٦٠٢
- * «أَلَا وَانْهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ»: ٦٠٢
- ١٠ - تعظيم اليمين عند منبره ﷺ: ٦٠٣
- * «لَا يَخْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مِنبَرِي هَذَا، عَلَى يَمِينِ آئِمَةٍ»: ٦٠٣
- ١١ - تنام عيناه ولا ينام قلبه: ٦٠٤

- * «إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»: ٦٠٤
- ١٢ - يَنَاجِي مِنْ لَا نَنَاجِي، وَيَرَى مَا لَا نَرَى: ٦٠٦
- * «كُلُّ، فَلَانِي أَنَا حِي مَنْ لَا تُنَاجِي»: ٦٠٦
- ١٣ - لَهُ خَمْسَةُ أَسْمَاءَ: ٦١١
- * «إِنَّ لِي أَسْمَاءَ»: ٦١١
- ١٤ - التَّسْمِي بِاسْمِهِ، وَعَدَمُ التَّكْنِي بِكُنْيَتِهِ: ٦١٢
- * «سَمُّوا بِاسْمِي وَلَا تَكُونُوا بِكُنْيَتِي»: ٦١٢
- ١٥ - الشَّيْطَانُ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ: ٦١٣
- * «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي»: ٦١٣
- ١٦ - سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ: ٦١٥
- * «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»: ٦١٥
- ١٧ - اصْطَفَاءُ اللَّهِ لَهُ: ٦١٦
- * «وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»: ٦١٦
- ١٨ - بُعِثَ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ: ٦١٧
- * «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ»: ٦١٧
- ١٩ - لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ: ٦١٨
- * «وَأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»: ٦١٨
- ٢٠ - اتِّخَاذُهُ خَاتَمًا عَلَيْهِ نَقَشَ اسْمَهُ: ٦٢٠
- * «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ»: ٦٢٠
- ٢١ - لَهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ: ٦٢١
- * «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷺ»: ٦٢١
- ٢٢ - لَا يَنْقُصُ أَجْرُ صَلَاتِهِ: ٦٢٢
- * «وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ»: ٦٢٢
- ٢٣ - سُرْعَةُ إِجَابَةِ اللَّهِ دَعَاءَهُ ﷺ: ٦٢٣

- * «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»: ٦٢٣
- ٢٤ - لا يَلِيْ جَسَدَهُ ٦٢٤
- * «فَإِنْ صَلَاتُكُمْ مَّعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»: ٦٢٤
- ٢٥ - صَلَاتُنَا عَلَيْهِ تَبْلُغُهُ ٦٢٦
- * «وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنْ صَلَاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنتُمْ»: ٦٢٦
- ٢٦ - عِظْمُ فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ٦٢٧
- * «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» ٦٢٧
- ٢٧ - صَلَاتُهُ عَلَى الْمَيِّتِ رَحْمَةٌ: ٦٢٨
- * «فَإِنْ صَلَاتِي لَهُ رَحْمَةٌ»: ٦٢٨
- ٢٨ - لَيْسَتْ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ: ٦٢٩
- * «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»: ٦٢٩
- ٢٩ - لَا يَنْطِقُ إِلَّا حَقًّا: ٦٣٢
- * «اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»: ٦٣٢
- ٣٠ - أُوتِيَ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ: ٦٣٣
- * «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»: ٦٣٣
- ٣١ - بَعَثَهُ وَمَوْتُهُ ﷺ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ: ٦٣٤
- * «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا»: ٦٣٤
- الفصل الثالث: من نبوءات الرسول ﷺ ٦٣٧
- من نبوءات الرسول ﷺ ٦٣٩
- ١ - نبوءات تحققت في حياة الرسول: ٦٣٩
- * الهجرة والابتلاء والفتح: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ»: ٦٣٩
- الرفعة واكتمال الدين: «وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ»: ٦٣٩
- * رجل من أهل النار: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ٦٣٩
- * «إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ»: ٦٤٠

- * ربح لا يقوم لها أحد: «إني مُسرِعٌ فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ» ٦٤٠
- ٢ - نبوءات تحققت زمن الصحابة والتابعين ٦٤٦
- * مهلك مسيلمة: «وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ»: ٦٤٦
- * كذابان يخرجان بعدي: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ» ٦٤٦
- * ملوك على الأسيرة: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: ٦٤٦
- * نصر وفتوحات: «إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ وَمُصِيبُونَ وَمَفْتُوحٌ لَكُمْ»: ٦٤٧
- * الخلافة ثلاثون سنة: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ»: ٦٤٧
- * أثره وأمر منكرة: «إِمَّا لَا؛ فَاضْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرُهُ»: ٦٤٨
- * الفتن تجتاح المدينة: «إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ»: ٦٤٨
- * ظهور الخوارج: «سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِرُ حَلَاقِيمَهُمْ»: ٦٤٨
- * اختلاف كثير: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»: ٦٤٩
- * بعد مائة سنة: «وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةً»: ٦٤٩
- * الاغترار بفتنة الدنيا: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»: ٦٥٠
- ٣ - نبوءات تحققت بعد قرون الخيرية: ٦٦٠
- * افتراق الأمة: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»: ٦٦٠
- قوم سوء يأتون بعد قرون الخيرية: ٦٦٠
- ١ - «ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ»: ٦٦٠
- ٢ - «وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»: ٦٦١
- ٣ - «ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ»: ٦٦١
- ٤ - «يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»: ٦٦١

- ٥ - «دُعَاةُ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»: ٦٦٢
- * أمراء تشغلهم الدنيا عن الصلاة: «إِنهَا سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أَمْرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءٌ عَنِ الصَّلَاةِ لَوْفَتْهَا»: ٦٦٢
- * فتنة النساء: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»: ٦٦٣
- * تمنى رؤية النبي ﷺ: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»: ٦٦٣
- * رفع الأمانة: «يَتَأَمُّ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ»: ٦٦٣
- * تسمية الخمر بغير اسمها: «لَيْشَرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونها بِغَيْرِ اسْمِهَا»: ٦٦٤
- * استحلال الحرير: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَرَّ، وَالْحَرِيرَ»: ٦٦٤
- * فتن وزلازل وقتل: «عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»: .. ٦٦٤
- * إنكار الحديث النبوي: «وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ»: ٦٦٥
- أولاً: الخيانة: ٦٦٦
- ثانياً: أداء الشهادة دون طلب: ٦٦٧
- ثالثاً: عدم الوفاء بالنذر: ٦٦٧
- رابعاً: انتشار البطنة والسمنة: ٦٦٧
- ٤ - نبوءات تتحقق بين يدي الساعة: ٦٧٧
- * عودة الخلافة: «وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»: ٦٧٧
- * خروج المهدي: «لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»: ٦٧٨
- * خليفة يحيي المال حياً: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْيِي الْمَالَ حَيًّا»: ٦٧٨
- * دجالون كذابون: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا»: ٦٧٩
- * هلاك الأمة: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»: ٦٧٩
- * خسف بالبليداء: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَوْمُونُ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ»: ٦٨٠

- * زنديق يهدم الكعبة: «كَأَنِّي بِهِ أَشْوَدَ أَفْحَجَ»: ٦٨٠
- * شرطة الموت: «إِنِّي لِأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَالْوَانَ خِيُولَهُمْ»: ٦٨٠
- * الطائفة المنصورة: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ»: ٦٨١
- * فتنة الدجال: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ»: ٦٨٢
- * نزول المسيح، ومصرع الدجال، وظهور يأجوج ومأجوج: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُهْلِكَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ»: ٦٨٦
- الخاتمة ٧٠٧
- أولاً: الأفكار والمضامين: ٧٠٧
- ثانياً: النسق الوجداني: ٧٠٨
- ثالثاً: التراكيب والجمال: ٧١٠
- رابعاً: المعجم: ٧١٥
- خامساً: التصوير: ٧١٩
- المصادر والمراجع ٧٢٥
- فهرس الأحاديث والآثار ٧٤٩
- فهرس الموضوعات ٧٧٥

